سلسلة مفردات التربية الإسلامية

(الحلقة ٥)

التربية السياسية الإسلامية

تأليف
الدكتور على عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر

رقم الإيداع: ٨٣٤٨ /٤ ١ ٠ ٠ ٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-265-325-7

شركة الأمل للتجهيزات الفنية
عامر شماخ وشركاه
ت: ٥٧٦١٩٦٢

دار التوزيع والنشر الإسلامية
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ص. ب ١٦٣٦
مكتبة الإعلام: ١٢ ش ابن هانئ الأندلسي ت: ٢٦٠٠٧٣١
مكتبة نصر الدين: ٤٤٦ ش الهرم - أعلى النفق ت: ٥٧٣٠٧٥٢

إهـــداء

إلى الذين يعملون فى صمت ويحتسبون عند الله ما يقومون به من عمل وجهد فى تربية المسلمين؛ متخذين من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مصدراً ورافداً يمدهم بالقيم التربوية الصحيحة.

وإلى الذين يرغبون فى أن يعرفوا عن التربية الإسلامية ما لا يسع المربى جهلُه.

وإلى القائمين على المؤسسات التربوية الإسلامية الفاعلة المؤثرة؛ البيت، والمسجد، والمدرسة، والنادى، وسائر التجمعات فى المجتمع؛ لعلهم يجدون فى هذه السلسلة بعض ما يعينهم على القيام بأعمال التربية الإسلامية.

إلى هؤلاء جميعًا أهدى هذه الحلقة: التربية السياسية الإسلامية من سلسلة: «مفردات التربية الإسلامية»، سائلاً الله تبارك وتعالى لى ولهم التوفيق والسداد.

على عبد الحليم محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى هذه السلسلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث هدى ورحمة للعالمين.

وبعد:

فقد قدمت لهذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» عندما صدرت الحلقة الأولى من حلقاتها العشر: «التربية الروحية»(١) وأستحسن الآن عند صدور الحلقة الخامسة: «التربية السياسية الإسلامية»(٢) أن أذكر بما قلته هناك محاولاً أن أوجز وأُجْمل، والله ولى التوفيق وهو المستعان.

- مفردات التربية الإسلامية هى مكوناتها ومادتها الأساسية، وهى مفردات تسهم فى بناء شخصية الإنسان بناءً صحيحًا ليكون إيجابيًا فاعلاً فى الحياة الدنيا، مَرْضيًا عنه من الله فى الحياة الآخرة، إذ هو بتوافر هذه المفردات وما تبثه فى نفسه من قيم قادر على أن يسهم فى بناء الحضارة الإنسانية الراشدة.
- وهذه المفردات أو الأسس التى تقوم عليها التربية الإسلامية هى التى تمكن من يدين بدين الإسلام أن يحقق الأهداف التى أراد الله تعالى منه أن يحققها، وهى – كما هو معروف للمسلمين:–

– توحيد الله تعالى وإفراده بالألوهية والربوبية.

– وعبادته سبحانه باتباع المنهج الذى جاء به محمد ﷺ وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

– وإعمار هذه الأرض التى سخرها الله تعالى له.

- وهذه الأهداف تشتمل على كثير من الأهداف التفصيلية، وهى جميعًا مُجملها ومفُصَّلها تتحقق إذا اتبعت الوسائل التى جاء بها الإسلام لتحقيقها، وأبرزها:

– التعلم؛ بالتلقى والتدبر والبحث والدراسة.

---

(١) صدرت فى عام ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م عن دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٢) هى هذه الحلقة المسبوقة بأربع حلقات هى التربية الروحية، والتربية الخلقية، والتربية العقلية، والتربية الدينية.

- والعلم؛ أى تحصيل ما تُعلِّمَ والتمكن منه للانطلاق إلى ما هو أبعد منه وأرقى وأعمق.

- والتعليم؛ أى نقل العالم لهذا العلم الذى حصله لغيره من الناس واعتبار هذا النقل واجبًا شرعيًا، من سئل عنه فكتمه ألجمه الله بلجام من نار.

● وبذلك تُتناقل الخبرات وتُتوارث، ويبدأ الثانى من حيث انتهى الأول، ليضيف جديدًا؛ لا ليكرر من سبقه، وهذا هو خلق الإسلام ومنهجه فى وجوب التعلم والعلم والتعليم.

● ولقد رأيت بعد تفكير ومعاناة للتربية نظريًا وعمليًا أن هذه المفردات للتربية الإسلامية عشر هى:

- التربية الروحية.
- والتربية الخلقية.
- والتربية العقلية.
- والتربية الدينية.
- والتربية الجسدية.
- والتربية الاجتماعية.
- والتربية السياسية.
- والتربية الاقتصادية.
- والتربية الجهادية.
- والتربية الجمالية.

وعقدت العزم على أن أؤلف فى كل منها كتابًا قائمًا بذاته، وهذا عمل أرجو الله تعالى أن يعيننى عليه، وقد أنجزت منه حتى الآن خمسة كتب[1]، بفضل الله وتوفيقه.

● ومما أحب أن أنبه إليه أن مفردات التربية الإسلامية العشر، متكاملة لا يغنى بعضها من بعض، وإنما تسهم مجتمعة فى البناء الصحيح لشخصية الإنسان.

● وهذه السلسلة تستطيع أن تتعرف أسباب معاناة المسلمين اليوم، وتشرذمهم وتراجعهم

(١) هى: كتاب: التربية الروحية، وكتاب التربية الخلقية، وكتاب التربية العقلية، وكتاب التربية الدينية وكتاب التربية السياسية الإسلامية وهو هذا الكتاب.

الحضارى النسبى، وأبرز هذه الأسباب هو : «فقد المنهج الإسلامى فى التربية» بأنواعها :

– التربية للفرد صغيراً وكبيراً.

– التربية للأسرة، أو فى داخلها.

– والتربية فى المسجد لكل رواده.

– والتربية فى المدرسة وأماكن التعليم.

– والتربية فى المجتمع بمختلف قطاعاته ومتعدد مرافقه وأنديته ومؤسساته.

– التربية المرحلية والتربية المستمرة.

- على أن فقد المنهج الإسلامى فى التربية فى العالم الإسلامى ليس بسبب ضياعه بعد أن كان؛ لأنه بكل تأكيد قائم بل قادر على أن يملأ الروح والعقل ويثرى الحياة الإنسانية كلها إذا أتيح له أن يطبق، هو منهج قائم ومستمر ومن المحال أن يضيع لأن الله تعالى تكفل بحفظه دون سائر المناهج الدينية التى سبقته.

- وإنما فقد المسلمون منهج الإسلام فى التربية بابتعادهم عنه أو إبعادهم، ليجدوا أنفسهم مع مناهج أخرى لا يزيدهم الأخذ بها إلا ضلالاً وبعداً عن منهج الله، ووقوعًا فى متاهات عديدة من الحيرة والتخبط، والفرقة والتشرذم والضعف.

- وما يعالج هذا كله إلا اتباع منهج الله، إذ على العالم الإسلامى اليوم أن يدرك واقعه وأبعاد هذا الواقع ونتائجه الوخيمة، إن واقع العالم الإسلامى اليوم أنه يعيش مفرقًا فى أكثر من خمسين دولة!!! وهذا التفرق يحدث فى عصر تسيطر على أهله من كل جنس ولون دواعى الاتحاد والوحدة، على نحو ما نرى فى الاتحاد الأوروبى الذى لا تجمع بين دوله لغة واحدة ولا تاريخ واحد، ولا عقيدة واحدة، ومع ذلك التباين فهم قد حققوا اتحاداً فى مجالات عديدة أبرزها المجال الاقتصادى، حتى أصبحت أوروبا اليوم هى القوة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وانكشاف زيف منهجه، وخداع شعاراته الجوفاء.

– إن أوروبا من أجل هذا الاتحاد نسيت أو تناست ما بين كثير من دولها من عداوات تقليدية – كالعداوة بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا واليونان، ومجموعة الدول «السكندنافية».

وهذا هو الاتحاد الذى جعل من أوروبا القوة الثانية فى العالم المعاصر.

● يحدث هذا فى أوروبا بينما يعيش العالم الإسلامى تفرقًا وتمزقًا على الرغم من دواعى الوحدة بين دولة، لا مجرد الاتحاد، وبحسب العالم الإسلامى وحدة العقيدة: «لا إله إلا الله». وحسبه وحدة المنهج: «محمد رسول الله».

ووحدة العبادة، ووحدة القبلة، ووحدة التوجه إلى الله بطاعته واتباع منهجه الذى أكمله الله وأتمه ورضيه للبشرية كلها دينًا.

● إن العالم الإسلامى اليوم يضم أكثر من ألف مليون إنسان.

– ويملك من المقدرات الاقتصادية ما لو تركه الأعداء دون كيد لكان من أقوى أسباب الاكتفاء بل الغنى.

– ويملك المنهج الذى لا يوازيه منهج «الكتاب والسنة» الذى اشتمل على الثوابت التى تحقق للناس سعادة الدارين، وتبسط فى ربوعه الحق والعدل والسلام، تلك الثوابت هى: العقيدة والعبادة والقيم الخلقية.

– ويملك الجانب المتغير من المنهج وهو كل ما يستحدث فى حياة الناس، مما هو من غير الثوابت، وقد فتح أمامه باب الاجتهاد على مصراعيه من القياس والمصالح المرسلة ودفع الأضرار وجلب المصالح، وهذا الاجتهاد باب مفتوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

● ولقد أفادت الحضارة الإنسانية كلها من اجتهاد علماء المسلمين على مر العصور فى كل شعب الحياة، وتلك حقيقة لا ينكرها إلا مكابر.

● وسوف يكون هذا المنهج قادراً على العطاء فى كل زمان ومكان ما وجد من المؤمنين المخلصين من يعلمون على تطبيقه والالتزام به، وعلى قدر مستوي المجتهدين من المسلمين فى العلم والإخلاص والجهاد والتضحية يكون عطاء المنهج وقدرته على حل أعتى مشكلات الإنسانية.

● وكما أفادت الحضارات الأخرى من الحضارة الإسلامية فإنه لا حرج على المسلمين أن يفيدوا اليوم من أى حضارة معاصرة بشرط واحد هو ألا يخالف ما أخذوه من الحضارات الأخرى شيئًا مما جاءت به شريعة الإسلام.

– ومخطئ من يقول: لا ينبغى أن يأخذ المسلمون من حضارات الآخرين، لأن الحضارة

تراث إنسانى تفتقت عنه عقول خلقها الله تعالى رب الناس جميعًا.

- وغافل من لا يفرق بين الثوابت والمتغيرات من منهج الإسلام، بل ممعن فى الغفلة.

وبعد:

فإن التحدى الحقيقى للمسلمين اليوم هو أن تكون لديهم نظرية تربوية علمية عملية نابعة من منهج الإسلام فى الحياة، حتى يستطيعوا من خلال تطبيقاتها أن يكوِّنوا الشخصية التى تدين بالإسلام وتتخذ من ثوابته أسسًا راسخة، وتتعامل مع متغيراته وفق ما أتاح الإسلام من اجتهاد.

وهذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» فى مجموعها محاولة منى - على قدر ما أعلم فى علوم الدين وعلوم التربية - للإسهام فى توضيح أبعاد هذه النظرية، والله تعالى أسأل، أن يلهم السداد، ويمد بأسباب التوفيق.

بين يدى هذا الكتاب

هذا الكتاب - أو تلك الحلقة - التربية السياسية الإسلامية - هى خامسة الحلقات من سلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» وقد حاولت فيها أن أوضح؛ أن السياسة بكل مفهوم من مفاهيمها العديدة هى جزء من المنهج الإسلامى لتنظيم الحياة الإنسانية، وليس من المبالغة فى شيء القول بأن المنهج الإسلامى للحياة فى كل شعبة من شعب الحياة، وفى كل مفردة من مفرداتها، اعتمد السياسة عملاً أساسًا، وجزءًا رئيسا من المنهج.

- كما أنه ليس من المبالغة فى شيء القول بأن السياسة بمفهومها الصحيح كانت مواكبة لخطوات الدعوة الإسلامية منذ بواكيرها يوم كانت فى مكة المكرمة تعانى من كون المؤمنين بها قلة مضطهدة أمام المشركين الأكثر عدداً والأقدر على البطش والتجبر؛ فقد كان من السياسة ألا تجابه القوة المؤمنة القليلة العدد الضعيفة الحيلة، تلك القوى المشركة بالله المتجبرة الظالمة، وإنما كانت السياسة هى الصبر والاحتساب.
- ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل آنئذ فى بعد النظر السياسى، والإيمان بمرحلية العمل السياسى وأولوياته. وذلك عندما اعتدى أحد المشركين على سعد بن أبى وقاص الشاب المؤمن ذى الحسب فى قريش، فما كان من سعد إلا أن غضب ورد العدوان فشج من اعتدى عليه، مما أرضى عدداً من المسلمين بل أثلج صدورهم، ولكن عندما سمع النبى ﷺ بذلك، قال لسعد: «ما أمرنا بذلك بعدُ..» تلك كانت سياسته ﷺ فى رد العدوان فى تلك المرحلة.
- إن العقيدة الإسلامية فى مجملها تقوم على السياسة؛ وذلك أنها تقوم على التوحيد، وتوحيد الله تعالى بالألوهية والربوبية اختيار من الإنسان ينبنى على إرادة حرة فى التوحيد أو الشرك دون إكراه، وتلك سياسة يختارها الإنسان لنفسه وفق إرادته الحرة.
- والإيمان نفسه يرتكز على سياسة التصديق بكل ما جاء من عند الله تتبعها سياسة العمل بمقتضى هذا التصديق، أيضًا دون إكراه، بل بملء الإرادة وحرية الاختيار ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**..﴾ [الكهف: ٢٩].
- والإسلام ذاته نوع من السياسة تعتمد على الإذعان للمنهج واتباع خطواته بكل دقة، والالتزام بمفرداته ابتداءً من النطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما، ومروراً بكل ما جاء به

محمد ﷺ من عند الله تعالى ليبلغ به عباده فى كل زمان وكل مكان.

● والعدل نوع من السياسة يتجه إليه الإنسان فى تعامله مع ربه سبحانه وتعالى، ومع نفسه، ومع الناس، بل سائر مخلوقات الله، فالعدل أصل فى الكون كله، وبه قامت السموات والأرض، وبكل معنى من معانى العدل وهى كثيرة(١) لابد من سياسة يلزم الإنسان بها نفسه ليكون عادلاً يأخذ بكل ما جاء به الشرع، وينتهى عن كل ما نهى عنه.

● والإحسان سياسة؛ يؤخذ بها فى تربية النفس الإنسانية على أن ترضى بأن تأخذ أقل مما لها، وأن تعطى أكثر مما عليها لتصل إلى درجة الإحسان.

● ودرجة الإحسان من الدرجات الرفيعة القدر، لأن الله تعالى مع المحسنين، ويحب المحسنين.

● والأمر بالمعروف فى جوهره سياسة يتوخى بها أنواع المعروف الذى به تستقيم حياة الناس، وتعرف من خلالها زمان الأمر بالمعروف ومكانه وملابساته، خشية أن يؤدى الأمر بالمعروف إذا خلا من السياسة إلى منكر.

● والنهى عن المنكر فى حقيقته خاضع لسياسة، يُتحرى بها أنواع النهى عن المنكر، وزمان هذا النهى ومكانه، وظروفه خشية أن يؤدى النهى عن المنكر دون سياسة إلى منكر أشد مما كان ينهى عنه.

● والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، سياسة أيضًا، تخضع كغيرها من السياسات لظروف الزمان والمكان، ونوع الجهاد، ونوع من يكون ضدهم الجهاد، وحكم التعامل معهم أثناء الجهاد، وبعده.

● وكل قول أو صمت، وكل عمل أو ترك يصدر من المؤمن، طوال حياته، وفى كل تعامل يقوم به من أجل دينه أو دنياه؛ إنما يخضع كل ذلك لسياسة يقرها الشرع أو يجتهد فى اختيارها العقل، وليس بجائز لمسلم أن يقوم بعمل أو يتلفظ بقول إلا أن يستهدى الشرع أو العقل، وإلا حوسب أمام الله تعالى.

– فكل قول أو صمت يجب أن يكون بناءً على إرادة واختيار بل حرية إرادة وحرية اختيار؛ إذ المبدأ العام فى ذلك هو قول الله تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق:١٨].

---

(١) من معانى العدل: المساواة، والإنصاف، والتوسط، والجزاء، وتقويم الاعوجاج، والعدالة التى هى إحدى الفضائل الأربع التى تعارف عليها الفلاسفة وهى: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة.

– وكل عمل أو ترك لعمل يجب كذلك أن يكون مبنيا على إرادة واختيار بنفس القدر من الحرية، والمبدأ العام فى ذلك هو قول الله تعالي: ﴿ **وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [يونس: ٦١]، وترك العمل كالعمل يجب أن يبنى على حرية الإرادة.

– وإن الالتزام بما جاء به الشرع، وبما اجتهد فيه العقل؛ لا يكون إلا عن إرادة واختيار حُرَّين طليقين، يعرف الإنسان منهما ؛ متى يختار؛ وأين يختار؟ وماذا يختار؟ وكيف يختار؟ أما الالتزام دون إرادة واختيار فلا وزن له بين الأعمال.

● وهكذا نرى التربية الإسلامية السياسية متداخلة، بل متدخِّلة فى كل ما يمارس المسلم من قول أو عمل، لأن سياسة هذه الأعمال من صميم الدين، ومن متطلباته الأساسية، وليست مجرد صفات كمال للعمل وإنما هى صفات صحة وقبول، بل هى شروط لصلاح العمل من وجهة نظر الدين.

– والشروط التى يضعها الشرع أحكام معروفة تتعلق بالأمور التى تقع فى حياة المتعبد، وفى الفقه: الشرط ما لا يتم الشيء إلا به، ولا يكون داخلاً فى حقيقته.

فكل شرط شرطه الشرع واجب على المتعبد الالتزام به، وعند تخلف الشرط يفقد العمل صحته، بل يحبط ولا يحظى بالقبول.

● وإذا كانت مصادر التشريع الإسلامى – كما قررها علماء الإسلام أخذاً من سنة الرسول ﷺ – هى:

– القرآن الكريم.

– والسنة النبوية المطهرة.

– والإجماع.

– والقياس.

– والمصالح المرسلة.

– وسد الذرائع.

– والاستحسان، وغيرها

فإن خمسة من هذه المصادر - أى ما عدا الكتاب والسنة - لا تتم إلا وفق سياسة بعينها فى الأخذ بكل مصدر من مصادر التشريع، هذه السياسة توضح كيفية الأخذ بكل مصدر من هذه المصادر، وتكشف عن خطوات الأخذ وشروطه، وتستوضح فيه آراء الناس ومشورة أهل الشورى منهم، وكيفية ترجيح مشورة على أخرى عند اختلاف مشورة عن غيرها.

- والإمامة العظمى «الخلافة» عن رسول الله ﷺ فى قيادة حكومة للمسلمين، حكومة تجمع شملهم وتجعل منهم أمة واحدة، هذه لا تتم إلا من خلال سياسة وترتيب أولويات، وأخذ ورد، وتشاور وتداول وحوار، وكل ذلك هو السياسة بعينها بأى مفهوم من مفاهيمها.

- وكذلك شأن كل قيادة أو رئاسة أو أى مسئولية فى الدولة المسلمة أو فى المجتمع المسلم بل فى البيت المسلم، لابد لكل ذلك من سياسة يؤدى الأخذ بها إلى حسن اختيار مَنْ تتوافر فيه أهلية القيادة لأى عمل من الأعمال المتصلة بالمسلمين.

- وأبسط الأمثلة على ذلك مسئولية المسلم عن أسرته؛ أهله وأبنائه ومن يعيشون فى ولايته، فهذه المسئولية - كما تحدث عنها الرسول ﷺ فى الحديث الصحيح المتفق عليه الذى رواه مسلم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

إن كل رعاية أو مسئولية صغرت أو كبرت لابد لممارستها من سياسة تخضع لأولويات ومراحل وفقه لهذه الأولويات ولتلك المراحل.

- بل إن الفقه نفسه بجميع أنواعه فى جوهره سياسة تقوم على التوازن واختيار الأصلح للناس فى زمانهم ومكانهم وسائر ظروفهم، ثم يكون بعد ذلك إصدار الفتوى أو اتخاذ القرار.

- السياسة فى ديننا الخاتم قاسم مشترك فى كل عمل دينى أو دنيوى، وما يجادل فى ذلك إلا جاهل أو معاند، على ذلك جرت كلمة علماء الإسلام فى الماضى وفى الحاضر، وعليه ستجرى كلمتهم فى المستقبل لأن ذلك من صميم الدين، وإنما كان ذلك كذلك لأن الإسلام منهج شامل ينظم كل مرفق من مرافق الحياة الإنسانية فى أى زمان، ومكان.

- أما أولئك الذين يزعمون أن الدين شيء والسياسة شيء وينادون بعدم تسييس الدين، أو تديين السياسة فأولئك هم الغافلون؛ الذين لا يعرفون عن الدين ما يجب أن يعرفوا، وأشك فى أن معرفتهم عن السياسة على مستوى دعاواهم ومزاعمهم، فهم فى خلط بين المفاهيم التى لا يعرفونها، وإنما يرددون دون وعى ما يردده أعداء الإسلام الذين يخططون لعزل الدين عن الحياة، فيرون أن أولى خطواتهم فى هذا الطريق هى عزل الدين عن السياسة.

نسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية والرشاد، ورؤية الحق حقًا واتباعه، ورؤية الباطل باطلاً واجتنابه.

- وبعون من الله تعالى ومدد وتوفيق سوف نعالج فى هذا الكتاب موضوع: التربية السياسية الإسلامية، من خلال حديثنا عن مدخل للكتاب وبابين.

- ففى المدخل نتحدث عن: مفهوم التربية السياسية الإسلامية مع مقارنة سريعة وجيزة بينها وبين أنواع التربية التى اشتهرت بين الناس فى هذا العصر، مثل:

- التربية السياسية الليبرالية.
- التربية الاشتراكية الخيالية أو الطوباوية.
- والتربية الاشتراكية الديموقراطية.
- والتربية الاشتراكية المسيحية.
- والتربية الاشتراكية الوطنية أو الفاشية أو النازية، ثم نختم مقارنتنا بأن نتحدث عن التربية السياسية الإسلامية.

- وفى الباب الأول نتحدث عن: الأسس التى تقوم عليها التربية السياسية الإسلامية من:

ضبط لسلوك الإنسان،

والتعريف بحقوق الإنسان وواجباته،

وإقرار مبدأى التعاون والتكافل فى سلوك الإنسان،

وتربية الإنسان على مبدأ الشورى،

وتربيته على مبدأى العدل والإحسان،

وتربيته على أن يدعو إلى الله على بصيرة،

وتربيته على أن يعيش مجاهداً فى سبيل الله تعالى.

– وفى الباب الثانى نتحدث عن أهداف التربية السياسية الإسلامية من:

تكوين الإنسان المسلم السياسى،

وتكوين البيت المسلم الذى يشارك سياسيًا،

وفقه وظيفة المسجد وأثره السياسى،

وتكوين الرأى العام الإسلامى السياسى.

– ثم كانت خاتمة الكتاب حمداً لله وشكراً وعرفانًا.

مع دعوات خالصة بأن ينفع الله المسلمين بما فى هذا الكتاب، وأن يزيل عن عقولهم تلبيس الملبسين على الإسلام وتشكيك المشككين، وأن يدحض مفتريات المبطلين الذين يكيدون للإسلام والمسلمين.

إنه سبحانه سميع الدعاء مجيب دعوة الداعى إذا دعاه، بفضل منه ورحمة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المدخل إلى هذا الكتاب

يتناول هذا المدخل توضيح مفاهيم تتصل بموضوع الكتاب وتلقى عليها من الضوء ما يناسبها.

ومن تلك المفاهيم:

مفهوم التربية، ومفهوم السياسة، وتحديد العلاقة بينهما.

ثم عقد مقارنة بين التربية السياسية الإسلامية وأنواع أخرى من التربية هى:

- التربية السياسية «الليبرالية».
- والتربية السياسية الاشتراكية، وهى مذاهب عديدة منها:
  - الاشتراكية الخيالية أو «الطوباوية».
  - والاشتراكية الديموقراطية.
  - والاشتراكية المسيحية.
  - والاشتراكية الوطنية؛ فاشية ونازية.

ثم إلقاء ضوء على مفهوم التربية السياسية الإسلامية وتوضيح القيم التى تنبع منها التربية السياسية الإسلامية مع رصد للمغالطات التى تحيط بهذه التربية.

والله تعالى نسأل عونا وتوفيقًا وسدادًا.

أولاً: مفهوم التربية:

سبق أن عرفت التربية فى كثير من كتبى، ولكنى هنا لا أستطيع الإحالة إليها فى هذا التعريف لاحتمال أنها غير متاحة للقارئ، فكان لابد أن أعرفها فى كل كتاب من هذه السلسلة - على أننى أعتبر التعريف الذى ذكرته لها فى مدخل الحلقة الأولى من هذه السلسلة؛ كتاب: «التربية الروحية» وما جاء فيه من نقاط سبع هى:

- مفهوم التربية عمومًا، ومفهوم التربية الإسلامية خصوصًا،
- ودلالة وصف التربية بأنها إسلامية.

- وتوضيح أهداف التربية الإسلامية،

- وبيان وسائل التربية الإسلامية،

- وذكر مصادر التربية الإسلامية، وأهم مراجعها،

- والحديث عن ميادين التربية الإسلامية،

- وتحديد منهج التربية الإسلامية.

أعتبر ما جاء فى مدخل ذلك الكتاب مدخلاً لكل حلقة من حلقات هذه السلسلة العشر.

ولكن ذلك لا يعفينى من إشارات إلى ذلك فى مدخل كل حلقة من هذه الحلقات.

● ففى مفهوم التربية أذكِّر بأنها هى: النظام الاجتماعى الذى يحدد الأثر الفعال للأسرة والمسجد والمدرسة، فى تنمية النشء والكبار من مختلف جوانب الشخصية: الروحية والخُلقية، والعقلية، والدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والجسمية، والجهادية، والجمالية؛ تربية تمكنهم من أن يحيوا حياة سعيدة موفقة فى الدنيا، وحياة آمنة يثيبهم الله عليها فى الآخرة.

وأذكر هنا بأن معظم من عرفوا التربية من الغرب أو الشرق لم يهتموا بعمل العبادة وأثرها فى التربية، كما أهمل كثير منهم عن عمد موضوع اليوم الآخر بوصفه قيمة هامة فى توجيه التربية ومدها بحوافز الجد والاجتهاد والإتقان.

وهذا فرق ما بين التربية الإسلامية وغيرها من أنواع التربية وهو فرق بالغ الأهمية، بالغ التأثير فى سلوك الإنسان.

● وأضيف - فى مدخل هذه الحلقة: «التربية السياسية الإسلامية» أن التربية فى مفهومها الأعمق الأشمل هى عملية سياسية، كما أن السياسة - كما سنوضح - عملية تربوية؛ إذ التربية بغير سياسة تخبط وضلال وعجز عن الوصول إلى الهدف، والسياسة - كما سنرى - بغير تربية لا قدرة لها على التأثير، ولا على الاستمرار.

● وإذا كانت التربية - كما معروف من وظائفها - تنقل ثقافة المجتمع من جيل إلى جيل، مع تطوير هذه الثقافة بحيث تلائم المستجدات والمتغيرات التى تطرأ على المجتمع، وبحيث لا تبعده عن قيمه وأهدافه، فإن ذلك أساس فى مفهومها.

- وثقافة المجتمع هى مجموع ما يسود الناس فيه من معتقدات وعبادات، وقيم خلقية، ونظم

وقوانين وآداب وعادات.

- وهذه الثقافة بنوعيها:

- الثقافة المادية من صناعة وزراعة ومساكن ومطاعم، وملابس وأدوات وآلات، ابتكرها الإنسان.
- والثقافة غير المادية وهى المعتقدات والقيم والمعرفة واللغة التى تؤثر حتمًا فى الثقافة المادية وتوجهها.

ومن مجموع هذين النوعين من الثقافة يتكون للمجتمع ما يعرف بالكل الثقافى؛ أى مجموعة الأنماط الاجتماعية التى يعيش الناس وفقها ويفكرون من خلالها.

- هذه الثقافة بنوعيها «الكل الثقافى» عندما يفقدها الناس يضطرب أمرهم ويعيشون فى فوضى لا ضابط لها.

- ولهذه الأهمية للثقافة يحرص أعداء أى أمة على أن يضربوها فى ثقافتها بإخمالها وإحلال ثقافتهم محلها، ابتداء من مزاحمة اللغة واستمراراً فى تشويه المعتقدات والقيم وصولاً إلى هزيمة الأمة ومسخها وتشويهها لتخرج من ثقافتها إلى ثقافة العدو الغالب[1]. كل ذلك أساس فى التربية.

- والمسلمون اليوم عندما يتخلون عن الكل الثقافى الإسلامى الذى يجب أن يعيشوا فى محتواه وعلى معطياته يتخبطون ويضطربون ويفقدون انتماءهم - كما هو واقع كثير من دولهم اليوم بكل أسف - وأوضح مثال لذلك ما تبذله تركيا - العلمانية كما يقول حكامها - من جهود مضنية مذلة لكى تنتمى إلى الاتحاد الأوروبى، الذى يرفض فى كل مرة مبرراً رفضه بما يخزى ويزرى، ولكنها ماضية فى الحصول على رصيد كبير من الرفض!!![2].

---

(١) وهذا هو الواقع الذى تعيشه كثير من بلدان العالم الإسلامى بعد سيطرة الثقافة الغربية عليها، فانت لا تسمع اللغة العربية فى الشارع إلا نادراً - وإنما تسمع الفرنسية فى المغرب العربى، وتسمع الإنجليزية فى كثير من بلدان الخليج العربى - وقطع اللسان العربى أو إخماله إهمال أو تجهيل للقرآن الكريم والسنة النبوية فى مدى غير بعيد!!! فإذا اضفت إلى ذلك الانتشار الواسع للمدارس التى تعلم اللغات الأجنبية فى البلدان العربية أدركت أهداف العدو وخططه، وعوننا له على أنفسنا!!!

(٢) سبب ذلك أن مصطفى كمال عدو الإسلام قد عمل ما وسعه على أن يجرد دولة الخلافة العثمانية من ثقافتها الإسلامية، بما قام به من أعمال تستهدف القضاء على الإسلام لتحل محله العلمانية أى الإلحاد واستبعاد الدين.

ومثل ذلك ما تفعله حكومة المغرب، وتتلقى فى كل محاولة لانتمائها إلى الاتحاد الأوروبى رفضاً مبرراً كذلك.

ومثله ما تفعله كثير من حكومات العالم الإسلامى سراً، ويخيل إليها أن أحداً لا يعرف ذلك ولا يدرى به!

● والذين يستهينون – فى العالمين العربى والإسلامى – بموضوع تطبيع العلاقات مع إسرائيل – بعد معاهدات صلح هشة غير عادلة – ذاهلون عن أن المطبعين مع إسرائيل يخسرون ثقافتهم أى يخسرون كيانهم!!!

ومن يدرى ما يحمله المستقبل من مفاجآت فى التطبيع مع ألد أعداء العرب والإسلام؟

ثانياً: مفهوم السياسة:

فى اللغة: مصدر للفعل: ساس، ومعناه تولى قيادة الناس ورئاستهم. وساس الأمور: دبرها وقام بإصلاحها.

وفى الاصطلاح:

السياسة قيادة الناس ورئاستهم بإحداث نشاط اجتماعى فيهم ينظم حياتهم العامة، ويضمن لهم الأمن والتوازن والوفاق، بحيث تكفل لهم حقوقهم وحرياتهم، ويلتزمون بالقيام بواجباتهم فى ظل شرعية عادلة.

● والسياسة جزء من منهج الإسلام فى تنظيم الحياة، ولا يمكن تصور عمل من الأعمال التى جاء بها الإسلام دون أن يخضع لسياسة فى تنفيذه والقيام به.

● والسياسة الإسلامية كلها بمختلف فروعها وأنواعها تستقى من مصدرى الإسلام الرئيسين؛ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولها مراجع إلى جانب هذين المصدرين هى أعمال الصحابة رضى الله عنهم وبخاصة الخلفاء الراشدون ومن كان على مستواهم فى فقه الدين والعمل به.

● والأنموذج المحتذى لهذه السياسة الإسلامية هو ما قام به الرسول ﷺ من أعمال عديدة وأقوال حكيمة؛ يؤدى الأخذ بها جميعًا إلى أن يعيش المسلمون أمة واحدة تحسن عبادة الله تعالى، وتقبل على القيام بما كلفها الله به، وتلتزم بأداء ما أوجب عليها.

● ويدخل فى السياسة النبوية جميع أقواله وأعماله فيما يتصل بالدين مما أمر الله تعالى به أو

نهى عنه، ومن ذلك :

– دعوته ﷺ إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، وبخاصة مع أهل الكتاب .

– وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

– وممارسته العدل بين الناس والتزامه به .

– وتحبيبه الناس فى الإحسان وهو منزلة فوق العدل .

– وجهاده فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا .

● ومن أعماله السياسية المعلّمة :

– مؤاخاته بين المسلمين فى مكة، ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار بعد هجرته إلى المدينة المنورة .

– وبناؤه المسجد فى المدينة المنورة ومشاركته فى بنائه بنفسه .

– وعهوده ومواثيقه التى عقدها مع أحلافه وأعدائه .

– وحروبه غزوات وسرايا .

– وبعوثه إلى الأمراء والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام وكتبه إليهم .

– وما ألزم به نفسه والمؤمنين معه من قيم أخلاقية تنتمى جميعها إلى الحق والخير والعدل والإحسان .

– وما قام به من رعاية اجتماعية لكل من كان فى حاجة إلى هذه الرعاية من أفراد المجتمع .

– وما مارسه، وما أرساه من دعائم وقيم فى حكم الناس وقيادتهم إلى ما يصلح أمور دينهم ودنياهم .

– وأسلوبه فى القضاء بين الناس فيما تنازعوا فيه، ليرسى قواعد الحكم بين الناس .

● والسياسة الإسلامية؛ ضرورة لا يستقيم أمر الناس إلا بها؛ لسببين :

أحدهما : أنها خطة وتدبير لتطبيق المبادئ والنظم والقوانين والقيم والتكاليف والآداب التى جاء بها الإسلام .

والآخر: أن بها يعرف كل واحد من الناس حقوقه وواجباته، فيما رسمها وفق السياسة المرسومة لذلك.

- ومن أحاديث الرسول ﷺ وأعماله فقه أصحابه رضوان الله عليهم كيف يسوسون الناس، وكان للخلفاء الراشدين منهم سياسات ناجحة جلبت للأمة الإسلامية الخير والعز والتمكين، ودرأت عنها مخاطر الأعداء المتربصين بها فى الداخل والخارج.

ومن المواقف السياسية المتميزة ما نذكر بعضه فيما يلى:

- سياسة أبى بكر رضى الله عنه فى بعث جيش أسامة،
- وسياسته فى جمع القرآن الكريم بين دفتين،
- وسياسته فى حروب المرتدين،
- وسياسته فى تحمل المسئولية حيث قال: أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى.
- وسياسته فى تأمين الدولة من جهة فارس بإرسال خالد بن الوليد إليهم.
- وسياسة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى فتوحاته فى فارس والروم.
- وسياسته فى إقصاء آل الخطاب من كل منصب فى الدولة،
- ومن سياسته فى تحمل المسئولية قوله: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما على؟ قالوا: نعم. قال: لا حتى أنظر عمله أعمل بما أمرته أم لا؟
- وسياسته فى احترام حقوق الإنسان، عندما قال - يوم اشتكى إليه مصرى ولد عمرو بن العاص، فاستدعى عمر عمراً رضى الله عنهما وقال له كلمته المشهورة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ ومكّن المصرى من أن يقتص من ولد عمرو بن العاص.
- وسياسته فى وضع نفسه وهو أمير المؤمنين فى مكانها الصحيح دون أبهة السلطان وعظمة الإمارة، فقد قال حذيفة رضى الله عنه: دخلت على عمر فرأيته مهموماً حزيناً، فقلت له: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنى أخاف أن أقع فى منكر فلا ينهانى أحد منكم

تعظيمًا لى، فقال حذيفه: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك، فإن لم تنته ضربناك بالسيف؛ ففرح عمر وقال: الحمد لله الذى جعل لى أصحابا يقوموننى إذا اعوججت.

● ومن حكام المسلمين الذين كانت لهم ريادة فى السياسة:

- عمر بن عبد العزيز الأموى،

- والخليفة أبو جعفر المنصور العباسى، وقد كتب إلى ابنه المهدى كتابًا يوصيه فيه، يُعد من قمم الوعى السياسى يقول فيه: «واحفظ محمدًا ﷺ فى أمته يحفظك الله ويحفظ عليك أمورك، واشحن الثغور واضبط الأطراف، وآمن السبل، وسكن العامة، وأدخل المرافق عليهم، وأعِدَّ الأموال واخزنها، وإياك والتبذير، فإن النوائب غير مأمونة، وهى من شيم الزمان، وأعد الكراع والرجال والجند ما استطعت.

وإياك وتأخير عمل اليوم إلى الغد فتتراكم عليك الأمور وتضيع، وجد فى أحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولاً، واجتهد وشمر فيها، وأعد رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل.

وباشر الأمور بنفسك، ولا تعجز ولا تكسل، واستعمل حسن الظن، وأسئ الظن بعمالك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقظ، وتفقد من تثبت على بابك، وسهل إذنك للناس، وانظر فى النزاع إليك ووكل بهم عينا غير نائمة ونفسًا غير لاهية. ويا بنى: لا تنم فإن أباك لم ينم منذ وكل الخلافة ولا دخل عينه الغمض إلا وقلبه مستيقظ، هذه وصيتى إليك والله خليفتى عليك».

● ومن كيان الساسة هارون الرشيد، وتاريخه حافل بالمواقف.

● وبعد عصر العباسيين اشتهر من كبار الساسة:

- نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى (٥١١-٥٦٩ هـ) ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وبلاد المغرب وجانبٌ من اليمن ومؤدب الصليبيين.

- وصلاح الدين الأيوبى الملك الناصر (٥٣٢-٥٨٩ هـ) ملك مصر والشام بعد وفاة نور الدين محمود، وقد حارب الصليبيين وهزمهم واستعاد منهم بيت المقدس بعد هزيمتهم فى حطين واسترد منهم طبرية وعكا ويافا، وهو من أكثر الحكام المسلمين إصلاحًا وأحسنهم سياسة، بشهادة أعدائه من الصليبيين، والفضل ما شهدت به الأعداء.

ثالثًا: العلاقة بين التربية والسياسة:

بعد حديثنا عن التربية وعن السياسة كل على حدة، نوضح العلاقة بينهما فى هذه الصفحات، رجاء تفسير أوضح وأشمل.

١- من حيث الشكل والبناء:

إذا كانت التربية تعنى بالجانب التعليمى فى الإنسان، وتحاول أن تطبع المجتمع بطابع القيم السائدة فيه، فإنها تستعين على الوصول إلى ذلك من خلال نظام ومنهج ووسائط تربوية من كتاب ومدرس ومدرسة، ودار عبادة ومرافق اجتماعية عديدة مثل النوادى الاجتماعية والثقافية والرياضية والنقابات المهنية ونحو ذلك.

وهذا النظام الذى تختاره التربية إنما هو نابع من المجتمع وما يسوده من قيم، ومؤثر فى المجتمع أفرادًا وجماعات، وصغارًا وكبارًا، ومستوحيًا أهدافه التربوية من أهداف المجتمع الذى يطبق فيه نظام التربية.

- ومن المسلَّم به أن أى نظام للتربية لابد أن يخضع لسياسة تخطط له وترسم أبعاده وترتب أولوياته وتوازن بين خطواته، وتحاول من خلال تطبيق هذا النظام أن تحقق أهداف التربية وأهداف المجتمع.

- ومعنى ذلك أن العلاقة بين التربية والسياسة علاقة عضوية كعلاقة الكل بالجزء والعام بالخاص، فلا تربية بغير سياسة، ولا سياسة تستطيع أن تتجاهل تربية الناس وفق معايير المجتمع وقيمه.

٢- ومن حيث المضمون والمحتوى:

عند التأمل والتدبر فى مضمون كل من التربية والسياسة ومحتواهما نجد هذا المضمون وذاك المحتوى يدور حول الإنسان ويضعه فى اعتباره الأول. فالإنسان موضوع التربية وموضوع السياسة فكل منهما تحاول أن تقدم للإنسان أحسن ما عندها لتصلح له ما يحيط به من مرافق، وتصلحه هو ليتعامل مع ما يحيط به بحيث يحقق أقصى ما يمكن أن يصل إليه من تقدم ورقى ورغد عيش، وإرضاء لله تعالى فى المجتمع الإسلامى.

- ولكل من التربية والسياسة وسائطها ووسائلها التى تحاول من خلالها أن تصل بالإنسان إلى أحسن مستوى، بحيث توفر له الاستفادة من كل ما ينفعه، وتحول بينه وبين كل ما يضره.

- التربية تفعل ذلك من خلال البيت والمسجد والمدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام مسموعة ومرئية ومقروءة، لا تحيد عن ذلك ولا تفتر فى تحصيله والوصول إليه.

- والسياسة تفعل ذلك من خلال ما تضعه الحكومة من سياسة للحكم والتمثيل النيابى وسلطتى القضاء والتنفيذ، وما تضعه من خطط لحماية البلاد فى الداخل من الجهل والمرض والفقر والبطالة، وما تضعه من خطط لتأمين حياة الناس بتوفير التعليم والصحة والمرافق، وفرص العمل، وتكافؤ الفرص والعدالة واحترام حقوق الإنسان وحرياته.

وما تضعه من خطط لحماية البلاد ضد أى عدوان يقع عليها من عدو من الأعداء.

كل ذلك سياسة، وكل ذلك تربية للمواطن على أن يعرف حقوقه ويمارسها ويؤدى واجباته عن رضا واقتناع.

٣- ومن حيث الأهداف:

ترتبط السياسة بالتربية من حيث اشتراكها فى الأهداف، فكل من التربية والسياسة تحاول أن تحقق ذات الأهداف تقريبًا ولبيان ذلك نقول:

- التربية - كما سنوضح فى هذا المدخل - تستهدف أهدافًا نابعة من المجتمع وقيمه، من أبرزها؛ تكوين الإنسان الصالح القادر على التفاعل مع بيئته تفاعلاً محموداً فى حاضره من خلال ما تنمى فيه من قدرات فى اكتساب العلم والمعرفة، وما تنمى به عقله وروحه وبدنه وخلقه وحسه الاجتماعى ووعيه السياسى والاقتصادى وتذوقه الجمالى وطاقته الجهادية من أجل دينه أو وطنه العربى أو وطنه الإسلامى، تنمى فيه كل ذلك ليصبح إنسانًا صالحًا يمارس الحياة الإنسانية الكريمة التى قررها الله تعالى للإنسان.

- وكذلك تفعل السياسة، لأن أكبر أهداف السياسة أن تكسب الإنسان معارف ومهارات وقدرات تمكنه من ممارسة نشاطه السياسى فى المجتمع الذى يعيش فيه، أى تمكينه من معرفة حقوقه ليمارسها، ومن معرفة واجباته ليقوم بأدائها، حتى يتمكن من خلال الحقوق والواجبات أن يسهم فى بناء مجتمعه الصغير - الأسرة -، ومجتمعه الكبير - وطنه -، ومجتمعه الأكبر- عالميه العربى والإسلامى-.

وما لم تستهدف السياسة ذلك فإنها تحرم هذه المجتمعات كلها من إنسان صالح يستطيع أن يسهم فى تقدم الحياة الإنسانية ورقيها، والتوجه بها إلى ما يضمن كرامة الإنسان التى كرمه الله تعالى بها.

٤ – ومن حيث الوظيفة :

ترتبط السياسة بالتربية، والتربية بالسياسة من حيث وظيفة كل منهما فى حياة الإنسان أشد الارتباط؛ وذلك يبدو واضحًا عند التأمل فى وظيفة التربية ووظيفة السياسة.

- فوظيفة التربية تبصير الإنسان بحقوقه الإنسانية كلها؛ الحقوق الطبيعية كحقه فى الحياة والعمل وحقه فى الدفاع عن نفسه وأهله وماله وعياله، والحقوق المدنية كحقه فى الحياة أيضًا، وحقه فى الحرية والكرامة الإنسانية، وفى المساواة مع الآخرين فى الحقوق والواجبات، وحقه فى تكافؤ الفرص.

التربية تبصر الإنسان بكل هذه الحقوق، وتدعوه إلى التمسك بها والدفاع عنها ضد أى مهدد لها أو منتقص منها، لأن ممارسة الإنسان لحقوقه دعم للحياة الإنسانية الكريمة.

- ووظيفة السياسة فى جوهرها هى المحافظة على هذه الحقوق وصيانتها من أى عدوان عليها بوساطة الهيئة القضائية، حتى لو كانت الحكومة هى التى تعتدى على حق من حقوق الإنسان، لأن الهيئة القضائية منوط بها تطبيق القانون وتحقيق العدل بين كل متخاصمين حتى لو كان المتخاصمان أحدهما فرد والآخر الحكومة نفسها، ومن أجل ذلك كانت السلطة القضائية مستقلة تمامًا فى إصدار أحكامها، بعيدة عن التأثر بالسياسة السائدة فى الدولة، فإن شاب استقلال القضاء أى شائبة دل ذلك على فساد الحكومة والحياة السياسية كلها.

وهكذا تتقارب وظيفة التربية ووظيفة السياسة، حتى تكون كل منهما فى خدمة الأخرى وظيفيًا فيمكن أن يقال : لا تربية بغير سياسة ولا سياسة بغير تربية.

رابعًا : مفهوم التربية السياسية :

إذا كانت السياسة – كما قلنا آنفًا – هى قيادة الناس ورئاستهم بإحداث نشاط اجتماعى ينظم حياتهم، فإن التربية السياسية لابد أن تكون قديمة فى الناس مواكبة فى قدمها للحياة الحضارية للأمم.

وهذه التربية السياسية من قديم تقوم بثلاثة أعمال هامة تتمثل فى :

– اشتقاق مجموعة من القيم والمعايير من النظام الاجتماعى السائد فى المجتمع، بل من فلسفة الحكم وسياسته لكى تقنع الناس بها وتوجههم إلى احترامها والعمل بها.

- واستقراء ماضى الأمة للتعرف على ما يتضمنه هذا الماضى من تراث جدير بالاحترام والاحتذاء.
- وفحص حاضر الأمة وتعرف ما فيه من عقائد، وعادات ونظم، لإقرار الصالح منها وإقصاء غير الصالح، لكى يسهل على التربية السياسية تصور المستقبل لهذه الأمة التى تربى سياسيًا.

كان ذلك شأن التربية السياسية قديمًا، ولا يزال شأنها فى الحاضر، بل فى المستقبل كذلك.

- غير أن التربية السياسية فى الربع الأخير من القرن العشرين حظيت باهتمام زائد لدى علماء التربية ورجال السياسة، وربما كان هذا الاهتمام أَحَد نتائج ثورة طلاب العالم سنة ١٩٦٨م، إذ كانت ثورة سياسية بكل معنى من معانى السياسة وهى إن كانت قد بدأت فى فرنسا فى شهر مايو من عام ١٩٦٨م إلا أنها امتدت إلى كثير من بلدان العالم الغربى احتجاجًا على عدم المساواة وعلى الظلم الاجتماعى الذى يمارسه «الرأسماليون»، وسريعًا ما انضم إلى هذه الثورة الطلابية كثير من العمال والموظفين.

هذه الثورة أبرزت لدى كثير من الدول اهتمامًا بالتربية السياسية، بمعنى تدريب الناس صغارًا وكبارًا على استيعاب واقعهم السياسى ونقده؛ بحثًا عن الأحسن والأصلح لنظام الحكم، وبحثًا عن كل ما يحقق للجماهير واقعًا أفضل من حيث حقوق الناس وحرياتهم.

- بُعيد تلك الثورة أخذت الحكومات تهتم بالتربية السياسية وتوظفها لصالحها الذى يتضمن صالح المواطنين من وجهة نظرها، فقامت بجهود ملحوظة فى الاهتمام بل السيطرة على المؤسسات التعليمية من مدارس رياض الأطفال إلى التعليم العالى فى الجامعة وغيرها، بل حولت مؤسسات المجتمع كلها - المؤسسات الدينية والإعلامية والرياضية والاجتماعية والعمالية والنقابية إلى مؤسسات تهتم بالتربية السياسية من وجهة نظر الحكومة أو الحزب السياسى الذى يتولى الحكم من خلال تفاعل هذه المؤسسات مع الناس يوميًا.

- والذى لا شك فيه أن التربية السياسية عندما تصبح عملاً منظمًا له أهدافه ووسائله ومنظروه والقائمون عليه، فلا بد أن يكون لها مردود اجتماعى ثقافى سياسى يحقق للإنسان حياة إنسانية كريمة؛ لكن ذلك مشروط بأن يمارس التربيةَ السياسيةَ البيتُ

والمسجدُ والمدرسة والجماعات والنوادى بمختلف أنواعها، تمارس ذلك فى حرية، وفى بعد عما عرف لدى الحكومات غير الديموقراطية بالتلقين السياسى أو التسييس للتربية.

وهذا التلقين السياسى عمل حزبى ضيق الأفق سطحى النظرة يكتفى بتكوين فرد يردد مجموعة من المعتقدات والقيم السياسية التى تتبناها الحكومة القائمة بهدف تكوين رأى عام يساند الحكومة فى سياستها ويوهم بأن هناك إجماعًا شعبيًا على سياسة الحكومة، مع أن الواقع مختلف عما يدعون.

وفى ظل هذا التلقين السياسى – الذى يخرج بالتربية السياسية عن مسارها الصحيح – فإن هناك حظرًا كاملاً على أى نقد يوجه للحكومة وسياستها، وهناك حرمان من المناقشة الجادة الموضوعية، ونتيجة لذلك كله فإن التربية السياسية تفشل فى تحقيق هدفها الأكبر وهو تكوين الإنسان الصالح القادر على التفاعل الصحيح مع الحياة، ليعيش حياة إنسانية كريمة لائقة بالإنسان الذى كرمه ربه وفضله على كثير من خلقه.

● وأسوأ النظم التى جعلت التربية السياسية تلقينا فأخرجتها عن أهدافها هى:

– النظام الشيوعى والاشتراكى.

– النظام النازى.

– والنظام الفاشى.

– ونظام الحزب الواحد أو حزب الأغلبية الذى يهرول الناس إلى الإنضمام إليه خوفًا من الحكومة أو طمعًا فى كل ما تمنحه الحكومة من ميزات لأعضاء حزبها.

– وسائر الأنظمة التى تدعى أنها ديموقراطية، وهى أبعد ما تكون عنها.

– وسائر الحكومات العسكرية.

– ومعظم الحكومات التى تتوارث الحكم جيلاً عن جيل أو ابنا عن أب أو أخا عن أخ.

● وكل هذه النظم التى غالطت فى مفهوم التربية السياسية فحولتها إلى تلقين سياسى يُكوِّن ببغاوات تردد شعارات جوفاء، أو تكوِّن منتفعين بالحكومة وعطاياها من المال والمناصب، سوف تخسر المستقبل بكل تأكيد لأنها لن تستمر قادرة على صد تيار الحريات إلا إلى حين.

● التربية السياسية فى مفهومها الصحيح هى التى تربى الناس صغاراً وكباراً من خلال المدرسة والبيت والمسجد والمجتمع بكل مرافقه على القيم التربوية التالية:

١- ضبط الذات والسلوك وفق معايير ما أحل الله وما حرم، دون رقابة أو خوف رقابة وإنما من خلال الوازع الذاتى أى مراقبة الله تعالى.

٢- معرفة الحقوق وممارستها والتمسك بها والدفاع عنها ضد أعدائها، ومعرفة الواجبات والإصرار على أدائها، لأنه لا قيمة لأى تربية سياسية أو غيرها إذا تجاهلت تعريف الإنسان بحقوقه وواجباته وساوت بين الناس جميعًا فى هذه الحقوق والواجبات.

٣- حب التعاون مع الآخرين على كل ما من شأنه أن يُتعاون عليه من عمل اجتماعى أو سياسى أو ثقافى، ما دام ذلك فى إطار البر والتقوى وبعيدًا عن الإثم والعدوان، هذا شأن الفرد، ويجب كذلك أن يكون شأن أى مؤسسات أو هيئة أو جماعة فى المجتمع كله.

٤- تكوين المعارف والمعلومات والحقائق التى تفضى بالإنسان إلى أن يكوِّن رأيًا خاصًا مستقلاً يعبر عن ذاتية صاحبه ويمثل وجهة نظره إزاء المواقف والأحداث والناس والأشياء، وهذا هو الرأى المستقل الذى لا يتبع فيه الإنسان إنسانًا آخر؛ الذى تستهدفه التربية السياسية الصحيحة.

٥- والقدرة على تقبل الرأى الآخر وإعطاء صاحبه الحق فى أن يعبر عن رأيه،وأن يحظى رأيه بالاحترام والمناقشة الموضوعية، حتى يستبين ما فيه من خير أو شر، للأخذ به أو طرحه؛ وذلك لأن التربية السياسية الصحيحة لا تسمح بالتعصب للرأى، ولا تجيز مصادرة الرأى الآخر مهما كان مخالفًا أو شاذًا أو خاطئًا، وإنما النقاش الهادئ بموضوعية هو خُلُق التربية السياسية.

٦- والقدرة على احترام المخالف فى الدين والعقيدة وتوفير الفرصة له لممارسة عقيدته ودينه دون تضييق عليه أو تبرم بمخالفته طالما لم يأت عملاً معاديًا أو ضارًا، وذلك عملاً بالمبدأ القرآنى الكريم: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة: ٨]. وذلك أن حرية الفكر مكفولة فى التربية السياسية الصحيحة، وحرية الفكر تعنى حرية الإنسان ولا يجوز أن تصادرحرية الإنسان إلا لجريمة يعاقب عليها القانون.

٧- واكتساب العلم والمعرفة والثقافة التى تمكن صاحبها من أن يمارس النقد العلمى الهادف البناء.

ذلك النقد العلمى لكل معطيات السياسة ومفرداتها هو الأثر الفعال المفيد الذى تتركه التربية السياسية فى الإنسان.

- والنقد العلمى يشترط فيه عدة شروط إذا فُقدت أو فقد بعضها لم يعد النقد علميًا ولا هادفًا ولا بنَّاءً، وهذه الشروط هى:

أ- **الحيادية**: بمعنى أن يباعد الإنسان - وهو ينقد - بين نفسه وبين الهوى الشخصى لما ينقده.

ب- **والموضوعية**: بمعنى أن ينظر الناقد لما ينقده نظرة موضوعية يتجرد فيها عن الرأى المسبق، وعن آراء الآخرين،وعن الفكرة العامة السائدة حول الموضوع الذى ينقده، كما يجرد الموضوع نفسه عن الملابسات التى تحيط به.

جـ- **والمنهجية**: بمعنى أن يخضع فى نقد أى موضوع للمنهج الذى يختص به هذا الموضوع، فلا يطبق منهج موضوع معين على موضوع آخر، وعلى سبيل المثال فإن المنهج الذى يخضع له موضوع اجتماعى غير المنهج الذى يخضع له موضوع ثقافى، ومنهجهما غير المنهج الذى يخضع له موضوع سياسى... وهكذا.

د- **وتحديد هدف الناقد من النقد**: إذ لا يصح أن يكون النقد لغير هدف - أى لمجرد النقد - كما لابد أن يكون الهدف من النقد هدفًا نبيلاً يقره الشرع والعقل ويحقق فائدة للناس، ولابد أن يكون الهدف واضحًا لا لبس فيه ولا غموض، فضلاً عن أن يكون مُعَمَّى مُلْغزًا.

وفى مجال السياسة وأبعادها وأغراضها المباشرة حينا وغير المباشرة كثيراً، فإن وضوح الهدف ضرورة حيوية،حتى يستطيع صناع السياسة - إن كانوا مخلصين - أن يتجهوا بجهودهم نحو هذا الهدف النبيل.

هـ- **وأن يكون النقد بنَّاءً**: بمعنى أنه لا يقصد هدم الموجود فحسب، وإنما يقترح البديل الذى يراه أصلح ويبرره، كما يبرر الناقد عدوله عن الموافقة على ما هو موجود من سياسة حول موضوع معين.

وآفة الأحزاب السياسية فى كثير من البلدان أن ينتقد حزب المعارضة الحزب الحاكم حتى

لو كان على صواب!!! لأن النقد العلمى البناء يستوجب الالتزام بالحق وبالصدق حتى لو كان صادراً من الحكومة التى يعارضها.

بهذه الشروط يكون النقد علميًا بنَّاءً، وبغيرها يتحول النقد إلى مجرد إظهار العيوب، وتتحول المعارضة السياسية إلى معاندة ومغالطة وتعنت.

خامساً: مقارنة بين التربية الإسلامية السياسية وغيرها من أنواع التربية المشهورة فى عصرنا:

من أجل أن نوضح مفهوم التربية السياسية فى الإسلام، سنقارن بينها وبين المذهبين السائدين فى العالم اليوم للتربية السياسية، وهما:

١- التربية السياسية عند «الليبراليين».

٢- والتربية السياسية عند الاشتراكيين، وتلك التربية مذاهب عديدة منها:

الاشتراكية الخيالية أو «الطوباوية» المثالية،

والاشتراكية الديموقراطية،

والاشتراكية المسيحية،

والاشتراكية الوطنية التى تولدت عن فلسفتها؛ الفاشية والنازية.

وبين التربية السياسية الإسلامية وبين هذين النوعين من التربية السياسية؛ كثير من التضارب والتناقض، وكثير من الاختلاف والخلاف.

وإنما لجأنا إلى المقارنة لأن «الضد يُظْهِرُ حُسْنَه الضدُّ» أو كما قال الآخر: «وبضدها تتميز الأشياء».

والله يقول الحق وهو يهدى إلى سواء الصراط.

١ - التربية السياسية عند «الليبراليين»

و«الليبرالية» مذهب يقوم على التحررية الاقتصادية التى تؤكد على وجوب حرية الفرد، وعلى وجوب المنافسة الحرة بين الأفراد أو أصحاب رءوس الأموال، ليعملوا ويربحوا كما يشاءون، وفلسفة «الليبرالية» فى ذلك هى أن تحقيق الصالح الخاص للأفراد يحقق الصالح العام للمجتمع.

هذا عن التحررية الاقتصادية.

وهناك التحررية السياسية:

وهى نظام سياسى يقوم على فلسفة خلاصتها أن الدولة يجب أن تقوم بالوظائف الضرورية فى حياة المجتمع، أما الوظائف الأخرى التى يحتاج إليها المجتمع فإنها تترك للأفراد أو للحافز الفردى.

وتقوم الدولة إلى جانب أدائها للوظائف الضرورية للمجتمع بمهام المحافظة على النظام والحكم بين جميع الفئات.

● ولكى نزيد التربية السياسية عند «الليبراليين» وضوحًا نتحدث عن الأسس العديدة التى تقوم عليها، ومنها:

- فى المجال الاجتماعى:

تعتمد «الليبرالية» على نظام التعددية فى كثير من مرافق المجتمع وفئاته:

● فهناك التعددية التنظيمية.

● والتعددية الحزبية.

● وتعدد الجماعات والجمعيات والروابط.

● والتعددية النقابية للعمال والمهنيين.

● والتعددية فى إنتاج السلعة الواحدة.

● والتعددية فى الفكر والمعتقد، وقبول أفكار الغير.

● والتعددية فى الإعلام ووسائله.

- **وفى المجال السياسى :**

● تقوم « الليبرالية » على النظام البرلمانى الديموقراطى الذى يفصل بين السلطات الثلاث : التشريعية والقضائية، والتنفيذية .

● وعلى تعدد الأحزاب السياسية ووصول أى منها إلى الحكم عن طريق الترشيح والانتخاب .

● وعلى الحرية الشخصية .

● وعلى الحرية العامة .

● وعلى حرية الاعتقاد والتدين .

- **وفى المجال الاقتصادى :**

وتقوم « الليبرالية » فى هذا المجال على قواعد اقتصادية صارمة تدين بها « الليبرالية » منها :

● أن القوانين الاقتصادية الطبيعية تؤدى بالضرورة إلى إحداث التوازن بين الأسعار والإنتاج والدخل .

● وأن مصلحة الفرد تتطابق تماماً مع مصلحة المجتمع .

● وتقوم على الحرية المطلقة فى النظام الاقتصادى .

● وأنه يجب القرن دائماً بين السياسة والاقتصاد، وأن كلا منهما مكمل للآخر أو شرط فى الآخر، فلا اقتصاد بغير سياسة، ولا سياسة بغير اقتصاد .

● وهذه « الليبرالية » مدرستان :

- إحداهما قديمة نسبيًا، نشأت فى القرن الثامن عشر الميلادى معتمدة على أفكار آدم سميث (١٧٢٣- ١٧٩٠م) صاحب الكتاب الشهير ثروة الأمم ١٧٧٦م .

- ودافيدريكاردو(١٧٧٢- ١٨٢٣م) وأهم كتبه : مبادئ الاقتصاد السياسى والضرائب ١٨١٧م .

- وتوماس مالتس (١٧٦٦-١٨٣٤م) وأهم كتبه : مبادئ الاقتصاد السياسى ١٨٢٠م .

● ثم ازدهرت هذه المدرسة فى القرن التاسع عشر على أيدى نخبة من الاقتصاديين منهم : جون استيوارت مل (١٨٠٦-١٨٧٣م) مؤلف كتاب الحرية الشهير وله كتاب : مبادئ

الاقتصاد السياسى ١٨٤٨م.

وجان باتست ساى (١٧٦٧-١٨٣٢م) وله كتاب: محاضرات فى الاقتصاد السياسى ١٨٢٩م.

وبعد ازدهار الثورة الصناعية فى أوروبا تحددت النقاط الأساسية لهذا المذهب، فنادى رجاله بعدد من المبادئ الاقتصادية المعروفة مثل:

- مبدأ العرض والطلب:
- ومبدأ حرية إقامة المنشآت.
- ومبدأ حرية الاستثمار، وغيرها من المبادئ.
- ومن المآخذ على هذا المذهب أمور كثيرة، منها:

- على الرغم من تشدد «الليبراليين» فى أهمية الحرية، إلا أنهم تصرفوا ضد هذه الحرية فى علاقاتهم الدولية، فانتهكوا حريات كثير من الشعوب التى استعمروها أو ندبوا أنفسهم لإدارتها، أو فرضوا عليها الاحتلال العسكرى أو الوصاية، أو غير ذلك من الضغوط الاقتصادية.

- وارتبطت «الليبرالية» بالرأسمالية الاستعمارية و«بالإمبريالية»[١] التى تهدف إلى امتداد سيطرة رأس المال، واحتكار المواد الأولية، واستغلال العمال، واستعباد الشعوب الخاضعة لهم.

- وأهملت «الليبرالية» مصلحة الجماعة فى كثير من الأحيان تحت شعار مصلحة الفرد.

- ونادت بأن المساواة الاجتماعية ليست حتمية.

- وبأن البطالة مرض عابر سريعًا ما يزول.

- ومما هو جدير بأن يلحظ أن كثيراً من أنظمة الحكم المستبدة فى العالم الثالث تركز السلطات فى يد فرد واحد أى «الديكتاتورية» ومع ذلك يطلقون شعار «الليبرالية» الحرية لضرب مفهومها وإجهاضه، يمارسون ذلك تحت شعارات خادعة مضللة، والناس

---

(١) تعنى: السياسة القومية التى تهدف إلى التوسع بضم أراض ومستعمرات للدولة، وامتداد سيطرة رأس المال واحتكار المواد الأولية واستغلال العمال.

يستجيبون لهم خوفًا من البطش والسجون والمعتقلات والتعذيب وقوانين الطوارئ والمحاكمات العسكرية.

وهذه «الديكتاتوريات» وهى كثيرة، إنما تعمل فى الحقيقة لصالح الفئة الحاكمة ذات السلطة والقوة وخصوصًا فى العالم الثالث وإن كانت تطلق شعارات جوفاء خادعة مثل: «من أجل الشعب» و«مكاسب الشعب» ونحوها، وهى من أجل الفئة الحاكمة بدليل الملايين، وأحيانًا المليارات التى تودع لحساب الفئة الحاكمة، كما تكشف عن ذلك الأنباء وبعض أهل العلم والخبرة بهذه الفئات وبما تستولى عليه من أموال، وما يقدمون إليه من محاكمات بعد تنحيتهم عن الحكم بصورة من صور التنحية غير الديموقراطية.

وفى غالب الأحيان ينكشف احتيالهم وتتضح حساباتهم بعد موتهم بالاغتيال أو الموت على فراش المرض.

- وكثير من حكومات العالم الثالث، أو الحكومات الشيوعية أو الاشتراكية تحاول أن تضفى على أسلوبها فى الحكم صبغة دستورية – وقد أصبح الدستور لديهم يصنع حسب رغبة الحكام فيمنح لهم من السلطات ما لا يقبله شعب كريم يعرف حقوقه وواجباته – إذ يعتمدون على حزب واحد تدعمه الحكومة وأحزاب شكلية ورقية تخاف الحكومة وتستجيب لكل ما تريد، مع تحويل عدد كبير من المواطنين إلى شرطة سرية ومخابرات وقوات أمن مركزية، وقوات خاصة وجيش متربص بأى حركة ديموقراطية صحيحة، فضلاً عن أى حركة دينية، أى أن هذه الحكومات الديكتاتورية فى العالم الثالث تريد أن توهم الناس بتعدد الأحزاب الورقية فيها وأنها تحكم حكمًا ديموقراطيًا!!!

- فالتربية السياسية عند «الليبراليين» على وجه الحقيقة، سواء قدامى «الليبراليين» أو محدثيهم؛ لا تعدو أن تكون زعمًا بأن هناك حرية سياسية، أو حرية اقتصادية، وذلك أن المحتوى الحقيقى للتربية السياسية عندهم مختلف تمامًا عن المفهوم الحقيقى للحرية فى السياسة أو فى الاقتصاد، وإنما لهم – كما رأينا – مفهوم بعيد تمامًا عن الحرية السياسية، وأشد بعدًا عن الحرية الاقتصادية!!!

وليس فيما قلنا عن «الليبرالية» و«الليبراليين» تحامل أو مبالغة، لأننا استقرأنا أعمالهم عن الحرية فى السياسة أو فى الاقتصاد، وبخاصة عندما يتعاملون مع غيرهم، وبخاصة إذا

كان هذا الغير من دول العالم الثالث، فوجدنا ما تحدثنا به عنهم هو الحق، والله تعالى على ذلك من الشاهدين.

وبعد: فتلك كلمات عن التربية السياسية عند «الليبراليين» في صدد المقارنة بينها وبين التربية السياسية الإسلامية.

وحسبنا أن نقول في وجيز من القول - كما سيتضح ذلك في هذا الكتاب - بأن كل سلبيات التربية السياسية عند «الليبراليين» مما ذكرنا ومما سكتنا عنه خشية الاستطراد، كل ذلك بعيد كل البعد عن التربية السياسية في الإسلام.

٢- التربية السياسية عند الاشتراكيين

لابد لنا فى مستهل الحديث عن التربية السياسية عند الاشتراكيين أن نلقى ضوءاً يكشف عن بعض الأمور التى تتصل بالاشتراكية، بوصفها مذهبًا اكتسب فى القرن العشرين الميلادى عدداً كبيراً من الأنصار الذين يدينون به رغبًا أو رهبًا، أى يقبلون على الاشتراكية طمعًا فى دعم ما كان يعرف بالاتحاد، السوفيتى اقتصاديًا أو عسكريًا، أو «أيديولوجيًا»، أو خوفًا من احتلال جيوشه لبلادهم واحتلالها والقبض على الحكام وتشريد الحكومات واعتقال المواطنين وتعذيبهم!!! فأقول:

- الاشتراكية عمومًا - من الناحية العسكرية أو الفلسفية - تهدف إلى القضاء على المجتمع الرأسمالى، لتقيم مكانه مجتمعًا آخر أكثر كفاية وعدلاً - فى زعمهم - وأكثر قدرة على تحقيق المساواة بين أفراد الوطن - كما زعموا أيضًا - وأكثر قدرة على الخيالية أو المثالية للاشتراكية - كما زعموا كذلك.

- والاشتراكية بمعنى مناهضة الظلم الاجتماعى قديمة موجودة فى كل العصور، فنجدها فيما يلى:

  - عند أفلاطون فى كتابه «الجمهورية».
  - وعند توماس مور فى «اليوتوبيا».
  - وعند الفارابى فى: «أهل المدينة الفاضلة».

والاشتراكية بمعنى مناهضة الظلم الاجتماعى لم يخل منها دين من الأديان السماوية، لأن جميع هذه الأديان تدين الظلم الاجتماعى بكل صورة من صوره.

وقد شهد القرن التاسع عشر الميلادى عدداً من المفكرين الذين يضيقون بالنظام الرأسمالى فيصفهم غيرهم بالاشتراكيين، ومن هؤلاء:

- سان سيمون (١٧٦٠- ١٨٢٥م).
- ولوى بلان (١٨١١-١٨٨٢م).
- وروبرت أوين (١٧٧١-١٨٥٨م).

– ولاسال فرديناند (١٨٢٥–١٨٦٤م) .

– وشارل فوربيه (١٧٧٢–١٨٣٧م) .

وهؤلاء جميعًا لا رابطة بينهم إلا الضيق بالرأسمالية أو العمل على إلغاء نظام الإرث أو إلغاء الملكية الفردية .

ثم جاء بعدهم كارل ماركس (١٨١٨–١٨٨٣م) الذى نعت أفكارهم بالاشتراكية الخيالية، ونادى هو بالاشتراكية العلمية .

هذا هو المفهوم الفكرى أو الفلسفى للاشتراكية بغض النظر عن الواقع المرير الذى يكذب هذا المفهوم فى عديد من الدول التى اتخذت الاشتراكية سياسة لها، وفى مقدمة هذه الدول «الاتحاد السوفيتى نفسه»!!!

–توضيح الأسس التى تقوم عليها الاشتراكية :

تقوم الاشتراكية – فى تصورهم – على أسس ثلاث :

● **الأساس الأول : أساس فلسفى :**

حيث ينطلق الاشتراكيون من هذا الأساس إلى إقرار قاعدة تقول : إن المجتمعات الحالية فى أى بلد فى العالم مجتمعات ظالمة تحتكر الثروة والسلطة لحاكم أو عائلة، وتحرم الشعب من ذلك، وهى مجتمعات سيئة البناء والتركيب يتسلم فيها الأغنياء والأقوياء مقاليد السلطة والثروة وحرمان الشعب من ذلك، فلابد من تغيير هذا البناء بهدمه عن طريق الثورة وسفك الدماء، وإقامة مجتمع صالح مكانه يرد إلى الشعب حقوقه فى السلطة والثروة، أى لابد من الصراع الحتمى بين طبقات المجتمع، وهو بالضرورة صراع دموى رهيب لا يبقى ولا يذر .

● **والأساس الثانى : أساس نضالى :**

إذ يرون النضال بين طبقات المجتمع، أو بين الحكام غير الاشتراكيين ودعاة الاشتراكية، يجب أن يكون مستمراً لا يتوقف أبداً حتى يحدث التغيير، بمعنى أن يكون يوميًا، بغض النظر عما يمكن أن يؤدى إليه هذا النضال من دماء ودمار، المهم أن يحدث التغيير وتأتى الاشتراكية ولو على أشلاء أبناء الوطن!!!

ويرون أن العمل النضالى يجب أن يتجمع حوله أكبر عدد من الناس وأن ينظموا، وأن تكون لهم رؤى مناهضة لنظام الحكم تمهيداً للانقضاض عليه، وتنحيته ليحلوا محله، ومن

هنا كان للاشتراكيين التجاء إلى العمل السرى وإلى تشكيل الخلايا والتنظيمات السرية فى كل مكان فى العالم.

● **والأساس الثالث: أساس اقتصادى:**

حيث يرى الاشتراكيون أن أهم الأسباب والحوافز التى تحرك الناس والمجتمع هى العلاقات الاقتصادية، إذ هى عندهم هى أهم العلاقات.

والعلاقات الاقتصادية عندهم تتمثل فى عدد من العوامل، أهمها:

- الربح،
- والتناسب بين الدخول،
- وكيفية التصرف فى فائض القيمة[1].
- ونقل ملكية وسائل الإنتاج للدولة بدلاً من الأفراد، وهو ما أطلقوا عليه «التأميم»[2].

● وقد أخذت بهذا الأساس الاقتصادى كل الدول التى دارت فى فلك الاتحاد السوفيتى أيام كان، سواء أكان أخذ هذه الدول بذلك الأساس الاقتصادى طوعًا فى القليل النادر، أو كرها فى معظم الأحيان، أو طمعًا لدى أنظمة الحكم المتهاوية شعبيًا التى تريد مساندة الاتحاد السوفيتى السابق فى قهر المواطنين وإرهابهم بالمعتقلات والتعذيب.

● **وهذه الاشتراكية أنواع:**

أ- اشتراكية خيالية أو مثالية «طوباوية».

ب- واشتراكية ديموقراطية.

---

(١) فائض القيمة مصطلح اقتصادى يعنى: ما يفيض من المال عن سعر تكلفة الإنتاج، وغالبًا ما يذهب هذا الفائض إلى صاحب رأس المال أو إلى المنشأة الصناعية، وقد يعطى منه العمال أو لا يعطون. وغالبًا ما يكون هذا الفائض سببًا فى الصراع بين العمال وأصحاب الأعمال - ومن المعلوم أن الاشتراكية تؤلب العمال على أصحاب العمل - وهذا الفائض قد يكون مطلقًا، وقد يكون نسبيًا، وقد يكون فائضًا ماليًا وقد يكون عقاريًا.

والماركسيون يصوغون هذه القضية بحدة تصل إلى حد «التأميم» إذ يقولون: إن فائض القيمة هو حق العمال، متجاهلين حق رأس المال وحق صاحب العمل.

(٢) التأميم أثبت فشلاً ذريعًا فى كل بلد طبقه لأسباب عديدة، وقد تراجع عنه دعاته فى خزى يغطونه بالبجاحة وارتفاع الأصوات، وأول من تراجع عنه هو الاتحاد السوفيتى السابق،وحذا حذوه الأتباع والأذناب فى خزى وبجاحة أيضًا!!!

جـ- واشتراكية مسيحية.

د- واشتراكية وطنية أو قومية: «فاشية» أو «نازية».

وسوف نتحدث عن كل منها بإيجاز يكفي لإلقاء الضوء عليها في هذه المقارنة التي نعقدها بين التربية السياسية الإسلامية وبين التربية السياسية عند الاشتراكيين. والله المعين.

أ- الاشتراكية الخيالية أو المثالية «الطوباوية»:

وهي نظرية - في التربية السياسية - تدعو إلى بناء مجتمع إنساني يقوم على الملكية الجماعية، والتساوي بين الناس في توزيع المنتجات، وجعل العمل إلزاميًا بالنسبة لجميع الناس.

- وهي مثالية من حيث ما تستهدفه من مُثُل.
- وهي خيالية من حيث إن واقع المجتمعات يختلف كثيرًا عما تدعو إليه هذه الاشتراكية.

وأشهر دعاة هذا المذهب الاشتراكي الخيالي أو المثالي هم سياسيون فرنسيون، أجادوا نقد المجتمع الرأسمالي وأوضحوا من وجهة نظرهم ما في هذا المجتمع من عيوب وسلبيات، ووصفوا الملكية الخاصة بأبشع الصفات، ورأوا كل ما فيها شرورًا وركزوا جهودهم في الحديث عن استغلال المجتمع الرأسمالي للعمال، والإفادة من جهودهم في مقابل الأجر فقط دون المشاركة في الأرباح، وكالوا التهم لهذا المجتمع الرأسمالي، وركزوا على أنه مجتمع لا مساواة فيه بين العمال وأرباب العمل.

- وهؤلاء المشاهير في إظهار عيوب المجتمع الرأسمالي هم:

١- بابيف وهو ثائر فرنسي متطرف عاش من سنة ١٧٦٠م إلى ١٧٩٧م[١].

٢- وسيمون وهو أول اشتراكي فرنسي وهو ثائر فرنسي متطرف أيضًا ولد سنة ١٧٦٠م ومات ١٨٢٥م[٢].

---

(١) هو: فرانسوا بابيف، يساري متطرف في يساريته، كان له عمل ثانوي أثناء الثورة الفرنسية، وأصبح منظرًا سياسيًا معروفًا عام ١٧٩٤م وأصدر صحيفة: «حرية الصحافة» التي عرفت بمنبر الشعب، وهو ينتمي إلى جماعة اليعاقبة التي قامت بدعاية للاشتراكية في باريس، وحاول القيام بثورة مسلحة في ١١/٥/١٧٩٦م، فاعتقل وحكم عليه بالإعدام فانتحر طاعنا نفسه بخنجر.

(٢) هو: سان سيمون دوفروا، وهو أول اشتراكي فرنسي، كاتب سياسي موسوعي من أسرة ارستقراطية تعيش على هبة من الملك، أصبح ضابطًا في عام ١٧٧٧م، درس الطب والسياسة، وكان ثائرًا ضد الكاثوليكية وذهب إلى=

٣- وشارل فوريبه وهو سياسى فرنسى غلب عليه أنه مفكر اجتماعى ولد سنة ١٧٧٢م ومات سنة ١٨٣٧م[١].

- وكان دعاة هذه الاشتراكية الخيالية يرون أن التغيير يجب أن يأتى من خلال البنى الفوقية أى القيادات والرئاسات وليس عن طريق البنى التحتية أى الثورات.
- وقال دعاة هذه الاشتراكية المثالية: إن الإيمان بالاشتراكية هو الذى يؤدى إلى التغيير الذى يأتى بالنظام المثالى بل الأمثل. وجميعهم قضوا نحبهم دون أن يتحقق شيء من الاشتراكية المثالية التى دعوا إليها.
- وأهم نقد وجه إلى دعاة الاشتراكية المثالية أو الخيالية هو ما جاء على لسان «انجلز»[٢] (١٨٢٠-١٨٩٥م) المفكر الاشتراكى الألمانى، حيث وصف مدرستهم فى الإصلاح السياسى أو الاجتماعى بأنها مدرسة خيالية، بينما وصف الماركسية بأنها عملية[٣].

ب- الاشتراكية الديموقراطية:

كانت الاشتراكية الديموقراطية نتيجة للثورة الصناعية فى أوروبا فى القرن التاسع عشر الميلادى.

وقد اتخذت هذه الاشتراكية الديموقراطيةُ الديموقراطيةَ وسيلة للتعبير عن سياستها فى الدفاع عن حقوق الطبقة العاملة ضد الاستغلال الرأسمالى لهذه الطبقة العاملة.

= جنيف ومن هناك كتب فى نقد الثورة الفرنسية، ودعا إلى انشاء برلمان أوربى مشترك، وأنشأ الحزب القومى.

(١) هو: شارل فوريبه المفكر الاجتماعى والسياسى المشهور، له بحث فى الوحدة العالمية، ونادى بإشباع الشهوات الجنسية واعتبر ذلك أساس انسجام العالم، وكان عدو الحرية الاقتصادية، وكان يحذر من الثورات وانتقد الثورة الفرنسية التى قامت ١٧٨٩م، وكان معادياً للديموقراطية وللمساواة، وكان يزعم أنه يحقق المستقبل بأفكاره الاجتماعية.

(٢) هو: فردريك انجلز مفكر اشتراكى ألمانى، أسهم مع كارل ماركس فى استنباط النظرية الشيوعية، انتقل إلى انجلترا وهناك التقى بكارل ماركس وتعاونا وعملا على تنظيم رابطة شيوعية انطلاقا من مذهبهما «المادية الجدلية»، وأصدرا البيان الشيوعى الأول عام ١٨٤٨م، وألف كتاب: «الثورة والثورة المضادة فى ألمانيا»، واعتبر الفلسفة: علم العلوم، وأكد على دور الفرد فى التاريخ.

(٣) الماركسية: نسبة إلى كارل ماركس (١٨١٨- ١٨٨٣م) مناضل ألمانى من أصل يهودى إذ كان أبوه يهوديا ثم دخل فى النصرانية، درس القانون والتاريخ وهو صاحب نظرية المادية التاريخية، والماركسية تقوم على صراع الطبقات الذى يؤدى إلى ديكتاتورية البروليتاريا، ثم إلى مجتمع بغير طبقات، ولماركس عديد من المؤلفات الشهيرة.

● وكانت نشأة هذه الاشتراكية الديموقراطية فى باريس عام ١٨٨٩م عندما نادت بالأممية الثانية(١).

وقد ضمت هذه الاشتراكية الديموقراطية عدداً من الأحزاب الأوروبية، وعدداً من التنظيمات النقابية والحرفية.

ومما يدل على عدم تماسك هذه الاشتراكية الديموقراطية فى فكرها وفلسفتها أنها ضمت بعض الأحزاب الأوروبية ذات النزعة الماركسية، وسريعًا ما طغى عليها الفكر الاشتراكى الماركسى، فأصبح من مكوناتها الأساسية.

● وقد انشقت هذه الاشتراكية الديموقراطية إلى مذهبين: أحدهما: يأخذ الخط الماركسى وسيلة للعمل، فيعمل على إسقاط المؤسسات السياسية والاجتماعية فى النظام الرأسمالى وصولاً إلى المجتمع الاشتراكى.

والآخر: يدعو إلى اتباع طريق طويل للتغيير من خلال المؤسسات السياسية والاجتماعية للتوصل من خلال المفاوضات أو أنواع النضال إلى كسب حقوق الطبقة العاملة المهضومة؛ مهما جاء ذلك أخيرًا أو متأخرًا.

● وبناء على ذلك الانقسام وعلى غيره من العوامل، تفرقت الاشتراكية الديموقراطية فى بلدان عديدة فى أوروبا، فبدأ إنشاء الأحزاب الشيوعية فيها.

على أن الزعماء الشيوعيين اتهموا الاشتراكيين الديموقراطيين بالخيانة لأنهم – فى نظرهم – قد تخلوا عن التضامن الدولى مؤثرين عليه المصلحة القومية من جانب واتخاذ طريق التغيير من خلال المفاوضات من جانب آخر.

● ومن هؤلاء الزعماء الشيوعيين: «لينين» و«تروتسكى» اللذين قالا بأن التوجه القومى انحراف عن الخط الماركسى الثورى.

وفى مارس من عام ١٩١٩م نادى «لينين» فى «الكرملين» «بالأممية الثالثة» مما عزز الفروق بين الأممية والوطنية أو القومية.

وعلى الرغم من ذلك كله فقد بقيت الاشتراكية الديموقراطية فى كثير من بلدان أوروبا.

---

(١) على اعتبار أن الأممية الأولى هى ما أطلق عليه: «الرابطة العالمية للعمال» التى تأسست فى لندن سنة ١٨٦٤م، وقد نادت هذه الأممية الأولى بحقوق العمال، ومن بين تلك الحقوق حظر تشغيل الأطفال فى المصانع.

● ثم تطورت الاشتراكية الديموقراطية على يد الحزب الاشتراكى الألمانى الديموقراطى، الذى أقر شرعية المنافسة الحرة، والمبادرة الحرة، والسوق الحرة وحماية وسائل الإنتاج ويحاول بذلك أن يقارب بين الاشتراكية الديموقراطية واشتراكية ماركس وشيوعية «لينين»، وسريعا ما أصبحت هذه الاشتراكية أنموذجًا جديدًا، أخذت به بعض الدول الأوروبية كالنمسا وسويسرا وغيرهما، وأصبح الطابع الغالب على هذه الأحزاب هو المنفعة أو الفائدة «البراجماتية»(١).

● وتحاول الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية وأوروبا بنشاط ملحوظ فى العالم الثالث، وبخاصة فى البلدان التى تتبنى الديموقراطية الغربية حقًا أو ادعاءً، السيطرة عليه فتنتهج سياسة أممية إزاء قضايا العالم الثالث، من: تنمية وتحرر، بقصد استغلال هذا العالم الثالث، مع إدخال بعض الإصلاحات الشكلية لإبعاد شبح الاشتراكية، مع سد الطريق نهائيًا أمام قيام أنظمة تقدمية وطنية حقيقية تعمل على التخلص من هذا الاستعمار المقنع بالاشتراكية الديموقراطية الأوروبية.

● والعالم العربى كله والعالم الإسلامى معظمه واقعان فى هذا العالم الثالث، أى يعانيان من المشكلات الاجتماعية الأساسية وهى: الفقر والجهل والمرض، والتراجع الحضارى عمومًا.

وهذا العالمان العربى والإسلامى بحاجة ماسة – من أجل التقدم – إلى عمل وإصرار على التخلص من آفات أو أمراض ثلاثة تُفرض عليهما من دول العالم الأول والثانى، وهذه الآفات هى:

١ – الصهيونية:

وهى يهودية عنصرية استيطانية، تقوم على طرد العرب من ديارهم فى فلسطين وما حولها لتستولى على تلك البلاد عسكريًا متسلحة بأسلحة أمريكية وأوربية ومؤيدة فى عدوانها الظالم على العرب من معظم دول العالمين الأول والثانى، وبمعاهدة أمريكية توجب على أمريكا أن تساند إسرائيل ماليًا بما يمكنها من تنفيذ سياسة الاستيطان وعسكريًا بحيث تجعل جيشها أقوى من جميع جيوش العالم العربى!!! ثم تدعى أمريكا أنها تتوسط بين

---

(١) «البراجمانية» مذهب يقول بأمور هى:
– الحقيقة هى جملة التجربة الإنسانية،
– والمعرفة هى آلة أو وظيفة فى خدمة المجتمع،
– وصدق أى قضية فى كونها مفيدة،
– والحق نسبى يخضع للزمان والمكان والتقدم العلمى.

الصهيونية والعرب وتحاول عقد معاهدة سلام بينهما!!!

٢- الإمبريالية:

وهى ظاهرة سياسية عسكرية اقتصادية، تتبناها الدول القوية فى العصر الحديث - أى الدول الرأسمالية الصناعية - وتقوم على التوسع وفرض السيطرة على الشعوب والأراضى الأجنبية وإخضاعها ونهب ثرواتها مستخدمة العنف والاحتلال العسكرى، بعد التمهيد لذلك الاحتلال بالإرساليات التبشيرية والموجات الاستيطانية والهيمنة الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

ومهما حدث اختلاف فى التعرف على جذور الإمبريالية، هل هى الامبراطورية، أم الرأسمالية، أم الإقطاع، أم التفوق العنصرى، أم الاستعمار. فإن القدر المتفق عليه فى الإمبريالية أنها احتكار وسيطرة اقتصادية وسوء استغلال من الغنى للفقير ومن القوى للضعيف.

٣- العمل على تجزئة العالمين العربى والإسلامى:

وتلك آفة تعوق أى تقدم أو استقلال حقيقى للعالمين العربى والإسلامى، وتلك الآفة قد تحالفت عليها الصهيونية والإمبريالية بوصفهما أعداء للعالمين العربى والإسلامى من جانب، وأصحاب مصالح عديدة فى تجزئة العالمين العربى والإسلامى من جانب آخر.

- وعلى الرغم من ضراوة الصهيونية و«الامبريالية» ورغبتهما الجامحة الجائعة فى استغلال العالمين العربى والإسلامى،وعلى الرغم من أنهما قوتان لا يستهان بهما فى عالم اليوم الذى تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية أكبر قوة «إمبريالية» وأكبر سند للصهيونية، فإن ذلك لا ينبغى أن يفت فى عضد العالمين العربى والإسلامى.
- نعم لقدعملت الصهيونية و«الإمبريالية»على تفتيت العالمين العربى والإسلامى، حيث جعلت من العالم العربى وحده أكثر من عشرين دولة بعضها لا يزيد عدد سكانها على نصف مليون إنسان، وجعلت العالم الإسلامى - ومنه العالم العربى - ما يقرب من ستين دولة، وهما مستمرتان فى التجزئة والتفتيت والكيد لهذين العالمين.
- ولقد أصبحت وسائلهما فى الكيد والتفتيت واضحة لكل من كان ذا بصيرة أو مجرد بصر؛ فهما تصطنعان الخلاف والاختلاف بين دول العالمين العربى والإسلامى ويحرضان على الحروب فيما بين دولهما، ويقدمان النصائح المغالطة الشريرة من خلال مستشارين

يلبسون ثياب الأصدقاء ويضمرون كيد الأعداء، ومن خلال شركات تسيطر على الاقتصاد، وخبراء آخرين ربوا وفق مناهج الأعداء ليسيطروا على التعليم والثقافة والإعلام.

وفى العقد الأخير من القرن العشرين أثاروا حرب الخليج الأول بين العراق وصدَّامه وإيران لأنها جمهورية إسلامية،وبين طاغية العراق والكويت حيث اجتاحها وهى صاحبة حق الجوار وحق العروبة وحق الإسلام.

وأثاروا حربًا بين لبنان ولبنان، وبين الصومال والصومال،وبين السودان والسودان، وبين الجزائر والجزائر، والمغرب والمغرب – وكل تلك الحروب فتن داخلية فى الوطن الواحد – وكلها تحتاج إلى مال وسلاح، وهما أصحاب القدرة على منح القروض وأصحاب مصانع السلاح.

ولم يشفهما هذا الصراع ولا تلك الحروب الأهلية، فكان أن اصطنعوا حروبًا عديدة بين دول العالمين العربى والإسلامى مثل:

الحرب بين الهند وباكستان، وبين تركيا وسوريا، وبين الأردن والفلسطينيين، وبين اليمن والسعودية، وبين الجزائر والمغرب، وبين ليبيا وتشاد، وبين أثيوبيا وأريتريا، وبين الأكراد ضد تركيا وسوريا والعراق.

- إن الصهيونية والإمبريالية ألد عدوين للعالمين العربى والإسلامى وعلى الرغم من قوتهما فإن العالمين العربى والإسلامى ليسا قلة فى العدد ولا فى الموارد، فهما ربع سكان العالم تقريبًا، ولهما من الموارد ما يكفيهما ويفيض عن حاجتها لو قاوما هذا التمزق وتلك الفرقة!!! فهل من مستجيب؟

جـ- الاشتراكية المسيحية:

هى نظرية اشتراكية إصلاحية تقوم على التوفيق والتلاؤم بين المفاهيم الاشتراكية العامة والأخلاقيات المسيحية الموروثة عن المسيح عليه السلام حيث كان مثالاً للحب والتسامح وإضمار الخير وتقديمه للناس جميعًا.

ومن أبرز دعاة هذه الاشتراكية المسيحية ومنظريها:

١- بولتيليك المنظر الدينى.

٢- ورلينولد ينبور المؤرخ الاجتماعى والفيلسوف.

٣- و.ر.هـ ثاونى المؤرخ الاجتماعى.

٤- وفريدريك مورس.

٥- وتشارلس كنجزلى (١٨١٩-١٨٧٥م).

وهذه المحاولة للتوفيق بين الاشتراكية المسيحية لم يكتب لها النجاح إذا قيس هذا النجاح بما تشتمل عليه المسيحية من حب وتسامح وإيثار للخير؛ فما أعرف فيما قرأت عن اشتراكية مسيحية تطبق المسيحية الحقيقية، بل أتصور أن هناك تعاديًا وتضاربًا بين الاشتراكية والمسيحية الحقة، وتضاربًا بين الاشتراكية واليهودية الحقة، فضلاً عما فى الاشتراكية من تناقض مع الإسلام خاتم الأديان - على الرغم من وصف الرسول ﷺ على لسان بعض المسلمين بأنه إمام الاشتراكيين، وعلى الرغم من إطلاق تعبير اشتراكية الإسلام على لسان أحد كتاب المسلمين، وعلى الرغم من قول بعضهم: أن أبا ذر الغفارى رضى الله عنه هو أول الاشتراكيين المسلمين، فكل تلك التسميات فى تقديرى ملق ورياء للاشتراكيين الذين سيطروا على كثير من دول العالم.

● وقد نشأت هذه الاشتراكية المسيحية، وأحاطت بها تيارات تنتمى إليها أو تختلف معها بعض الاختلاف فى العقود الأولى من القرن التاسع عشر الميلادى.

● والاشتراكية المسيحية وإن ازدهرت حينا من الزمان، إلا أنها اليوم فى مطلع القرن الحادى والعشرين وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى قد خبا نجمها وتقلص وجودها، ولم يعد ينادى بها إلا المكابرون من الاشتراكيين الذين لا يصدقون أن الاتحاد السوفيتى قد انهار، أو المسيحيون الذين يرون المسيحية كما يحلو لهم أن يروها لا كما يجب أن ترى.

ولم يعد للاشتراكية المسيحية من قبول، إلا ذلك القبول المحدود الحذر من «البروتستانيين» فى بعض بلدان غرب أوروبا، واسكندنافيا، وبعض مناطق الولايات المتحدة الأمريكية[١].

---

(١) «البروتستانية» مذهب مسيحى حديث نسبيًا يقوم على الاحتجاج على الكنيسة الكاثوليكية فى أمور هى:
- التفسير الخاص للكتاب المقدس من وجهة النظر الكاثوليكية.
- والتسلط الدينى والدنيوى على الناس باسم الدين، كما أن «البروتستانية» تحاول التخلص من نظام الإقطاع الأوروبى.

وقد استطاعت «البروتستانية» أن تؤلف مجموعة من العقائد الدينية المنبثقة من حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا، وكانت مواكبة لظهور الثورة الصناعية فى أوروبا.

ومن مؤسسى البروتستانية:

مارتن لوثر ١٤٨٣-١٥٤٦هـ وجنا كلفن ١٥٠٩-١٥٦٤م و«البروتستانية» طوائف مثل: «اللوثريين»، والإصلاحيين، والمعمدانيين، و«الإنجليكان»، والمنهجيين.

● وهذه الاشتراكية المسيحية تختلف حولها المذاهب السياسية اختلافًا شديداً، وغاية هذا الاختلاف هو عدم الاعتراف بهذه الاشتراكية المسيحية.

وهؤلاء المختلفون معها هم:

١- **الرأسماليون**(١):

ويرون فى الاشتراكية المسيحية مجرد وسيلة من وسائل تجنيد المسيحية، وتوظيفها فى خدمة الرأسمالية، ويحاولون صبغها بهذه الصبغة ما وسعتهم الحيلة، فإن لم تف لهم بما يريدون فإنهم يرفضونها ويقفون منها موقف العداء.

٢- **الاشتراكيون الثوريون**(٢):

ومع هؤلاء الاشتراكيين الثوريين المدارس الاشتراكية الماركسية ويرون فى الاشتراكية المسيحية طريقة من طرق محاربة الحركة الثورية، بل يرون فيها دعوة من دعوات المصالحة الطبقية على حساب الطبقة العاملة، والطبقات المسحوقة - كما يسمونها، وهم بذلك لا يرون فيها علاجًا لمشكلات المجتمع من وجهة نظرهم.

٣- **سائر التيارات الاشتراكية الثورية:**

هؤلاء يرون أن الاشتراكية المسيحية عملا أو تنظيما يصب فى النهاية فى المجرى السياسى للأحزاب الديموقراطية المسيحية.

وهذه الأحزاب الديموقراطية المسيحية تنحاز إلى الطبقات الحاكمة فى الغرب الرأسمالى؛ ولذلك فهم لا يرون فيها علاجًا لمشكلات المجتمع من وجهة نظر الاشتراكية.

---

(١) الرأسمالية: نظام اقتصادى يقوم على تقسيم المجتمع إلى طبقتين:
- طبقة مالكى وسائل الإنتاج (الأرض والمواد الأولية والآلات والأدوات)
- وطبقة «البروليتاريا» أى الفقراء الذين لا يملكون سوى جهودهم فيعملون ويؤجرون وهم الطبقة الدنيا من المجتمع.

وتقوم الرأسمالية على ركيزتين: احتكار وسائل الإنتاج لمصلحة طبقة من المواطنين، ووجود طبقة محرومة من وسائل العيش مضطرة لبيع عملها وقوتها.

(٢) هم حزب سياسى فى روسيا القيصرية نشأ أولاً فى سنتى ١٩٠١، ١٩٠٢م ينادى بالقضاء على الملكية الخاصة للأرض وتطوير التعاونيات، ثم تخلوا عن ذلك بقيام ثورة فبراير ١٩١٧م وانضموا لحكومة الثورة، ثم ألفوا حزب الاشتراكيين الثوريين اليساريين فى نوفمبر ١٩١٧م، ثم قاموا بثورة أكتوبر ١٩١٧م فى روسيا، ونظموا أعمالاً إرهابية ضد رجالات الدولة السوفيتية والحزب الشيوعى.

● ومن المسلَّم به بين دارسي السياسة والمذاهب السياسية العامة أو التربوية أن الاشتراكية المسيحية لم تستطع أن تؤثر تأثيرًا فاعلاً سياسيًا أو تربويًا في الحياة السياسية في الغرب.

فأين ذلك من التربية السياسية الإسلامية - كما سنوضحها في هذا الكتاب؟

د- الاشتراكية الوطنية الفاشية أو النازية:

وهي نوع من الاشتراكية تقوم على نظرة ضيقة أو قومية، وأوضح وأسوأ ما كانت هذه الاشتراكية في مذهبين مشهورين في القرن العشرين الميلادي وهما:

● المذهب الفاشي أو الفاشية:

والفاشية مذهب سياسي يقوم على القومية المتطرفة التي لا ترى سوى نفسها.

وتقوم على السلطة العسكرية والتسلط الشديد على المجتمع مؤسساته وناسه وأشيائه وأفكاره ومبادئه، وذلك التسلط الشديد يعرف «بالكليانية» أي الهيمنة على النشاطات الفردية جميعها، وتسمى «السلطوية» أو «الديكتاتورية».

● والنظام الفاشي كالنظام النازي والنظام السوفيتي، كلها تشترك في أنها كليانية أي ديكتاتورية، تقوم على «أيديولوجية»[1] شمولية، ذات حزب واحد يسيطر على كل شيء في المجتمع، وهذا الحزب يسيطر عليه رجل واحد هو الزعيم الرهيب المهيب الذي لا يُراجع في شيء يقوله أو يعمله أو يتركه وهو «الديكتاتور» تعاونه أجهزة معدة لهذا التسلط من:

- الشرطة السرية القامعة المرهبة التي لا تتقيد بالقانون.
- واحتكار وسائل الاتصال الجماهيري.
- والأسلحة العملياتية.
- والتسلط الاقتصادي والسياسي عمومًا.

● وأول من أسس الفاشية هو: «بنيتو موسوليني» (١٨٨٣-١٩٤٥م) ديكتاتور إيطاليا في ميلانو في ١٩ من شهر مارس سنة ١٩١٩م، ثم فرضه على إيطاليا فرضًا عند وصوله إلى السلطة في ٣٠ من شهر أكتوبر سنة ١٩٢٢م وقد أعدم عقب انهيار ألمانيا التي كان حليفا

---

(١) الأيديولوجية هي: ناتج عملية، تكون نسقا فكريا عامًا يفسر به كل شيء: الطبيعة والمجتمع والفرد، وتشكل الأيديولوجية من البيئة الجغرافية والاجتماعية ونواحي نشاطهما.

لها فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) وكان إعدامه مع عشيقته كلارا سنة ١٩٤٥م.

● والفاشية - من حيث المذهب السياسى - تعارض المذهب الرأسمالى والمذهب الاشتراكى كليهما.

- وتتسلط على الإنتاج وعلى الاستهلاك،

- وتتحكم بجبروت فى العمال والنقابات،

- وتسيطر على جميع المنشآت.

وكل هذا التسلط والتحكم والسيطرة بيد الزعيم وحده ديكتاتور النظام الحاكم.

● والفاشية ترفض النظام السياسى والاقتصادى فى أوروبا، وتبالغ فى هذا الرفض وتأخذ لغتها صوراً فجة منها:

- رفض النظام البرلمانى،

- ورفض التعددية الحزبية،

- ورفض ضمان الحقوق والحريات الفردية.

● وأهم المبادئ السياسية التى تقوم عليها الفاشية وتفرضها فرضاً هى:

١- تقديس القيمة القومية أو الوطنية بصفتها القيمة العليا فى الأولويات السياسية، لما تهدف إليه عندهم من تماسك الأمة داخلياً، ونشر عظمتها خارجياً.

٢- وإقامة دولة قوية ذات سلطة، بحيث تكون الدولة مقدمة على الأفراد وحقوقهم جميعها.

٣- وإقامة نظام اجتماعى جديد يوثق رباط الفرد بالجماعة.

٤- وتقديس الزعيم، فهو الرجل الذى أرسلته العناية الإلهية لقيادة الأمة وإنقاذها.

٥- وتركيز السلطة كلها فى يد الزعيم وهو الرئيس الأوحد والقائد الملهم الجالس على كرسى القيادة إلى أن يموت.

٦- والإنسان فى ظل النظام الفاشى مكافح مقاتل مطيع لا يملك حق الاعتراض على أى شىء، فقد كان «موسولينى» يقول لهم: «آمنوا وأطيعوا وقاتلوا».

● وعند معظم مؤرخى الفكر السياسى أن الفاشية تعتمد على :

– القومية أو الوطنية .

– ومعاداة الفردية لصالح الدولة المتسلطة .

– ومعاداة الحرية بأنواعها كلها .

– ومعاداة العقلانية .

– ومعاداة الديموقراطية .

● **المذهب النازى أو «النازية» :**

النازية كلمة مكونة من حروف يرمز كل منها إلى كلمة من كلمات : «الحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى»

وقد تولى هذا الحزب الحكم فى ألمانيا من سنة ١٩٣٣م إلى سنة ١٩٤٥م بقيادة «هتلر» .

● والمذهب النازى وإن كان يحتوى على عدد من الشعارات الرنانة إلا أنها جوفاء، ليس فيها شعار واضح الصلاحية للأفراد أو للأمة وعلى سبيل المثال :

– ففكرة إقامة «الرايخ الألمانى الكبير» ليست من مبتكرات النازية وإنما هى مأخوذة عن دعاة وحدة الشعوب الجرمانية، وهؤلاء الدعاة أقدم من النازية وأسبق منها فى المناداة برايخ ألمانى كبير .

– وفكرة تفوق العرق الجرمانى ليست من مبتكرات النازية أيضًا، وإنما هى مأخوذة عن المفكر الفرنسى : جوبينو، جوزيف آرثر الكاتب الفرنسى المعروف (١٨١٦–١٨٨٢م)، ومتأثرة بما هو معروف عن الكاتب الإنجليزى السياسى الاستعمارى تشمبرلن، جوزيف (١٨٣٦–١٩٤٤م) الذى دعا إلى التوسع الاستعمارى للامبراطورية ودافع عن تفضيل المنتجات الامبراطورية .

– والنزعة اللاسامية ليست كذلك من ابتكارات النازية، وإنما كانت هذه النزعة سائدة فى أوساط عديدة فى ألمانيا والنمسا، قبل الحرب العالمية الأولى أى قبل سنة ١٩١٤م .

– وشعار الدولة «التوتاليتارية» أى المستبدة الذى رفعته النازية، هذا الشعار هو أصلاً من أعمال :

● هيجل، جورج فلهلم فردرك (١٧٧٠–١٨٣١م) وهو فيلسوف ألمانى ذائع الصيت .

● ونيتشه، فردرك فلهلم (١٨٤٤–١٩٠٠م) وهو فيلسوف ألمانى ذو عقلية فذة وكتابات معروفة.

● والسبب الرئيسى الذى حرك «هتلر» إلى هذه النازية والعنف والحرب هو الأزمة النفسية التى عاشها «هتلر» عقب هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى، وقد عزا «هتلر» أسباب هذه الهزيمة إلى اليهود، فكان عداؤه لهم وللسامية من أجل ذلك، وليس اليهود بريئين من العمل على هزيمة ألمانيا، فهم أشرار وحاقدون تحركهم «كهتلر» الأمراض النفسية والعقد، وكثيرة هى أوجه الشبه بين الصهيونية والنازية، مما يحملنا على عقد مقارنة سريعة بينهما.

● **بين الصهيونية والنازية:**

تتشابه الحركتان أو النزعتان فى أمور من أبرزها:

– العنصرية؛ فاليهود ينادون بأنهم شعب الله المختار وأن الناس جميعًا أقل منهم، والنازية تنادى بأن الشعب الألمانى «الآرى» متفوق على سائر الشعوب.

– وإضمار الشر لسائر الناس؛ فاليهود تقوم عندهم الصهيونية على التخلص من غير اليهود، حتى لو كانوا هم أصحاب الأرض كما فعلوا مع الفلسطينيين.

والنازية تعمل جاهدة على التخلص من كل الفئات غير «الآرية، فى ألمانيا كلها.

● لكن التقت مصالح الصهيونية والنازية فى تهجير اليهود الألمان إلى فلسطين، وليصل اليهود إلى فلسطين، فيرتاح الألمان ويرتاح اليهود؛ فكان أن ضيقت ألمانيا على اليهود فيها حتى هاجر عدد كبير منهم فكانت هجرتهم إلى فلسطين.

وقد اشتد «هتلر» فى التضييق عليهم فى أوروبا كلها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً انتقامًا منهم لتسببهم فى هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى.

– وقد استغلت الحركة الصهيونية ممارسة النازية للتضييق على اليهود فى أوروبا، مع أن اليهود أسهموا فى التسبب فى هذا التضييق، وقد أطلقوا دعاياتهم واستعطافهم للرأى العام الأوربى والعالمى حتى كسبوه إلى جانبهم، فجمعوا من وراء ذلك مليارات الدولارات فى شكل تعويض عما أصابهم من ضررعلى أيدى النازيين.

ثم برروا لأنفسهم ما قاموا به من جرائم ضد الشعب العربى فى فلسطين بحجة إقامة دولة

لليهود فى فلسطين عوضاً عما أصابهم من طرد من ألمانيا وبعض بلدان أوروبا!!!

وهكذا التقت أسوأ حركتين وأكثر الحركات شراً وحقداً وعنصرية وتعصبًا قوميًا أعمى ضد غيرهم من الناس، فكان ذلك ضد الشعب الفلسطينى وضد العالم العربى والعالم الإسلامى.

هذا عن الاشتراكية الوطنية أو القومية، وما أفرزته من مذهبين عدوين لدودين للإنسانية كلها، يمكن أن يضافا بكل جدارة إلى اليهود وتاريخهم الأسود الحافل بالحقد على البشر والتآمر على كل ما هو إنسانى ما دام غير يهودى، والتلذذ بالتآمر والإجرام ضد كل من هو عربى أو مسلم.

وهكذا كانت التربية السياسية فى مجال الاشتراكية الوطنية أو القومية أسوأ أنواع التربية، ولها أسوأ النتائج، وغداً يلقى اليهود مصير ألمانيا النازية، وإن غدا لناظره قريب.

سادسًا : التربية الإسلامية السياسية

كل عمل يوصف بأنه إسلامي يجب أن يكون نابعًا من الإسلام؛ منهجه ، ونظامه، وأهدافه، وقيمه السائدة فى المسلمين.

تلك قاعدة لا يمارى فيها إلا من كان يجهل الإسلام، أو يكرهه ويحقد عليه.

والمنهج والنظام يدوران مع الأهداف والقيم وجوداً وعدمًا، والأهداف والقيم الإسلامية وكل ما يتصل بأى نوع من أنواع التربية الإسلامية الروحية والخلقية والعقلية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها؛ إنما يلتمس فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذا ما نحاول أن ندل عليه بهذه الدراسات التى تتناولها سلسلة مفردات التربية الإسلامية العشر، فيكون ذلك تأصيلاً لهذه الأنواع من التربية الإسلامية.

● وأبرز ما فى التربية الإسلامية السياسية فى تصورى أمران:

– توضيح أهداف هذه التربية الإسلامية السياسية،

– وبيان القيم التى تستقى منها هذه التربية الإسلامية السياسية.

وسوف نكتفى هنا بالإشارة الدالة ، أما التفصيل ففى هذا الكتاب كله، على مدى ما يحتويه البابان اللذين اشتمل عليهما هذا الكتاب.

والله سبحانه وتعالى هو المستعان.

١ – أهداف التربية السياسية الإسلامية:

تنظر التربية الإسلامية السياسية إلى الإنسان على أنه – مهما كان لونه أو جنسه أو لغته أو الإقليم الذى يعيش فيه أو درجة التحضر التى يعيش عليها – صاحب حق أصيل فى حياة إنسانية كريمة، لا يجوز أن تنتقص فضلاً عن أن تهدر، لأن الله تعالى هو الذى كرمه، وأمر كل نبى أو رسول بتكريمه، وأنزل هذا التكريم فى كل كتاب أوحاه إلى أى رسول من رسله.

التربية السياسية الإسلامية – بل كل أنواع التربية العشر موضوع هذه السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» تعمل على أن تهيئ للإنسان حياة إنسانية كريمة، حتى الكافر لا يجوز أن تنتقص كرامته الإنسانية بإهانته أو ظلمه أو اضطهاده أو تجاهل إنسانيته فى أى زمان أو مكان.

● والتربية السياسية الإسلامية تحاول أن تعين الإنسان على كل ما يمكنه ويؤهله لممارسة الحياة الإنسانية الكريمة، ولذلك تحاول أن تحقق له أهدافًا ثلاثة كبرى تندرج تحتها كثير من التفصيلات.

● ومن أجل أن الإنسان قد خلقه الله من روح وعقل وبدن، وسلكه فرداً فى أسرة فى مجتمع وأحاطه بنعم من عدها فلن يحصيها، قامت التربية الإسلامية السياسية على تحقيق هذه الأهداف، إذ بها يعبر الإنسان عن مطالب روحه وعقله وبدنه وسلوكه الاجتماعى، وبغير هذه الأهداف تكون الحيرة والضلال والفقر والحاجة والجهل والانحراف عن السلوك الاجتماعى الراشد.

هذه الأهداف الثلاثة هى:

١- تصفية عقيدته فى الله والكون والناس وقوى الشر، من كل الشوائب التى ترين على القلب، وتضل العقل وتورث الحيرة والقلق.

٢- وتنقية عبادته لربه - وقد خلقه الله ليعبده - من الخرافة والوهم ليعبد الله وفق ما شرع، ومن عبد الله عبادة صحيحة سليمة عاش فى وئام مع نفسه، وفى وقاية من شيطانه وشهواته وضعفه البشرى.

٣- وترشيد سلوكه الاجتماعى فى التعامل مع غيره، فقد خلق الله تعالى الناس ليتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، وليعرف حقوقه وواجباته جميعًا، فيمارس حقوقه ويؤدى بإخلاص واجباته.

وإلى بعض التفصيل لهذه الأهداف الرئيسة:

أ- تصفية العقيدة من الشوائب:

العقيدة وما ينطوى عليه قلب الإنسان وعقله من معتقدات؛ هى التى توجه سلوك الإنسان وتعينه على العمل والصبر على عناء العمل، وتجعله يتمسك بالحق والصبر عليه.

● والتربية الإسلامية السياسية: تعمل جاهدة على تصفية هذه العقيدة من كل شائبة تشوبها:

- فالعقيدة فى الله تعالى تقوم على تأكيد أنه سبحانه هو الله الخالق الرازق المحيى المميت الحسيب الرقيب الرحمن الرحيم شديد العقاب، يقبل التوبة ويغفر الذنوب إلا الشرك به سبحانه، وكل شائبة تشوب ذلك مما يوسوس به شياطين الإنس والجن، تعمل التربية

الإسلامية السياسية على دخصها ومطاردتها .

- وتلك سياسة هذه التربية تنقى القلب والعقل من الشوائب والخرافات والأوهام وتملأهما بالحق واليقين، والمعرفة لله سبحانه وتعالى من خلال التأمل والتدبر فى دلالة أسمائه الحسنى وصفاته العليا التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
- ومن عرف الله عرف الإيمان وعرف الإسلام وعرف العدل والإحسان، وأدرك قيمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا .

– وكذلك تنقى التربية الإسلامية – بنفس سياسة القضاء على الأوهام وغرس الحقائق – تنقى عقيدة الإنسان فى الكون كله، وفى الإنسان، وفى الشيطان، من كل شائبة تضل العقل وتحير القلب، ثم تغرس فيه المعرفة الصحيحة عن هذا الكون وما فيه .

- ومن عرف هذا الكون أحسن التعامل مع كل المخلوقات التى فيه وفق المنهج الذى جاء من عند الله فلم يرد على قلبه أو عقله خاطر يسمح له بعبادة شىء من مخلوقات هذا الكون من شمس أو كواكب أو حيوان أو إنسان، فضلاً عن الحجارة والأوثان .
- ومن لم يعبد غير الله تعالى فقد اهتدى سواء السبيل وتصالح مع نفسه ومع مخلوقات الكون فأنزلها منزلتها التى جعلها الله لها دون تهويل أو تهوين .
- ومن لم يعبد غير الله هان عليه أمر الشيطان وعرف أنه العدو المضل المبين، الذى لا سلطان له على أحد من عباد الله إلا على الذين يتولونه ويستمعون إلى وسوسته .
- ومن عرف حقيقة الإنسان الذى كرمه الله تعالى، أحسن التعامل معه، وتعارف وإياه وتعاونا على البر والتقوى .

ب– **وتنقية العبادة من الخرافة والوهم :**

ذاك هو الهدف الثانى الذى تستهدفه التربية الإسلامية السياسية فترسم له سياسة توصل إليه بأمان وتغرى بالاستمرار عليه .

– وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان ليعبده وفق المنهج الذى أنزله الله تعالى على رسله فى كتبه، يعبد الإنسان ربه ليجنى أحلى الثمر من هذه العبادة، ويجنب نفسه مرارة الشرك والكفر وعبادة غير الله تعالى .

● ولهذا تعمل التربية الإسلامية السياسية على محورين:

أحدهما: تعريف الإنسان بالمنهج الذى يعبد الله وفق ما جاء فيه من أوامر ونواه؛ من خلال تفسير المنهج.

والآخر: إغراء الإنسان بالصبر على العبادة، ومحاولة تذوق حلاوتها ولذة القيام بها؛ من خلال الرقائق الإيمانية فى الذكر والدعاء.

– والتأكيد على أن الإنسان العابد لله وفق منهجه هو الإنسان القادر على أن يحقق بهذه العبادة سعادة الدنيا والآخرة.

● أما سعادة الدنيا فمن أجل أن العبادة لله تعالى تعوده الطاعة والالتزام، ومن عاش دنياه طائعًا ملتزمًا بما يجب أن يلتزم به عاش سعيدًا راضيًا عن نفسه، مرضيًا عنه ممن يحيطون به من أهل وأقارب وجيران.

● وأما سعادة الآخرة فإن من عبد الله وفق منهجه فهو مؤمن مطيع لله ورسوله، وأن الله تعالى قد وعد بذلك فى قوله تعالى: ﴿ ... **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء: ١٣].

– مع التأكيد على أن عبادة الله وحده وفق منهجه غير قابلة لأن يزيد فيها أحد شيئًا – إلا على سبيل التطوع – ولا أن ينقص منها أحد شيئًا – إلا على سبيل الرخصة التى شرعها الله – وكل ما عدا هذا من غلو الغالين وانتقاص المتهاونين، هو من الخرافات والأوهام التى ليس للإنسان أن يلقى لها بالاً، فضلاً عن أن يأخذ بها ويعمل وفقها.

– وعبادة الله بمعنى التعبد له والطاعة لمنهجه تعنى الاعتزاز بهذه المنزلة عند الله، ووجوب التلقى عنه وحده سبحانه وتعالى من خلال ما أوحى لرسوله الخاتم ﷺ.

● فكل ما يهرف به الأدعياء وأمثالهم لا يجوز أن يصدقه مؤمن فضلاً عن أن يأخذ به، لأن من أتى هؤلاء العرَّافين فصدقهم بما يقولون فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

● وكل ما يقول به المتشددون من إدخال أى نوع من العبادة فيما يشق على الإنسان فعله، أو يدخله فعله فى حرج، فإنه تشدد وتنطع فى الدين ومخالفة لصريح سنة الرسول ﷺ إذ نهى عن التشدد فى الدين وأنذر المتنطعين بالهلاك.

– وعبادة الله تعالى وفق ما شرع تعنى أداء الفرائض كلها وشفع كل فريضة بنافلة من جنسها

ليـنال المؤمن بـذلك مكانة من يتـقـرب إلى الله بالنوافل حتى يحـبـه، لكن لا يفـرضـه على نفسه ولا على غيره من الناس، وإنما يكتفى بأن يحبه ويحبب فيه الناس.

- ومن جنس فريضة النطق بالشهادتين؛ الذكر والدعاء.
- ومن جنس فريضة الصلاة؛ نوافلها وسننها وقيام الليل.
- ومن جنس فريضة الزكاة؛ الصدقة.
- ومن جنس فريضة الصوم؛ التطوع بصيام أيام من كل شهر.
- ومن جنس فريضة الحج؛ العمرة.

جـ- **التعارف والتعاون والتكافل والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات:**

ويكاد يكون هذا الهـدف رأس الأهداف الاجـتمـاعـيـة الكـثـيرة التى تستـهـدفهـا التربيـة الإسلامية وتضع لها سياسة تكفل نجاحها فى صياغة إنسان اجتماعى ناجح بمعيار الإسلام وتربيته السياسية.

- إن التربيـة السـيـاسـيـة الإسلامية تضع للإنسان سياسة تربوية تمكنه من أن يكون إنسانًا صـالحًـا فى كل أنواع التـعـامل، مع الله ومع نفـسـه، ومع كل قـوى الشـر وفى مـقـدمـتـهـا الشيطان ومع ما فى الكون من مخلوقات.

- وأبرز أهداف التربيـة السـيـاسـيـة الإسلامـيـة فى هذا المجال هى: غـرس التـعـارف والتـعـاون والتكافل بين الناس،وغرس مبدأ المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

- ففى مجال دعوة الناس إلى التعارف فيـمـا بينهم وإقناعهم بأن هذا التعـارف هو العـمـل النبيل، لما يترتب عليه من غرس المحبة بين الناس وإشاعة روح التسامح والمرحمة: فللتربيـة الإسلامية سياسة بعينها.

وسياسة التربية الإسلامية فى مجال التعارف هى التركيز على قول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...**﴾ [الحجرات: ١٣].

والتـعـارف عند فـقـهـاء الدعوة إلى الله، وعند من يـقـومـون بالحركـة بهـذا الدين فى الناس والآفـاق،له درجـات ومنازل أدناها أن يـعـرف اسـمـه ونسـبـه وعـمـله ومـا يحب ومـا يكره ليستطيع أن يكون قريبًا منه فإن أرواح الناس ما تعارف منها ائتلف.

وأعلى هذه الدرجات والمنازل للتعارف هى أن يعرف عن أخيه كل شىء، وأن يعرف حاجاته وما ينقصه من ماديات ومعنويات، ليجند نفسه للوفاء بحاجات أخيه دون أن يطلب أخوه منه ذلك.

ولو تعارف الناس على هذا المستوى لرضى الله عنهم ولأزال من طريقهم كل عقبات التقدم والرقى والقرب من الله، ولكانوا حقًا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

وتلك هى سياسة التربية الإسلامية فى التعارف.

● وفى مجال التعاون وإقناع الناس بأن التعاون بين الناس هو أرقى درجات الإنسانية،فإن سياسة التربية الإسلامية فى ذلك، تقوم على ركائز ثلاث:

– الإقناع بأن التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان مطلب دينى قال الله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢].

– والإقناع بأن هذا التعاون مطلب اجتماعى تحتمه حاجة الناس الدائمة إلى جلب المصالح، مصالح المعاش والمعاد، ولا يحقق ذلك شىء كالتعاون، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

إن هذا الحديث وحده دستور للتعاون على جلب المصالح، فما بالك بسائر الأحاديث فى هذا المجال؟

– والإقناع بأن هذا التعاون مطلب اجتماعى على درجة عالية من الأهمية تحتمه حاجة الناس الملحة الدائمة إلى دفع المضار والمفاسد عن دينهم ودنياهم، ولا يحقق ذلك مثل التعاون، فقد روى مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا مر أحدكم فى مسجدنا أو فى سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشىء» أو قال:ليقبض على نصالها. وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة، فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس».

● وفى مجال التكافل فإن للتربية الإسلامية نفس السياسة التى لها فى التعاون، تقنع الناس بأن التكافل مطلب دينى وبأنه مطلب اجتماعى لجلب المصالح ودفع المضار.

- فالتكافل بين المسلمين مطلب دينى شرع الله من أجله الزكاة وجعلها حقًا لأولئك الثمانية «الفقراء والمساكين..» قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٦٠] وقال الله تعالى: ﴿ ... **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥] فالزكاة المفروضة تكافل بين المسلمين يدفع الحاجة عن أولئك الثمانية الأصناف.

والصدقة المندوب إليها تكافل بين المسلمين تدفع الحاجة عن سائر أهل الحاجة، قال الله تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٧١].

فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية فى صدقة التطوع لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار.

- والتكافل بين المسلمين مطلب اجتماعى يجلب المصالح لفقراء المسلمين، بل للمسلمين جميعًا، فقد روى مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «... إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرًا فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيرًا...»

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبى ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى، ابن آدم أنفق أنفق عليك، وقال: يمين الله ملأى سحاء لا يغيضها شىء الليلَ والنهار...».

- والتكافل مطلب اجتماعى يدفع عن المسلمين الضرر والحاجة ويرد عنهم عادية الفقر، ويعطف بعضهم على بعض، ويذهب غيظ بعض الفقراء من بخل بعض الأغنياء، ويهيئ أحسن الظروف للوئام الاجتماعى، روى مسلم بسنده عن جرير رضى الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مُضر بل كلهم من مضر، فتمعر - أى تغير وجه رسول الله

ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذَّن وأقام فصلى ثم خطب فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

والآية التى فى الحشر: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ... ﴾ [الحشر: ١٨]

تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: «ولو بشق تمرة».

قال أبو ذر: فجاء رجل من الأنصار بُصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء».

● وأما المساواة بين المسلمين فى الحقوق والواجبات، فإن التربية الإسلامية وضعت لها سياسة تقوم على دعائم هى:

- توضيح الحقوق والواجبات،
- وإقرار المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات،
- وفرض عقوبات على الذى يمتنع عن أداء واجباته أويقصر فيها.

● ففى توضيح الحقوق والواجبات لم يدع الإسلام مجالاً للبس أو الغموض، وإنما بينها وحدد أنواعها - على النحو الذى سنفصله فى هذا الكتاب فى الباب الأول من هذا الكتاب(١).

وعلى المساواة بين الناس فى هذه الحقوق والواجبات كما سنوضح ذلك فى الباب الأول من هذا الكتاب عند حديثنا عن الأساس الخامس من أسس التربية الإسلامية السياسية.

وبعد: فتلك مجمل الأهداف التى حاولت التربية السياسية الإسلامية أن تحققها فى الناس، كى يعيشوا حياة إنسانية كريمة كما أراد الله تعالى لهم.

وإذا كانت تلك هى الأهداف مجملة، فما هى القيم التى تنبع منها هذه الأهداف؟

ذلك ما نوضحه فى الصفحات التالية والله المستعان.

---

(١) الباب الأول: الأسس التى تقوم عليها التربية السياسية الإسلامية. الأساس الثانى: تربية الإنسان تربية تعرفه بحقوقه وواجباته.

٢ - القيم التى تنبع منها أهداف التربية السياسية الإسلامية

التربية السياسية الإسلامية كغيرها من أنواع التربية الإسلامية ومفرداتها تنبع من قيم عالية رفيعة الشأن قادرة على نقل الناس من الشر إلى الخير، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان.

- هذه القيم هى التى تحرك التربية السياسية الإسلامية وترسم لها أبعادها وحدودها، ووسائلها وأهدافها، بل مراحلها وأولويات العمل فى تلك المراحل.
- وهذه القيم التى تنبع منها أهداف التربية السياسية الإسلامية لها حضور وفاعلية، وامتداد فى زمان المسلمين وفى كل مكان يوجدون فيه، فهو حضور أبدى مرتبط بمصدرى هذه القيم وهما الكتاب والسنة اللذان تكفل الله بحفظهما إلى يوم الدين.
- هذا الحضور لتلك القيم مرتبط بالكتاب والسنة من جانب ومرتبط بالإنسان المؤمن من جانب آخر، أكثر من ارتباطها بالسلطة أو الشرطة أو مواد القانون الوضعى العام أو الخاص، وذلك خير لهذه القيم لأن حارسها والغيور عليها والحريص على تسيدها هو قلب المؤمن وعقله وعمله الصالح، وذلك فى حد ذاته أبقى من أى سلطة أو شرطة أو قانون وضعى.
- ومما هو جدير بأن يُلحظ أن هذه القيم هى أقوى ما يحرك إرادة الإنسان ويطلقها نحو العمل أو الترك، ونحو القول أو الصمت، وهذا بدوره يغذى حرية الإرادة وحرية الاختيار ويرسم معالم الطريق المؤدى السير فيه إلى سعادة الدنيا والآخرة، سعادة الدنيا باستقرار العيش الكريم فيها، وسعادة الآخرة برضا الله تعالى وإثابته بجنة عرضها السموات والأرض.

فما هى تلك القيم التى تستقى منها أهداف التربية السياسية الإسلامية خصوصًا، وكل أنواع التربية الإسلامية عمومًا؟

هى إجمالاً:

قيم تتصل بالعقيدة والعبادة والسلوك الإنسانى وهى بشىء من التفصيل سبع قيم ترتبط كل قيمة منها بأصل من أصول الإسلام؛ دينا ومنهجًا وسلوكًا، وهى:

أ- توحيد الله تعالى بالألوهية والربوبية أى «الإيمان»:

وهذا التوحيد لله تعالى أو الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره

وشره، هذا التوحيد هو أهم قيمة توجه سلوك الإنسان فى الحياة.

- إن توحيد الله تعالى إلها وربًا وخالقًا ورازقًا؛ يصوغ الإنسان صياغة إيمانية إيجابية فاعلة، إذ يتحكم الإيمان فى أقوال المؤمن وأعماله، فيجعلها أقوالاً وأعمالاً صالحة خيرة، أى مرضية لله تعالى. كما يتحكم الإيمان فى المؤمن فيحول بينه وبين أى قول أو عمل غير صالح أو منطو على شر، وذلك أن الإيمان بالله تعالى إيمان بمنهجه، ومنهج الله تعالى لحياة عباده، إما أمر أو نهى؛ أمر بالخير ونهى عن الشر.

ب- **وعبادة الله تعالى وحده وفق ما شرع أى «الإسلام»:**

وإسلام الإنسان نفسه لله تعالى وإذعان له قيمة كبرى تلى قيمة الإيمان وتعبر عنه وتترجمه أعمالاً صالحة.

- ومن عبد الله تعالى وفق ما شرع فأدى ما فرض الله عليه من فرائض، وأضاف إليها ما حبب الله فيه من نوافل فقد عبد الله حق عبادته، وأصبح بهذه النوافل المصاحبة للفرائض موضع حب الله تعالى ورعايته وتوفيقه.

- ومَنْ عَبَدَ الله وفق ما شرع فانتهى عما حرم الله عليه من محرمات، وأضاف إلى ذلك الانتهاء عما كرَّهه الله فيه من أعمال فقد عَبَد الله حق عبادته، وأصبح بذلك قريبًا من الله تعالى، ومحلاً لرضاه.

- ومن عبد الله تعالى من خلال ما أوجب عليه وما حرم فأدى أركان الإسلام، وانتهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، تميز سلوكه الاجتماعى فى كل مجال يتعامل فيه مع نفسه أو مع الناس، بأنه سلوك راشد حميد، يحبب فيه ربه سبحانه الذى أمره ونهاه، ويحبب فيه الناس.

ومن أحبه الله أمر ملائكته أن تنادى فى الناس: إن الله تعالى أحب فلانا فأحبوه، فيحبه الناس مع حب الله إياه، فيسعد فى دنياه بحب الناس وفى أخراه بحب الله.

جـ- **والعمل الصالح الذى يترجم عن الإيمان «العمل»:**

وهذا العمل يجب أن يكون صالحًا وخيِّرًا، وهو قرين الإيمان فى القرآن الكريم ومعبر عنه.

- هذا العمل الصالح قيمة كبيرة من القيم الإسلامية المؤثرة فى حياة البشر عمومًا، وفى

حياة المسلمين خصوصًا بوصفه عملاً صالحًا يطالبون به على الدوام، وفى أى مكان.

- إن على المسلم أن يعمل عملاً صالحًا فى كل موقف فى حياته، وعلامة صلاحه أن يكون مما أمر الله به أو حبب فيه، وعلامة فساد العمل أن يكون مما نهى الله عنه أو كرَّه فيه.
- وعندما يكون عمل المسلمين صالحًا خيِّرًا فى كل مرافق الحياة الإنسانية فإن المجتمع كله يعيش آمنا مطمئنا،لا يهدده شر ولا أشرار، عندئذ ينصرف الناس إلى الإنتاج وإلى صناعة الرخاء.
- ومن المعروف فى الإسلام أنه لا يجوز لأحد المسلمين أن يعيش بغير عمل وهو قادر عليه، فلقد أمر الله تعالى بالعمل فى كثير من آيات القرآن، كما فى قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [التوبة: ١٠٥]، وعشرات الآيات الكريمة الأخرى وعشرات الأحاديث النبوية الشريفة.

د- وإبلاغ دين الله لعباد الله «الدعوة إلى الله»:

وهذه الدعوة إلى الله قيمة تلى فى الأهمية تلك القيم الكبرى الثلاثة عن: الإيمان والإسلام والعمل الصالح، لأن الله تعالى أوجب هذه الدعوة إليه على رسوله الخاتم ﷺ وعلى المؤمنين جميعًا ممن يملك البصيرة فيما يدعو إليه، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨].

- وهذه الدعوة إلى الله هى دعوة إلى الانحياز إلى الحق والخير والهدى أى إلى خاتم الأديان وأتمها وأكملها، والداعى إلى الله مأجور أعظم الأجر عند الله،لأنه يقوم بعمل يشبه عمل الأنبياء عليهم السلام، وينشر دين الله بما فيه من خير وهدى فى عباد الله الذين هم دائمًا فى حاجة إلى الخير والهدى.
- وللدعوة إلى الله وسائل معروفة يجب أن يلتزم بها المؤمن وهى: الحكمة بمعنى حسن التأنِّى وحسن التوجيه وحسن الكلمة وحسن العمل.

والموعظة الحسنة أى الموعظة الدقيقة التى تحسن الدخول إلى القلب والعمل عن اقتناع، وحرية اختيار.

والجدال بالتى هى أحسن عند الحاجة إلى الجدال.

● والدعوة إلى الله لها شروطها وآدابها ومراحلها، وإذا مورست على وجهها الصحيح فإنها قادرة بفضل الله على نقل الناس من الكفر إلى الإيمان، وعلى نقل بعض المسلمين من الضلال إلى الهدى، ومن الحيرة والضلال والضياع إلى الاستقرار والالتزام بشرع الله تعالى ومنهجه فى الحياة.

هـ - والإيجابية فى فعل الخير «الأمر بالمعروف»:

وهذه الإيجابية قيمة اجتماعية على درجة عالية من الأهمية فى إصلاح المجتمع، ولا توجد بهذا الشكل إلا فى الإسلام خاتم الأديان السماوية.

● والأصل الأصيل الذى جاء به الإسلام ونادت به آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ هو: أن الأمر بالمعروف واجب كل مسلم قادرعليه، فكل مسلم مطالب على الدوام وفى كل الظروف أن يأمر بكل أنواع المعروف، كل أحد من الناس، فى كل زمان ومكان.

● ومعنى الأمر بالمعروف أن يمارس إلى أن يسود المعروف أى الخير والحق والعدل والإحسان المجتمع كله، وبذلك يعم الخير وينتشر فى الناس الحق والعدل والإحسان، بل يحب الناس الخير والحق والعدل والإحسان لأنفسهم ولغيرهم من الناس.

● والمجتمع الذى يسوده المعروف على هذا النحو لابد أن ينعم بنعمة الاستقرار، ونعمة الإنتاج،ونعمة الاكتفاء الذاتى، ونعمة فتح أبواب الخير أمام جميع أفراده.

و- والإيجابية فى مقاومة الشر «النهى عن المنكر»:

وهذه قيمة عظمى فى كل مجتمع إنسانى يمارسها، وهى فى الإسلام من القيم التى أوجبها الله تعالى فى عديد من آيات القرآن الكريم، وهددت السنة النبوية من يتوقف عن ممارستها بالخيبة، وبرفض الله تعالى استجابة دعاء من يتوقفون عن النهى عن المنكر.

● والأصل الذى طالبت به آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ هو مطالبة كل مسلم قادر بأن ينهى عن كل منكر أو شر، كل أحد من الناس، حتى تنحسم مادة الشر من حياة الناس، ولا يجد أشرار الناس أحداً يسكت عن شرهم ومنكراتهم، وإنما يجدون من يواجههم ويقاومهم ويحاصر شرورهم وآثامهم، وتلك سمة من سمات المجتمع المسلم.

● والمجتمع الذى يُنهى فيه عن المنكر تمتنع فيه الجرائم أو تندر أو تقل، فيغدو كل فرد ويروح ويمارس حياته آمنا مطمئناً، وتنحسم جرائم الاعتداء على الآمنين، واغتصاب النساء

والأطفال، والسرقات والغصب والرشوة والتزوير والنصب، وتعاطى الخمور والمخدرات، وموائد الميسر، وينحسر الربا والغش، وتنكمش كل رذيلة فى المجتمع.

ز- **الاستعداد والإعداد «الجهاد فى سبيل الله»**:

وهذا الجهاد فى سبيل الله قيمة عظمى من قيم الإسلام، فيه تعلو كلمة الله تعالى ويعز دينه ويسود منهجه، وينقمع عدوه.

- والجهاد فى سبيل الله والاستعداد به والإعداد له، مطلب دينى وردت به الآيات القرآنية الكثيرة والأحاديث النبوية العديدة، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ٣٥] وعشرات الآيات الأخرى، وكقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة» وعشرات الأحاديث النبوية الأخرى.
- والاستعداد والإعداد يرد عن الأمة المسلمة أعداءها الطامعين فى خيراتها، أو الراغبين فى إحداث بلبلة واضطراب فى نظامها، أو الصارفين للمسلمين عن دينهم ومنهجهم؛ سواء أكان ذلك بالجيوش العسكرية أم بالتآمر والتجسس، أم بالسيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية، أم بإشاعة الفواحش والمنكرات أم بنشر المسكرات والمخدرات، أم بحشد الرأى العام العالمى ضد الإسلام والمسلمين، كما تفعل هيئة الأمم المتحدة مستجيبة فى ذلك لضغوط الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والغرب الذى تحول إلى ذنب لأمريكا، بدليل أن مئات الشواهد قائمة وماثلة ودالة على تحدى قرارات هيئة الأمم المتحدة التى قد تصدر لصالح المسلمين فى أى مكان.
- إنه لن يدفع عن الأمة الإسلامية هذا التحدى وهؤلاء الأعداء إلا الإعداد والاستعداد بالجهاد فى سبيل الله لرد هذا الكيد ومواجهة هذا العدو.
- وإن تاريخنا كله قديمه ووسيطه وحديثه ومعاصره، ليؤكد لنا أن الإعداد والاستعداد والجهاد بكل أسلوب ممكن من الكلمة إلى «الدبلوماسية» إلى التحدى الاقتصادى، إلى التحرر الثقافى إلى الحجارة فى أيدى الأطفال إلى خوض المعارك التى يضحى فيها بالألوف من الرجال - كما حدث فى حرب العاشر من رمضان - هى وحدها التى تردع العدو وترده إلى صوابه.

● ولهذا كله كان الجهاد فى سبيل الله قيمة رفيعة تستمد منها التربية السياسية الإسلامية أهدافها.

وبعد: فإن هذه القيم جميعًا متكاملة لا يغنى بعضها عن بعض وهى مجتمعة تمثل النبع الذى تستقى منها سائر أنواع التربية الإسلامية أهدافها، بل وسائلها، وأولويات العمل فى كل نوع من أنواع التربية الإسلامية التى أوضحناها فى هذه السلسلة.

سابعًا: المغالطات المبثوثة حول التربية الإسلامية السياسية

لا تألو الصهيونية والغرب الذى يدعى المسيحية – وهو بعيد تمامًا عن المسيحية الحقة – وإنما ينتمى إلى مسيحية متناقضة مع التسامح والرحمة والنفور من الظلم والعدوان – يحاول كل من الصهيونية والغرب الذى يدعى المسيحية أن يوجها إلى الإسلام والمسلمين من التهم والافتراءات ما يمثل حربا آلتها الإعلام، وقدرات المتعاملين منهم على المغالطات وتلفيق الأكاذيب.

ومن أمثلة هذه المغالطات الصارخة البطلان:

١– «الأصولية»،

٢– والرجعية،

٣– والإيمان بالغيبيات،

٤– والتطرف الإسلامى،

٥– والعنف الإسلامى،

٦– والإرهاب الإسلامى،

٧– والإسلام هو العدو التقليدى للغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتى.

● وتعتبر كلمة «الأصولية» بكل ما يحمله مدلولها من سلبيات نبعت أصلاً من الغرب فى تعامله مع الكنيسة ورجال الدين عندهم، تعتبر أما لهذه المغالطات كلها، لأنهم يفرعون عنها كل كلمة من هذه الكلمات السبع التى عددنا آنفًا.

مع أن لكلمة الأصول عندنا معشر المسلمين مدلولا مختلفا تمامًا عن مدلول الأصولية التى يطلقونها على الإسلام والمسلمين كما سنوضح ذلك بعد قليل.

فماذا عن هذه المغالطات؟

● الأصولية وما تفرع عنها من مغالطات:

هى أهم هذه المغالطات وهى موجهة إلى الإسلام عمومًا وإلى التربية الإسلامية على وجه الخصوص، وإلى التربية السياسية الإسلامية بوجه أخص.

وبعض هؤلاء الذين يطلقون هذه المصطلحات المغالطة يصرحون بعدائهم للإسلام عنجهية وتجبراً وتعاليًا – مع أنهم مسيحيون كما يزعمون – وبعضهم يضمر هذا العداء ولكنهم أضرى وأكثر شراً وحقداً من الذين يصرحون.

وأشد هؤلاء المغالطين حقداً على الإسلام والمسلمين هم اليهود والولايات المتحدة الأمريكية التى تساندها فى كل شر تريده بالمسلمين ثم يأتى بعدهما الغرب – الذى بحث عن عدو يوجه إليه حربه بعد انهيار الاتحاد السوفيتى – وهو مصرٌّ على أن الإسلام هو العدو البديل، ثم يأتى الاتحاد الروسى، ثم الصرب فالهندوس، ثم الوثنيون فى الفلبين، واللادينيون أو العلمانيون فى كثير من بلدان العالم، حتى من بعض الدول التى يعتبر سكانها مسلمين ولكن حكوماتهم تصر على العلمانية استجابة لمحركى سياستها من اليهود والأمريكان والغربيين عمومًا.

● وهذه المغالطات تستهدف تشويه الإسلام أولاً، والمسلمين من بعد ذلك، حتى تحول بين المسلمين والتقدم العلمى، أو الاستقلال الاقتصادى أو السياسى أو الثقافى عن الغرب، لكى يبقى المسلمون هكذا فى تلك المصيدة التى وضعها لهم الغرب ليظلوا تابعين له داعمين لاقتصاده وثقافته ولغاته.

ومن العجيب أن بعض الدول فى العالمين العربى والإسلامى تلهث وراء هذه التبعية للغرب متصورة أن هذا سوف يحقق لها مكاسب من نوع ما، ذاهلة عن أن الحيوان المفترس لن يدع جزءاً من فريسته لغيره من الذئاب أو الكلاب.

● وقد اتخذت هذه المغالطات أسماء ومصطلحات وإن دلت على الجهل بالإسلام، فإن دلالتها على حقد من أطلقوا هذه المصطلحات على الإسلام والمسلمين أوضح.

● وأهم هذه المصطلحات بل الأصل الذى تفرعت عنه معظم هذه المغالطات، بل الأم التى

ولدت كل هذه المفتريات وفرخت جميع هذه التهم هى : « الأصولية » إذ تحتها الأفاعى والشرور.

- وكلمة الأصولية مصطلح معاصر نسبيًا – حتى عند الغرب – كثرت حوله التعريفات من عدد لا بأس به من الباحثين وأصحاب القواميس وكبار المفكرين، وعلى الرغم من كثره التعريفات لهذا المصطلح، فإن تحديده، وتوضيح أبعاده يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة حتى اليوم.

غير أن الجانب الذى يعنينا هنا هو إقحام هذا المصطلح على الإسلام والإسلاميين والجماعات الإسلامية المعاصرة لأن ذلك هوالذى امتلأ بالمغالطة والتضليل المتعمد، بوصفه مصدرًا لكل المصطلحات المغالطة المضللة.

- فلا علينا من بأس فى أن يطلق مصطلح الأصولية فى الثقافة الغربية ليدل على الجمود والتعصب والمعارضة لكل تقدم وتطور، يوصف به الكاثوليك الذين يرفضون التكيف مع ظروف الحياة الحديثة، كما جاء ذلك فى معجم « لاروس » الكبير طبعة ١٩٨٤م.

- ولا علينا مما تحدث به « جارودى » المفكر الفرنسى الذى دخل الإسلام عن اقتناع ودراسة، واختيار حر، حيث رأى أن الأصولية فى الثقافة الغربية تعنى أمورًا هى :

– الجمودية، أى رفض التكيف.

– والمعارضة لكل نمو وتطور.

– والعودة إلى الماضى « الرجعية ».

– والانتساب إلى التراث.

– والمحافظة على القديم والتقليدى.

– وعدم التسامح.

– والانغلاق والتحجر المذهبى.

– والتعصب والعناد، والتصلب.

كما يرى « جارودى » أن الأصوليات كلها : التكنوقراطية، والستالينية[1]، والمسيحية، واليهودية هى التى تشكل الخطر الأكبر على مستقبل الإنسانية كلها.

---

(١) نسبة إلى « ستالين » طاغوت الاتحاد السوفيتى السابق.

وباختصار؛ فإن الأصولية تعنى عند جارودى – وهو مفكر له وزنه عالميًا، وله جذوره الغربيه التى تمكنه من المعرفة الدقيقة بالغرب وثقافته ومصطلحاته – تعنى عنده عدم الحوار والإصرارعلى الرأى.

- ولا علينا من فهم اليهود للأصولية على أنها حركة إسرائيلية تستند إلى سلطة لا راد لها ولا لحكمها، وأنها تبرر العنف ضد العرب فى فلسطين لإجلائهم وطردهم،وتمارس العنف ضد جميع العرب لتتوسع على حساب الأوطان العربية.

وهذا يعنى عند اليهود تجاهل ألفى عام من تاريخهم اليهودى الربانى المتمسك بمبادئ الشريعة اليهودي، لكى تتوسع وتضطهد العرب والمسلمين ما وسعها.

- ولا علينا كذلك من أى تفسير غربى للأصولية، لأنه مسجل فى تاريخهم الثقافى، ولا سبيل ولا فائدة فى إنكاره ولا فى تحميله فوق ما يحتمل من دلالات.

- وإنما الذى يعنينا هو استعمال الغرب لمصطلح «الأصولية الإسلامية» – كما يقولون للدلالة على كل سلبية من سلبيات الكلمة فى الثقافة الغربية دينية وغير دينية وإلصاقها بالإسلام فالغرب بكل تأكيد متأثر فى إضماره الشر للإسلام والمسلمين بخلفيات تاريخية لم يستطع أن ينساها، وهى:

- الحروب الصليبية ودوافعها ومطامعه من ورائها.

- والعمل المستمر الدائب على استئصال المسلمين من الأندلس.

- والتعاون فيما بين دول الغرب على الإجهاز على الدولة العثمانية بوصفها رمزًا لنظام حكم إسلامى – وإن كانت فيه عيوبه –، وإصراره على تقسيم بلدان دولة الخلافة بين كبار دول الغرب.

- وإخضاع العالمين العربى والإسلامى لنظام استعمارى يقوم على أسوأ أنواع الاستغلال لخيرات هذه البلاد ومقدراتها.

من ذلك كله ينطلق الغرب فى كراهيته الإسلام ورغبته فى تشويهه.

- وعندما ننظر ونطالع وسائل الإعلام الغربية؛ كتبا وصحافة وإذاعة مسموعة أو مرئية وشبكات معلومات،نجد من هذه الوسائل إصرارًا على تعميق المفهوم المغالط لما يسمونه «المد الأصولى» يقصدون به المد الأصولى الإسلامى، ويحملونه من السلبيات ما يشوه

الإسلام والمسلمين، إذ يصفونه بأوصاف ذميمة ويتهمونه بالأباطيل كقولهم:

- الأصولية الإسلامية معادية للمدنية والحضارة والديموقراطية.
- والأصولية الإسلامية تقوم على التعصب والانغلاق الفكرى.
- والأصولية الإسلامية هى الجمود والرجعية والإيمان بالغيبيات وغير ذلك من الأوصاف التى يقصد بها الإساءة إلى كل ما هو إسلامى.

● ثم انتقلت وسائل الإعلام الغربية إلى تشويه كل حركة إسلامية بوصفها بأنها أصولية - بالمعنى الذى حددوه للأصولية الإسلامية من وجهة نظرهم - لشن الحرب عليها من كل جانب، حتى فى بلاد المسلمين!!!

● الأصوليون الإسلاميون عند الغرب هم الإرهابيون، ومختطفو الطائرات، والمغتالون للرؤساء والمسئولين،وأعداء الاستقرار، ومناهضو الديموقراطية العالمية، والعقبة فى طريق السلام العالمى، وأعداء السياسة الأمريكية فى النظام العالمى الجديد، وفى العولمة وفى التسويات السلمية للمشكلات، حيث تضع أمريكا التسوية التى تحقق مصالحها ومصالح إسرائيل ضد مصلحة الطرف الآخر فى التسوية.

والأصوليون الإسلاميون - من وجهة نظر الغرب- هم المقاومة للاحتلال الإسرائيلى لفلسطين، وهم أطفال الحجارة، وهم الرافضون للوجود الأمريكى المحتل لدول الخليج، المحتجون على القواعد العسكرية فى أرض العرب، وهم الرافضون لسيطرة أمريكا على كثير من البلدان الإسلامية اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا، واجتماعيًا وعسكريًا.

- **والخلاصة**: أن كل عمل ينتمى إلى مقاومة الظلم والجهاد فى سبيل رفعه عن المظلومين - وهو عمل مشروع على مستوى العالم كله - يريدون أن يشوهوه أمام الرأى العام العالمى، وأمام الرجل العادى فى الغرب، بل أمام الرجل العادى فى العالم الثالث نفسه، بمجرد أن يطلقوا عليه كلمة الأصولية وعلى من يمارسه أنه أصولى لكى يجرموه لصالحهم ولصالح إسرائيل.

● وقد أصبحت الدنيا كلها تعلم اليوم علم اليقين - أن أمريكا منحازة لإسرائيل ومعادية للعرب والمسلمين، وما بقى فى الدنيا أحد لا يعرف ذلك إلا حكام العالم الثالث وحكوماته!!!

● وبعض الغربيين أنفسهم يعترفون بذلك ويعلنونه، ولولا أن نطيل لذكرنا عدداً من هؤلاء

الغربيين الذين يسجلون على حكامهم وحكوماتهم هذا التحيز لإسرائيل وهذا العداء للعرب والمسلمين، ولكنى أكتفى ببعض الأمثلة:

- **«جون اسبوسيتو»**

تعرض هذا الكاتب بدقة وموضوعية للمنطق الغربى المتحامل على الإسلام والمسلمين، عندما قال:

«إن المعطيات والمسلَّمات العلمانية التى تتحكم فى نظمنا الأكاديمية ونظرتنا للحياة كانت عقبة رئيسة أمام فهمنا للسياسة الإسلامية، ومن ثم ساهمت فى تشكيل نظرتنا للتقليل من شأن الإسلام، وتصويره «بالأصولية»، والتقليل من شأن «الأصولية» وتصويرها بالتطرف الدينى.

- **«ديفيد أنابل» عميد كلية الصحافة بجامعة «بوسطن»:**

يقول: إن تغطية وسائل الإعلام الغربية والأمريكية للأحداث المرتبطة - على حد قوله - «بالأصولية» الإسلامية قد اتسمت بالتحيز الشديد والعاطفية مع بدء اعتقال الإسلاميين للأمريكيين «الديبلوماسيين» فى إيران «طهران» واحتجاز الرهائن فى لبنان».

- ومن خلال ما كتب هذان الكاتبان وغيرهما من المنصفين من الكتاب يتبين أن كلمة «الأصولية» أصبح استخدامها دارجًا بل مألوفًا على نحو غير دقيق، بل على نحو مغالط، وبخاصة عند يطلق على المسلمين، إذ هو منقول من المسيحية بالمعنى الشائع عند المسيحيين، وهو معنى مغاير تمامًا للأصولية عند المسلمين[1].

- ولقد صورت وسائل الإعلام الأمريكية التى يسيطر عليها اليهود الأمريكيون، أن كل تطرف أو عنف أو احتجاز للرهائن، أو نحو ذلك من الأعمال، بأنها أعمال قادمة من «العصور الوسطى» أو من العالم الإسلامى- من وجهة نظرهم - إذ يسمونها عصور الظلام.

وبناءً على هذه المغالطات - المقصودة غالبًا - سرى لدى الأمريكيين اعتقاد بأن معظم المسلمين أصوليون بكل ما تحمله الكلمة عندهم من سلبيات.

---

(١) كلة أصولى عند المسلمين تطلق على العلماء فى الفروع التالية:

- علم التوحيد أو علم الكلام أو أصول العقيدة.

- وعلم أصول التفسير، وعلم أصول الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم أصول النحو.

وأصبح استخدام الكلمة فى الغرب كله اليوم؛ بديلاً لكلمة «الإسلام» وهذا بدوره سهل للصحافة الغربية وسائر وسائل الإعلام استخدام كلمة «الأصولية» عند مهاجمة الإسلام والمسلمين - دون تصريح بمهاجمة الإسلام فى بعض الأحيان - حتى يظهر الإسلام والمسلمون بمظهر التطرف والتشدد والمغالاة والانغلاق ومعاداة التقدم، والإرهاب، وأصبحت كلمة «الأصولية» تطلق على كل حركة تناهض أى حكومة، وتهدد أى أمن - حتى لو كان أمن الأعداء والمحتلين للأرض - وتطلق على مدبرى الانقلابات، أو خاطفى الطائرات، أو محتجزى أى رهائن، مهما كان القائمون بهذه الأعمال بعيدين كل البعد عن الإسلام وأخلاق الإسلام.

وهدف وسائل الإعلام الغربية من وراء إطلاق هذه الكلمة واضح لكل ذى بصر فضلاً عن بصيرة، وهو أن ترسخ فى عقول الناس عموماً غربيين، وشرقيين، ومسلمين؛ أن الإرهاب جزء من الإسلام وعمل مشروع فى أحكامه وأخلاقه، والإسلام بعيد كل البعد عن الإرهاب والتطرف والتشدد بدليل عشرات النصوص الإسلامية(١).

● ومما يدعو للدهشة والتعجب أن وسائل الإعلام الغربية قد استطاعت أن تشيع هذا المفهوم المغالط «للأصولية الإسلامية» - كما يقولون - لدى بعض المسلمين، وبخاصة أصحاب الميول الغربية منهم، أو لدى أولئك الذين يرغبون أن ينسلخوا من جلودهم ليكونوا كالغربيين فى تفكيرهم، أو يكونوا موضع رضا الغرب؛ كما نلحظ ذلك على بعض حكومات العالم الإسلامى - مع بالغ الأسف - متناسين أن اليهود والنصارى لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم، وفى كل حين يلقن الغرب تركيا درساً قاسياً فى هذا المجال!!!

● والخلاصة أن الغرب يتعامل اليوم مع الحركات والتيارات السياسية الدينية فى العالم الإسلامى كله - ومع العرب منهم بوجه خاص - على نحو ما كان يتعامل مع الحركات الدينية الرجعية فى أوروبا، وهى حركات كانت مطبوعة بطابع التخلف والجمود ومقاومة التقدم، لأن هذه الحركات الدينية الغربية كانت غارقة فى التعصب والرجعية - كما وصفها الغربيون أنفسهم.

---

(١) لا مجال هنا لذكر هذه النصوص، ولكنا سوف نذكرها فى حينها فى هذا الكتاب إذا أذن الله تعالى.

• وبكل تأكيد، فإن أى حركة أو تيار يوصف بأنه إسلامى لا يمكن أن ينهج هذا النهج إذا كان أصحاب هذا التيار أو تلك الحركة يفهمون الإسلام ويلتزمون به قيمًا وأحكامًا وأخلاقًا؛ فليس فى الإسلام تعصب دينى شديد أو ضعيف، وإنما رائده العدل والإنصاف والموضوعية، وليس فى الإسلام؛ قيمه وأحكامه ما يجيز الإرهاب أو العنف، إذ هو يجعل قتل النفس التى حرم الله قتلها من أكبر الكبائر، بل من الموبقات – المهلكات – كما جاء ذلك فى النصوص الإسلامية.

وليس فى الإسلام ولا فى نظمه أو خططه مقاومة التقدم أو الانفتاح على العلم، لأن الإسلام فى جوهره دعوة إلى التقدم، وأمر بالعلم ونهى عن الجهل، وانفتاح على كل ما يجلب للناس مصلحة أو يدفع عنهم مضرة فى دينهم أو دنياهم.

والله تبارك وتعالى يثنى على الراسخين فى العلم ويصفهم بأنهم يعلمون التأويل، ويخبر عن العلماء بأنهم يخشون الله لأنهم يعرفون الله تعالى ويعرفون وظائفهم فى الحياة الدنيا.

• ومع ختام هذا المدخل نود أن نوضح موقف الإسلام من كلمات شاعت وذاعت ووصف بها الإسلام وهو منها برىء ومن هذه الكلمات:

– التطرف الإسلامى.

– والعنف الإسلامى.

– والإرهاب الإسلامى.

ووصف هذه الكلمات بأنها إسلامية مغالطة أيضًا، تدل على أن الواصف يجهل الإسلام جهلاً كاملاً، أو أنه يحقد على الإسلام ويريد أن يغالط ويضلل، فكل هذه الكلمات يرفضها الإسلام رفضًا مطلقًا، وينهى عنها فى كثير من النصوص الإسلامية، كما سنوضح ذلك من بعد.

أما تعبير: التطرف الإسلامى فهو مغالطة تنم عن جهل بالإسلام أو حقد عليه ورغبة فى تشويهه.

ولا يجوز لمن كان على علم أدنى علم بالإسلام أو بالتطرف، أن يصف التطرف بأنه إسلامى، لأن الإسلام حَرَّم التطرف، ورفضه تماما حتى لو كان فى العبادة أو فى عمل الخير.

● فالتطرف مجاوزة الاعتدال والتوسط، فى حين أن الدين الإسلامى الخاتم هو دين الاعتدال والتوسط، والأمة المسلمة أمة الوسط، ومع الوسطية والاعتدال يكون التيسير على الناس فيما يقولون وفيما يعملون، قال الله تعالى: ﴿ ... **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** .. ﴾ [البقرة: ١٨٥].

● والتطرف تشدد ومبالغة لبعده عن التوسط، وقد نهى النبى ﷺ عن التطرف والتشدد حتى لو كان ذلك فى العبادة، فقد روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبى ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

قال أحدهم: أما أنا فاصلى الليل أبداً،

وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر،

وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا... أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى».

وهذا الحديث الشريف ونظائره لتؤكد أمورا على درجة عالية من الأهمية، منها:

- رفض التطرف والتشدد والمبالغة، ولو كان ذلك فى العبادة التى يتقرب بها الناس إلى الله تعالى.

- وبيان أن الإسلام دين الاعتدال والتوسط والتيسير على الناس فى كل شىء حتى فى العبادة لله؛ التى خلق الناس من أجلها، وللمسلمين فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدكان ﷺ لا يخير فى أمور إلا اختار أيسرها كما روت ذلك أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.

- وبيان أن من خرج على حد الاعتدال والوسط، واختار التطرف والمشقة والعسر، فقد خرج على سنة النبى ﷺ.

● وأما تعبير: العنف الإسلامى، فهو مغالطة أيضًا تدل على جهل من يستعمله بالإسلام أو حقده عليه ورغبته فى تشويهه.

● والعنف: الشدة والقسوة وضده الرفق واللين، وقد نهى الإسلام عن العنف وأمر بالرفق، فقد قال الله تعالى: ﴿ ... **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

– وقال جل شانه: ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت: ٣٤].

– وروى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله».

– وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف،ومالا يعطى على سواه».

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

هذا هو الحق فى موضوع العنف، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟

● وأما تعبير: الإرهاب الإسلامى فهو مغالطة لها نفس الدلالة التى اتضحت لنا من إطلاق تعبير التطرف والعنف.

● والإرهاب: التخويف والتفزيع والترويع، والإرهابى من يلجأ إلى ذلك فى التعامل مع الناس.

– والإرهاب فى الإسلام لا يجوز إلا مع العدو – عدو الله وعدو الإسلام والمسلمين، وغالبًا ما يكون ذلك فى الحرب والقتال فى سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ... ﴾ [الأنفال: ٦٠].

– ولا يجوز تخويف المسلم ولاترويعه حتى لو كان هذا الترويع من باب المزاح، فقد روى أحمد وأبو داود بسنديهما عن رجال قالوا: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً».

– وروى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُتعاطى السيف مسلولاً».

– وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه».

وبعد:

فتلك نماذج المغالطات التى أطلقها أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين بهدف تشويه الإسلام، وصرف الناس عنه، بل تخويفهم من الانتماء إليه، لينفض الناس عن منهج الإسلام ونظامه الذى يحمل سر قوة المسلمين وسبب تماسكهم، فيخلو الجو لأعداء الإسلام من اليهود ومؤيديهم من الغرب إلى الشرق، فيتصل ملك إسرائيل من الفرات إلى النيل كما تزعم يهود، وكما تحلم الصهيونية العالمية، وكما يؤيدها النظام العالمى الجديد، والعولمة، وهيئة الأمم المتحدة.

ولكن الله غالب على أمره وإن كان أكثر الناس لا يعلمون، ولا يؤمنون!!!

الباب الأول

الأسس التى تقوم عليها التربية السياسية الإسلامية

الأساس الأول : تربية الإنسان تربية تضبط سلوكه
والأساس الثانى : تربية الإنسان تربية تعرفه بحقوقه وواجباته
والأساس الثالث : تربية الإنسان على مبدأى التعاون والتكافل
والأساس الرابع : تربية الإنسان على مبدأ الشورى
والأساس الخامس : تربية الإنسان على مبدأى العدل والإحسان
والأساس السادس : تربية الإنسان على أن يدعو إلى الله
والأساس السابع : تربية الإنسان على الجهاد فى سبيل الله



الأسس التى تقوم عليها التربية السياسية الإسلامية

فى بداية حديثنا عن هذه الأسس نحب أن نؤكد أن التعريف بالإسلام بطرح قضاياه ومسائله فى عصرنا هذا قد أصبح الشغل الشاغل لعدد غير قليل من العلماء المخلصين الذين دانوا بالحق، ولم يذهلهم عنه ضراوة أعدائه وتنوع أسلحتهم، وقدرتهم على التضليل، فقام هؤلاء بالبحوث والدراسات الجادة التى تنصف الحق وتدل على قدم راسخة فى العلم لهؤلاء العلماء، وهذا من فضل الله تعالى، ومن أسباب حفظه سبحانه وتعالى لهذا الدين.

- هذا التعريف بالإسلام قد تجاوز كثيراً من الدعاوى الباطلة بل أوضح زيفها، ورد أصحابها على أعقابهم مهزومين موصوفين بالجهل بالإسلام أو الحقد عليه، وتلك الدعاوى التى تجاوزها البحث العلمى هى فى جملتها وتفصيلها مزاعم لا تستطيع الوقوف على قدمين مثل:

– زعمهم أن القرآن الكريم كلام بشر من الناس!

– وأن الإسلام دين لا دولة!

– وأنه دين جاء لأهل زمان معين، فلا يصلح لكل زمان!

– وأنه دين إقليمى محلى يناسب المكان الذى جاء فيه، ولا يناسب كل مكان!

– وأنه دين انتشر بالسيف والإكراه!

– وأن الحدود التى شرعها لدرء الجرائم وحشية وقاسية!

– وأن تحريم الخمر والميسر والزنا ونحوها من الجرائم، تدخُّل فى الحرية الشخصية للإنسان!

– وأن تحريم الربا تجاهل لأوليات الاستثمار!

– وأن الإسلام لم يعط المرأة حقوقها!

– وأنه دين عاجز عن مواكبة المتغيرات والمستحدثات.

- كل هذه المزاعم قد تجاوزها كثير من المثقفين وعرفوا وجه الحق والصواب فيها، من أبناء هذا العصر (الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجرى، مطلع القرن الحادى والعشرين الميلادى) بفضل الله تعالى وبجهود علماء الإسلام المخلصين.

● ولم يعد أحد من المثقفين اليوم يجهل ما تنطوى عليه مزاعم هؤلاء من زيف وضلال وتضليل، ولله الحمد والشكر على أن قيض للإسلام من علمائه من يبطل هذه المزاعم والمفتريات ويكشف عنها قناع الزور والبهتان.

تلك كلمة بين يدى الحديث عن الأسس التى تقوم عليها التربية الإسلامية السياسية، ولو تقدم بنا الزمان قرنا من الزمان أو نحوه لكنا بحاجة إلى أن نقيم الدليل على أن الإسلام دين ودولة، وأنه دين كل زمان ومكان.. إلى آخر ما يجب أن يرد به على تلك المزاعم، ولشغلنا ذلك عن الحديث عن الأسس التى قامت عليها التربية السياسية الإسلامية بعض الوقت.

فالحمد لله تعالى أولاً وثانيًا وثالثًا وما لا حصر له من الحمد والشكر والثناء.

● وفى إيجاز – سوف نفصله فى هذا الباب الأول من الكتاب – نقول:

إن الأسس التى قامت عليها التربية السياسية الإسلامية كثيرة، غير أن الذى يعنينا بيانه فى هذا الكتاب سبعة أسس اتضحت لى واتضح أنها الأهم والأولى بالتقدم على سواها؛ وذلك من خلال ما عانيت من البحث والتنقيب فى مصدرى الإسلام الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والقراءة لسيل زاخر من الكتب الإسلامية فى التربية وفى السياسة، وفى الدعوة إلى الله، والحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق.

● وهذه الأسس أو الدعائم السبع متشابكة مترابطة متكاملة لا يستغنى بعضها عن بعض، ولا يمكن تجاهل شيء منها أو تقليل أهميته.

وهذه الأسس قد كتب فيها من البحوث والدراسات ما جعلها أقرب إلى القارئ المسلم من حبل وريده، إذ بفضل الله وتوفيقه وتكفله بحفظ الإسلام قد قيض له فى هذا العصر من يكتبون عنه بصدق وإخلاص وتجرد وموضوعية وعلم راسخ مما يسر على المسلمين معرفة وجه الحق والصواب فى كثير من قضايا الإسلام ومسائله، ومعرفة كثير من الردود العلمية على كثير من المفتريات والأباطيل التى تثار حول الإسلام.

● وكان من فضل الله تعالى وتوفيقه أن يسَّر لى الإسهام فى التعريف بالإسلام وطرح قضاياه ومسائله ورد الشبهات عنه فى أكثر من أربعين كتابًا، جاءت فى سلاسل، هى:

سلسلة «التربية فى القرآن الكريم»[1].

وسلسلة فى «فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا[2].

وسلسلة: «مفردات التربية الإسلامية»[3].

ومجموعة كتبنا فى الفكر الإسلامى وقضاياه[4].

ومجموعة كتبنا عن فقه الدعوة إلى الله[5].

ومجموعة كتبنا عن التربية الإسلامية[6].

وفى كتابينا عن جمال الدين الأفغانى ومصطفى صادق الرافعى[7].

فى كل تلك الكتب وهى عصارة تجربة الأعوام السبعين التى أمضيت منها أكثر من خمسين عامًا، لاهم لى إلا الكتابة فى هذه القضايا.

● وفى كتب من سبقونا بالعلم والفضل والإخلاص من علماء هذا العصر، وفى سيرهم غناء أى غناء لمن أراد أن يعرف عن الإسلام مسائله وقضاياه وأوليائه وأعدائه، ومن هؤلاء:

– جمال الدين الأفغانى.

– والإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية.

– وعبدالرحمن الكواكبى

– والسيدمحمد رشيد رضا

---

(١) سلسلة فى سبعة كتب أوضح كل منها معالم التربية الإسلامية فى سورة من سور قرآنية سبع هى: المائدة،والنور، وآل عمران، والأنفال، والأحزاب، والنساء، والتوبة.
وقد صدرت كلها والحمد لله – ونشرتها دار التوزيع والنشر الإسلامية فى القاهرة فى السنوات من سنة ١٤١٤هـ – ١٤٢٠ هـ.

(٢) سلسلة صدرت فى عشرة كتب عن دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٣) سلسلة فى عشرة كتب صدر منها أربعة كتب وهذا الكتاب هو الخامس منها عن دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٤) مجموعة من الكتب عددها ثمانية كتب لدور نشر متعددة.

(٥) مجموعة من الكتب عددها سبعة كتب لدور نشر متعددة.

(٦) مجموعة من الكتب عددها ثلاثة كتب لدور نشر متعددة.

(٧) حلقتان عن الأدب الإسلامى إحداهما عن جمال الدين الأفغانى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه والأخرى عن مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه.

– والشيخ محمد الخضرى حسين شيخ الأزهر السابق.

– والشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر السابق.

– والشيخ أبو الأعلى المودودى.

– والشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى.

– والشيخ الطاهر بن عاشور.

– والإمام الشهيد حسن البنا.

– ومحب الدين الخطيب.

– ومالك بن نبى.

– والشهيد سيد قطب.

– والدكتور محمد البهى وزير الأوقاف السابق بمصر.

– والشيخ محمد أبو زهرة.

– وسعيد النورسى.

– والفضيل المورتلاتى.

– وسعيد حوى

– ومحمد محمود الصواف.

– والشيخ محمد الغزالى.

– والشيخ محمد متولى الشعراوى.

وهؤلاء من الراحلين وما قصدت حصر عددهم وإنما الإشارة والتمثيل فقط، وإلا فهم أكثر من هؤلاء بكثير.

وأما الذين لا يزالون على قيد الحياة من أولئك الأعلام المنافحين عن الإسلام، فهم بفضل الله أكثر عدداً وأغزر إنتاجاً، نسأل الله تعالى أن ينفع بهم وبعلمهم إنه سميع مجيب.

● ونعود إلى الأسس السبعة التى تقوم عليها التربية السياسية الإسلامية لنشير إليها فى إجمال وإحصاء وهى:

١- تربية الإنسان المسلم تربية تضبط سلوكه .

٢- وتربيته تربية تعرفه بحقوقه وواجباته .

٣- وتربيته على الالتزام بمبدأى التعاون والتكافل .

٤- وتربيته على الالتزام بمبدأ الشورى .

٥- وتربيته على الالتزام بمبدأى العدل والإحسان .

٦- وتربيته على الالتزام بممارسة الدعوة إلى الله .

٧- وتربيته على الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا .

هذه الأسس هى ما نرجو أن نوضح أبعادها فى الباب الأول من هذا الكتاب، والله المستعان .



الأساس الأول

تربية الإنسان تربية تضبط سلوكه



تربية الإنسان تربية تضبط سلوكه فى الحياة الدنيا، هو أهم هذه الأسس، وأكثرها فاعلية وإيجابية فى الحياة الاجتماعية فالإنسان وحدة المجتمع، واللبنة الأولى فى بنائه، ومن أجله خلق الله السموات والأرض وسخر ما فيهما له، وإذا صلح الإنسان صلح المجتمع، وما يصلح الإنسان إلا بانضباط سلوكه فى تعامله مع الناس والمواقف والأشياء.

- وجميع الفلسفات قديمها ووسيطها وحديثها، حاولت ما وسعها أن تضع الأطر والأسس التى تضبط بها سلوك الإنسان، ولكنها نجحت حينا وفشلت أحياناً.
- وجميع المذاهب التربوية؛ نظرياتها ومدارسها وأهدافها ووسائلها حاولت وضع النظم التى تضبط سلوك الإنسان ليستقيم على جادة الحق والخير وحسن التعامل مع الناس والأحداث، ولكنها كذلك نجحت حينا وفشلت أحياناً.

– وعند فشل الفلسفات فى ضبط سلوك الإنسان من خلال أسسها وقيمها، فإنها تثبت أنها هرطقة[١] أكثر منها فلسفة[٢].

– وعندما تفشل المذاهب التربوية ونظرياتها فى ضبط سلوك الإنسان فإنها تثبت عقمها وعجزها، وتنم عن قصور فى نظرياتها.

- وجميع المحاولات التى مارستها الفلسفات والمذاهب التربوية قامت معظمها على ضبط سلوك الإنسان وفق معيار المنفعة أو بمعيار ما يتحقق من لذة، أو بمعيار تكوين المواطن الصالح لا الإنسان الصالح؛ وكل هذه المحاولات باءت بالفشل، وأدخلت الناس فى صراعات من أجل تضارب المنافع واللذات، واختلاف الأوطان، لا فرق فى ذلك بين فلسفات غربية أو شرقية ولا بين مذاهب تربوية منتمية إلى الغرب أو الشرق.

وظل ضبط سلوك الإنسان على نحو معين يحقق مصالحه ولا يتجاهل مصالح غيره، وبصورة تمكنه من الانتفاع بما يلذ له من المتع دون الإضرار بحق غيره فى هذا الاستمتاع، ظل هذا الضبط لسلوك الإنسان هدفًا للمفكرين والمصلحين،ولا يزال حتى اليوم هدفًا لكل مهتم بالإصلاح فى أى مجتمع.

---

(١) الهرطقة هى: الجدل العقيم الذى لا يستهدف إظهار الحق.

(٢) الفلسفة هى: دراسة المبادئ الأولى، وتفسير المعرفة تفسيرًا عقليًا وكانت تشمل جميع العلوم، ولكنها اقتصرت فى هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال، وما وراء الطبيعة.

● وكل محاولة لضبط سلوك الإنسان تلتمس فى غير شرع الله تعالى ومنهجه الذى جاء لإصلاح البشرية، فقد باءت بالفشل على مرور تاريخ الإنسانية، ومع هذا الفشل اصطلى الناس بنيران الصراعات والحروب المدمرة بسبب العجز عن ضبط سلوك الإنسان.

● ومن أجل صالح الإنسان فى معاشه ومعاده، جاءت التربية الإسلامية السياسية لتجعل ضبط سلوك الإنسان أساسًا مكينا من أسس التربية السياسية.

واتخذت التربية السياسية الإسلامية للإنسان طريقين:

أحدهما: تفريغ ما فى داخل الإنسان من شر أو رغبة فيه، وإبعاده عن وسوسة شياطين الجن والإنس بالشر.

والآخر: ملء عقل الإنسان ونفسه بالخير وحبه، وتقديمه للناس، وتأكيد أن هذا يرضى الله تعالى فيثيب عليه.

● وليس خافيًا على المثقفين عمومًا ما للسياسة من أثر فى ضبط سلوك الإنسان، وما لضبط سلوك الإنسان من أثر فى السياسة، فهذه العلاقة الوثيقة بين السياسة وانضباط السلوك تكاد تجعل كلا منهما سببًا فى الآخر أو مكملاً له؛ فالسياسة بمعنى القيادة والتوجيه والرعاية، أو بمعنى وضع الخطة والوسائل للوصول إلى الهدف، أو بمعنى التدبير وحسن الرعاية، تفضى بكل معنى من معانيها إلى ضبط سلوك الإنسان، وضبط السلوك يعين على تحقيق أهداف السياسة.

● ومن أجل هذه العلاقة الوثيقة اتخذت التربية السياسية الإسلامية لضبط سلوك الإنسان معايير ثلاثة هى:

- الالتزام فى السلوك بالحلال ليمارس وبالحرام ليجتنب.
- والالتزام بممارسة الأمر بكل معروف لكل أحد.
- والالتزام بالنهى عن كل منكر لكل أحد.

فهذه المعايير هى المعايير الشرعية الدقيقة التى يقاس بها انضباط سلوك الإنسان فى تعامله مع ربه ومع نفسه ومع الناس والمواقف والأشياء، وهى بالتالى معايير يعرف منها مدى نجاح السياسة الإسلامية فى التربية.

ولنلق ضوءًا مناسبًا على تلك المعايير.

أ- الالتزام بالحلال ليُمارس وبالحرام ليجتُنب

الحلال هو ما أحله الله الخالق الذى يعلم ما يصلح الإنسان، والحرام هو ما حرمه الله الخالق الذى يعلم ما يفسد الإنسان، روى الترمذى بسنده عن سلمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحلال ما أحل الله فى كتابه، والحرام ما حرم الله فى كتابه، وما سكت عنه فهو عفو عفا الله عنه».

● وليس الحلال هو ما أحله الإنسان لنفسه، أو أحله له نظام بشرى تواضع عليه الناس، لأن الناس ونظمهم ونظرياتهم وما يشرعون لا يمكنهم أن يصلوا فى هذا المجال إلى شىء ذى قيمة؛ لأنه مجال يحتاج إلى علم واسع شامل يحيط بالماضى والحاضر والمستقبل، وليس ذلك إلا لله تعالى، وكل ما يقوم به الناس اليوم من دراسة لتوقعات المستقبل لا تعدو أن تكون احتمالاً، ولا يمكن أن تكون قطعًا بما سيكون عليه المستقبل.

وكذلك الشأن فى التحريم لا يكون ذلك إلا لله وحده، ولما أنزل على رسله من كتب ومناهج.

فإذا تقرر هذا عقلاً وشرعًا، فإن الإنسان الذى يمارس الحلال ويمتنع عن الحرام إنسان ملتزم بشرع الله ومنهجه، ومن كان كذلك فهو بكل تأكيد منضبط السلوك.

ومع انضباط السلوك يبدو صلاح أمر الإنسان وقدرته على التعامل الحسن مع كل من يتعامل معه، وهنا يتأكد نجاح السياسة التربوية التى جاء بها الإسلام لإصلاح الإنسان.

● وعندما ترتقى تربية الإنسان السياسية الإسلامية، فإنه يجد فى نفسه رغبة فى العزوف عن ممارسة بعض الحلال تنزها، وتهذيبًا لنفسه وتربية لها، وقد قال أسلافنا من العلماء: إن من معانى التقوى: «أن تدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس» وقد روى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «المؤمن يأكل فى معًى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء».

وروى أحمد بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات – وفى رواية: أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

فهذان الحديثان الشريفان وأمثالهما دعوة إلى التنزه عن الإكثار من الطعام – وهو حلال– ودعوة إلى القصد والاعتدال فى تناوله حتى يتعود الإنسان توجيه شهواته والسيطرة عليها.

● وعندما ترتقى التربية السياسية الإسلامية للإنسان فإنه يجتنب الحرام، بل يجتنب مظان الحرام كلها تنزهًا وابتعادًا عن الشبهات خشية الوقوع فى الحرام.

روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن عمر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن سلمان رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله فى أرضه محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب».

● ولابد لنا من وقفة مع فقه هذا الحديث الشريف عسى الله أن ينفعنا به:

أولاً: معيار الحلال والحرام لا لبس فيه ولا غموض فكل منهما بين وتلك رحمة من الله تعالى بعباده المؤمنين.

ثانيًا: ما بين الحلال والحرام من أمور مشتبهة، يعلمها بعض الناس، ولا يعلمها كثير منهم، وعلاج هذه الأمور المشتبهة إنما يكون باتقاء الوقوع فيها، وتلك رحمة من الله بعباده أن علمهم كيف يتقون الشبهات.

ثالثًا: من لم يتق المشتبهات فوقع فيها فقد وقع فى الحرام، ومن وقع فى الحرام فقد خالف شرع الله ومنهجه واستحق عقابه، كذلك الراعى الذى رعى حول المحظور رعيه، فوقع فيه.

رابعًا: حِمَى الله تعالى فى أرضه وما عليها من ناس ومخلوقات هو ما حرم عليهم من قول أو صمت ومن فعل أو ترك.

خامسًا: قلب الإنسان أو عقله – أى إرادته – هو الذى يحول بينه وبين ما حرم الله، فإذا صلح القلب صلح الجسد، وإذا فسد القلب فسد الجسد، ولا يصلح القلب مثل العبادة والدعاء، وتطهره من الغل والحسد والكراهية.

● وذلك فى مجموعه ضبط سلوك الإنسان حتى يتلاءم هذا السلوك مع ما أحل الله وما حرم، ولينضبط مع منهج الله تعالى ونظامه.

● وانضباط السلوك يجب أن يكون التزامًا بالعقيدة الصحيحة، والعبادة السليمة والخلق القويم، وذلك فى مجموعة هو التربية السياسية الإسلامية فى المجتمع الإنسانى.

– وإذا حدث هذا الالتزام أقبل الإنسان على الخير يرغبه لنفسه وللناس كما أمره الله بذلك، وامتنع عن الشر الذى يسىء به إلى نفسه وإلى الناس، كما نهاه ربه عن ذلك، فجاءت حياته الدنيا سعيدة راضية مرضية، وحسبه من الخير أن يفعله ويتواصى به، وحسبه بعداً عن الشر أن ينتهى عنه ويتواصى مع غيره بالانتهاء عنه.

– إن المجتمع الذى يفشو فيه الخير وينحسم فيه الشر هو المجتمع الآمن الذى لا يضيع فيه حق لصاحب حق، ولا يظلم فيه أحد ولا يفزع أو يروع أو يعيش خائفًا يترقب.

● إن التربية الإسلامية السياسية هى التى أوصلت المجتمع إلى هذا الأمن والاطمئنان على حين فشلت فى الوصول إلى ذلك سائر الفلسفات والنظريات والمذاهب والمدارس التربوية.

● ولابد أن نسجل هنا أنه منذ الحديث عن المدينة الفاضلة «اليوتوبيا» قديمًا، وعلى كرور الأيام والسنين وعصور الفلسفات العديدة، والنظريات السياسية والاجتماعية والأخلاقية، وحتى يومنا هذا فى مطلع القرن الحادى والعشرين لم تستطع فلسفة ولا نظرية ولا مذهب ولا أحد من المصلحين أن يأتى بمعيار فى ضبط سلوك الإنسان كمعيار الحلال والحرام.

والحلال هو ما أحله الله أو أباحه أى خيَّر الإنسان بين فعله وتركه، والحرام الذى منع الله إتيانه أو الاقتراب منه، بل كان من رحمته تعالى بعباده أن جعل اجتناب الحرام مكفر لبعض السيئات كما يفهم ذلك من قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء: ٣١].

ب- والالتزام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

من علامات ضبط سلوك الإنسان فى التربية السياسية الإسلامية، أن يلتزم الإنسان بأن يأمر بكل معروف كل أحد، وفق ما تقتضيه شروط الأمر بالمعروف وآدابه، وأن يلتزم بأن ينهى عن كل منكر كل أحد، وفق ما تقتضيه شروط النهى عن المنكر وآدابه.

● والأصل الشرعى الذى يلزم بعض المسلمين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤].

– فهذه الآية الكريمة توجب على طائفة من المسلمين أن يتفرغوا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا هو الحد الأدنى للاستجابة لما تامر به الآية الكريمة، وأما الحد الأعلى للاستجابة لما تامر به فهو أن يكون كل مسلم قادر آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر، كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية الشريفة التى سنذكر طرفًا منها بعد قليل.

● وأصل آخر من القرآن الكريم أيضًا وهو قوله الله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ [الحج: ٤١].

– وهذه الآية الكريمة توضح أن تمكين الله للمؤمنين ولدينهم فى الأرض لا يأتى عفواً أو دون متطلبات، وإنما يحدث التمكين عندما يكون المؤمنون ملتزمين بأمور ذكرتها هذه الآية الكريمة تعد على أعلى درجة من الأهمية فى بناء المجتمع المسلم وتربية الإنسان المسلم وتلك الأمور هى:

● إقامة الصلاة التى هى عماد الدين وعموده، وأكثر الفرائض قدرة على ضبط سلوك الإنسان، لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

● وإيتاء الزكاة المفروضة التى شرعت لدفع الحاجة عن المحتاجين وليكون فى أدائها تربية للمسلم بإلزامه بواجبه نحو أصحاب الحاجة وفى ذلك تامين للمجتمع كله، وفى هذا ضبط لسلوك الفرد اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا.

● والأمر بالمعروف، وهو فى جوهره اهتمام بالمسلمين ورعاية لما فيه صالحهم، وفى شكله وممارسته جلب للمنافع وإشاعة الخير فى المجتمع كله.

● والنهى عن المنكر، وهو فى حقيقته وهدفه منع للناس من ممارسة الشرور والآثام، وفى شكله وممارسته حصار للشر، ودفع للمضار التى يمكن أن تقع بالمجتمع.

فالمجتمع المسلم الذى انضبط سلوك أفراده بالصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو المجتمع الجدير بأن يمكن الله له فى الأرض.

وليس معنى الآية أن الله تعالى يمكنهم أولاً، ثم يقومون بهذه الأعمال بعد التمكين – كما قد يفهم بعض الناس – لأن التمكين عندئذ لا يصادف أهله ومستحقيه، فالالتزام بهذه الأمورالأربع أولاً، ثم يأتى التمكين بفضل الله نتيجة لهذا الالتزام.

● **ولا يستطيع المسلمون أن يجحدوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهم مسلمون وإنما تزول عنهم صفة الإيمان والإسلام**، كما زالت عن بنى إسرائيل بمعصيتهم وتركهم التناهى عن المنكر، كما أخبر بذلك القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾ [المائدة: ٧٨].

● وأما الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤصل بها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فكثيرة نذكر منها:

– ما رواه أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون – وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس، فقال: لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً».

– وما رواه أبو داود بسنده عن جرير رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون فى قوم، يُعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا».

– وما رواه مسلم بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكر منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

– وما رواه أحمد بسنده عن عدى بن عميرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه، فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة».

● والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من صميم ما يجب أن يربى عليه المسلم إذ هو من فروض الكفاية – من الناحية الفقهية – ومن أقوى الأسباب فى إصلاح الحياة الإنسانية– من الناحية السياسية – ومن أقوى العوامل فى أمن المجتمع كله – من الناحية الاجتماعية.

● ولأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكرمن أبرز إيجابيات الحركة الإسلامية، وجدت من اللازم أن أشير فى توضيح هذه الإيجابية إلى ثلاث نقاط هى:

الأولى: تأكيد أن تربية المسلم على فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، يطبعه بطابع

الإيجابية فى ممارسة حياته كلها، ويخلصه تمامًا من روح السلبية وعدم المبالاة التى تدمر الإصلاح والتجديدوالإحياء والتقدم والعلم والإيمان نفسه.

فالإيجابية تعنى أنه يشارك فى كل عمليات الإصلاح، ولا يكتفى بأن يكون متفرجًا على الأحداث لا يعنيه من أمر الناس ولا من أمر المجتمع، فقد روى معظم علماء السنة بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» وتلك هى رواية مسلم رحمه الله.

– وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

● والسلبية وعدم المبالاة أن يجد المسلم خللاً أو عيبًا ثم يسكت عن محاولة إصلاحه والنهى عنه.

–روى البخارى بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم؛ فقالوا: لو أنَّا خرقنا من نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا».

وتلك هى الإيجابية والابتعاد عن السلبية وعدم المبالاة.

والنقطة الثانية: أن تربية الإنسان على فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، يُكثر عدد الصالحين الخيرين فى المجتمع، وإذا كثر هؤلاء قل عدد الفاسدين والأشرار؛ وذلك أن كل من أمر بالمعروف فاستجاب سوف يتحول إلى آمر بالمعروف، وكلما استجاب مأمور تحول إلى آمر؛ لأن ذلك أصبح واجبه، وهكذا تتسع دائرة الخيرين، وذلك من بركة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

● وكذلك النهى عن المنكر يؤدى إلى قلة عدد الأشرار والساعين فى الأرض فسادًا، لأن كل من نهى عن منكر فانتهى سوف يتحول إلى ناهٍ عن المنكر، وهكذا يقل عدد الأشرار وينحسم الشر من المجتمع المسلم.

وفى كثرة عدد الخيرين، وقلة عدد أهل الشر والفساد يعيش الناس فى المجتمع آمنين مطمئنين، لأن معظمهم من أهل الخير، وقليلاً منهم من أهل الشر.

وتلك بركة أخرى من بركات الالتزام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والثالثة: أن تربية المسلم على فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تثرى الدعوة إلى الله، حين يؤدى إلى ازدياد المقبلين على الدخول فى الإسلام ممن توجه إليهم الدعوة إلى الله أو يتحرك إليهم المسلمون فى بلادهم مهما كانت نائية، وهؤلاء يدخلون فى الإسلام حين يفكرون فى شأن هذا الدين الذى يأمر بالمعروف كل أحد وينهى عن المنكر كل أحد.

● إن التربية السياسية الإسلامية فى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستطيع أن تجعل المسلمين منتصرين فى كل معركة، معركة فتح قلوب الناس وعقولهم على الخير، ومعركة حصر الشر وأهله فى أضيق نطاق.

الأساس الثاني

تربية الإنسان تربية تعرفه بحقوقه وواجباته

تربية الإنسان تربية تعرفه بحقوقه فى الحياة وواجباتها فيها أساس ركين من أسس التربية السياسية الإسلامية للإنسان.

والحقوق والواجبات فى عمومها مرتبطة بأهلية الإنسان ورشده، وأهلية الإنسان - فى مجالنا هذا - هى أن يكون الإنسان صالحًا لأن يلتزم بحقوق الآخرين نحوه، فيؤديها على أنها واجبات، وصالحًا لأن تثبت له حقوق إزاء غيره.

- فالأهلية ذات شقين:

أحدهما: أهلية الوجوب:

أى أهليته لأن تثبت له حقوق، وأن تثبت عليه حقوق، وهذه الأهلية مرتبطة بكونه إنسانًا، فحسب.

والآخر: أهلية الأداء:

أى أهليته لأن ينشيء التزامات على نفسه، وتصرفات تجعل له حقوقًا قبل غيره.

وهذه الأهلية مرتبطة بأن يكون إنسانًا مميزًا موضعًا للتكليف الشرعى وهذا يقتضى البلوغ والعقل والإسلام.

- ولا تزول أهلية الوجوب ما دام الإنسان حيًا - حتى لو كان جنينا فإن له أهلية وإن كانت ناقصة نسبيًا - سواء أكان صبياً أو مجنونًا أو غير رشيد.

وبعض الفقهاء يرون أن تستمر أهلية الوجوب حتى بعد موته إلى أن تؤدى عنه ديونه وتنفذ وصاياه.

- أما أهلية الأداء فتزول بالعوارض سواء أكانت العوارض سماوية كالجنون والعته والنسيان والنوم والإغماء، أم كانت عارضة بسبب فعل الإنسان، كالسفه والجهل والسكر والخطأ أو أحدثها بها غيره كالإكراه.

- وفقه الحقوق والواجبات بالنسبة للإنسان هو ذروة السنام فى التربية السياسية، إذ لا تخرج التربية السياسية بكل أهدافها وبكل مفرداتها عن أن تكون تبصيرًا للناس بحقوقهم وواجباتهم.

والحقوق والواجبات متلازمان وهما كوجهى العملة الواحدة، ومن خلال ممارسة الحقوق وأداء الواجبات تكون الحياة الإنسانية أكثر كرامة وتكريمًا للإنسان.

وما يصاب مجتمع بتراجع أو تخلف فى مجال السياسة أو الاقتصاد أو الثقافة والفكر إلا ويكون من بين أسباب التراجع تقصير فى أداء الواجبات وقصور فى ممارسة الحقوق.

– وإن الطغاة والبغاة فى تاريخ الإنسانية إنما طغوا وبغوا، لأنهم لم يجدوا من يدافعون عن حقوقهم، فهضم الطغاة هذه الحقوق، وحالوا بين الناس وحقوقهم من خلال منافقى الطغاة والمنتفعين بهم ومن خلال آلة إعلامية رهيبة فى عصرنا هذا، تستطيع بما أوتيت من وسائل أن تدافع عن باطل الطغاة فتصوره على أنه حق وصواب!!!

– وفى العالم الثالث – المنكوب باستغلال العالمين الأول والثانى لكل خيراته – والمصاب بحكام طغاة لهم من إعلامهم طاغوتا يساند طاغوتا، فما تسمع أو تشاهد أو تقرأ فى العالم الثالث إلا تمجيداً للحاكم ومن حوله وتبريراً لكل أعماله وسياسته، بحيث لا تستطيع وسيلة إعلامية أن تشذ عن ذلك، فإن شذت ففى النار أو فى السجون والمعتقلات وما فيها من تعذيب وإهدار لكرامة الإنسان، ومن لم يسجن أو يعتقل ضيق عليه فى سفره وإقامته وسكونه وحركته حتى يسبح بحمد الطاغية راكعاً ساجداً لكى يعيش.

– ومن كان فى شك مما أقول فليسأل عن سجل عبد الناصر فى مصر وسجل صدام فى العراق، وسجل معظم حكام العالم الثالث البائس المريض الفقير الجاهل المنكوب بحكامه وأنظمة حكمه.

● ولهذا ولغيره من الأسباب كانت التربية السياسية هى زورق النجاة للذين يجهلون حقوقهم وواجباتهم، أو للذين يحرمون من حقوقهم وهم يعرفونها.

– ومن أجل أن الإسلام حرب على كل طاغوت وكل ظالم وكل مستبد فإنه جعل السياسة فى منهجه تقوم على أساس راسخ من وجوب تبصير الناس بحقوقهم وواجباتهم، وكانت التربية السياسية من أهم مفردات التربية الإسلامية.

– ولا يقبل الإسلام من مسلم أن يمارس حقوقه، وأن يمتنع عن أداء واجباته، وإنما هذا قرين ذاك، وكل حق لابد أن يقابله واجب، بل إن الإسلام يجعل التفريط فى أداء الواجب جرماً يعاقب عليه فى الدنيا وفى الآخرة، بينما يقبل من أحد المسلمين أن يتنازل بإرادته عن بعض حقوقه لمصلحة عامة أو خاصة، بل يسمى ذلك التنازل إحساناً يثاب عليه فاعله.

وتلك هى التربية الصحيحة التى يساس بها المجتمع ويقوم عليها بناء مجتمع مطمئن آمن عادل منتج.

ونحاول فى الصفحات التالية أن نعرف هذه الحقوق وتلك الواجبات.

أ- حقوق الإنسان وأنواعها عمومًا

الحقوق جمع حق، والحق له في لغتنا وتراثنا معان أربعة :

الأول: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال : فعل الله كله حق .

والثاني: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى هو الحق .

والثالث : يقال في الاعتقاد للشيء المطلق لما هو عليه ذلك الشيء في نفسه .

والرابع : يقال للعقل والقول، بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب .

- وإحقاق الحق على ضربين :

أحدهما : بإظهار الأدلة والآيات .

والآخر : بإكمال الشريعة وبثها في الكافة، كقوله تبارك وتعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [التوبه : ٣٣] .

- وفي الدراسات الاجتماعية الحديثة : الحقوق هي المصالح والحريات التي يتوقعها الفرد أو الجماعة في المجتمع بما يتفق مع معايير هذا المجتمع أي المزايا التي يشعر الفرد أو الجماعة أن من حقهم أن يحصلوا عليها من المجتمع .

- وفي الدراسات القانونية : الحق سلطة يخولها القانون لشخص لتمكينه من القيام بأعمال معينة تحقيقًا لمصلحة له يعترف بها القانون، وينقسم الحق في القانون إلى نوعين :

– حق طبيعي : وهو اللازم عن طبيعة الإنسان من حيث هو إنسان .

– وحق وضعي : وهو الذي تقرره القوانين المكتوبة والعادات المقررة .

- والحقوق ينظر إليها من نواح عديدة فتختلف في كل ناحية عنها في الناحية الأخرى .

– فمن الناحية الاجتماعية : الحقوق هي حقوق المواطنين جميعًا في التعليم، والرعاية الصحية، والعمل، والتأمينات الاجتماعية ضد العجز والشيخوخة والبطالة، وتحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة .

– ومن الناحية الفلسفية : الحقوق هي اصطلاح قانوني يعني السلطة أو القدرة التي

يقررها القانون لشخص ما، ويكون له بمقتضاها ميزة القيام بعمل معين، وأهم ما يميز هذه الحقوق أنها قدرة على عمل شيء ما، والحماية القانونية التي تكفل احترام هذه القدرة وحمايتها في مواجهة الغير.

- ومن الناحية القانونية: الحقوق يقابلها واجبات يفرضها القانون على كل الأشخاص ويقسم القانونيون الحقوق إلى نوعين أيضًا، وهما:

● الحقوق السياسية: كحق الانتخاب والترشيح وتولي الوظائف العامة وحق الملكية، وحق التعبير، وحق التنقل، وغيرها.

● والحقوق الخاصة: وتشمل حقوق الأسرة التي تقررها قوانين الأحوال الشخصية، والحقوق المالية التي تقررها قواعد المعاملات.

- ومن الناحية التاريخية: جاء عن إعلان الحقوق أنه وثيقة سياسية تنص على حقوق الأفراد وحرياتهم، وتلتزم الدولة باحترامها.

وأقدم وثيقة من هذا النوع هي ما سميت «الماجنا كارتا» التي أصدرها الملك الإنجليزي «جون» سنة ١٢١٥م، وذلك بعد ما يقرب من ستمائة سنة بعد ظهور الإسلام.

ثم توالى إعلان حقوق الإنسان حتى كان آخرها ما أعلنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠/١٢/١٩٤٨م.

● ومهما قال القائلون عن حقوق الإنسان فلن يقولوا أكمل ولا أعدل مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن هذه الحقوق.

● ومهما ادعت هيئات أو دول أنها ترعى حقوق الإنسان بعد إقرارها واحترامها، فلن يستطيع مُدع أن يصل في تقرير هذه الحقوق ورعايتها واحترامها إلى ما وصل إليه المنهج الإسلامي، لأنه منهج من عند الله تعالى خالق الإنسان الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه، ولأن هذا المنهج هو خاتم المناهج وأتمها وأكملها.

● وهناك قضايا كبرى في حياة الإنسان أقرها الإسلام وعلى ضوئها قرر للإنسان حقوقا فيها، ومن هذه القضايا:

- قضية أصل الإنسان: فقد أقر الإسلام أن أصل الإنسان واحد - من ذكر وأنثى - مهما اختلفت الألوان وتعددت الأوطان، وتباينت الألسنة، فلا فضل لأحد من بني آدم على

أحد إلا بالتقوى والالتزام بأداء ما أوجب عليه خالقه نحو الخالق ونحو نفسه ونحو غيره من الناس.

● وهذا الأصل الواحد للإنسان الذى سوى بين أفراده، يقابله عند الفاشيين أو النازيين أن الإنسان صنفان:

سيد، ومسود، ولابد أن يكون المسود عبداً للسيد، أو خادمًا له، فأين حقوق المسود - وهو إنسان - كما للسيد حقوقٌ؟!!!

● ويقابله: عند أصحاب مذهب المادية التاريخية، إهدار الإنسان نفسه، فضلاً عن إهدار حقوقه، لأن أصحاب هذا المذهب يرون الإنسان مجرد عملة اقتصادية فى سوق التجارة والصناعة، وهذا الإنسان يخضع لمعايير العرض والطلب، فيصبح رخيصًا تافهًا إن زاد عدد المعروض منه، وقد يرتفع سعره إن قل المعروض، أو زاد عدد الطغاة الظالمين الذين يسخرونه!!!

● ويقابل ذلك عند اليهود أن الناس جميعًا صنفان:

يهودى متميز مخدوم لأنه من شعب الله المختار.

وغير يهودى خادم أو حمار ليركبه اليهودى ويستبيح ماله بالربا ويستبيح دمه وعرضه، كما تفضح ذلك كتبهم التراثية من جانب وسلوكهم مع كل من يتعامل معهم من جانب آخر.

- وقضية استخلاف الله تعالى للإنسان فى الأرض: فالله تعالى جعل الإنسان أى إنسان فى الأرض خليفة له، ينوب عنه تعالى فى تطبيق منهجه على نفسه وعلى الناس، ولهذا منحه الله العقل، وبالعقل جعله مكلفًا،وأعطاه حقوقًا يتساوى فيها مع غيره من الناس، وأوجب عليه من أجل العقل واجبات وجعله حرًا مختاراً يعمل عقله وإرادته فيختار الإيمان أو الكفر، ومن هنا يحمد الإنسان ويثاب على اختياره الإيمان ويذم ويعاقب على اختياره الكفر ما دام الله تعالى قد أنعم عليه بالعقل. ومن خلال تكليف الإنسان بالتكاليف الشرعية يصبح الإنسان مسئولاً عن عمله، كما يقرر ذلك القرآن الكريم: ﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ [الطور: ٢١].

- وقضية أن الإنسان لا يكون مسئولاً إلا بعد التبليغ بشرع الله ومنهجه ونظامه على يد واحد من رسله الكرام، وبعد علم الإنسان بهذا الشرع، وبعد عمله فى حدود وسعه

وطاقته، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] وجميع الرسل الذين كلفوا بالتبليغ كلفوا كذلك بالعمل، فهم جميعًا عليهم السلام أمة واحدة أمة الإنسانية.

● وأما موضوع الحقوق من ناحية السبق، فإن الإسلام جاء بهذه الحقوق كاملة شاملة من يوم أرسل له خاتم رسله عليهم السلام أى من قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، حيث لم يفق المجتمع الدولى المعاصر على أن للإنسان حقوقًا يجب أن تقر وترعى إلا عندما أصدر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى العاشر من ديسمبر سنة ١٩٤٨م.

– وقد تعهدت الدول الأعضاءفى هيئة الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان، والحريات الأساسية واحترامها، ولكن تعهد الكبار أو الأقوياء أو دول الغرب وأمريكا والاتحاد السوفيتى سابقًا والاتحاد الروسى الآن كان خداعًا وحبرًا على ورق، فما تنكر لحقوق الإنسان وأهدرها إلا تلك الدول الكبرى، الاتحاد السوفيتى السابق والاتحاد الروسى الآن وأمريكا وذيلها كندا، ودول الاتحاد الأوربى جميعًا، كل هؤلاء لهم فى إهدار حقوق الإنسان مواقف لا تنسى لبشاعتها وتنكرها للإنسان نفسه لا لحقوقه وحدها.

-- إن الولايات المتحدة الأمريكية قطب القوة اليوم تهدر الحقوق الأصلية للإنسان كحقه فى الحرية وحقه فى العمل وفى تقرير المصير، وتتصور حقوقًا للإنسان من جهة نظرها كحق الأنثى فى الإجهاض وفى الاتصال برجل دون زواج!!!

● وإن إسرائيل بدعم من أمريكا ودول الغرب تهدر حقوق الإنسان العربى فى أرضه إلى حد تكسير العظام أو الإبادة بقنابل «النابالم» ودفن العرب أحياءً، لما تملك من قوة فى السلاح توفرها لها الولايات المتحدة الأمريكية كما توفر لها كل أسباب الرواج الاقتصادى وأسباب السيطرة العسكرية على البلاد العربية جميعًا.

وبعد: فالحديث فى تنكر إسرائيل والغرب وأمريكا وروسيا ودول أوربا لحقوق الإنسان – على الرغم من توقيعهم على وثيقة حقوق الإنسان – هذا الحديث لا يعرف حدًا يوقف عنده، فهو أبعد مدى من أى حدود.

● والذى لابد أن أؤكده أن حقوق الإنسان مهدرة فى دول الغرب التى تدعى الديمقراطية مادام هذا الإنسان ملونًا أو مسلمًا.

ونحن نختلف مع هذه الدول في قولهم: «إن القانون تعبير عن إرادة الدولة أو إرادة الشعب أو إرادة الأغلبية» بمعنى أن سلطة الحكام أو الجيوش التي تمسك بزمام القوة والسلطة هي التي تضع القوانين أو تعدلها أو تلغيها، هذا في دول الغرب أو العالم الأول، أما في دول العالم الثالث فما أيسر على هذه الدول من أن تجر وراءها إرادة شعبية مزعومة لا هم لها إلا أن تمجد الزعيم رغبًا أو رهبًا أو تجنبا لقضاء العمر كله في السجون والمعتقلات وبطش قوات الأمن وأذناب السلطان.

● ونقطة الخلاف بين الإسلام في حفظه لحقوق الإنسان وغيره من النظم، أن الإسلام جعل حقوق الإنسان بعيدة عن سلطة الحاكم أو الحزب أو الإرادة الشعبية المزعومة، وإنما هي حقوق مقررة في المنهج الذي جاء من عند الله تعالى، لا في الديموقراطية التي ترتكب أبشع الجرائم باسمها.

● ونقطة الخلاف بين الإسلام في حفظه لحقوق الإنسان وبين ما تدعيه دول العالم الثالث أنه خلاف حاد وشديد العمق، فإن هذه الدول التي يعيش الناس فيها الفقر والجهل والمرض والبطالة وقمع الحريات وإهدار الحقوق، ترى أن حقوق الإنسان مصدرها سلطة حاكم مستبد أوحد أو خالد أو ملهم أو معصوم من الخطأ أو شريف النسب أو غير ذلك من الصفات التي يخلعونها على أنفسهم..

إن حقوق الإنسان في كثير من دول العالم الثالث تتمثل في حقه في أن يذاب جسده في أحواض مليئة بحامض «الكبريتيك» أو أن يمزق جسده بأسواط الجلادين أو أن تفرقع عظام رأسه بأطواق من حديد أو أن يشرد ويضيق عليه وتنتهك حرمات بيته وأن يروع أهله وأبناؤه قبيل الفجر، وحقه في أن يحاكم أمام القضاء العسكري، أو حقه في أن يحكم بقانون الطوارئ إلى يوم الساعة، كل تلك حقوق للمواطن في العالم الثالث إن تجرأ وعارض أي سياسة للحاكم حتى لو كانت سياسة التعليم أو سياسة مدير مصلحة البريد أو مدير شركة تنتمي إلى القطاع العام، لأن ذلك معناه أنه لا يرضى عن سياسة الحكم وويل له لو فعل.

والإسلام جعل حقوق الإنسان بعيدة عن كل ذلك كل البعد وجعلها محفوظة بين دفتي القرآن الكريم والسنة النبوية، وهما مصدران لا يملك أحد كائنا من كان أن يغير فيهما أو يبدل لأن الله سبحانه تكفل بحفظهما إلى يوم الدين.

أما ما يزعمونه من إرادة الشعب وتحالف قوى الشعب، والاشتراكية الديمقراطية

والجماهيرية واللجان الشعبية، والحزب الرئاسى الذى تدور فى فلكه أحزاب ورقية لا تملك قاعدة شعبية، لأن تلك القاعدة مسكونة دائماً بالمسبحين بأمجاد الزعيم الأوحد الخالد المفدى بالروح وبالدم!!!

بل إن هذه الأحزاب لا تملك رؤية سياسية فضلاً عن إرادة سياسية، وكيف تملك ذلك وهى لا تستطيع أن تتكون إلا بموافقة الرئيس وحزبه الحاكم الذى يمثل الأغلبية بنسبة ٩٩٪؟

هذه الأحزاب لا تملك أن تتحدث عن الديمقراطية، لأن الديموقراطية ملك للزعيم وحده يفسرها ويصرفها كيف يشاء، ويجعل لها مخالب وأنيابا وأحكاما عسكرية لو أراد!!!

هذا هو فرق ما بين حقوق الإنسان فى الإسلام، وفى سائر النظم الوضعية، وهو فرق حاد وخلاف عميق.

وبعد: فما هى حقوق الإنسان وأنواعها فى الإسلام؟

ذلك ما نحاول توضيحه فى الصفحات التالية، والله المستعان.

ب- حقوق الإنسان وأنواعها فى الإسلام

القاعدة العامة التى ترتكز عليها حقوق الإنسان فى الإسلام هى:

أن الإنسان أكرم مخلوقات الله تعالى فى هذه الأرض ومن أفضل هذه المخلوقات،وهذا التكريم أو هذا التفضيل إرادة إلهية يعترف بها أهل الأديان جميعاً.

● وكل سبب أو وسيلة تؤدى إلى هذا التكريم هى حق أساسى من حقوق الإنسان، لا يجوز أن يهدر أو يهضم أو ينتقص منه إلا أن يرتكب الإنسان جريمة يكون عقابها معطلاً لبعض هذه الحقوق.

● وإقرار هذه الحقوق واحترامها هو هدف لكل شريعة جاءت من عند الله تعالى، من يوم أكرم الله الإنسانية بالشرائع والرسل عليهم الصلاة والسلام.

● وفى الشريعة الإسلامية الخاتمة جاءت حقوق الإنسان أوضح وأكمل ما تكون لأنها الخاتمة ولأن الله تعالى أكملها وأتمها ورضيها للبشرية منهجاً تتدين بها له سبحانه وتعالى.

- وتقوم شريعة الإسلام على تحقيق مصالح الإنسان فى دنياه وآخرته على السواء، فهذا مجمل مقاصدها الخمسة المعروفة؛ وهى حماية نفس الإنسان وعقله ودينه ونسله وماله، وليس من المستغرب القول بأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لا يخلو أى منهما فى

أى آية كريمة أو حديث شريف أو عمل مارسه الرسول ﷺ أو أقره من استهداف مصلحة حقيقية من مصالح الإنسان وجلبها إليه.

– كما تقوم الشريعة الإسلامية فى مجملها على استهداف أن تدفع أى ضرر عن الإنسان؛ لأن الأضرار والمفاسد التى تلحق بالإنسان تهدر حقوقه أو تضيع بعضها. فكان لابد من دفعها عنه.

● ومجمل حقوق الإنسان الذى هو من مقاصد الشريعة الإسلامية يحتاج منا إلى بعض التفصيل على النحو التالى:

١ – المحافظة على النفس أى حق الإنسان فى الحياة:

وهذا أهم حقوقه وأقدسها، ومن أجل المحافظة على هذا الحق جاءت الشريعة الإسلامية بنظم تحمى هذا الحق من أبرزها:

– تحريم إذهاب النفس بالقتل أو غيره، وتحريم إتلاف جزء من الإنسان بالعدوان على أطرافه أو حواسه،أو مسها بالجروح.

وحرمت تعذيب الإنسان بدنيا ونفسيًا واجتماعيًا بالضرب أو السب أو الإهانة.

– وتحريم العدوان على حرية النفس بالسجن أو الاعتقال أو منع الحركة والسفر والتنقل من مكان إلى مكان.

– وفرضت الشريعة الإسلامية عقوبات على كل من اعتدى على حق الإنسان فى الحياة تتراوح ما بين القتل قصاصًا والتعزير، فشرعت القصاص وجعلت فى تطبيقه حياة للناس جميعًا، وشرعت ما دون ذلك من جلد وسجن وإسقاط الشهادة والتغريب، ونحو ذلك من العقوبات.

– وفرَّعت الشريعة الإسلامية حق الإنسان فى الحياة الكريمة إلى فروع كثيرة فجعلت من حقوقه الأساسية للمحافظة على نفسه:

● حق الإنسان فى حرية الفكر والرأى والتعبير.

● وحقه فى حرية العمل، والراحة.

● وحقه فى التملك والإنفاق.

● وحقه فى حرية الإقامة أو التنقل.

● وفرضت الشريعة عقوبات تعزيرية على كل من حرم الإنسان حقًا من هذه الحقوق المتفرعة عن حقه فى نفسه أى فى الحياة الكريمة.

٢- والمحافظة على العقل أى حقه فى الحياة الإنسانية الراشدة:

والعقل من أهم نعم الله تعالى على الإنسان، فبه يتميز عن الحيوان، وبه يحيا الإنسان حياة كريمة تليق بتكريم الله تعالى إياه. وبهذا العقل كلفه الله تعالى بالتكاليف الشرعية.

● ومن حق الإنسان أن يظل عقله سليمًا قادراً على العمل والإبداع وعلى الاختيار والنقد.

● ومن حقه أن يكون عقله حرًا وإرادته غير مقيدة، فلا يفرض عليه تفكير بعينه، ولا تسلب إرادته فى موقف بذاته.

● ومن أجل المحافظة على العقل، وعلى حق الإنسان فيه سليمًا بعيداً عن أى عدوان يوجه إليه، جاءت الشريعة الإسلامية بتشريعات عديدة لحمايته منها:

- تحريم كل ما يذهب العقل أو يصيبه بالضرر أو يعطله، وهذا تشريع وقائى فحظرت شرب الخمر وتعاطى المخدرات ونحوها، وجعلت لذلك عقوبات رادعة.

- وأوجبت الشريعة على الإنسان أن يقرأ ويتدبر ويفكر وينظر إلى ما حوله من الناس والأحداث والأشياء وليأخذ العبرة والعظة بسيره فى الأرض ونظره فيما يحيط به، وذلك من أجل أن يحيا الإنسان حياة كريمة راشدة.

- وفرضت الشريعة عقوبات على كل من اعتدى على عقل الإنسان ماديًا أو أدبيًا معنويًا، لكى تحافظ للإنسان على عقله، إذ هو مناط التكاليف الشرعية.

٣- والمحافظة على الدين أى حقه فى التدين:

حق الإنسان فى التدين حق أصيل له أوثق العلاقة بروح الإنسان وعقله، وحاجة الإنسان إلى الدين فى تنظيم حياته بكل مرافقها وشعبها حاجة أصيلة، ومن آصلها حاجته العقلية والنفسية للدين، إذ ليس كالدين شىء يصلح النفس والعقل ويحقق حاجات الإنسان.

ولا نبالغ إن قلنا: إن حاجة الإنسان إلى الدين أقوى من حاجته إلى العلم مع أن الحاجة إلى العلم ضرورية للحياة الإنسانية حتى ترقى وتتلاءم مع كرامة الإنسان وتكريمه.

● فحاجة الإنسان إلى الدين حاجة فطرية، بل غريزة فطرية للتدين، أجمع العقلاء من الناس على ذلك حتى فى العصورالتى بلغت فيها المادية ذروتها.

● من أجل ذلك كان للإنسان الحق فى أن يُحمى له دينُه من أى عدوان عليه أو انتهاك لأى شعيرة من شعائره، فجاءت الشريعة الإسلامية بنظم عديدة لحماية الدين، وحماية حق الإنسان فى التدين.

● من أجل ذلك شرع الإسلام نوعين من التشريع:

أحدهما: لتيسير التدين وممارسته على النحو الأفضل،لذلك شرعت العبادات كلها، البدنية كالصوم والجهاد، والروحية كالصلاة والذكر، والعقلية كالتفكر والقراءة والتدبر والسير فى الأرض، والمالية كالزكاة والصدقة، والاجتماعية كالزواج والإنجاب، والسياسية كالرعاية وحسن التدبير، وتحمل المسئولية وممارسة الحقوق وأداء الواجبات وغير ذلك من العبادات التى تيسر للناس أن يتدينوا.

والآخر: لمنع أى عدوان على الدين، أو أى منع للمتدين من أن يؤدى واجباته الدينية، وذلك بفرض العقوبات على هذا المعتدى على قدر عدوانه على الدين أو منع أحد من التدين.

٤ – المحافظة على النسل أى حق الإنسان فى التزوج والإنجاب، وتربية أبنائه:

والمحافظة على النسل هى المحافظة على النوع الإنسانى وعلى عمران الأرض وتعميرها واستمرار الحياة الإنسانية الكريمة إلى أن يشاء الله.

● وذلك حق أساسى لكل إنسان يترتب عليه حقوق كثيرة منها:

– حقه فى الزواج بمن يرغب.

– وحقه فى الأبوة والتربية وتسمية أبنائه.

– وحقه فى القوامة على بيته وأسرته.

– وحقه فى أن لا يعتدى أحد على حياته الأسرية اعتداءً ماديًا أو معنويًا.

● ومن أجل المحافظة على هذه الحقوق ضد أى اعتداء عليها بالقول أو بالعمل والفعل، سَنَّ تشريعات عديدة؛ ومن هذه التشريعات:

– تشريع عقوبة لجريمة الزنى للمحصن والمحصنة ولغيرهما ممن لم يحصنوا، وتحريم دواعى الزنى ككشف المرأة لما أمر الله بستره من جسمها، والأمر بغض البصر للرجل والمرأة على السواء، وتحريم خلوة الرجل بالمرأة وغير ذلك من التشريعات التى تستهدف حماية الأسرة وصيانتها لكى تؤدى وظيفتها.

- وحرمت الشريعة أن يفسد أحد على أحد زوجه، ومنعت أى رجل من أن يتحدث مع زوجة غيره إلا بإذن زوجها، وحرمت سفر المرأة بغير محرم، ووضعت كل النظم التى من شأنها المحافظة على الأسرة زوجين وأبناء.

- وأوجبت الشريعة على الرجل أن يرعى زوجته وأسرته وينفق عليها، ويرعاها ويعتبر نفسه مسئولاً عنها بين يدى الله تعالى: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٧].

- وأوجبت على الرجل أن يربى أبناءه على طاعة الله، وحب الناس وحب الخير لهم، والتعاون معهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن يصلوا أرحامهم، وأن يعطفوا على اليتيم والبائس والفقير، وأن يحسنوا أقوالهم وأعمالهم وأن يجعلوا الإحسان رائدهم.

٥- والمحافظة على المال أى حق الإنسان فى الكسب والإنفاق:

والمال وسيلة من وسائل التعامل مع الناس بيعًا وشراءً وهبة ورهنا وصرفًا وسلما، ووصية وميراثًا ونحوذلك، ومن أجل ذلك وضع للمال تشريعات عديدة منها:

- تشريع الطريق الصحيح لكسب المال من وجه أحله الله تعالى كالعمل والتجارة والإجارة وسائر المعاملات التى يترتب عليها أن يدخل المال فى ذمة المسلمين بطريق صحيح، وبالتالى حرم كسب المال من أى وجه حرام، فمنع الربا والغش والغصب والسرقة والاختلاس وغير ذلك من وسائل كسب المال من وجه حرمه الله تعالى.

- وشرع الإسلام الوجوه التى ينفق فيها المال، وهى ما أمر الله بالإنفاق فيها كالزكاة المفروضة والنفقة على الأهل والولد، وأداء الديون، وإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه وغيرها أو فى وجه مما ندب الله تعالى المسلمين إلى الإنفاق فيه كالصدقات ونحوها وكالإحسان وإغاثة الملهوف والإقراض الحسن وسد حاجة المحتاج ورعاية اليتيم والأرملة والعاجز عن العمل، وتلك أعمال يضاعف الله أجرها ابتداء من الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وبعد ذلك يضاعف الله لمن يشاء.

- هذه الحقوق الرئيسية الخمس يتفرع عنها ما لا حصر له من حقوق الإنسان، وكلها مرعية محترمة من المسلمين، لا يعتدى عليها أو يهدرها أو ينتقص منها أحد إلا أوقع عليه عقاب على قدر عدوانه.

وما نعرف نظيراً لهذه الحقوق بهذا الاكتمال فى أى وثيقة قديمة أو حديثة، ولا عجب فى ذلك، فالله تعالى خالق الإنسان هو الذى كفل له حقوقه، وطالبه فى مقابلها بأداء واجباته على نحو ما سنبين فى الصفحات التالية ومن الله العون والسداد.

جـ- واجبات الإنسان وأنواعها فى الإسلام

الواجب فى تراثنا ولغتنا: هو اللازم الثابت.

وهو نوعان:

- واجب من جهة العقل كوجوب معرفة الوحدانية والنبوة.
- وواجب من جهة الشرع كوجوب العبادات.

● ويرى علماء الكلام «التوحيد» والعقيدة أن الواجب نوعان أيضاً أحدهما: **واجب**: يراد به اللازم الوجوب.

والآخر: واجب: بمعنى أن حقه أن يوجد.

● وعند الفقهاء:

- الواجب هو الذى إذا لم يفعله الإنسان يستحق على عدم فعله العقاب سواء أكان دنيويا أو أخرويًا.
- والوجوب الشرعى هو: شغل الذمة، بحيث يكون تاركه مستحقًا للعقاب، وأداء هذا الواجب يعنى تفريغ الذمة مما لزمها.

● وعند علماء الاجتماع:

- الواجب هو أفعال تفرضها قواعد مقبولة تحكم أى ناحية هامة من نواحى الحياة الاجتماعية،أو هو أى عمل تعاونى.
- وعند تضييق معنى الكلمة فى علوم الاجتماع فإن الواجب يعنى: الأفعال المطلوبة من الفرد الذى تناط به وظيفة ثابتة يجب عليه أداؤها فى الجماعة، ومن أجل ذلك يقال مثلاً: واجبات الزواج، وواجبات الموظف، وواجبات المواطن.... الخ.

ويرى علماء الاجتماع أن الواجبات عندهم أنواع ثلاثة :

- واجبات قانونية، تنشئها القوانين والعقود .

- وواجبات أخلاقية تقررها القواعد المقررة الضرورية للحياة الاجتماعية .

- وواجبات سياسية، وهى التى توجب على المواطن الخضوع للسلطة السياسية والقوانين المنظمة لها، وهذه الواجبات تقابلها حقوق للمواطن - تحدثنا عنها آنفًا .

فما هذه الواجبات فى الإسلام وما أنواعها؟

ذلك ما نرجو توضيحه فى الصفحات التالية بعون الله تعالى .

واجبات الإنسان وأنواعها فى الإسلام

هذه الواجبات - مثل الحقوق - مرتبطة بأهلية الإنسان لأن يؤدى واجباته، فإن عجز عن ذلك بسبب قوى مقبول شرعًا أعفى من هذه الواجبات حتى يزول عنه العجز.

- ومن شروط أداء الواجب أن يكون الإنسان مكلفًا، وأن يكون أداء الواجب فى مقدوره، وأن تكون هذه الواجبات من حقوق الله أو حقوق العباد.

- ومن شروطها أن يكون المكلف بها عاقلاً فاهمًا - لكن يُلحظ هنا - وذلك من باب العدالة وإحقاق الحق - أن الصبى غير المميز، والمجنون تتعلق بهما تكاليف مالية، فعندما يتلف أحدهما شيئًا يجب عليه فى ماله، وإذا جنى أحدهما جناية وجبت الدية عليه فى ماله.

ويرى جمهور الفقهاء أن الزكاة تجب فى مالهما أيضًا، سواء أكانت زكاة مال أم زكاة زروع وثمار، ويعلل ذلك علماء أصول الفقه بأن الإنسانية - مجرد الإنسانية - قد أوجبت لهما حقوقًا وجعلت لهما ذمة مالية وملكية، وما دامت لهما هذه الملكية فتلك الواجبات مئونة الملكية وتكاليفها، وهذا تعليل منطقى يتضمن إحقاق الحق وإيجاب الواجب.

فما هذه الواجبات وما أنواعها؟

الواجبات وأنواعها:

كما أقرت الشريعة الإسلامية حقوق الإنسان على النحو الذى أوضحناه آنفًا؛ فإن العدل يقتضى أن يكون فى مقابل هذه الحقوق واجبات، وإلا لم يعد للحياة الإنسانية فى هذه الدنيا معنى نبيل، ولا فرصة لتبادل الخير بين الناس، إذ لا تستقيم الحياة التى تمتلئ بالحقوق وحدها ولا تستقيم حياة تستهلكها الواجبات فقط.

- وهذه الواجبات بالشروط التى أشرنا إليها أنواع، وتحت كل نوع عديد من الفروع، ولكن الذى يجمعها ثلاثة أنواع من الواجبات هى:

أولا: واجبات على الإنسان نحو خالقه سبحانه وتعالى:

وهذه الواجبات يمكن إجمالها فيما يلى:

١- أن يعبده وحده لا شريك له، معترفا مؤمنا بأسمائه وصفاته، معترفًا له بكل كمال، منزها له عن كل نقص.

٢- وأن يؤمن بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، وأن يدخل باختياره فى دين الإسلام الخاتم الذى جاء به النبى الخاتم محمد ﷺ.

٣- وأن يؤمن بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً ونذيراً وبشيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، ويؤمن بمنهجه الذى جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأن يوقن بأنه أكمل المناهج وأتمها وأرضاها لله تعالى.

٤- وأن يؤدى العبادات التى أوجبها الإسلام على النحو الذى شرعه لها، وأن يجعل هذا الأداء خالصًا لوجه الله تعالى.

٥- وأن يأتمر بأمر الله تعالى، وينتهى عن كل ما نهى عنه تقربًا بذلك إلى الله تعالى، واحتسابا للأجر والمثوبة عنده.

٦- وأن يمارس الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن وأن يتحرك بدين الله إلى عباد الله حيث يكونون ما دام قادراً على ذلك علميًا وماديًا، آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر.

٧- وأن يجاهد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وأن يعد نفسه لهذا الجهاد روحيًا وبدنيا وعلميًا وعسكريًا، وأن يكون هدفه من الجهاد أن تكون كلمة الله هى العليا.

وكل هذه الواجبات قررتها آيات القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، وهى مما تلزم المسلم ليكون مؤمنا مسلمًا.

ثانيًا: واجبات على الإنسان نحو نفسه.

ويمكن إجمالها فيما يلى:

١- أن يزود الإنسان نفسه بالزاد الروحى الذى يزيد من قربه من الله تعالى ويقوى اتصاله به.

ووسيلة هذا التزود هى أداء الفرائض والإقبال على النوافل، حسب ما شرع الله وكما فعل رسول الله ﷺ.

● ومن فضل الله علينا ورحمته أن جعل من جنس كل فريضة فرضها علينا نافلة نزداد بها قربًا منه، فمن جنس فريضة النطق بالشهادتين، نافلة الذكر، ومن جنس فريضة الصلاة

نافلة سنن الصلاة، ومن جنس فريضة الزكاة نافلة الصدقة، ومن جنس فريضة الصوم نافلة التطوع بصيام أيام معروفة كالثلاثة من أوسط كل شهر وغيرها، ومن فريضة الحج نافلة العمرة.

٢- وأن يزود نفسه بالقراءة والعلم والمعرفة، وأوثق العلم عندنا ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتاريخ الأئمة والمصلحين المجددين فى القرون.

وكل تقصير فى هذا التزود يحاسب عليه المقصرفى الآخرة وربما عوقب عليه فى الدنيا بالضعف والذل أمام عدوه والتراجع عن المكان الوسط الذى اختاره الله تعالى له.

٣- وأن يزود نفسه بقدر من الفقه الإسلامى يلائمه ويسعفه فى أداء وظيفته فى الحياة، ومعرفة قضايا الفقه الإسلامى ذات الصلة بالعبادات والمعاملات هى التى تلزم المسلم لتمكنه من عبادة الله على علم، أما التعمق فى أمور الفقه الإسلامى فهو واجب المتخصصين.

٤- وأن يسهم بما يستطيع فى الدعوة إلى الله بشروطها وآدابها محاولاً أن يدخل غير المسلمين فى الإسلام، وأن يدخل عصاة المسلمين إلى رحاب طاعة الله ورسوله ﷺ.

٥- وأن يسهم فى الحركة بدين الله فى الناس والآفاق بشروطها وآدابها، ووسائلها، ومن صميم الحركة بالإسلام أن يأمر بكل معروف كل أحد، وأن ينهى عن كل منكر كل أحد.

٦- وأن يسهم فى التربية الإسلامية لنفسه ولذويه ولكل من استطاع أن يشارك فى تربيته، وفق شروط التربية الإسلامية وآدابها وأخلاقها.

٧- وأن يعد نفسه وبدنه وعقله وماله وطاقته لكى يسهم فى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

ثالثًا: واجبات المسلم نحو غيره من الناس مسلمين وغير مسلمين:

ومن هذه الواجبات:

١- واجباته نحو من يعايشهم من أهل وولد ووالدين وأخوة وأرحام، ويمكن أن توجز هذه الواجبات فى أن يعاملهم بالبر والإحسان.

٢- وواجباته نحو جيرانه الأدنين والأبعدين، وتوجز هذه الواجبات فى معاملتهم بالرعاية والحب والبر.

٣- وواجباته نحو من يختلط بهم من الناس فى مجالات العمل وصحبة المسجد والمدرسة والنادى وغير ذلك، وللإسلام فى التعامل مع هؤلاء أرفق تعامل وأهدى سبيل.

٤- وعلى كل مسلم واجبات نحو اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل،والذين عليهم ديون، والمنقطعين عن أهليهم والمسجونين والمعتقلين من أجل دينهم ودعوتهم إلى الله، واجب لن تبرأ منه ذمته حتى يؤدى فى حدود الوسع والطاقة.

٥- وعلى كل مسلم واجب نحو المجاهدين فى سبيل الله إن كان من غير القادرين على ممارسة الجهاد بنفسه،عندئذ يجب عليه دعم المجاهدين ماديًا ومعنويًا، والدعاء لهم.

٦- وعلى كل مسلم واجب نحو العاملين فى الدعوة إلى الله والمبلغين عن رسول الله ﷺ، والمتحركين بالإسلام فى الناس والآفاق، واجب الدعم والتأييد والمشاركة بكل جهد مستطاع، والعمل على إزالة المعوقات والعقبات.

٧- وعلى كل مسلم واجب نحو قضايا العالم الإسلامى السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لأن الأمة الإسلامية أمة واحدة مهما تعددت الأوطان وتباعدت الأمكنة.

وبخاصة فى القضايا المصيرية كقضية فلسطين والقدس، وقضيةالظلم الذى يتعرض له المسلمون فى البلدان المسلمة العلمانية أو الغارقة فى ضلال الشيوعية والاشتراكية والإلحادية.

● ومما يدخل فى صميم قضايا العالم الإسلامى موقف هيئة الأمم المتحدة المنحاز إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وإلى أصحاب حق النقض والاعتراض - «الفيتو» - المنحاز إلى هؤلاء ضد المسلمين فى أى قضية فى أرجاء العالم الإسلامى، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

إن على المسلمين واجبات نحو أمتهم لمواجهة هذا الانحياز الظالم إلى كل ما فيه ضياع لحقوق المسلمين.

د- الالتزام بالمحافظة على الحقوق والواجبات :

بعد أن أوضحنا الحقوق والواجبات، نؤكد أنه لا وزن للحقوق والواجبات معًا ما لم يحدث من الإنسان التزام بهما، إذ لا قيمة لحق لم يحرص صاحبه عليه، ولا قيمة لواجب لم يؤده من وجب عليه، إن ذلك عندئذ حبر على ورق - كقرارات هيئة الأمم المتحدة بالنسبة لإسرائيل أو للولايات المتحدة الأمريكية.

● الالتزام إذن أصل أصيل لكى يكون للحقوق والواجبات مكان ومكانة فى حياة الإنسانية، كما لا يجدى على المسلمين أن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بين أيديهم وتحت أبصارهم ثم لا يعملون بما فيهما، كما لم يكن للتوراة والإنجيل أى أثر فى اليهود والنصارى لأنهم لم يعملوا بما فيهما، كما ورد ذلك على لسان النبى ﷺ .

● وترك العمل بالقرآن والسنة هو إيذان برفع العلم أو ذهابه عن الناس، فقد روى أحمد بسنده عن زياد بن لبيد الأنصارى رضى الله عنه قال: ذكر النبى ﷺ شيئًا فقال: « ... وذاك أوان ذهاب العلم»، قلنا يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة! أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل، فلا ينتفعون مما فيهما بشىء؟»

فليست العبرة بوجود القرآن الكريم والسنة النبوية وإنما العبرة بالعمل بما فيهما والانتفاع بهما من أجل الدنيا والآخرة.

● وليست العبرة بفقه الحقوق والواجبات، ولكن العبرة بالتمسك بالحقوق حتى لا تضيع أو يهدرها ظالم مستبد، وبأداء الواجبات خشية أن يتوقف أداء الواجبات فيقفر المجتمع ويصبح أفراده سلبيين، ويوم تضيع الواجبات لابد أن تضيع الحقوق.

فما معنى الالتزام بالمحافظة على الحقوق؟

معناه أن يعرف الإنسان المسلم حقوقه ثم يتمسك بها، ويرفض أن يهدرها أحد، أو ينقص منها شيئًا.

غير أن المسلم له أن يتنازل بإرادته عن بعض حقوقه وبخاصة تلك الحقوق التى لا يترتب على التنازل عنها خسارته لحقه فى الحياة أو الحرية أو التفكير أو التعبير أو التعلم أو ما كان شبيها بذلك، وإنما له أن يتنازل عن بعض حقوقه المالية أو المادية تسامحًا منه وتآلفًا لقلوب الناس وإحسانًا إليهم.

● والالتزام بالحقوق يعنى حراستها والسهر عليها وحمايتها من أى عدوان عليها، لأن التهاون فى حماية الحقوق يحرم الإنسان من الحياة الكريمة التى اختارها له خالقه سبحانه وتعالى.

– والحياة الإنسانية الكريمة الراقية لا تستقيم ولا تثمر إلا إذا روعيت فيها حقوق الإنسان،وكل انتقاص منها إنماهو انتقاص من إنسانية الإنسان ومن حياة الناس؛ الناس جميعًا، لأن انتقاص حق واحد من الناس انتقاص لحقوق الناس جميعًا، كما ورد مثل هذا المعنى فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ... **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ... ﴾ [المائدة: ٣٢].

– ولا تكون للدولة أو الحكومة شرعية إلا إذا احترمت حقوق الإنسان وحمتها، فإن لم تفعل فقدت صفتها وشرعيتها التى تعطيها الحق فى حكم الناس.

– وكما أن للدولة على الفرد حق الطاعة والمناصرة والتأييد والنصح فإن عليها أن تؤدى واجبها نحو من تحكمهم برعاية حقوقهم، وإلا اضطرب ميزان الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم، فكان الظلم والاستبداد، وكانت الفوضى وعدم أداء الواجبات.

وما معنى الالتزام بالمحافظة على الواجبات؟

معناه أن يعرف الإنسان هذه الواجبات على النحو الشامل الصحيح، وقد ذكرنا من هذه الواجبات – على وجه الإجمال – واحداً وعشرين واجبًا يجب على المسلم أن يلتزم بأدائها من أجل صالح دينه ودنياه.

ومن قصر فى أداء واجب من هذه الواجبات حوسب وعوقب لأنه بهذا التقصير قد عرض نفسه وغيره ودينه ودنياه للخطر،وكل واجب من هذه الواجبات متعلق بذمة من وجب عليه ولا بد من تفريغ الذمة من هذا الواجب بأدائه على النحو الذى شرعه الله تعالى.

● إن أداء الواجبات بأنواعها الثلاثة التى ذكرنا وبمفرداتها التى أشرنا إليها هو الصورة المكملة لممارسة الحقوق بكافة أنواعها التى بينا وبمفرداتها التى أشرنا إليها.

وبين الحقوق والواجبات تكامل بمعنى أن واحدة منهما لا تغنى عن الأخرى ولا تكفى دونها.

وليس بإنسان موفور الكرامة والإنسانية ذلك الذى يمارس حقوقه ولا يؤدى واجباته، كما أنه ليس بإنسان موفور الكرامة والإنسانية ذلك الذى يؤدى واجباته دون أن تكون له حقوق يمارسها ويتمسك بها، إن الأول ظالم مستبد والآخر مقهور مظلوم، ولا كرامة إنسانية مع الاستبداد لناس والقهر لآخرين.

- إن علامة التربية الصحيحة للإنسان دينيًا ودنيويًا أن يمارس حقوقه وأن يؤدى واجباته، بل علامة الصحة النفسية والعقلية والخلقية، وبغير ذلك يمرض الإنسان روحيًا، ويتخلف عقليًا، وينفلت من القيم خلقيًا، ويصبح حطام إنسان، أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان الذى كرمه الله تعالى وفضله على كثير من خلقه.
- وإن علامة التربية الاجتماعية للإنسان دينيًا ودنيويًا أن يتمسك بحقوقه ويحميها ويمارسها، فى الوقت الذى يؤدى واجباته جميعًا بإرادته واختياره دون إكراه من نظم فاشية أو مستبدة، وبغير ذلك تنهار القيم الاجتماعية، ويصبح المجتمع أبعد ما يكون عن المجتمع الإنسانى، الذى بنى الإسلام قواعده على العدالة الاجتماعية، ويكون أقرب إلى المجتمع البعيد عن الإنسانية الذى لا يأمر الناس فيه بالمعروف ولا يتناهون عن المنكر.
- وإن علامة التربية السياسية الصحيحة، وعلامة مصداقية أى دولة أو أى حكومة سياسيًا أن يتساوى الناس فيها فى ممارسة الحقوق وأداء الواجبات، دون إخلال بهذه أو تلك.

وبغير ذلك فلا تربية سياسية بل لا سياسة راشدة تتبعها الدولة، بل لا دولة ولا حكومة، وإنما هى عصبة شر تمتهن حقوق الإنسان، وعزلها واجب العقلاء من الناس،فضلاً عن أصحاب الكرامة الإنسانية.

الأساس الثالث

تربية الإنسان على مبدأى التعاون والتكافل

تربية الإنسان على مبدأى التعاون والتكافل، أساس راسخ من أسس التربية السياسية الإسلامية، بحيث لا تصبح للإنسان قيمة إنسانية إلا بالتعاون مع غيره على البر والتقوى،والتكافل معه فى مواجهة متطلبات الحياة الإنسانية.

● والتعاون فى لغتنا وتراثنا هو: التظاهر – أى التجمع – لإعلان الرضا أو السخط على أمر مهم.

وفى القرآن الكريم أمر من الله تعالى لعباده بالتعاون، قال الله تعالى: ﴿ .. **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

– وعند علماء الاجتماع: التعاون هو أحد مظاهر التفاعل الاجتماعى، ونمط من أنماط السلوك الإنسانى.

وهو تعبير مشترك بين اثنين أو أكثر فى محاولة ما لتحقيق هدف مشترك.

والتعاون عندهم قسمان: مباشر وغير مباشر.

فالمباشر: تعاون يقوم على إنجاز أنشطة مترابطة ومتشابهة فى صورة جماعية.

والغير المباشر: تعاون يقوم على إنجاز أنشطة غير متشابهة يكمل بعضها بعضًا، ويترتب على هذا القسم من التعاون تقسيم العمل بين المتعاونين.

– وفى الدراسات المعاصرة: التعاون يقوم على التضامن الطوعى بين جماعة من الأفراد حول مشروع مشترك بينهم.

وفى القرن التاسع عشر الميلادى رأى بعض المفكرين فى التعاون نظامًا اقتصاديًا جديدًا يعالج المساوئ التى تعانى منها المجتمعات «الرأسمالية»، وانتشرت التعاونيات فى تلك المجتمعات، واتخذت أنواعًا عديدة من الأشكال؛ اشتهر منها:

● الجمعيات التعاونية الاستهلاكية.

● والجمعيات العمالية التعاونية فى الإنتاج.

● والجمعيات التعاونية الزراعية.

● والجمعيات التسويقية .

لكن على الرغم من نجاح هذه الجمعيات فى تحقيق أهدافها المباشرة وهى التيسير على أعضائها، إلا أنها قد فشلت تماماً فى تغيير المجتمع «الرأسمالى»، أو إصلاح مساوئه .

– والتعاون فى التربية السياسية الإسلامية :

هو تضافر الجهود لغرس روح الأخوة والمحبة بين الناس جميعًا، ثم استثمار هذه الأخوة والمحبة فى التعاون على البر والتقوى، أى على كل وجوه الخير التى تعود على الأفراد والمجموعات والمجتمع كله بالخير فى الدين والدنيا .

● والتعاون فى شريعة الإسلام واجب أمر الله تعالى به، ومعنى هذا الأمر أنه لازم لابد منه وأن تاركه محاسب معاقب على تركه قال الله تعالى : ﴿ .. **تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة : ٢] .

● وإذا كانت خصائص شخصية المسلم هى : الإيمان والإسلام والتحلى بأخلاق الإسلام، فإن من هذه الخصائص والمعالم أنها شخصية متعاونة لأن الله تعالى أمر بذلك، ولأن المجتمع الإنسانى فى حاجة ماسة إلى التعاون على كل وجوه الخير فى كل مرفق من مرافق الحياة الإنسانية .

● والتكافل فى لغتنا وتراثنا الثقافى : هو تضامن وضمان ورعاية . ومن معانيه التعاقد والتعاهد .

وتكفل بكذا أى ألزم نفسه به .

والكافل : الضامن .

– وفى علم الاجتماع :

التكافل هو : التساند، وهو العلاقات المتبادلة بين الأفراد أو الوحدات الاجتماعية فى الزمان والمكان والنوع .

أو هوالعلاقات المتبادلة التى يتوقف بعضها على بعض مثل العلاقات المتبادلة بين الدول فى الميادين السياسية والاقتصادية .

● وللتكافل معنى آخر لدى علماء الاجتماع هو : أن يحس كل واحد فى المجتمع بان عليه واجبات لهذا المجتمع وعليه أن يؤديها، فهو بهذا الإحساس بوجوب أداء الواجبات

متكافل مع المجتمع فيما يعود على المجتمع بالخير، فإن قصر فى هذا التكافل فإن تقصيره قد يؤدى إلى إضرار المجتمع كله، فضلاً عن الضرر الذى يلحقه شخصياً.

- ومن التكافل - عندهم - نوع يكون بين مجتمعَيْن بحيث يعتمد أحدهما على الآخر اعتماداً رئيسيًا، كأن يكون لهما نظام اقتصادى واحد مثلاً، أو أن يشتركا معًا فى الحروب والإغارات، ولكنها من جانب آخر يكون لكل منهما خصائصه وملامحه من الناحية الثقافية والاجتماعية، وقد يعتمد كل من المجتمعين على الآخر فى السلم والحرب جميعًا.

- ومن التكافل نوع يقال له: التكافل الصناعى مثل اعتماد بعض المصانع على بعض فى تصنيع شىء بعينه.

- أما التكافل فى الإسلام فيعد من الدعائم التى يقوم عليها بناء المجتمع المسلم، إذ التكافل مع التعاون والتراحم والتآخى هى صفات المجتمع بل أبرز خصائصه بحيث لا يوصف بأنه مجتمع مسلم إلا إذا استوفى هذه الصفات أصلاً، مضافًا إليها الصفات الأخرى التى جاء بها الإسلام كالبر والإحسان وحب الخير والتسامح وغيرها من الصفات.

- ويقصد بالتكافل فى الإسلام عند علماء الفقه الإسلامى أن يكون الفرد فى كفالة المجتمع، وأن يكون كل قادر - أى نوع من القدرة - فى المجتمع مالاً أو جاها أو سلطانا أو قوة كفيلا للمجتمع الذى يعيش فيه؛ يمده بما يعود عليه من الخير من جانب، ويدفع عنه ما قد يلحق به من شر من جانب آخر.

- وتأصيل التكافل الإسلامى هو رده إلى ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية مثل:

- قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...** ﴾ [الحجرات: ١٠].

- وقوله جل شأنه: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً...** ﴾ [الروم: ٢١].

- وقوله جل وعلا: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

- وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ... **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ**

الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٧٧]

- وما رواه مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ».

- وما رواه مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ».

والأحاديث النبوية الشريفة فى ذلك كثيرة سوف نذكر منها ما نوضح به ما يؤكد وجوب التكافل بين المسلمين بإذن الله تعالى .

- وهدف التكافل فى الإسلام هو سد حاجة المحتاجين ممن لا يستطيعون العمل والكسب لعجز أو تقدم سن أو مرض أو نحو ذلك من أسباب عدم الاستطاعة؛ فهؤلاء جزء من المجتمع لهم حق فى أن يشعروا أنهم غير مضيعين فى المجتمع المسلم . لأن المجتمع عليه واجبات - كالأفراد - يجب أن يؤديها نحو كل صاحب حق فى دعم أو عون أو خدمة .

وهناك نقاط هامة يجب أن نفسرها فى التعاون والتكافل أهمها :

- فيم يكون التعاون والتكافل؟ ومتى لا يجوزان؟

- والتعاون والتكافل بين الحاكم والمحكوم

- وأبعاد التعاون والتكافل وآثارهما الاجتماعية والسياسية .

أ- فيم يكون التعاون والتكافل ؟ ومتى لا يجوز تعاون أو تكافل ؟

أرجو أن يكون قد اتضح - من خلال تعريفنا للتعاون والتكافل - ما بينهما من تقارب فى المعنى،وبخاصة عندما نجد أن هدف كل منهما يشبه هدف الآخر؛ فليس من الخطأ القول بأن التعاون نوع من التكافل، وأن التكافل فى حقيقته تعاون؛ لأن كلا منهما يستهدف دفع الحاجة عن المحتاجين، أو جلب المصلحة لمن هم فى حاجة إليها .

- ووجوب التعاون والتكافل على المسلمين فى الإسلام دلت عليه آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ .

● ومن تلك الآيات الكريمة:

– قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

– وقوله سبحانه وتعالى: ﴿... وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

– وقوله جل وعلا: ﴿... وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ...﴾ [التوبة: ٧١].

وغيرها من الآيات الكريمة الدالة على وجوب التعاون والتكافل بين المسلمين، بوصفهم الأمة الوسط الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، المتوادة المتراحمة التى يسودها الإحسان.

● ومن تلك الأحاديث النبوية الشريفة:

– ما جاء يدعو إلى جلب الخير والمصلحة للناس وهذا العمل تكافل على درجة عليا، من مثل:

– ما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله».

ورحمة الناس بكل تأكيد جلب الخير لهم وهذا تكافل بين الناس.

– وما رواه مسلم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

وكل جملة من جمل هذا الحديث تكافل وتعاون بين المسلمين له عند الله أفضل الجزاء، وما جاء فى هذا الحديث الشريف دعم وتأكيد لكل أنواع التعاون والتراحم والتكافل والتواد.

– وما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وذلك قمة التكافل بين المسلم وأخيه المسلم إذ ينزله منزلة نفسه فيحب له من الخير ما يحب لنفسه.

– وما رواه البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أوتمنعه عن الظلم فإن ذلك نصره».

وهذا تكافل فى دفع المضار أن تلحق بالمسلمين.

– وما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين الاثنين صدقة،وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

وهذا الحديث الشريف وإن ألزم بالتعاون والتكافل والتراحم إلا إنه فتح أمام الناس أبوابًا عديدة من أبواب التعاون والتكافل حتى جعل إماطة الأذى عن الطريق وهو تكافل مع الساعين فى الطريق خشية أن يصيبهم أذى فى الطريق، جعل لذلك صدقة وأجرًا عند الله تعالى.

– وما رواه البخارى بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما.

● ومن خلال التدبر فى هذه الآيات الكريمة وتلك الأحاديث الشريفة يتبين لنا الأوجه والأمور التى يكون فيها التعاون والتكافل بين المسلمين.

– وفى إجمال نؤكد حقيقتين بعد التدبر فى هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة:

أولاهما: أن التعاون والتكافل بين المسلمين واجب شرعى على كل من يقدر على ذلك أى نوع من القدرة.

والأخرى: أن التعاون والتكافل بين المسلمين يجب أن يكون على البر والتقوى وأن هذا البر وتلك التقوى لله تجعل التعاون والتكافل فى مجالين كبيرين:

أحدهما: جلب المصالح للمسلمين:

فكل مصلحة للمسلمين – أفرادًا وجماعات، حكاما وقادة ومحكومين وجنودًا – يجب

أن يتعاون المسلمون على جلبها وأن يتكافلوا فى سبيل تحقيقها، مادية كانت أو معنوية، حاضرة أو مستقبلية.

وهذا أوسع أبواب التعاون والتكافل، والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى أوردناها أوضحت كثيراً من تفصيلاتها ولم تستوعبها لكى يقاس عليها فى الأزمان القادمة التى تحفل بالمستجدات.

والآخر: دفع المفاسد عن المسلمين أفرادا وجماعات، حكامًا ومحكومين، شعوبًا وقبائل وأعراقًا عديدة.

وكل قول أو عمل يترتب عليه دفع مفسدة أو ضرر عن المسلمين فهو واجب شرعًا، أوجبته آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة وسيرة الرسول ﷺ وهديه.

فالصلح بين المتخاصمين دفع للمضرة والمفسدة، وسد لباب من أبواب التنازع بين المسلمين.

وتعليم الناس وتفقيههم فى دينهم دفع لمضرة الأمية والجهل بأمور الدين، وإفتاء الناس فيما يستفتون فيه دفع لمفسدة جهل الناس بما يريدون أن يعلموه من أمور دينهم ودنياهم، ودفع لمضرة كتمان العلم عمن سأل عنه.

والإحسان إلى الناس عمومًا وإلى المحتاجين، والمعوزين منهم والعاجزين على وجه الخصوص دفع لمفسدة تأتى نتيجة الحاجة والفقر والبطالة، وهى مفسدة شديدة الخطر عظيمة الضرر.

والنهى عن المنكر بكل أنواعه صغرت هذه الأنواع أو كبرت دفع لمفاسد كثيرة تترتب على انتشار المنكر أو السكوت عنه.

- وهكذا فإن التربية الإسلامية السياسية فى مجال ما يطلب فيه التعاون والتكافل، تؤكد وجوب جلب المصالح للمسلمين ودرء المفاسد عنهم، وتلك قيمة تربوية لا نجدها إلا فى تشريع جاء من عند الله تعالى.
- أما ما لا يجوز فيه التعاون والتكافل فقد حسمته الآية الكريمة وحصرته فى مجالين اثنين كبيرين هما:

– الإثم.

– والعدوان.

ويدخل تحت كل منهما مفردات عديدة تنتمى إليه فيحرم التعاون والتكافل فيها.

● **والإثم هو** : الفعل المبطِّىء عن الثواب المتسبب لفاعله فى عقاب الله تعالى، أو المبطئ عن فعل الخيرات، لأن الخيرات مأمور بفعلها بنص القرآن الكريم : ﴿ ..**وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج : ٧٧].

– والآثم هو من أبطأ عن فعل ما أُمر به.

– والإثم من معانيه : الذنب الذى يستحق صاحبه العقوبة عليه.

– وعند التدبر فى كلمة «الإثم» نجدها تدل على كل عمل يغضب الله تعالى فعله، لأنه سبحانه قد نهى عنه أو كرَّه فيه.

● وأما العدوان : فهو من العدو، والعَدْو التجاوز ومنافاة الالتئام، فإذا كان التجاوز بالقلب قيل له : العداوة والمعاداة. وإذا كان بالمشى قيل له : العدو.

وإذا كان التجاوز بالإخلال بالعدالة فى المعاملة، قيل له : العدوان. والاعتداء : مجاوزة الحق وهو عدوان أيضاً.

– فلا يجوز التعاون أو التكافل بين المسلمين على شىء من الإثم والعدوان، لأن هذا التعاون أو التكافل يلحق الضرر بالمسلمين ويشيع فيهم المفسدة.

وكل مسلم مطالب بدفع الضرر والمفسدة عن الفرد والجماعة والمجتمع والدولة، فإن لم يفعل فقد عصى الله بمخالفة أمره ونهيه سبحانه وتعالى، واستحق العقاب.

● وبإيجاز شديد : إنما جاز التعاون والتكافل على البر والتقوى لما فيهما من تحقيق مصالح المسلمين.

وإنما حرم التعاون والتكافل على الإثم والعدوان، لما فيهما من مفاسد ومضار تقع بالمسلمين.

● ومن المعروف فى الفقه الإسلامى وتشريعات الإسلام أن جلب المصالح ودرء المفاسد من أوسع أبواب التشريع.

ب- والتعاون والتكافل بين الحاكم والمحكوم

يخطئ من يظن أن التربية السياسية الإسلامية تتجاهل ما للحاكم من حقوق على المحكوم.

كما يخطئ من يتصور أن الحاكم يسوس المحكوم وفق إرادته دون أن يخضع فى ذلك لنظام وضعه الإسلام يعطى بمقتضاه للمحكوم من الحقوق، مثل ما أعطى الحاكم من حقوق.

- والدين الإسلامى الخاتم من بين الأديان والنظم جميعًا هو الذى أعطى قضية العلاقة بين الحاكم والمحكوم أهمية كبرى فى مجال تبادل الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم، فكلاهما من وجهة نظر التربية السياسية الإسلامية مواطن له حقوق وعليه واجبات.
- ولقد أوضحنا - فيما مضى من هذا الكتاب - حقوق الإنسان - ونحن نتحدث عن الأساس الثانى من أسس التربية الإسلامية - فإذا كان هذا الإنسان حاكمًا، نشأت له حقوق بسبب هذه السلطة التى يتولاها، وقامت عليه واجبات بسببها أيضًا.
- والدين الخاتم - من بين الأديان والنظم جميعًا - هو الذى أولى قضية العلاقة بين الحاكم والمحكوم أهمية كبرى فى مجال تبادل الحقوق والواجبات بينهما، فكلاهما - من وجهة نظر التربية السياسية الإسلامية - مواطن له حقوق وعليه واجبات.

- وعندما يكون الإنسان حاكمًا تنشأ له حقوق بوصفه حاكمًا تضاف إلى حقوقه بوصفه مواطنا، كما تنشأ عليه واجبات لكونه حاكمًا لم تكن واجبة عليه من قبل.

ونحاول فى الصفحات التالية أن نوضح حقوق الحاكم وواجباته نحو من يحكمهم، لتتضح صورة التربية السياسية الإسلامية، اتضاحا كاملاً للناس عمومًا وللذين يزايدون ويلغطون فى مقولاتهم عن الإسلام السياسى محاولين عزل الإسلام عن حياة الناس، بل إقصاءه تمامًا عن الساحة السياسية، كأن السياسة ليست جزءا من الحياة الاجتماعية للإنسان، وكأن الإسلام لم ينظم كل جزء من حياة الإنسان مهما كان صغيرًا!!!

أولاً: حقوق الحاكم:

١- له حق الطاعة فى المنشط والمكره والعسر واليسر:

بشرط أن لا تكون هذه الطاعة فى أمر يغضب الله تعالى أو يترتب على القيام به معصية لله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿ .... **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩].

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن يعصنى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى».

٢- وللحاكم حق التأييد والمناصرة:

لأن الحاكم مفوض ممن اختاره بأن يدبر شئون الناس ويسوسهم إلى ما يصلحهم،ولا يستطيع ذلك إلا بالمساعدين والأعوان والمستشارين في مجالات السلطات المتعددة، وكل ذلك يحتاج إلى تأييد ومناصرة في العسر واليسر والمنشط والمكره.

فقد روى مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان مما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: إلا أن تروا كفرًا مباحًا عندكم من الله فيه برهان».

٣- وله حق المعاونة والنصيحة:

كل عمل يقوم به الحاكم أو يأمر بالقيام به، فله على المحكومين أن يعاونوه فيه بل يهرعون إلى عونه فذلك من صميم التعاون على البروالتقوى الذى أمر الله به كل مسلم قادر، وهذا التعاون معنى من معانى النصيحة التى أوجبها الإسلام على المسلم نحو أئمة المسلمين.

فقد روى مسلم بسنده عن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

٤- وله حق المشورة:

إذا طلب الحاكم مشورة أحد من المحكومين أهل الخبرة، فإن واجب من طلبت منه المشورة أن يقدمها مخلصًا غير متباطئ فى تقديمها، فإن امتنع أو تباطأ فقد وقع فى الإثم والحرج وخرج بصفته هذه عن الصفات التى يجب أن يكون عليها المسلمون المؤمنون، فقد قال تعالى فى وصف المؤمنين المتوكلين على الله: ﴿ ... **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** .. ﴾ [الشورى:٣٨].

فما بالنا إذا كان طالب المشورة هو الحاكم أو ولى الأمر؟ إن تقديم المشورة حينئذ يكون أوجب وألزم وأقرب إلى ممارسة الحقوق السياسية للحاكم والمحكوم على السواء.

٥- ومن حقه التقدير والاحترام:

وقد نصت القوانين الوضعية كلها على هذا الحق للحاكم إزاء المحكومين، بل فرض بعض العقوبات على من قصر فى ذلك.

غير أن هذه القوانين لا تستطيع أن تجعل احترام الحاكم وتقديره نابعًا من قلب المحكوم وضميره، لذلك يظل هذا الاحترام فى كثير من الأحيان نابعًا من خوف العقوبة الدنيوية.

أما فى الإسلام فإن احترام الحاكم وتقديره نابع من نصوص الدين وأخلاقياته، وخشية عقاب الله لا عقاب الناس، وشتان ما بين الدافعين!!!

فقد روى الترمذى بسنده عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهان السلطان أهانه الله».

ثانيًا: واجبات الحاكم:

١- أن يعتبر نفسه مسئولاً عن رعاية المحكومين وجلب المصالح لهم ودرء المفاسد عنهم وحسن سياستهم، وتحقيق كل أنواع الرعاية لهم.

فقد روى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته...».

ويدخل فى هذه الرعاية ما لا حصر له من حقوق المواطن كحقه فى الأمن وفى العمل والكسب وحرية الرأى والتعبير، وسائر حقوق المواطن التى تحدثنا عنها آنفًا.

٢- ومن واجبه العدل بين المحكومين:

والعدل مطلب شرعى يجب أن يلتزم به كل مسلم، فإذا كان هذا المسلم حاكمًا كان العدل ألزم وأوجب، وقد أوجب الله العدل فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...**﴾ [النحل: ٩٠]. والإحسان منزلة فوق العدل وقد أمر الله تعالى به، فما بالنا بالعدل الذى هو أساس الحياة السياسية والاجتماعية.

روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين على منابر من نور، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا».

٣- ومن واجباته الرفق بالرعية:

وهذا الرفق بالرعية يعنى أول ما يعنى توصيل الحقوق إلى أصحابها دون أن يطالبوا بها، ويعنى عدم أخذ أحد منهم بالظِّنة أو ترويعه، أو زعزعة ثقته بنفسه بسبب فقد العمل أو العجز عن العمل أو الإساءة إلى سمعته.

روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى

بيتى هذا: «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به».

٤- ومن واجبه فتح بابه أمام أصحاب الحاجات:

وذلك أن الحاكم هو الملجأ الذى يلجأ إليه كل صاحب حاجة سواء أكانت حاجته مطالبة بحق، أو مطالبة برفع ظلم وقع عليه، فإن أغلق بابه دون الناس ضاعت مصالحهم ولم تقض حاجتهم، وفى ذلك تضييع لهم.

روى أبو داود بسنده عن أبى مريم الأزدى رضى الله عنه أنه قال لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولاه الله شيئًا من أمورالمسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلَّتهم وفقرهم؛ احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة».

فسمع معاوية رضى الله عنه الحديث فجعل رجلاً على حوائج الناس.

٥- ومن واجباته أن يستشير:

وذلك أن الحاكم كائنًا ما كان قدره ومكانته فى العلم والحكم فلن يستطيع أن يلم بكل شئون الناس والحياة، فلابد له من مستشارين فى كل مرفق من مرافق الحياة، وإلا أصبح الحاكم مستبداً برأيه فكان عرضة للخطأ والضلال والظلم.

وكان ذلك شأن رسول الله ﷺ، فقد خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ ... **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**.. ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكذلك كان شأن الخلفاء الراشدين يستشيرون أهل العلم، وقد قال الإمام البخارى: وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانا[١].

وقال: باب ما جاء فى اجتهاد القضاة ... ومشاورة الخلفاء وسؤالهم أهل العلم[٢].

وعلى المستشار أن يعطى المشورة بأمانة وإخلاص كما لو كان يشير لنفسه، إذ الأصل فى المستشار المسلم أن يكون مؤتمنا، فقد روى أحمد بسنده عن شاذان – ورفعه ابن مسعود – عن النبى ﷺ أنه قال: «المستشار مؤتمن».

---

(١) الإمام البخارى: الصحيح: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩/ ١١٦ طبعة دار الشعب دون تاريخ.
(٢) السابق: ٩/ ١٢٦.

٦- ومن واجب الحاكم أن يحسن اختيار وزرائه وأعوانه:

لأنه مسئول عنهم وعن أعمالهم أمام الله تعالى، أحسنوا أو أساءوا، وعليه بالنسبة لهم ما حُمل وعليهم ما حُملوا.

روى البخارى بسنده عن أبى سعيد - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمر بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله».

وما يفسد الحكام إلا بفساد بطانتهم ووزرائهم وأعوانهم.

٧- ومن واجبه الإخلاص فى عمله:

الحاكم العادل الناجى من عذاب الله ومن غضب الناس وانقلابهم عليه هو الحاكم المخلص فى عمله يؤديه على وجهه قاصداً به مرضاة الله، المخلص فى التعامل مع من يحكمهم لا يدخر خيراً يمكن أن يوصله إليهم ولا يبخل عليهم بنصيحة ولا يغشهم فى شىء.

روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى يعلى معقل بن يسار رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»،وفى رواية: «... فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة».

جـ- أبعاد التعاون والتكافل وآثارهما الاجتماعية والسياسية:

التعاون والتكافل - كما أوضحنا - أساس رئيس من أسس التربية السياسية الإسلامية.

والأبعاد التى يتحرك فيها التعاون والتكافل أبعاد مترامية واسعة تتناول كل مرفق من مرافق الحياة الإنسانية، وتتصل بكل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية عموماً والحياة السياسية على وجه الخصوص، بل الحياة الاقتصادية والفكرية والثقافية، وبكل ما له صلة بالإنسان.

- وعند التدبر فى أهداف التعاون والتكافل نجدهما ضروريين من أجل الحياة الإنسانية عموماً، إذ لا تتصور حياة إنسانية لا يتعاون فيها الناس فى جلب مصالحهم، ولا يتكافلون من أجل دفع المضار والمفاسد عن ساحاتهم.
- ولو قلنا إن التعاون والتكافل فطرة فطر الله كثيراً من مخلوقاته عليها، وعلى رأس هذه المخلوقات الإنسان، لو قلنا ذلك ما عدونا الصواب ولا تجاوزنا الحق، ولا خرجنا عن النظر السديد للأمور.

● كما أنه ليس من المبالغة فى شىء القول بأن التعاون والتكافل على النحو الذى أوضحناه آنفًا هو قمة التربية الإسلامية السياسية وأعلى درجات رقيها الإنسانى الذى يكفل حياة إنسانية كريمة للإنسان.

● وإن الآثار الاجتماعية للتعاون والتكافل بين الناس أوضح من أن نحتاج إلى رصدها وتعدادها، لكن الأمر - مع ذلك - يحتاج إلى ضرب المثال وإيراد الشاهد فى كل مؤسسة من مؤسسات الإسلام التربوية، وهى - كما أشرنا إلى ذلك أكثر من مرة؛ البيت والمسجد والمدرسة والأندية الاجتماعية والرياضية، والنقابات المهنية والعمالية، والمجتمع كله، والعالم الإسلامى بأجمعه، إذ كل مؤسسة من هذه المؤسسات يعتبرها الإسلام محضنا تربويًا سياسيًا، يفقه الناس من خلالها بكل ما لهم من حقوق سياسية وما عليهم من واجبات.

١- **ففى مجال البيت «الأسرة» أبوين وأبناء:**

فى هذه المؤسسة الصغيرة عدديًا الكبيرة من حيث الأهمية القصوى فى مجال التربية، يوجب الإسلام على عائلها أو على الأبوين معًا رعاية هذه الأسرة ويحملها المسئولية كاملة من هذه الرعاية مهما تنوعت.

وأولى هذه الرعاية أن يتربى أفراد الأسرة على معرفة حقوقهم وواجباتهم، يمارسون حقوقهم ويؤدون واجباتهم لا يحرم أحد من حقه لأنه صغير أو ضعيف، ولا يعطى أكثر من حقه لأنه كبير أو قوى، وإنما يجب أن يسود الأسرة رعاية كل فرد فيها حق الرعاية التى أوجبها الإسلام.

- ومعنى ذلك أن التعاون والتكافل والتضامن والمرحمة هى التى تضمن للأسرة أن تعيش حياة أسرية كريمة بعيدة عن الخلافات والصراعات، لأن كل فرد فيها يعرف حقه وواجبه فيمارس هذا ويؤدى ذلك، فلا مجال فيها للأنانية أو السلبية أو الكسل والتراض.
- وعندما تكون الأسرة كذلك تحقق كل مصالحها، وتتضامن فى دفع المفاسد والشرور عن حياتها أسرة وأفرادًا.
- وبالتعاون والتكافل فى الأسرة يعطف الكبير على الصغير، ويوقر الصغير الكبير، ويساعد القادر غير القادر، ويعلم صاحب العلم فيها من لا علم لديه.

وكل تلك الأعمال من صميم الرعاية التى أوجبها الإسلام على الأبوين نحو الأسرة

وأوجبها على الكبار والراشدين من أفرادها، وكل ذلك يفهم من قول الرسول ﷺ فى الحديث الشريف الذى ذكرناه : « . . . وكلكم مسئول عن رعيته » .

٢- وفى مجال المسجد :

ما نشك لحظة أن المسجد مؤسسة تربوية فاعلة من خلال العبادة التى تمارس فيه فيتعلم الناس منها مالا يتعلم إلا فى المسجد، ففى المسجد يتعلم المسلمون الانضباط والتوقيت الصحيح لكل عمل يقومون به، وفيه يتعلمون النظام والانتظام فى صفوف مستقيمة تتحاذى فيها المناكب والأقدام، وفيه يتعلمون تفقد الغائب والسؤال عنه، ويسقون من رحيق روح الجماعة عندما يؤمنون جميعًا على أحسن دعاء وأنبله وأنفعه للإنسان : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

وفى المسجد يتعلمون الإسهام فى ترتيب محتويات المسجد ونظافتها وتزويد مكتبته بما لديهم من كتب قد يستغنون عنها، وفيه يتعلمون دينهم وكتابهم وسنة نبيهم ﷺ .

- إن التعاون والتكافل والتضامن بين المترددين على المسجد هو الذى يمكن المسجد من أداء وظائفه العديدة، وهو الذى يطبع الصغير على قيم الإسلام وأخلاقه، وهو الذى يدفع الكبير نحو استكمال ما فاته من معرفة دينه ودنياه عندما يقبل على دروس المسجد ومحاضراته .
- وإن التعاون بين رواد المسجد هو الذى ينمى الأخوة بين المسلمين ويغذى مشاعر الاعتزاز بالانتماء إلى الدين الخاتم العظيم . ويعرف كل مسلم ماذا يجب عليه نحو دينه ونحو إخوانه فى هذا الدين .
- وأخيرًا فإن العناية بالمسجد ومده بما يحتاج إليه لا ينبغى أن يقتصر على ما تقوم به الوزارة الخاصة بالمساجد وإنما هو واجب المسلمين المتعاونين المتكافلين .

٣- وفى مجال المدرسة :

المدرسة منذ مهدها وإلى يتخرج فيها من أكمل تعليمه الجامعى هى المؤسسة التربوية الأساسية، ومن خلالها يحظى كل متردد على أى مستوى من مستوياتها بما يحتاج إليه من علم ومعرفة ومهارة وقيم اجتماعية وسياسية وثقافية تسهم فى بنائه بناءً إنسانيًا صحيحًا فاعلاً فى المجتمع الذى يعيش فيه بحيث يستطيع أن يجلب المصالح وأن يدفع المفاسد .

- والمدرسة مجال حيوى لتعلم التعاون والتكافل من خلال إدارتها وأساتذتها والعاملين

فيها، وبهذا التعاون والتكافل يمكن التغلب على مشكلات دور التعليم تغلبًا لا يكلف من الجهد والعناء إلا القليل، ويمكن سد الثغرات وتعويض ما فقدته المدرسة من أمور حيوية لابد منها، مثل:

- فَقْد دور التعليم للنظافة والسلامة لمرافقها مما يعيق العمل التعليمى والتربوى على السواء.
- وفقدها للخضرة والتنسيق واللمسة الجمالية فى مبانيها ومرافقها ومعظم محتوياتها المادية والمعنوية.
- وفقدها لولاء من يتعلمون فيها مما لا يجعلهم حريصين على العناية بها وعدم إفساد شىء فيها.

● وكل ما تفقده دور التعليم يمكن أن يعوضه تعاون من فيها وتكافلهم، وحرصهم على أن تكون فى الصورة التى تمكنها من أداء وظائفها وفى هذا جلب لمصالحهم ودفع للمفاسد عنهم.

● إن ترك المؤسسة التربوية الأصيلة فى رعاية الدولة وحدها قصور ونكوص، وتراجع عما ينبغى أن يكون عليه التعاون والتكافل بين المنتمين إلى هذه المؤسسة خصوصًا، وأهل المجتمع عمومًا.

٤- وفى مجال الأندية:

أصبح النادى الرياضى - وهو الأكثر - والنادى الاجتماعى - وهو الأقل - والنادى الثقافى - وهو الأندر - والنادى السياسى - وهو شبه المنعدم فى دول العالم الثالث - أصبح النادى من ضرورات الحياة الحديثة، سواء أكانت هذه النوادى لخدمة الإنسان أو كانت لشغله وصرفه عن قضاياه الأساسية؛ لذلك كان التعاون والتكافل بين رواد النادى مما يدعم الحياة الاجتماعية والرياضية ويملأ أوقات الفراغ عند الناس المحرومين فى الغالب من التعبير عن آرائهم السياسية ونحوها.

- ويستطيع المشاركون فى النوادى أن يقدم كل منهم ما يستطيع من دعم مادى أو معنوى للنادى ومرافقه لكى يؤدى وظائفه على الوجه الذى يحقق الهدف الذى أنشىء من أجله.

● أما ما يلحظ من استغلال رؤساء بعض النوادى وأعضاء مجالس إداراتها لتحقيق مكاسب مادية أو أدبية، أو تحقيق مكاسب سياسية فإن ذلك انحراف بالنادى وبالمجتمع عن

الهدف ودخول به فى متاهات السرقة والرشاوى واستغلال النفوذ.

● وكلما اجتهدت الحكومة فى إقصاء الإسلاميين عن هذه النوادى فإنها تخسر العناصر الصالحة التى تخشى الله وتراقبه فيما تقوم به من أعمال، وأغلب الحكومات فى العالم الثالث تضحى بأى مصلحة أو بدفع أى مفسدة طالما نجحت فى أبعاد الإسلاميين خشية لما يسمونه الإسلام السياسى، وتخوفًا مما سوف يطلقون عليه بعد قليل: الإسلام الاجتماعى أو الإسلام الثقافى أو الإسلام الاقتصادى، أو الإسلام فقط كما تفعل بعض الدول اليوم فى فصل كل موظف فى الدولة إذا كان ولاؤه للإسلام لا للعلمانية[1].

هـ- وفى مجال النقابات المهنية والعمالية:

هذه النقابات فى عالم الغرب حَكَم بين الحكومة وأعضاء النقابة عندما يقع عليهم حيف من الحكومة، أو هيئة تعمل على تحقيق مصالح أعضائها بتيسير الخدمات لهم، وتطوير هؤلاء الأعضاء مهنيًا ومهاريًا.

أما فى العالم الثالث فكل النقابات حكومية تدافع عن الحكومة ضد الأعضاء الذين لا يرضون عن سياسة الحكومة، ولا ينتخب فى النقابة إلا من رشحته الحكومة أو رضيت عنه، وإذا أبت إحدى النقابات أن تكون هيئة حكومية صدر قرار حكومى بحلها وتسريح أعضاء مجالسها وتحويل بعضهم إلى المحاكمة بل المحاكمة العسكرية.

أما أن يصل الإسلاميون إلى نقابة فلابد أن تحل وينكل بها بعد حملة صحفية من المنافقين الذين يسخرون أقلامهم لكل حكومة تشوه النقابة وتتهم أعضاءها بكل نقيصة!!!

- التعاون والتكافل بين أعضاء هذه النقابات يجعل منها قوة قادرة على تحقيق أهدافها من مساندة الأعضاء والمحافظة على حقوقهم، وتأمين حاضرهم ومستقبلهم وتطوير المهنة إلى أقصى حد وصل إليه العلم المعاصر، فضلاً عن توفير الخدمات الاجتماعية والثقافية والرياضية بأجور رمزية.

- والعمل النقابى عمل سياسى فى جانب من جوانبه، لذلك كانت التربية الإسلامية السياسية ألزم به وأجدر، وذلك معناه توفير الأسس التى تقوم عليها التربية الإسلامية

---

(١) أوضح مثال على ذلك ما تقدم به أجاويد رئيس وزراء تركيا إلى رئيس الجمهورية أحمد نجدت سيزار بفصل عشرات الآلاف من الموظفين لانتماءاتهم الإسلامية صراحة، ورفض رئيس الجمهورية لذلك إلا بعد عرضه على مجلس النواب، وكثير من الدول تفعل ذلك خفية ولا تستصدر بذلك قانونًا، وإنما تستجيب لمخططات أعداء الإسلام من اليهود والأمريكان وبعض دول الغرب.

السياسية حتى تتمكن النقابات من أداء وظائفها.

٦- **وفى مجال المجتمع كله:**

المجتمع المسلم كيان كبير وحدته الأولى الأسرة، وكل ما تحدثنا عنه فى مجال الأسرة من تعاون وتكافل، ومن نتائج إيجابية لهذا التعاون والتكافل، يجب أن نكون على ذكر منه فى حديثنا عن المجتمع كله.

- فعندما يتعاون الناس ويتكافلون فيما بينهم فإن المجتمع كله ينعم بالطمأنينة والأمن والاستقرار، وحدوث الاكتفاء. وعلى سبيل المثال:

فإن اليتيم والضعيف والأرملة والعاجز عن العمل لعاهة أو بطالة، وصاحب أى حاجة، كل هؤلاء سيجدون فى المجتمع ما يدفع عنهم الحاجة والعجز وفقد المعين،ويزرع فى نفوسهم الأمن والطمأنينة، وعندئذ يقل عدد المجرمين، ويعزف المحتاج عن أى سلوك منحرف يؤمن به حاجته - كما يتوهم.

- إن التعاون والتكافل لابد أن يكونا سببًا فى القضاء على أى انحراف عن السلوك الحميد، وعن الإجرام والعنف والجنوح.

- أما ترك ذلك كله للدولة وحدها فهو قصور شديد فى الفهم وتقصير فى العمل الواجب، وسلبية، وسوء فهم للتعاون والتكافل ووقوع فى دائرة الإثم والحرج أمام الله تعالى، وأمام المجتمع كله.

- والمجتمع كله عندما تسوده روح التعاون والتكافل يعتبر مؤسسة تربوية، لا تقل أهمية عن الأسرة والمسجد والمدرسة والنادى والنقابات، إن المجتمع عندئذ مدرسة كبيرة لا تكف عن مد الناس بكثير من القيم التى هم فى أمس الحاجة إليها.

٧- **وفى مجال العالمين العربى والإسلامى:**

الانتماء العربى والإسلامى عاملان مكملان لجوانب شخصية الإنسان فى العالمين العربى والإسلامى.

- ولابد أن نعرف بل نعترف بأن القوى المعادية للعروبة والإسلام تبذل قصارى جهدها لصرف العرب عن الانتماء إلى العروبة وصرف المسلمين عن الانتماء إلى الإسلام.

- إنهم يحاولون تجاهل العالم العربى وتناسيه ثقافيًا بإطلاق تسمية الشرق الأوسط، لتدخل

إسرائيل فى هذه التسمية لأنه من المحال أن تدخل فى تسمية العالم العربى – وهى العدو الألد للعرب حيث احتلت فلسطين وشردت شعبها العربى، وقهرت العالم العربى فى حروب تمولها وتمدها أمريكا والغرب .

- وإذا كان العالم العربى يعوزه الاتحاد أو الوحدة، ويحتاج إلى الأسباب التى تؤدى إلى وحدته أو اتحاده، فإن بداية الطريق إلى كل ذلك هو التعاون والتكافل بين الشعوب العربية . .

- وإذا كان أمل العرب هو تحرير القدس وعودة اللاجئين وتعويضهم وإقامة دولة فلسطينية على أقل من ربع مساحة فلسطين – فإن هذا الأمل على تواضعه وما يدل عليه من تراجع وانهزام – لا سبيل إلى تحقيقه إلا بالتعاون والتكافل بين الشعوب العربية .

- وإذا كان يرجى للغة العربية – لغة القرآن – أن تسترد كيانها، وأن تواجه ما يزاحمها من لغات أجنبية غلبت اليوم على ألسنة الصغار من المتعلمين فأقصت العربية – فإن من وسيلة ذلك أن يتعاون العرب ويتكافلوا فى سبيل تحقيق هذه الغاية الحيوية للأمة العربية، والعرب اليوم فيهم العلماء والمثقفون وأهل الغيرة على مستقبل الأمة العربية وما ينقصهم إلا التعاون التكافل، ثم إقناع الحكومات العربية بضرورة اتخاذ قرارات تحفظ على الأمة العربية لسانها وهويتها .

- كما لابد أن نعرف بل نعترف بأن القوى المعادية للأمة الإسلامية، تحاول باستماتة أن تضعف ولاء المسلمين لأمتهم الإسلامية إن لم تستطع أن تقضى على هذا الولاء قضاء تامًا .

- ويترتب على هذه المعرفة أو الاعتراف أن يوقظ المسلمون فى عقولهم وقلوبهم وثقافتهم أنهم أمة واحدة من دون الناس، وأن الذى يوحدهم فى هذه الأمة هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومعنى ذلك أن الشعور بهذه الوحدة جزء من الدين لأنه استجابة للكتاب والسنة .

– قال الله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ... ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

– وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ... ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

– وروى ابن إسحق رحمه الله قال: «وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبى ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس...».

● فالمسلمون أمة واحدة وإن تباعدت ديارهم فى أقطار الأرض، وعقيدة واحدة – هى لا إله إلا الله محمد رسول الله – وإن كانوا بيضاً وحمراً وصفراً وسمراً، وأعراقًا وأجناساً.

– وهكذا وحد بينهم الإسلام إلى يوم الدين بوصفهم الأمة الوسط، أمة الخير تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

– والتعاون والتكافل بين المسلمين فى مختلف أقطار الأرض هو الذى يعزز هذه الوحدة ويقوى أواصرها ويجعل منهم قولاً وفعلاً الأمة الوسط خير أمة أخرجت للناس.

– وبالتعاون والتكافل بين المسلمين تجد كل قضية من قضاياهم فى أى بقعة من بقاع الأرض من يدافع عنها وعن حق أصحابها على اعتبار أنها قضية المسلمين جميعًا، فهذا هو خلق الإسلام ومنهجه ونظامه إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

– وعند التوقف عن التعاون والتكافل بين المسلمين فإنهم جميعًا آثمون، ولو كانت الحكومات فى بلدان العالم الإسلامى ملتزمة بتطبيق شرع الله ومنهجه، لما كان على وجه الأرض أمة أقوى من أمة الإسلام، ولما استطاع أى عدو أن ينال منها، من حاضرها أو مستقبلها، ولا أن يسيطر على سياستها واقتصادها فضلاً عن أن يحتل جزءاً من أرضها.

● وهكذا يتبين لنا ولغيرنا ممن يؤثرون الحق ويتبعونه، أن التعاون والتكافل بين أفراد الأمة الإسلامية شعوبها وحكوماتها هو أساس راسخ من أسس التربية السياسية الإسلامية التى تسهم فى أن تجعل من المسلمين – إن اتبعوا منهج الله – خير أمة أخرجت للناس.

الأساس الرابع

تربية الإنسان المسلم على مبدأ الشورى

تربية الإنسان المسلم على مبدأ الشورى هو من الأسس الراسخة التى تقوم عليها التربية السياسية الإسلامية، لأن الشورى هى لب السياسة ومحورها الذى تدور حوله، وبغير هذه الشورى يكون الاستبداد والظلم وقهر الإنسان بإهدار حقوقه.

- والشورى فى لغتنا وتراثنا هى: التشاور، وهى صفة من صفات المؤمنين، كما يفهم ذلك من قوله تبارك وتعالى: ﴿ ... **وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [الشورى: ٣٦-٣٨].

وحسب الشورى منزلة أنها وقعت فى هذه الآيات بين الصلاة والزكاة، والصلاة أهم الفرائض وأكثرها تكراراً، والزكاة من أقوى العبادات التى تختبر سخاء المؤمن بماله لينفقه فيما أمر الله تعالى به.

- والتشاور: طلب الرأى والمشورة.

- والشورى مبدأ جوهرى تقوم عليه الحياة السياسية فى المجتمعات الراشدة الحرة الكريمة، وهى فى الإسلام أمر وجهه الله تعالى إلى نبيه يأمره بأن يشاور أصحابه - وهو النبى المعصوم الموحَى إليه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وهو أمر موجه إلى كل مؤمن بالله ورسوله.

- والشورى هى الأسلوب الأمثل للقضاء على الاستبداد بالرأى، وما يجلبه هذا الاستبداد من تفويت للمصالح ووقوع الظلم على الناس وإهدار حقوقهم فى الفكر والتعبير.

- ولم تعرف البشرية فى تاريخها الذى أخبرنا به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مستبداً إلا كان معطلاً للشورى، ومهما وُصف المستبد بصفات قادحة فاضحة، فإن أسوأ ما يوصف به أنه مستبد معطل للشورى، لأن تعطيل الشورى دليل على أن معطلها مغرور مخدوع جاهل سيىء التدبير.

- ومن أجمع ما جاء فى القرآن الكريم من الأمثلة الهادية المعلمة التى تشير إلى أن المستبد أو الطاغية يقوم بأعمال متسلسلة لها بداية ونهاية تؤدى به فى النهاية إلى أن يوصف بأنه مستبد معطل للشورى.

ومثال ذلك «فرعون» الذى عاصر نبى الله موسى عليه السلام فإنه كانت له خطوات متوالية لكى يصل إلى قمة الطغيان، على النحو الذى سنوضحه فيما يلى:

– **الخطوة الأولى:**

هى الغرور والانخداع بالنعم الزائلة التى لا ينخدع بها إلا الغافلون، كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى عن هذا «الفرعون»: ﴿ **وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الزخرف: ٥١]. فلم يقل له أحد – مثلاً – إنها لك ولمن يأتى من بعدك، فازداد غروره واعتزازه بالنعم الزائلة.

– **والخطوة الثانية:**

مترتبة على الخطوة الأولى عندما قال ما قال ولم يرده أحد، استخف قومه فأطاعوه لأنهم كانوا قومًا فاسقين، فقال لهم كما يحكى ذلك القرآن الكريم: ﴿ ... **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ [غافر: ٢٩]. فبلغ به الاستبداد بالرأى أن أعطى نفسه الحق فى أن يفكر للناس فيحرمهم حقهم فى التفكير «ما أريكم إلا ما أرى» وذلك معناه مصادرة الرأى ومنعه من البروز. ثم استبد به الغرور والاستبداد إذ لم يقل له أحد بل نحن نفكر أيضًا ونرى ما ترى، فكانت خطوته الثالثة.

– **والخطوة الثالثة:**

هى قمة الغرور والاستعلاء والاستبداد بهؤلاء الضعفاء الذين لم يوجد فيهم أحد يرده عن غروره واستبداده، فزاد غروره حتى تصور السفيه أنه رب الناس وإلههم – قال الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [القصص: ٣٨]. فبلغ قمة الغرور والاستبداد والجهل والسفه، فكان أن أغرقه الله على نحو ما هو معروف فى القرآن الكريم(١).

- هكذا يفعل ترك الشورى أو تعطيلها والاستبداد بالرأى فى الملوك مهما اتسع ملكهم، وفى الرؤساء مهما بلغ نفوذهم وفى كل مستبد طاغية.

- ومثل فرعون واستبداده كغيره من الأمثلة التى أوردها القرآن الكريم ليتعلم منها الناس ويتفكروا ويتذكروا ولكن ما يعقل إلا العالمون، قال الله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

---

(١) سورة يونس: الآيات من ٩٠ إلى ٩٢. وفيها قصة غرق هذا الطاغية المستبد.

● إن مبدأ الشورى هو المبدأ الذى يضمن احترام كل رأى والاستماع إليه والحوار معه بموضوعية وهدوء، لقبوله أو قبول بعضه أو رفضه فى موضوعية إن جانب الصواب.

- إن الشورى احترام لعقل الإنسان وإعطاؤه الفرصة للإبداع والتعبير عن هذا الإبداع - والعقل من أكبر نعم الله تعالى على الإنسان، فبه كلف، وبهذا التكليف شُرف وفُضل على كثير من خلق الله تبارك وتعالى.

- إن مبدأ الشورى عند الأخذ به - يمثل - فى لغتنا الحديثة وفى مصطلحاتنا المعاصرة - القدرة على اتخاذ قرار صائب لصالح المجتمع، ويحول بين الناس وبين السطحية والعفوية والقصور فى اتخاذ أى قرار.

- إن مبدأ الشورى عندما يطبق يمنع كارثة اتخاذ القرارات الفردية، ويحد من غرور أصحاب السلطان، والمستبدين من الحكام، والطغاة من القواد الذين لا يرون إلا أنفسهم ويفكرون للناس ولا يسمحون لهم إلا بالانصياع والخضوع لما رآه الطاغية من رأى - حتى إن بعضهم - كما فعل فرعون يتصور أنه هو الشعب كله لا ممثل الشعب المفوض منه بالحكم والعمل!!!

- ومن عجب أن كل مستبد يرى لقومه ما يرى لا يكون فى الحقيقة ممثلاً للشعب، وإنمايكون فى الغالب قد فرض نفسه على الشعب بانقلاب عسكرى، ثم بانتخابات مزورة تفرضه على الناس بنسبة ٩٩٪ بدون حياء.

- إن الأخذ بمبدأ الشورى هو الذى يحمى الناس من هزلية العمل السياسى وعبثية الانتخابات التى تؤدى إلى مجالس نيابية ورقية تسبح بحمد الحاكم ونظامه الذى جاء بهؤلاء الأعضاء بالتزوير أو البلطجة السياسية أو اعتقال المرشحين الآخرين وزجهم فى السجون والمعتقلات قبيل كل حملة انتخابية، ثم الطنطنة والادعاء بنزاهة الانتخابات وشفافيتها.

- إن الأخذ بمبدأ الشورى يقى الناس شر القوانين العرفية وقوانين الطوارئ والمحاكمات العسكرية الهازلة وامتهان القضاء والقضاة بإسناد القضاء إلى بعض الجهلة المغرورين الذين يطالب أحدهم وهو على منصة القضاء - أحد المتهمين فى القضايا السياسية بأن يقرأ إحدى سور القرآن الكريم من آخرها إلى أولها!!! ثم يرقَّى هذا المخبول إلى منصب نائب رئيس الجمهورية فيما بعد!!! فكيف تساس هذه الجمهورية.

- إن الشورى إذا ضُيعت فى أمة ضاعت هذه الأمة وفقدت أول ما تفقد صفة الإيمان، لأن الشورى صفة المؤمنين وعمل الأنبياء والمرسلين والصالحين من الحكام.

ثم يتوالى فقد الأمة التى ضيعت الشورى لكل مصالحها، حيث تفقد ما نسجل بعضه فيما يلى :

- تفقد الإحساس بالأمن على مستوى الحكام والمحكومين.
- وتفقد الاستفادة من الآراء المستنيرة المخلصة.
- وتفقد القدرة على مواجهة المتغيرات والتحديات
- وتفقد القدرة على التقدم والتطور فى مجالات الحياة.
- وتفقد تحقيق الانتصار على أعدائها، حيث تتوالى عليها الهزائم نتيجة لاتخاذ قرارات غير ناضجة ولا مدروسة.
- وتفقد إيجابية المواطن ومشاركته العملية فى التغلب على مشكلات المجتمع الذى يعيش فيه، لإحساسه بانه مهمش ولا وزن له ولا قيمة لما يرى من رأى.
- وتفقد القدرة على الإنتاج وعلى تحقيق الاكتفاء الذاتى وتظل عالة على غيرها، تستدين وتدفع من كرامتها ومن أموالها ومقدراتها ما يهبط بها إلى أدنى المستويات.
- وتفقد وتفقد إلى ما لا نهاية له من الفقد والحرمان من المكانة المحلية والدولية، وتصنف بين دول العالم الثالث أو عالم الجنوب أو عالم التخلف والفقر والجهل والمرض كما يسمونه فى الغرب أو فى عالم الشمال!!!
- ومن أجل ذلك كله - مما ذكرنا من الآفات التى تترتب على إهدار الشورى، ومما لم نذكر - وهو كثير - جاء الإسلام بمبدأ الشورى وجعله صفة أساسية من صفات المؤمنين، وألزم بالأخذ به على كل مستوى من المستويات، مستوى الفرد والجماعة والدولة والأمة، وألزم به كل حاكم أو صاحب أى ولاية على الناس.
- وسوف نوضح فى الصفحات التالية أبرز الأمور التى تتعلق بالشورى، مثل :

- مكانة الشورى ومكانها فى الكتاب والسنة.
- والأسس التى تقوم عليها الشورى.
- والضمانات والميزات التى تحققها الشورى للإنسان وللمجتمع.
- وحكم الشورى من حيث إنها ملزمة للحاكم أولاً، ولكل صاحب ولاية.

والله سبحانه هو الموفق والمعين

أ- مكانة الشورى ومكانها فى الكتاب والسنة :

للشورى فى الإسلام مكانة عالية فهى صفة أصيلة من صفات المؤمنين الواردة فى القرآن الكريم - كما سنذكرها بعد قليل- ولها فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية مكان بين آيات القرآن وكلمات السنة النبوية المطهرة.

- أما فى القرآن الكريم، فقد وردت الشورى بلفظها مرتين إحداهما بلفظ «الشورى» والأخرى بصيغة الأمر: «وشاورهم».

- ففى معرض توضيح صفات المؤمنين جاء قول الله تعالى: ﴿ **فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [الشورى: ٣٦- ٤٣].

- ويحمل هذه الصفات ثلاث عشرة صفة جاءت صفة الشورى بينها كواسطة العقد ست صفات قبلها وست بعدها على النحو الذى سنبينه فيما يلى:

١- صفة الإيمان: «للذين آمنوا».

٢- وصفة التوكل على الله: «وعلى ربهم يتوكلون».

٣- وصفة اجتناب كبائر الإثم والفواحش: «والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش».

٤- وصفة التسامح والمغفرة عند الغضب: «وإذا ما غضبوا هم يغفرون».

٥- وصفة الاستجابة لأمر الله تعالى ونهيه: «والذين استجابوا لربهم».

٦- وصفة إقامة الصلاة: «وأقاموا الصلاة».

ثم تأتى صفة الشورى واسطة العقد:

٧- صفة الشورى: «وأمرهم شورى بينهم».

والصفات الستة التى جاءت بعدها هى:

١- الإنفاق فى سبيل الله من رزق الله تعالى: «ومما رزقناهم ينفقون».

٢- والانتصار من البغاة محافظة على كرامة الإنسان من انتهاك البغاة والطغاة: «والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون».

٣- والعفو عن المسيء، «فمن عفا».

٤- والإصلاح بين الناس عمومًا وبين المتخاصمين على وجه الخصوص: «وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين».

٥- والصبر على المكاره، وعلى الطاعات وعن المعاصى: «ولمن صبر».

٦- والغفران والصفح عمومًا: «وغفر».

فالشورى بهذا الوضع هى واسطة العقد أى أكرم جوهرة فيه وأغلاها وأرفعها قدرًا وحسبها شرفًا أن جاءت بين الصلاة والزكاة.

● وما كان ذلك كذلك إلا لأهمية الشورى فى حياة المسلم الخاصة والعامة على السواء، وفى تعامله مع أسرته يعلّم ويربى وفى تعامله مع الناس، يسهم بالشورى فى التربية ويعين بها على أن يكون الناس على أحسن حال.

- وفى معرض الأمر الصريح بالشورى جاء قول الله تعالى مخاطبًا لنبيه الخاتم ﷺ آمرًا له بأن يشاور أصحابه مع أنه النبى المعصوم الموحى إليه: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران: ١٥٩].

- جاءت الشورى على صيغة الأمر، والمأمور بها هو الرسول ﷺ، ثم أمته من بعده إلى يوم الدين.

- ولهؤلاء الصحابة الذين أمر الرسول ﷺ بالعفو عنهم والاستغفار لهم ومشاورتهم، قصة ذكرها المفسرون خلاصتها أنهم رضى الله عنهم - وكان معظمهم شبابًا ممن لم يشهدوا بدرًا - أشاروا على الرسول ﷺ بالخروج إلى أحد وكان ﷺ يؤثر البقاء فى المدينة، لكنه خرج بناءً على مشورتهم.

فلما كانت المعركة فر كثير منهم من القتال.

وكان هذان الموقفان منهم قبل المعركة وفى أثنائها جديرين بأن يعاملهم الرسول ﷺ معاملة فيها عتاب ومغاضبة أو تغليظ، ولكنه ﷺ برحمة من الله زرعها الله فى قلبه نحو البشرية كلها لان لهم وكلمهم بالطيب من الكلام: «فبما رحمة من الله لنت لهم».

– وقد عفا الله عنهم فى موقفيْهم كما يفهم ذلك من الآيات الكريمة التى سبقت هذه الآية[1]. هذا حق الله وقد عفا عنه وزاد هنا فى التفضل عليهم بأن طلب من رسوله ﷺ أن يعفو عنهم ويستغفر لهم،وذلك لحكمة الله البالغة فى التعامل معهم حتى لا يتفرقوا عن النبى ﷺ وعن الدين نفسه.

والمعنى – كما قال المفسرون –: لولا رفقك يا محمد بالمؤمنين فى معركة أحد لمنعهم توليهم فى المعركة عن القرب منك والالتفاف حولك؛ فأمره الله تعالى بأن يعفو عن المسلمين فيما له عليهم من كل ما يخصه ﷺ، فكانوا منه على درجة العفو عنهم.

ثم أمره بالاستغفار لهم فيما لله عليهم من تبعة لأنهم فروا وعصوا أوامر الرسول ﷺ، فلما استغفر لهم فغفر الله لهم صاروا على درجة أعلى وأكبر.

– ثم أمره أن يستشيرهم لأنهم بعد العفو والاستغفار صاروا أهلاً للاستشارة فى الأمور، فقال له: «وشاورهم فى الأمر».

● وقد أخذ بعض العلماء من آية سورة الشورى أحكاماً فقهية عديدة منها:

– ما قاله ابن عطية الغرناطى المفسر المحدث: «والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، وهذا ما لا خلاف فيه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: «وأمرهم شورى بينهم».

– وما قاله الحسن والضحاك قالا: «ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما فى المشاورة من الفضل، ولتقتدى به أمته من بعده»[2].

– وما قاله ابن خويز منداد: «واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما

---

(1) وذلك فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

(2) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ٢٤٩ باختصار. ط دار الكتاب العربى للطباعة والنشر: ١٣٨٧ هـ– ١٩٦٧ عن ط دار الكتب المصرية.

أشكل عليهم من أمور الدين، يستشيرون وجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها»[1].

● وأما ما جاء عن الشورى في السنة النبوية المطهرة، فنذكر منه ما نؤصل به الشورى ووجوبها على المسلمين، فيما يلي:

١- روى الخطيب البغدادى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، الأمر ينزل بعدك لم ينزل فيه قرآن، ولم يُسمع منك فيه شيء؟ - أى ماذا نفعل فيه -؟ قال ﷺ: «اجمعوا له العابد من أمتى واجعلوه بينكم شورى، ولا تقضوا فيه برأى واحد».

وهذا الحديث الشريف يعلمنا نوع من يُستشارون وهم الصالحون العبّاد من المسلمين، وأن يكون الأمر شورى بين هؤلاء الصالحين، ويعلمنا ألا نقضى أمراً ذا بالٍ إلا بالشورى.

٢- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أمراؤكم خياركم،وأغنياؤكم أسخياءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».

وهذا الحديث الشريف يدلنا على مكانة الشورى فى الصلاح والإصلاح فهى واحدة من ثلاث صفات إذا اتصف بها المسلم كان أهلاً للحياة الإنسانية الكريمة وهو معنى أن يكون ظهر الأرض - أى العيش - خيرا له من بطنها أى الموت، فإن فقد هذه الصفات أو بعضها كان الموت خيراً له من الحياة.

٣- وروى ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه».

فهو يلزم بالاستشارة ويوجب على من استشير أن يشير.

٤- وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتمن، فإذا استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه».

وهذا الحديث الشريف يؤكد أمرين فى الشورى:

---

(١) السابق: ٤ / ٢٤٩ باختصار.

أحدهما: وجوب الشورى على من استشير.

والآخر: الأمانة والإخلاص فى إبداء المشورة.

٥- وروى البيهقى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالجماعة فإن الله لم يجمع أمة محمد على ضلالة، حتى يستريح بَرٌّ أو يستراح من فاجر».

فالجماعة - كما يفهم من الحديث الشريف - منجاة من الشر والفجور ومدعاة للبر والخير، وإنما كانت الجماعة كذلك لأنها لا تقدم على شيء ذى بال حتى تتشاور فيما بينها، وبهذه المشورة تكون العصمة من الضلال، وهو معنى أن أمة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة.

٦- وقال القرطبى فى تفسيره: روى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما شقى عبد بمشورة، وما سعد باستغناء رأى»(١).

ونتعلم من هذا الحديث أن الشورى لا يشقى بهما أحد أبداً وإنما هى سبب سعادة له، وأن تركها والاستغناء عنها مجلبة للشقاء وفقد السعادة.

● وللعلماء فى الشورى كلمات جليلة القدر أحب أن أذكر منها ما يلى:

- ذكر علماء السيرة والتاريخ الإسلامى، قالوا: أجمع علماء الأمة على أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل الخلافة - وهى من أعظم النوازل - بالشورى.

ولو لم تكن الشورى ذات مكانة رفيعة ما جعلها عمر رضى الله عنه طريقًا إلى اختيار الخليفة من بعده.

- وقال الإمام البخارى: «كانت الأمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها».

- وقال الحسن البصرى: « ما تشاور قوم فيما بينهم إلا هداهم إلى أفضل ما يحضر بهم» أى هداهم التشاور.

فالشورى إذن هى الطريق لأفضل ما يكون من الأعمال.

- وقال الفخر الرازى فى كتابه القيم «التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب»: «الفائدة فى أنه

(١) السابق: ٤/ ٢٥١.

تعالى أمر الرسول ﷺ بمشاورتهم؛ وجوه:

● أنه ﷺ وإن كان أكمل الناس عقلاً، إلا أن علوم الخلق متناهية، فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله، لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا، فإنه ﷺ قال: «أنتم أعرف بشئون دنياكم وأنا أعرف بأمور دينكم» ولهذا السبب قال ﷺ: «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم».

– وقال سفيان بن عيينة والحسن: «إنما أمر بذلك ليقتدى به غيره فى المشاورة، ويصير سنة فى أمته» وأنه ﷺ شاورهم فى وقعة أحد فأشاروا عليه بالخروج وكان ميله ألا يخرج، فلما خرج وقع ما وقع، فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ذلك يدل على أنه بقى فى قلبه منهم بسبب مشاورتهم بقية أثر، فأمره الله تعالى بعد تلك الواقعة بأن يشاورهم؛ ليدله على أنه لم يبق فى قلبه أثر من تلك الواقعة».

ثم يواصل فخر الدين الرازى قائلاً: «فإذا عزمت فتوكل على الله» أى إذا عزمت بعد المشاورة فى الأمر على إمضاء ما ترجحه الشورى وأعددت له عدته، فتوكل على الله فى إمضائه، وكن واثقًا بمعونته وتأييده لك فيه، ولا تتكل على حولك وقوتك».

● ويرى بعض أدعياء العلم أن قول الله تعالى: «فإذا عزمت فتوكل على الله» أنه بعد أخذ الشورى، فإن الرسول ﷺ له أن يخالفها، وأن يأخذ برأيه هو أو عزمه، وكذلك يكون الشأن فى كل قائد أو رئيس أو مستشير!!!

وهذا رأى فائل – أى خطأ – بل ممعن فى سوء الفهم، لأن الأخذ به يهدم مبدأ الشورى من أساسه، ويحول الشورى نفسها إلى عمل يمارسه المستشير للتجمل ولمجرد إظهار أنه يستشير ثم يفعل هو ما يشاء!!!

● وهذا الرأى لم يقل به أحد من العلماء الأثبات، ولا أحد من أهل الذكر والمكانة من المفسرين لكتاب الله تعالى.

ولو ادعى بعضهم أن هذا الرأى قال به أحد العلماء لكان دليلاً على أن صاحبه قد اعتسف فى فهم الآية الكريمة وشذ فيما ذهب إليه، وتجاهل ما عليه جمهور العلماء.

– وقال سفيان الثورى فى الشروط التى يجب أن تتوافر فى أهل الشورى: «ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والأمانة، ومن يخشى الله تعالى».

● وبعد أن استعرضنا هذه الآراء لكبار علماء المسلمين فى تفسيرهم لقوله تعالى:

«وشاورهم فى الأمر» نستطيع أن نفهم من الآية الكريمة ما يلى:

- أن الشورى أصل أصيل فى الإسلام منهجه ونظامه، لأن النبى ﷺ - وهو المعصوم عن الخطأ - قد أمر من ربه أن يشاور أصحابه رضوان الله عليهم على الرغم مما كان منهم فى موقعة أحد.
- وأن الشورى إنما تكون فيما لا نص فيه من القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة.
- وأن الأخذ بمبدأ الشورى واجب شرعى لا يتركه إلا مخالف لمنهج الإسلام ونظامه.
- وأن الأخذ بما تفضى إليه الشورى هو الأصل، وأنه يجب أن يكون مصحوباً بالعزم والتوكل على الله تعالى.
- وأن أهلية الذين يستشارون قائمة ومستمرة حتى لو أخطأوا فيما يشيرون به، وفى ذلك دعم لمبدأ الشورى فى كل موقف ومع كل مستشار.
- وأن الشورى هى لب العمل السياسى وجوهره.

● ولابد للشورى فى الإسلام من أسس تقوم عليها، ونحاول توضيح هذه الأسس فى الصفحات التالية، والله المستعان.

ب- الأسس التى تقوم عليها الشورى

هذه الشورى التى هى أصل من أصول منهج الإسلام، والتى تقررت فى الكتاب والسنة ومارسها الرسول ﷺ بل أمر بها.

هذه الشورى لها أسس وقواعد تقوم عليها، بل تستمد منها كيانها وفاعليتها وتأثيرها فى الحياة الإنسانية.

وهذه الأسس من أهمها ما نتحدث عنه الآن:

١- الكتاب والسنة

أهم أساس تقوم عليه الشورى فى الإسلام هو كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، فهى ترتكز تماماً على الكتاب والسنة فتستمد منهما أبرز صفاتها وأهمها مثل:

- أن الشورى باقية ببقاء الكتاب والسنة، وهما باقيان إلى أن تقوم الساعة فكذلك الشورى باقية ما بقى على الأرض خاتم أديانه وهو الإسلام.
- وأنها تحظى لدى المسلمين باحترام وتقدير نابعين من وجوب احترام المسلمين وتقديرهم للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكل ما جاء فيهما من أمر ونهى.

- وأنها يجب أن تكون موضع قبول والتزام بها عند المسلمين لوجوب قبولهم للكتاب والسنة والتزامهم بما جاء فيهما من حلال يحلونه وحرام يجتنبونه.

٢- **والشورى مصدر للتشريع** بعد الكتاب والسنة، فهى خطوة جوهرية وأساسية فى طريق إجماع الأمة على رأى ليس فيه نص من الكتاب أو السنة.

وبوصف الشورى مصدراً من مصادر التشريع، فإنها تسد بابا من أخطر أبواب الفساد وهو أن يستبد الحاكم - أو من له ولاية على غيره - برأيه فيحرم نفسه ويحرم الذين فى ولايته من خير أكيد يؤدى إليه الأخذ بالشورى، ويدخل نفسه ومن يليهم فى متاهات من خلال الاستبداد بالرأى، ومهما كان هذا الحاكم ذا خبرة وتجربة فإنه عند التحقيق رجل واحد، لابد أن يخطئ حينا ويصيب أحيانا، فإن أخطأ فبسبب تركه الشورى وإن أصاب - وهذا نادر والنادر لا حكم له - وترك الشورى دليل قاطع على استبداد الحاكم وغروره وتجاهله لما يصلح به نفسه ومن يليهم، ولابد عندئذ أن يكون ذا هوى وضلال.

٣- **الشورى تكفل حرية الفكر والحوار**

وكما ترتكز الشورى على الكتاب والسنة وأنها أحد مصادر التشريع، فهى كذلك **ترتكز على حرية الفكر والرأى وحرية التعبير** لجميع المفكرين دون تفرقة.

- بل إن الشورى توجب حرية الفكر والرأى، وتجعل الحوار بين الافكار والآراء لازمة من لوازمها، ومن خلال تلقيح هذه الأفكار بعضها لبعض وغربلتها يكون الاهتداء إلى الصالح منها.

- وهذه الحرية فى الرأى المكفولة لكل صاحب رأى، تضمن المساواة بين الناس فى إبداء الآراء وفى حرية التفكير، وتعكس قضية المساواة العامة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

- ومن ضمانات حرية الرأى ومناقشة كافة أبعاده أن الشورى تلزم المستشير أن يستمع بإخلاص للرأى الآخر، وما يشير به، دون ضيق أو تذمر عند المخالفة فى الرأى والاختلاف فى تقدير الأمور، بل إن تنازل المستشير عن رأيه، وأخذه برأى المستشار إن كان هو الأصلح دليل على أن الشورى قد آتت أكلها، وأخذت بيد الناس نحو ما يصلح لهم دينهم ودنياهم.

٤- **وأن الشورى تؤدى بالضرورة إلى المساواة بين الأفراد** والجماعات فى حرية الرأى، وهو أمر يؤدى إلى الوصول لتكوين المجتمع الناضج الراشد، بل الدولة الصالحة.

- والأصل أن تتم هذه الحرية فى الآراء - الشورى - قبل إنشاء الدولة وتكوين سلطاتها، وذلك أن الدولة بجميع مؤسساتها يجب أن تحمى هذه الحريات، لأنها إنما جاءت نتيجة للإرادة الجماعية التى قررتها الشورى، بل وضعت لها الأسس التى يجب أن تسير عليها، ومن بين هذه الأسس: الحرية والمساواة فى الحقوق والواجبات بين الناس جميعاً، بل إن الشورى هى التى تضع - من خلال الحوار - كل النظم التى تؤدى إلى قيام الدولة الصالحة.

٥- **وأن من أهم أسس الشورى المحافظة على كرامة الإنسان**؛ وذلك أن كرامة الإنسان هدف كل نظام وكل منهج بحيث يحافظ على تلك الكرامة ضد أى معتد عليها، لأن تلك الكرامة أو التكريم قد قررها الله تعالى فى قوله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٠]. كما قررتها السنة النبوية الشريفة، فقد روى ابن ماجه بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً».

- إن الشورى وهى تمارس تحمل أقوى دليل على كرامة الإنسان واحترام رأيه، والحوار معه بكل ترحيب وتقدير.

٦- **وأن الشورى هى الأصل فى الإجماع وفى الاجتهاد**، وذلك أنه لا إجماع للأمة الإسلامية على أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية إلا بالشورى، وذلك أن الأمة المسلمة لا تجمع على خطأ، ولا على ضلالة، لورود أحاديث نبوية شريفة بهذا المعنى، فقد روى ابن ماجه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتى لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم» - والسواد الأعظم هو الجماعة الذين يجتمعون على سلوك المنهج المستقيم- كما فسره السيوطى رحمه الله.

وروى أبو داود بسنده عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أجاركم من ثلاث خلال: ألاّ يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعًا، وألاّ يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وألاّ تجتمعوا على ضلالة».

- فلا إجماع إلا بالشورى.

– ولا اجتهاد إلا بالشورى كذلك، وذلك أن الإجماع لا يعنى استيعاب كل أفراد الأمة لأن ذلك مستحيل،وإنما يعنى استشارة من تثق الأمة بآرائهم وهم المجتهدون فى أى عصر من عصور الأمة المسلمة، فقد صرح بذلك أكابر علماء الشريعة حيث قالوا فى تعريف الإجماع: «إنه اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ فى عصر معين».

٧- وأن الشورى تعتبر مصدر السلطات، إذ بها تتخذ كافة القرارات الهامة.

– وذلك الأساس الذى تقوم عليه وهو أنها مصدر السلطات يؤكد أن الشورى لا تعتبر ذات قيمة ما لم تصدر من خلالها أهم القرارات ذات الشأن فى تنظيم المجتمع، ومن أمثلة هذه القرارات:

● اختيار الحاكم وتحديد سلطاته ومراقبة تصرفاته.

● ووضع السياسة العامة للدولة – الحكومة – وتحديد اختصاص كل مسئول فى الدولة ومراقبة أعماله.

● ووضع نظام للفصل بين السلطات: التشريعية والقضائية والتنفيذية، لأن تداخل هذه السلطات يؤدى إلى الاستبداد والطغيان.

● ووضع نظام لجميع العلاقات فى المجتمع، والمقصود بهذه العلاقات ما يلى:

– العلاقات السياسية، والعلاقات الاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية والعسكرية.

– والعلاقات التشريعية.

– والعلاقات الثقافية.

فكل تلك العلاقات عندما تتدخل الشورى فى تحديد أبعادها تؤدى بالضرورة إلى الوصول إلى أرقى مستويات هذه العلاقات الإنسانية.

وبعد: فتلك قواعد وأسس تقوم عليها الشورى، بل لا تسمى شورى إلا بهذه الأسس والقواعد.

وغياب أى قاعدة من قواعد الشورى، يجعل هذه الشورى ناقصة أو زائفة يخدع بها الذين لا يعلمون.

ولست أدعى أن هذه الأسس التى ذكرتها هى كل أسس الشورى أو قواعدها، ولكنها من أهم هذه الأسس من وجهة نظرى.

وفى إمكان أى باحث مهتم أن يضيف قواعد وأسسا أخرى تقوم عليها الشورى لا يختلف عليها العلماء والباحثون. ولكن موضوع هذا الكتاب وهو التربية السياسية الإسلامية هو الذى جعلنا نختار هذه الأسس السبع ونرى فيها كفاية، وفوق كل ذى علم عليم، وما أوتينا من العلم إلا القليل.

جـ- الضمانات والميزات التى تحققها الشورى

تطبيق الشورى ضمان لأمن المجتمع بكل مرافقه ومؤسساته، وضمان لكل من فى المجتمع من أفراد وجماعات، بل ضمان للحقوق والواجبات التى كفلها لهم الإسلام، وضمان لحريات الأقليات وحقوقهم، وضمان لمراقبة الحكام مراقبة راشدة دقيقة، وضمان لنظام المجتمع الذى يحقق له التقدم والاستقرار والرقى.

ونحاول بعون من الله تعالى أن نفصل ذلك فيما يلى:

١- الشورى ضمان لتحقيق أمن المجتمع:

أمن المجتمع؛ مرافقه ومؤسساته ينبع من إحساس كل فرد فيه بالأمن، ولا يشعر الإنسان بالأمن إلا إذا مارس حقوقه وحرياته، ولا يعرف المنصفون من الباحثين - مسلمين وغير مسلمين - نظامًا سياسيًا أو اجتماعيًا ضمن هذه الحقوق والحريات وحافظ عليها وجرَّم من ينتقص شيئًا منها فضلاً عن أن ينتهكها مثل النظام الإسلامى السياسى،الذى ركز منهجه فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة، ومن أسس هذا النظام وقواعد ذلك المنهج «الشورى».

- ومن المسلمات - فى عالم النظم السياسية والاجتماعية - أن حقوق الإنسان وحرياته كلما علا شأنها فى النظام السياسى كان ذلك غيظًا للحكام المستبدين الذين ينهجون فى حكمهم نهج الانتقاص من حقوق الإنسان أو إهدارها إن استطاعوا، وكثيرًا ما يستطيعون لأنهم يجدون مؤيدين لهم فى هذا الاستبداد من جموع المنافقين خوفًا أو طمعًا، وجموع المنتفعين بطغيان هؤلاء الحكام وما يمارسونه من انتقاص لحقوق الإنسان أو إهدار لها.

- والعالم الثالث - ومنه العالم الإسلامى - خير مثال على ذلك لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وذلك أن أعداء الإسلام وهم كثيرون لا يرضيهم شىء مثل ما يرضيهم استبداد حاكم مسلم بمن يحكمهم من المسلمين، لأن ذلك الاستبداد عندهم فى الحقيقة يوقف حماس للناس للعمل ويحول بينهم وبين الإجادة والابتكار، وهذا يعد

منتهى أمل الأعداء حيث يسارعون بملء الفراغ الذى خلفه فقد الحماس للعمل وفقد الإجادة، فيصدرون إلى العالم الإسلامى ثقافتهم وسلعهم وأسلحتهم، ويغرقون بلدان العالم الإسلامى فى الديون ذات الفائدة الربوية الباهظة،ويصبح منتهى أمل أى دولة من دول العالم الإسلامى أن تسدد فوائد الديون بعد « خصخصة » أملاك الدولة أى بيع نصفها أو أكثر للأجانب الذين هم فى الغالب أصحاب الديون.

– وكلما هدأت نار حرب بين المسلمين، أو بينهم وبين عدوهم التقليدى « اليهود » أشعلوا نارها من جديد، ليصدروالسلاح ويتقاضوا أجور الدفاع عن دول النفط ضد عدوهم الذين اصطنعوه وسلطوه عليهم!!!

– والتعامل بالشورى – عند تطبيقها – هو الذى يضمن لحقوق الإنسان وحرياته أن تمارس وأن تستمر وأن تستقر، لأن الشورى لا يجتمع معها طغيان حاكم ولا استبداد مستبد.

٢ – الشورى ضمان لحقوق الناس وواجباتهم:

أ– إذا طبقت الشورى على نحو ما جاء به الإسلام، كان تطبيقها ضمانا لحقوق الناس، وضمانا لأدائهم واجباتهم، وفى هذا ضمان للمجتمع كله من أن ينهار بناؤه الاجتماعى والسياسى والاقتصادى لأن المجتمع الذى لا يؤدى فيه المواطنون واجباتهم مجتمع فقير فى كل شىء، ضعيف هزيل عاجز عن مواصلة ركب التقدم. بل إن الأفراد الذين لا يؤدون واجباتهم نحو المجتمع الذى يعيشون فيه يسهمون فى هدمه والقضاء عليه، بل لا يصبحون أهلاً لممارسة حقوقهم، وأى مجتمع أضيع من مجتمع لا تمارس فيه الحقوق ولا تؤدى فيه الواجبات؟

– فماذا تفعل الشورى فى قضية الحقوق والواجبات؟

- عن طريق الشورى يتحاور الناس فيما يجب أن تكون عليه ممارسة الحقوق دون تجاوز أو عدوان على حقوق الآخرين، وتستطيع أن تهديهم فى ذلك السبيل إلى أقوم طريق.
- وعن طريق الشورى يتناقش الناس فى وجوب أداء الواجبات، ويصلون بالشورى إلى الرأى الراجح الملزم لكل أحد فى المجتمع أن يؤدى واجباته دون تقصير فضلاً عن إهمال أو امتناع، وعلى الرغم من أن أداء الواجبات مطلب شرعى دلت عليه آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فإن الشورى تقنع بهذا المطلب وتؤهل العقل والقلب لقبوله، والإقبال عليه.

- وتلك من بركات الشورى وفاعليتها وأهميتها فى المجتمع إذ تجعل الناس يؤدون واجباتهم، وهم راضون مقبلون متقربون بهذا العمل إلى الله الذى أمر بأداء هذه الواجبات ووعد بالإثابة على أدائها.

ب- وإن ممارسة الحقوق وأداء الواجبات منع لطغيان الحاكم وحرب لاستبداده، لما بين طغيان الطغاة من صلة وثيقة بضياع حقوق الناس وكبت حرياتهم، حتى ليقال: إنه ما طغى طاغية إلا بعد إهدار حقوق الناس، لان من أهم حقوقهم العدل والشورى، ولا عدل ولا شورى مع الطغيان.

- وممارسة الشورى حماية للناس من بطانات السوء التى تحيط بالحكام، وهذه البطانة السيئة هى التى تساعد الحاكم على الفساد أولاً ثم على ظلم الناس والاستبداد بهم من بعد ذلك وكل ذلك إنما يتم فى غيبة الشورى، لان الأخذ بالشورى لا يمكن أن يفضى إلى ظلم الحاكم وطغيانه، وإلا كانت شورى مغلوطة أخذت اسم الشورى وفعل الاستبداد، وكانت شورى صورية مزيفة كالديموقراطية التى يخدعون بها الناس إذ يزعمون أنهم بالديموقراطية قد حققوا فوزاً فى الانتخابات فاق نسبة تسعة وتسعين بالمائة فى معظم دول العالم الثالث الديموقراطية!!!

● ومن المفارقات الديموقراطية فى بلدان العالم الثالث أن وزيراً للداخلية - وهى الوزارة المشرفة على الانتخابات - صرح بل أمر قيادات الشرطة الذين اجتمع بهم - بأن نتيجة فوز مرشحى الحزب الحاكم يجب ألا تقل عن ٧٥٪ من مجموع الفائزين بمقاعد المجلس النيابى!!! ومن لم تكن النتيجة عنده هكذا فليستقل!!!

● وصرح وزيرآخر للداخلية فى اجتماعه بمديرى الأمن فى المحافظات كلها فى بلد عربى بأن كل مدير أمن يرسب عنده مرشح للحزب الحاكم عليه أن يقدم استقالته!!!

وبالطبع لم يستقل أحد من قيادات الشرطة أو مديرى الأمن ومساعديهم.

٣- وممارسة الشورى هى الضمان الأكيد لمراقبة الأمة للحكام

كل الأنظمة السياسية تحاول مراقبة الحكام فى أعمالهم وفى حصولهم على الأموال وأنواع الانتفاع، والحيف عن العدل، وكل ذلك إنما يحدث فى غيبة الشورى.

وأهم ما تكون الرقابة على الحاكم فى أن يوسع من سلطاته، وكل توسع فى سلطات الحاكم إنما يكون على حساب الحق والعدل وصيانة حقوق الإنسان، ولا ضابط لذلك إلا الشورى.

- وأوضح ما تكون مراقبة الشورى للحكام بل أبسط ما تكون فى منع الحاكم من ممارسة سلطات ليست له وإنما هى من سلطة الأمة أى المجالس النيابية.

● كل الأنظمة السياسية تحاول وضع القواعد التى تراقب بها أعمال الحكام، ولكنها تفشل فى ذلك غالبًا، لأسباب عديدة منها:

الخوف من الحكام ونفاقهم.

وبطش الحكام بمن يحاولون الحد من سلطاتهم.

وكون الحكام عسكريين استولوا على الحكم بالقوة، وكونهم ورثوا الحكم عن آبائهم فورثوا سلطاتهم، واتجاه عدد كبير منهم إلى وضع دستور يعطيهم من السلطات أكثر مما لهم فى ظل ظروف قاهرة مرعبة لمن يشاركون فى وضع الدستور، وتلك آفة معظم بلدان العالم الثالث، الذى منه العالمان العربى والإسلامى.

● وما لم يكن النظام السياسى هو الذى أتى بالحاكم فى ظل عدالة وشورى، ونظام انتخابى سليم، ليس فيه افتيات على حقوق الناس فى اختيار حاكمهم، ما لم يكن النظام السياسى كذلك، فلابد أن يكون الحاكم مستبدًا طاغيًا.

● وهناك آفة قاتلة للحريات ولحقوق الإنسان كلها؛ هى أن يدعى الحاكم أنه يحكم باسم الشعب أو الأغلبية على حين أنه لم يختر اختيارًا نزيهًا حرًا.

وهذه الآفة التى ذكرنا متسربة إلى الناس من الوثنية اليونانية القديمة التى كانت تؤله الحكام أو تعطيهم حق التأله عليهم؛ لما يملك هؤلاء الحكام من قوة غاشمة تضطهد المحكومين وتتسلى بتعذيبهم أحيانًا، فمع هذا التأليه تنعدم الشورى وتنعدم الرقابة ويكون الطغيان والاستبداد، كان ذلك قديمًا.

● أما حديثًا فقد حدث اعتساف فى فهم الديموقراطية - التى هى نظام سياسى اجتماعى يقيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس المساواة ومشاركة المواطنين الحرة فى صنع التشريعات التى تنظم الحياة الإنسانية - فأصبحت الديموقراطية عند كل الحكام المستبدين - المتشدقين بها و« بالليبرالية » تعنى رفض مشاركة الشعب للحاكم فى سلطاته، لأن الديموقراطية - عندهم - تعطيهم من الحقوق والسلطات ما يرون به تسيير أمور الناس!!!

ويتبجحون بأنهم قد اختارهم الشعب وهم يعلمون كيف جرت الانتخابات التى أتت بهم إلى سدة الحكم - على ما فى كلمة الانتخابات من مغالطة إذ هى استفتاء وليس انتخابا لواحد من اثنين أو أكثر!!!

● وبسبب ذلك تضيع الشورى وتضيع مراقبة الحكام ليحل محل ذلك استبداد وانفراد بالسلطة وحرمان لقطاع كبير من الناس من حقوقهم السياسية!!!

ومن العجب أن تتحول الديموقراطية إلى استبداد و« ديكتاتورية » على أيدى هؤلاء الحكام، فيصبح النظام السياسى على أيديهم شموليا قاهرًا متنكرًا لحقوق الإنسان وحرياته العامة مهما زعموا أنهم ديموقراطيون أو منتخبون بإرادة الشعب، وأن الشعب هو الذى علق صورهم الضخمة فى الميادين وفى وزارات الحكومة ومؤسساتها وفى دور التعليم بكافة مستوياتها!!!(١)

٤ - وتطبيق الشورى ضمان لاستقرار نظام المجتمع كله :

الشورى نظام أصيل ورئيس فى حماية كل نظام اجتماعى، وكل نظام اجتماعى يتضمن جلب مصلحة للناس أو دفع مضرة عنهم.

وعند اختلاف وجهات النظر فى المصالح وكيفية جلبها، أو فى المفاسد وكيفية دفعها، تستطيع الشورى أن تحسم هذا الاختلاف، وأن تحدد ذلك بكل وضوح نتيجة للحوار ولتبادل الآراء.

● وعلى رأس المصالح فى المجتمع تحقيق الأمن للناس واستمرار الإحساس به، وكل نظام اجتماعى راشد يستهدف تحقيق الأمن، وليس مثل الشورى نظام يحافظ على الأمن بعد أن يتفق على نوع الأمن المطلوب والمجالات المطلوب فيها، بل إن نظام الشورى هو الذى ينبغى أن تنبثق عنه كل الأنظمة الاجتماعية التى تحقق للناس مصالحهم وتدرأ عنهم المفاسد والشرور.

● وكل قيمة تربوية نافعة للفرد والأسرة والمجتمع فى حاضره ومستقبله، تفتش عنها

---

(١) لقد زرت كثيرًا من دول أوربا، وزرت الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، فلم أجد صور الزعماء ولا الملوك ولا القادة فى الميادين والمطارات والمؤسسات، على نحو ما كان موجودًا فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى أو الصين أو دول العالم الثالث.

الشورى وتقرها وتحميها وتحافظ عليها وتضمن استقرارها واستمرارها، وتضع من النظم والتحفظات ما تواجه به كل من أراد هدم هذه القيم أو تعطيلها.

● وكل بر أو خير، يتعاون الناس على فعله، ويتضامنون ويتكافلون من أجل تحقيقه، فى مجتمعهم الصغير - وطنهم - أو فى مجتمعهم الكبير - العالم العربى - أو فى مجتمعهم الأكبر - العالم الإسلامى - إنما يمكن الوصول إليه من خلال الشورى، ويمكن استقراره واستمراره وجنى ثماره من خلال الشورى أيضاً.

● وكل نظام اجتماعى يخص الأسرة ورعاية الطفولة وتأمين حاضرها، ويعطى المرأة كافة حقوقها بنتًا وأختًا وزوجة وأما وجدة، إنما يتوصل المجتمع إليه من خلال الشورى، إذ لا شيء أفضل من الشورى فى سن القوانين، وتطبيق التشريعات ومتابعة هذا التطبيق، بل لا أفضل من الشورى فى وجوب احترام القوانين وحماية حقوق جميع أفراد الأسرة، والوقوف بالعقوبات أمام كل عابث أو معطل لشيء من قوانين الأسرة وحقوقها.

● وكل نظام اقتصادى يحقق مصالح الناس أو يدرأ عنهم المفاسد إنما يتوصل إليه من خلال الشورى، وإنما يعرف مدى ما فيه من موافقة للشريعة أو مخالفة لها أو لبعض ما جاءت به من خلال الشورى كذلك.

● وكل نظام سياسى يحقق للناس حقوقهم ويحفظ لهم حرياتهم، ويحملهم على أداء واجباتهم نحو المجتمع الذين يعيشون فيه، إنما يتوصل إليه من خلال الشورى.

فالشورى - بناءً على ذلك - مفتاح كل خير ومغلاق كل شر، وهى الرئة السليمة التى يستنشق الناس منها نسيم الحرية بكل أنواعها، والشورى هى الطريق الأقوم لكى يعيش الناس حياة إنسانية كريمة، يحسنون بها عبادة الله وحده، ويحسنون بها التعامل مع الناس.

٥- وتطبيق الشورى ضمان لتوثيق العلاقات الحسنة بين الناس:

العلاقات بين الناس فى الوطن الواحد ضاق أو اتسع، بل فى الأوطان العديدة، ينبغى أن تكون على المستوى الذى يحفظ للناس جميعًا الأمن والسلام والاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى.

هذه العلاقات لا يضمن لها الفاعلية والفائدة مثل الشورى؛ لأن استقرار هذه العلاقات لا يكون على نحو أحسن وأجدى إلا بالحوار بين الناس أى الشورى، إذ بها تنخل الآراء ويختار

منها ما هو قادر على جلب المصالح ودرء المفاسد.

● ولقد كان لمنهج الإسلام فى العلاقات بين الناس فى الوطن الواحد أو الأوطان العديدة سبق وتميز ورشد فى هذه العلاقات، من خلال ما جاء به الإسلام من قيم ومبادئ تقوم على التسامح وحسن الجوار وحسن المعاملة.

– وإن النظر والتدبر فى أول وثيقة عامة كتبها الرسول ﷺ بعد أن استقر فى المدينة المنورة بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم ولحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس[1].

إن النظر فى هذه الوثيقة النبوية يؤكد أن المواطنة فى دولة المسلمين فى المدينة المنورة لم تكن مقصورة على المؤمنين والمسلمين من المهاجرين والأنصار وحدهم، وإنما تجمع إليهم من تبعهم ولحق بهم من غير المسلمين.

والتبعية للمؤمنين والمسلمين، واللحاق بهم إنما يدل على أن هؤلاء التابعين والملحقين يشاركون فى مسئوليات المواطنة والتزاماتها؛ لأن ذلك واجب كل مواطن فى أى وطن، وهو حق يمنحه المنهج الإسلامى لمن يعيشون فى ظل الدولة المسلمة.

● ومن خلال الشورى – وهى واجبة شرعًا فى كل زمان ومكان – يستطيع أهل الشورى من المسلمين أن يتحاوروا فيختاروا من النظم والقوانين ما من شأنه أن يوثق العلاقات بين المسلمين وغيرهم من المقيمين فى أوطان مسلمة، لأن منهج الإسلام يعتمد العدل والإحسان أساسًا للعلاقات الإنسانية كلها[2].

غير أن نظام الشورى لا يترك ذلك لرأى حاكم من الحكام وإنما يقوم على توثيق العلاقات بين المواطنين بالشورى وما تفضى إليه، فهى دائمًا تفضى إلى خير أو تمنع شرًا، ومع أن الحاكم فى الإسلام مختار من أهل الحل والعقد، فإن منهج الإسلام لا يتيح للحاكم أن يستبد برأى فى أى قضية من القضايا العامة إلا أن يعود إلى نظام الشورى يستهدى به ويستعين بأهله على الوصول إلى الحق والعدل فى تلك القضايا.

– إن الشورى أكبر ضمان لتوثيق العلاقات بين الناس فى الوطن الواحد أو الأوطان المتعددة

---

(١) انظر هذه الوثيقة فى كتب السيرة النبوية، وفى مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى لمحمد حميد الله.

(٢) سوف نتحدث عن العدل والإحسان بوصفهما أساسًا من أسس التربية السياسية الإسلامية بعد قليل.

توثيقًا يقوم على القيم والمبادئ الإنسانية التى جاء بها الإسلام، وألزم بها المسلمين فى كل زمان ومكان.

٦- وأن الشورى تحمى حق الأمة فى اختيار الحاكم:

كل نظام سياسى يقوم بين الحاكم والمحكوم فى الإسلام يتضمن عقداً يسمى «بيعة» يبايعها الناس للحاكم ذى الأهلية لهذا الاختيار وفق صفات خاصة فيه، فإذا قبل الحاكم هذه البيعة فإنه لا يستطيع أن يتحلل منها، أو يخل بشرط من شروطها، فإن فعل استحق العزل بالشورى أيضًا.

- وهذه البيعة أو ذلك العقد الذى يأتى بالحاكم من خلال الشورى من الواجبات التى أوجبها الإسلام؛ ولذلك قال فقهاء الإسلام: إن نصبة الإمام - الحاكم - واجبة، وذلك أن الناس من غير إمام يقودهم ويسوسهم، يصبحون من غير نظام أى فى فوضى تضر بهم فى حاضرهم ومستقبلهم.

- وهذه البيعة عند المسلمين يشبهها عند الغربيين العقد الاجتماعى الذى يفسر فكرة أصل الدولة.

- الشورى هى التى تتولى اختيار الحاكم، ثم تعقد له البيعة، ثم تحيط الحاكم بالمشورة والنصيحة بصدق وإخلاص.

- والشوى هى التى تحافظ على بيعة الحاكم واحترام ومتطلباتها من طاعة للحاكم فى العسر واليسر والمنشط والمكره، كما تحول الشورى ونظامها بين الناس ومنازعتهم للحاكم، وتوجب عليهم احترامه وتقديره، طالما كان الحاكم ملتزمًا بما أوجبته عليه البيعة من واجبات، فإن أخل بذلك نظر أهل الشورى(١) فى أمره، فإن رأوا خلعه خُلع.

- وعن طريق الشورى(٢) تستطيع الأمة أن تمارس حقوقها فى أمور عديدة بالغة الأهمية مثل:

- عقد معاهدات السلام والأمن مع الدول المجاورة أو غير المجاورة.

---

(١) أهل الشورى هنا هم أهل الحل والعقد ومن لهم سلطة النظر فى خلع الحاكم عند مخالفته لواجبات البيعة، ولا يتخذون قراراً إلا بالشورى.

(٢) أهل الشورى بلغة عصرنا هم أعضاء مجالس الشورى والمجالس النيابية، ومجموع مستشارى أى حاكم، وفى ذلك تفصيلات كثيرة لا مجال للحديث عنها هنا.

- واللجوء إلى الحرب عندما تكون الحرب هى الحل لمشكلة ما بين الوطن ومن يحاول العدوان عليه أو تحدى مصالحه.

- وتقرير مصير الوطن فى الظروف التى تستدعى تغيير حدوده، أو اختيار نظام مغاير لنظامه، وفى المجتمع المسلم لابد أن يكون هذا التغيير غير مخالف لمبادئ الشريعة الإسلامية.

وكل هذه الأمور وغيرها مما يهم الأمة لا يجوز أن تترك لإرادة الحاكم المستقلة عن أهل الشورى بأى حال من الأحوال، الشورى هى التى تحمى الأمة من هذه الانحرافات.

٧- ونظام الشورى ضمان لحقوق الأقليات:

الوطن المسلم لا يشترط أن يكون الناس جميعًا فيه من المسلمين، بل قد يقيم فيه من غير المسلمين من لهم عهد أو ذمة. وهؤلاء يمثلون أقلية فى المجتمع المسلم.

- ومن المقرر فى منهج الإسلام أن لهذه الأقليات حقوقاً فى الوطن المسلم الذى يقيمون فيه، وعليهم واجبات، ولا يستطيع أحد من الناس مسلما أو غير مسلم أن يعتدى على أى حق من هذه أو انتقاص شىء منه؛ فالشورى ضمان لهذه الحقوق لأى أقلية فى الوطن المسلم.

- ومهما تكن نوعية هذه الأقلية من حيث المذهبيات والملل والعادات والتقاليد، فإنها أقلية إنسانية لها كافة حقوق الإنسان،وليس كالإسلام نظام يحترم حقوق الإنسان، ويقوم منهجه على إقرارها والمحافظة عليها.

- وكل افتيات على حق من حقوق غير المسلمين فى الوطن المسلم، معصية لله تستوجب عقابًا فى الشريعة، ولقد نبه الرسول ﷺ إلى وجوب احترام هذه الأقليات واحترام حقوقها، فقد روى أبو داود بسنده عن صفوان بن سليم[١] من عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة».

- وفى تاريخنا الحديث فى مصر صفحات مشرقة تؤكد احترام حقوق الأقليات، وعلماء الإسلام يتصدون لأى انتقاص لهذه الحقوق حتى لو كان صادراً من الحاكم نفسه.

---

(١) من أتباع التابعين فى المدينة المنورة وهو من عباد أهل المدينة وقرائهم، توفى عام ١٣٢ هـ. وهومولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف.

فقد حاول الخديو عباس الأول أن يطرد المسيحيين من مصر وأن ينفيهم فى السودان، فتصدى له علماء الإسلام وعلى رأسهم الشيخ أحمد الباجورى شيخ الأزهر فى ذلك الوقت وأنكر عليه هذا الإجراء الظالم لما فيه من غدر بذمة الإسلام وعهده، وخروج على شريعة الإسلام.

● أين هذا - فى مجال رعاية حقوق الأقليات فى الإسلام - من الأعمال الوحشية التى قامت بها بعض دول أوروبا فى العصور الوسطى، حيث أبادت الأقليات الدينية فى الأندلس حيث قررت إبادة المسلمين أو تحولهم إلى النصرانية أو الهجرة من البلاد.

وفى العصر الحديث أجازت الديموقراطية الشعبية فى بلغاريا أن تقرر إبادة المسلمين علنا فأبادتهم كما فعلت محاكم التفتيش فى إسبانيا.

ومن العجيب أن الدول التى تدعى الديموقراطية والحرية فى العالم لم يعترض أكثرها على تلك المذابح فى بلغاريا أو فى البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان أو فى فلسطين حيث التعامل الوحشى الإسرائيلى مع المسلمين!!!

د- الشورى ملزمة

تعمدت هذا العنوان الذى يخبر أو يقطع بأن الشورى ملزمة - على الرغم من أن بعض الباحثين المحدثين يشككون فى أن الشورى ملزمة - ليكون ذلك ردًا مسبقًا على دعواهم، وذلك أن الشورى قد وردت بها آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة، وهذه النصوص الكريمة تؤيد القول بأن الشورى ملزمة، عملاً بالقاعدة الأصولية التى تقول:

«إن كل خطاب خوطب به الرسول ﷺ يخاطب به المسلمون، ما لم يرد صارف له عن ذلك».

وقد خاطب الله تعالى رسوله ﷺ بقوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

خاطبه سبحانه وتعالى بصيغة الأمر، والأمر للوجوب، والمسلمون مخاطبون بهذا الخطاب لأنه لم يصرفه صارف عن أن يكونوا مأمورين به فى كل زمان ومكان.

وقد جاء هذا الأمر بالشورى بعد قيام الدولة فى المدينة المنورة، لأن سورة آل عمران مدنية النزول بإجماع العلماء.

- وأما الآية الكريمة الأخرى التى تحدثت عن الشورى فهى قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [الشورى: ٣٨] مع أن سورة الشورى مكية النزول وقبل إنشاء الدولة أى قبل الهجرة النبوية، فإنها جاءت بتحديد صفات يجب أن تتوافر فى المسلم فى تعامله مع ربه ومع الناس، كالتوكل على الله، واجتناب كبائر الإثم والفواحش والصفح والاستجابة لأمر الله ونهيه، وإقام الصلاة والتعامل بالشورى فى كل أمر ذى بال، وإيتاء الزكاة...

- فالشورى صفة رئيسة أساسية مثل الصفات التى جاءت بينها، وهى جميعًا الصفات التى تميز المسلمين عن غيرهم حتى قبل أن تكون لهم دولة وكيان سياسى.

- ومعنى ذلك أن كل شأن من شئون الجماعة أو المجتمع أو الدولة فيما بعد يجب أن تؤخذ فيه الشورى، لأن الشورى فى الإسلام من مقومات المجتمع الصالح والدولة الصالحة.

- ويلزم من ذلك أن يكون تعطيل الشورى إثمًا ومعصية لأنه خروج بالإنسان عن صفات

المسلمين وتعطيلها معصية يحاسب عليها الفرد الذى عطلها وتحاسب عليه الدولة التى لم تلزم الناس.

● وعند النظر والتدبر فى هاتين الآيتين الكريمتين، نحب أن نشير إلى بعض التوجهات التالية:

١- أن الآية الكريمة التى جاءت فى سورة آل عمران فيها أمر للنبى ﷺ وللذين آمنوا باتباع الشورى فى كل أمورهم «وشاورهم» وقد ورد هذا الأمر فى غزوة أحد وأوجبت التشاور فى الحرب، فى قضية خروج المسلمين من المدينة للقاء عدوهم فى أحد أو البقاء فى المدينة حتى يهاجمهم العدو، ومعنى ذلك وجوب الشورى فى كل أمر ذى أهمية.

٢- وقد يقول بعض العلماء: إنه يشترط فى الشورى أن تؤدى إلى الرأى الصحيح وإلى العمل النافع - والشورى هى خلاصة رأى الأغلبية من المستشارين - وهذا الشرط عند التدبر نجده تزيداً فى فهم الآية الكريمة لا يبرره شىء فى الآية الكريمة، وعند التأمل نجد الشورى - وهى رأى الأغلبية - يجب الأخذ بها ولو لم تحقق هذا الشرط الذى شرطوه، لأن الأخذ برأى الأغلبية أوجب ولو أدى إلى بعض الضرر فى بعض الأحيان، وهو على كل حال ضرر أخف من ضرر ترك الأخذ برأى الأغلبية، لأن تركها يؤدى إلى استبداد الحاكم برأيه، وإذا استبد الحاكم برأيه مشى فى طريق فرعون الذى قال لقومه: ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ**﴾ [غافر: ٢٩].

٣- وقد يقول بعض العلماء: إن ختام الآية وهى قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩] يعنى أن الوجوب هو الالتجاء إلى الشورى والاستماع إلى حوار المتحاورين، ثم يكون من حق طالب الشورى أن يترك ما أفضت إليه الشورى، ويعزم على اتخاذ ما شاء من قرار، متجاهلاً الشورى وما أسفرت عنه!!

وهذا رأى بيِّن الخلل وواضح الاعتساف، لسببين:

أولهما: أن الأمر لو كان كما زعموا مجرد الاستماع إلى الشورى دون الأخذ بها، لما كان هناك مبرر للأمر بها أصلاً، إذ لا تعدو عندئذ أن تكون جدلاً عقيمًا وحوار فارغًا لا قيمة له،ولا قائل بذلك من العقلاء فضلاً عن العلماء، فضلاً عمن يعرفون سياق الموقف الذى نزلت فيه الآية الكريمة.

والآخر: أن المعنى: أنه بعد الشورى والحوار والانتهاء إلى رأى غالبًا ما يكون صوابًا، ولا

يعقل أن يعدل عنه ويترك ثم يعزم القائد على ما شاء من رأى متوكلاً على الله تعالى، وإنما المعنى الصحيح هو الالتزام بما أفضت إليه الشورى، ثم يعزم على التنفيذ متوكلاً فى هذا العزم على الله تعالى، لأن الله تعالى أمر بالتوكل عليه فى آيات قرآنية عديدة، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ... ﴾ [الطلاق: ٣] وقوله جل شأنه: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ** ... ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقد جاءت السنة النبوية بوجوب التوكل على الله، فقد روى الترمذى بسنده عن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتعود بطانا».

● والشورى ملزمة لأنها جزء من الدين، وصفة أساسية من صفات المؤمنين، وبها وردت أحاديث نبوية كثيرة؛ ذكرنا منها ستة أحاديث ونحن نتحدث عن «الشورى فى الكتاب والسنة» وأذكر هنا بما جاء فى هذه الأحاديث الشريفة عن الشورى:

- عندما سئل النبى ﷺ عن الأمر ينزل وليس فيه قرآن ولا سنة قال: «اجمعوا له العابد من أمتى واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا فيه برأى واحد».
- وقوله ﷺ: « ... وكان أمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ...».
- وقوله ﷺ: «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه ...».
- وقوله: «المستشار مؤتمن فإذا استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه ...».
- وقوله: « ... عليكم بالجماعة فإن الله لم يجمع أمة محمد على ضلالة ...».
- وقوله ﷺ: «ما شقى عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأى»

● ولو لم تكن الشورى على هذا القدر من الأهمية ما وردت فيها هذه النصوص الإسلامية، ولما كانت هى أسلوب الرسول ﷺ فى كل أمره، ولما قال فى غزوة بدر: «أشيروا علىّ أيها الناس».

● وحسب الشورى مكانة أن أمر بها رسول الله ﷺ وهو المعصوم الموحى إليه فاستجاب، وسائر المؤمنين بعد رسول الله ﷺ أشد حاجة منه إلى الشورى؛ لأنهم ليسوا معصومين ولا يتنزل عليهم الوحى.

● ووجه آخر لوجوب الشورى والالتزام بما تفضى إليه، هو أنها فرع من أصل كبير من أصول الإسلام الثابتة الدائمة الواجبة فى كل زمان ومكان، ذلك الأصل هو: «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» وذلك أن الله تعالى أمر بهذا الأصل كل قادرعليه، بل جعله صفة من صفات المؤمنين والمؤمنات، بل جعله الدليل على أن الأمة الإسلامية إذا تمسكت بهذا الأصل وطبقته فى حياتها فهى به خير أمة أخرجت للناس، بل جعل التمكين لدين الله فى الأرض إنما يقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

– هذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصل تضافرت عليه آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ ومواقفه وسيرته مما يؤكد أن هذا الدين الخاتم الذى أتمه الله وأكمله لا يسمح لأفراد الناس ولا لجماعاتهم وحكوماتهم بالوقوف بسلبية تجاه أى امتناع عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لأن هذه السلبية تضيع على المجتمع أنواعًا من الخير والمعروف، وتوقعه فى كثير من الشرور والمنكر؛ فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من صفات النبى ﷺ ومن صميم عمله، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ ...**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ...**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

● إن المجتمع المسلم عليه أن يتصدى لكل انحراف عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مهما كان من صدر عنه الانحراف.

– وهذا التصدى هو حق للفرد وواجب عليه، وحق للجماعة وواجب عليها وحق للحاكم وواجب عليه.

– هكذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى تاريخ الإسلام عمومًا، وفى تاريخه السياسى على وجه الخصوص.

● وصلة الشورى بقضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، نحاول أن نوضح أبعادها فيما يلى من النقاط:

١– تحديد ما هو المعروف وما هو المنكر بالنسبة للمستجدات والمتغيرات لا ينبغى أن يكون عمل فرد كائنًا ما كان وزنه فى الفقه بدين الإسلام، أو فى السياسة والقيادة، وإنما هو عمل الجماعة، والجماعة لا تستطيع أن تحدد ذلك إلا من خلال الشورى والحوار.

٢- وكل عمل يصدر عن الجماعة أو الجمهور فى المجتمع المسلم لا يمكن أن يصدر إلا من خلال التشاور والحوار ومقارعة الرأى بالرأى والحجة بما يؤيدها أو يبطلها، وهذه الخطوات كلها هى خطوات الشورى التى تؤدى إلى الرأى الناضج.

٣- والخطاب القرآنى فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ جاء موجهًا إلى الجماعة - أى جمهور الناس - فى عدد من الآيات الكريمة[١] وجاء موجهًا إلى الفرد فى عمومه أو إلى النبى ﷺ فى آيتين كريمتين[٢].

فالخطاب الموجه إلى الجماعة فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقوله جل وعلا: ﴿ **... فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [التوبة: ١١١-١١٢].

● وهذا الخطاب الموجه للجماعة يعنى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عمل جماعى، ولا يكون هذا العمل الجماعى إلا بالتشاور والحوار أى الشورى.

٤- وأن ما تفضى إليه الشورى فى تحديد ما هو المعروف وما هو المنكر - من المستجدات - ملزم للأمة الإسلامية كلها.

بل إن كيفية ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتحديد زمانه نابع من الشورى كذلك، ولذلك فهو ملزم للأمة الإسلامية كلها.

- ومن غير هذا الإلزام والالتزام فى هذين المجالين تكون الفوضى والاضطراب، وتعطيل ما أمر الله بإعماله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وشورى.

وبعد هذه الجولة: نقول مطمئنين واثقين فى صواب ما نقول: إن الشورى ملزمة بمعنى أن الأخذ بما أفضت إليه من رأى - وهو رأى جمهور المسلمين وجماعتهم - واجب على كل المسلمين.

---

(١) هذه الآيات الكريمة هى: الآية: ١٠٤ من سورة آل عمران، والآية ١١٤ من نفس السورة، والآية: ٦٧ من سورة التوبة، والآية: ٧١ من نفس السورة.

(٢) وهاتان الآيتان الكريمتان هما: الآية: ١٩٩ من سورة الأعراف، والآية: ١٧ من سورة لقمان. فالآية خوطب بها الرسول الخاتم ﷺ وهى خطاب لكل مسلم، والثانية جرت مجرى النصيحة من لقمان لابنه وهى عامة توجه لكل مسلم.

● وفى ختام حديثنا عن هذا الأساس الرابع من الأسس التى تقوم عليها التربية السياسية الإسلامية، نود أن نؤكد أن هذه التربية تأخذ فى اعتبارها الأول أن الشورى فيها من الميزات الاجتماعية والسياسية ما يجعلها من أهم هذه الأسس. ومن أبرز هذه الميزات ما نذكر به من:

– أن الشورى لها قدرة على مواجهة الانحراف عن مبادئ الشريعة وأخلاقها وقيمها، بما فيها من إلزام.

– وأن الشورى ضمان لحرية الرأى ولاحترام الرأى الآخر، وضمان لحرية التعبير وحرية النقد.

– وأن الشورى طريق صحيح إلى الإصلاح والتغيير والتجديد فى أمور الدين وأمور الدنيا على السواء.

– وأن الشورى هى الرئة السليمة التى تتنفس الأمة المسلمة من خلالها، لتعيش عزيزة بين الأمم، قادرة على مواجهة ظلم الظالمين واستبداد المستبدين، وقادرة على ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة التى أرادها الله تعالى لكل بنى آدم مسلمين وغير مسلمين.

وإذا كانت هذه بعض وظائف الشورى، فإن لها وظيفة أخرى لا تقل أهمية عن تلك الوظائف وهى أنها تطبع المسلم الآخذ بها الملتزم بما تفضى إليه، تطبعه على صفتين نبيلتين هما: العدل والإحسان، ولذلك حرصت التربية السياسية الإسلامية على أن تربى الإنسان المسلم على مبدأى العدل والإحسان، بل اعتبرت ذلك أساسًا من أسسها.

وهذا ما سوف نوضحه فى الصفحات التالية من الكتاب، والله المستعان.

الأساس الخامس

تربية الإنسان المسلم على مبدأيْ العدل والإحسان

تربية الإنسان المسلم سياسيًا على الإيمان والعمل بمبدأى العدل والإحسان، أساس مكين من أسس التربية الإسلامية السياسية، بحيث ينشر الإنسان المسلم من حوله فى كل مكان يعيش فيه وفى كل زمان من أزمنته عدلاً وإحسانًا بهما ينحسم الشر فى المجتمع وتنمو قيم العدل والرحمة.

● وكل من يعرف الإسلام معرفة دقيقة ممن يدينون به أولا يدينون - والمعرفة الدقيقة تشمل المنهج والأحكام والنظم والقيم - يدرك تمامًا أن الهدف الأسمى للإسلام هو هدف اجتماعى بالدرجة الأولى، أى أن يسود الحياة الإنسانية العدل والإحسان أى الوئام والسلام والتراحم والتعاطف والتعاون والتكافل، وكل ذلك نتائج للعدل والإحسان.

● والعدل هو المساواة فى المكافأة إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

- والعدل هو التوسط بين الإفراط والتفريط.

- والعدالة كالعدل. وقيل هى الاستقامة. وفى الشريعة العدالة: الاستقامة على طريق الحق باجتناب ما هو محظور دينا.

● والعدل نوعان:

- ما يعرف بالشرع حسنه ونفعه كالقصاص ونحوه.

- وما يعرف بالعقل حسنه ونفعه كالإحسان إلى من أحسن إليك والكف عمن كف عنك أذاه.

● والإحسان: أن يقابل الخير بخير أكثر منه، ويقابل الشر بشر أقل منه.

● وقد جمع الله تعالى العدل والإحسان فى آية كريمة هى قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن مسعود رضى الله عنه: «هى أجمع آية فى القرآن الكريم» أى أجمع للفضائل ولأنواع الخير.

- وتحرى العدل فى كل قول وعمل واجب شرعًا.

- وتحرى الإحسان ندب وتطوع وزيادة فى الخير.

● والتربية السياسية الإسلامية للإنسان تقوم على إلزامه بالعدل، وعلى ندبه إلى الإحسان وتحبيبه فيه، وتجعله يتعامل مع المواقف التى يجب فيها العدل على أنه فرض فرضه الله تعالى كما فرض الصلاة والزكاة والصيام؛ ومعنى ذلك أن تعطيل العدل أو التخلى عن ممارسته حرام شرعًا لأن الله تعالى أمر به.. على ما فى التخلى عن العدل من وقوع الظلم، والظلم من أكبر الكبائر لما يوقع فيه الناس من ضرر وضياع الحقوق والحريات.

● والتربية السياسية الإسلامية للإنسان تندبه إلى الإحسان، لما يؤدى إليه الإحسان من وئام ومحبة بين الناس، أى تخلُّص من أسباب التنازع والخصام، وتمكين للمجتمع من الاستقرار والأمن والطمأنينة.

وكل ذلك من أهداف الشريعة الإسلامية لكى تبنى مجتمعًا إنسانيًا آمنا مستقرًا قادرًا على العمل والإنتاج مستمتعًا بحقوقه راغبًا فى أداء واجباته.

وسوف نوضح فى حديثنا عن هذا الأساس الخامس من أسس التربية السياسية الإسلامية «العدل والإحسان» نقاطا هامة هى:

– العدل والإحسان فى الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.

– وميادين العدل والإحسان.

– والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات ثمرة من ثمار تطبيق العدل والإحسان.

والله ولى التوفيق.

أ- العدل والإحسان فى الكتاب والسنة :

أولاً : فى القرآن الكريم

١- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ٩٠] .

- قال سفيان بن عيينة : « العدل هو : استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً » .

وقال بعض العلماء : العدل هو شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال بعضهم : « العدل هو التوحيد » .

وبكل معنى من معانى العدل أمر الله به أى بالتزامه والتحلى به خلقًا وصفة وعملاً .

- والإحسان؛ قال بعض العلماء هو : أداء الفرائض .

وقال بعضهم : هو أن تعبد الله كأنك تراه .

وقال بعضهم : هو أن تحب للناس ما تحب لنفسك ، فإن كان مؤمنا أحببت أن يزداد إيمانًا ، وإن كان كافرًا أحببت أن يصير أخاك فى الإسلام .

واشتهر قول بعضهم : بالعدل قامت السموات والأرض .

- وقيل : العدل فى الأفعال والإحسان فى الأقوال ، أى لا تفعل إلا ما هو عدل ، ولا تقل إلا ما هو إحسان .

وليس لأحد من المسلمين أن يدع الإحسان لأنه ندب ، وليس فرضًا؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ **وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [القصص : ٧٧] ، وقال جل شأنه : ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

قال الإمام الغزالى أبو حامد : « العدل سبب النجاة فقط ، والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة » .

٢- وقال جل وعلا : ﴿ **فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ** ﴾ [الشورى : ١٥] .

فهذا عدل أمر به رسول الله ﷺ مع المشركين، وهو يؤكد وجوب العدل على كل مسلم حتى لو كان مع المشركين ومن يماثلهم.

٣- وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] فهذه الآية الكريمة دعوة للعدل على إطلاقه مع الولى والعدو على السواء، ونهى عن ترك العدل مع قوم مهما كانت كراهيتنا شديدة لهم، لأن العدل أوجب فى كل حال وهو أقرب للتقوى، والتقوى واجبة لأن الله تعالى أمر بها عموم الناس، وأمر بها المؤمنين وأمر بها أولى الألباب، فى تسع وسبعين آية من القرآن الكريم.

● ولو أخذ المجتمع الدولى بالعدل ما قامت حروب ولا اغتصبت حقوق ولا ضاعت بلاد وعباد، ما أحوج القانون الدولى إلى أن تعاد صياغته وفق معايير العدل، إذن لانتهى أمر التحيز والتمييز بكافة أنواعه!!!

٤- وقال عز وجل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

٥- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فهذا العدل فى القول واجب على كل حال؛ خبرًا كان أو شهادة أو غير ذلك، واجب دون أى استثناء حتى لو كان ضد القرابة أو الجنس أو نحوها.

٦- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

ففى هذه الآية الكريمة ما يؤكد أن العدل هو نظام الكون كله، وأنه القانون الذى يجب أن يذعن له كل الناس، وأن يبتعدوا عن الهوى الذى يميل بالنفس عن الحق، فتقع فى ترك العدل.

٧- وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ

أن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] .

فهذه الآية الكريمة تأمر أمرين :

أحدهما : أداء الأمانات كاملة غير منقوصة لأهلها، وهذا عدل بكل تأكيد .

والآخر : أمر لكل من حكم بين الناس عمومًا مسلمين وغير مسلمين أن يكون عادلاً فى حكمه لا يحيد عن ذلك العدل لأى سبب من الأسباب .

وبعد : فهذه الآيات الكريمة جاءت فيها كلمة العدل بلفظها ومعناها، وهناك آيات قرآنية كثيرة جاء فيها العدل بمعناه لا لفظه، وهى آيات كثيرة أشرت إلى عددها آنفًا .

- والخلاصة التى نرجو الوصول إليها من ذكر هذه الآيات الكريمة السبع هى :

– أن الله تعالى أوجب العدل على الناس جميعًا .

– وأنه تعالى أوجب العدل بين الناس جميعًا .

– وأنه شدد على وجوب العدل على الحكام، ومن يصلحون بين الناس فى أى نزاع ينشب بينهم .

– وأنه سبحانه حرم ترك العدل أو تعطيله لأى سبب من الأسباب حتى ولوكانت النفس أوالوالدان أو الأقربون .

- ومعنى ذلك أن دين الإسلام الخاتم يربى أبناءه تربية إسلامية إنسانية تلتزم بكل القيم النبيلة التى تدعم كرامة الحياة الإنسانية .

وتلك هى التربية السياسية الصحيحة للمسلمين فى كل زمان ومكان .

ثانيًا : فى السنة النبوية المطهرة :

ورد العدل فى السنة النبوية بلفظه فى هذه الأحاديث الشريفة السبع التى سنذكرها الآن، وورد بمعناه فى عشرات الأحاديث النبوية بل مئاتها .

– وقد جاء العدل بلفظه موجهًا إلى عموم الناس حينا، وموجها إلى الحكام وإلى كل من يلى أمر غيره أحيانًا كثيرة .

● وفى وجوب العدل على عموم الناس جاءت الأحاديث النبوية التالية:

١- روى أحمد بسنده عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلبث الجور بعدى إلا قليلاً حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد فى الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتى الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد فى العدل من لا يعرف غيره».

وهذا الحديث الشريف أعده من البشائر، فنحن نعيش اليوم فى عالم مليء بالجور، ضائع منه العدل، كما يشهد بذلك القاصى والدانى،وكما يحس بذلك كل من كانت له علاقة ما بالولايات المتحدة الأمريكية أو بهيئة الأمم المتحدة، لا ينازع فى ذلك منصف أو عاقل - ولو شئنا لضربنا على هذا الجور عشرات الأمثلة وحسبنا فى ذلك التذكير بفلسطين وبالبوسنة والهرسك وكوسوفا - ونسأل الله أن يأتى بالعدل الذى يستأصل الجور وأن يوجد منا أو من أبنائنا أو أحفادنا من لا يعرف غير العدل.

٢- وروى مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه، قال: تصدق علىَّ أبى ببعض ماله، فقالت أمى عمرة بن رواحة رضى الله عنها - لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ، فانطلق أبى إلى رسول الله ﷺ ليشهده على صدقتى، فقال له رسول الله ﷺ: «أفعلت بولدك كلهم»؟ قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم» فرجع أبى فرد تلك الصدقة.

وكانت صدقته على ولده أن منحه غلامًا كان يملكه.

وهذا الحديث الشريف يوجب العدل بين الأبناء فى المنح والعطايا فى حياة الأب، وتلك قمة تربوية فى التعامل مع النفس الإنسانية، حين يشعر أحد الأبناء أن أباه يفضل أخاه عليه!!!

٣- وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلوا».

وهذا الحديث الشريف يوجب العدل على كل مستوى من مستوياته وعلى كل مسلم فى نفسه وأهله ومن كان فى ولايته.

● أما الأحاديث النبوية التي جاءت في وجوب العدل على الحكام فكثيرة نذكر منها ما يلي:

٤- روى أحمد بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا؛ إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابًا إمام جائر».

٥- وروى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله؛ إمام عادل...» الحديث.

ففي هذين الحديثين الشريفين قيم تربوية يجب أن نتنبه إليها وأن نأخذها مأخذ التطبيق، ومنها:

- إعلاء شأن العدل بإعلاء مكانة العادل وقربه من الله تعالى، وما ينال من ثواب.

- والإزراء بشأن الجور، واستحقاق الجائر لبغض الله تعالى، وعذابه الشديد يوم القيامة.

- وتأكيد أهمية العدل وبخاصة إذا كان صادراً من إمام أو حاكم لما يترتب على العدل من إحقاق الحق وإبطال الباطل، والمحافظة على كرامة الإنسان.

٦- وروى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الإمام جُنة يُقاتَل من ورائه، ويُتَّقَى به؛ فإن أمر بتقوى وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن أمر بغير ذلك فإن عليه وزراً».

وفي هذا الحديث الشريف ربط وثيق بين عدل الإمام وثواب الله عزوجل، وبين جور الإمام وعقاب الله عز وجل.

كما فيه وجوب طاعة الإمام وبيان مكانه ومكانته من المجتمع المسلم مما يوجب طاعته.

٧- وروى أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ على باب البيت ونحن فيه فقال: «الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقًا، ولكم عليهم حقًا مثل ذلك، ما إن استرحموا فرحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وفى هذا الحديث بيان لما للحكام والأئمة من حقوق وما عليهم من واجبات، وبيان للصفات التى يجب أن تتوافر فيهم كالرحمة والوفاء والعدل، وتهديد لمن لم يكن كذلك منهم، وإنذاره بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وبعد: فإن هذه الأحاديث النبوية التى ذكرنا – وهى قليل من كثير – توجب العدل على المسلمين جميعًا، وتركز على الحكام والأئمة وكل من يلى أمرًا من أمور المسلمين، مما يؤكد أهمية العدل فى تكوين الفرد المسلم والمجتمع المسلم والحاكم المسلم والدولة المسلمة، وتلك أعمق أنواع التربية السياسية التى جاء بها الإسلام.

ب- ميادين العدل والإحسان:

ميادين العدل والإحسان أوسع الميادين، وممارسة العدل والإحسان فيها أنفع للناس فى حاضرهم ومستقبلهم وفى دينهم ودنياهم.

هذه الميادين كثيرة كثرة المرافق العديدة فى المجتمع.

– والتربية الإسلامية السياسية حريصة على أن تجعل كل مرفق من مرافق المجتمع زاخرًا بالعدل والإحسان طلبًا للمزيد من رضا الله تعالى، ووصولاً إلى طمأنة الناس على مصالحهم وأمنهم فى حياتهم ومعادهم.

أولاً: عند فقد العدل:

● لا يسعنى هنا أن أتحدث عن كل مرافق المجتمع فهذا مستحيل ولا عن معظمها فهذا عسير ولا عن عدد منها فهذا صعب، ولكن سأتحدث عن واحد منها فقط وهو: «التجارة والاقتصاد» وماذا يمكن أن يحدثه الالتزام بالعدل والإحسان فيه، بل ماذا يمكن أن يحدثه فقد العدل والإحسان فيه؟!!!

– فعند فقد العدل والإحسان فى مجالى الاقتصاد والتجارة، يحدث خلل بكل مرافق المجتمع إذ ما من مرفق إلا وله عائد اقتصادى سواء أكان خدمة أو تجارة، وعلى سبيل المثال:

١ – العجز عن الوصول إلى الهدف:

كل مشروع اقتصادى فى أى مجال من المجالات عندما يغيب عنه العدل والإحسان، يعجز المشروع عن الوصول إلى هدفه وبذلك يحقق خسارة لصاحب المشروع وخسارة قومية

على مستوى الأمة كلها - والأمثلة على فشل كثير من المشروعات أكثر من أن تحصى، ومهما حاول بعض المزيفين أن يضعوا للمشروع الفاشل ميزانية تؤكد أنه ناجح فإنهم سريعًا ما ينكشف تزييفهم وخداعهم.

٢- والتوقف عن التقدم:

وعند غياب العدل والإحسان على مستوى الدولة فإن هذه الدولة لا تستطيع أن تخطو فى مجال التقدم خطوة واحدة، بل لابد أن تتراجع خطوات، ولن ينفعها أن يصدر رئيس الدولة تعليماته السرية إلى وزرائه بوجوب أن تكون ميزانية الدولة محققة ربحًا بالمعنى الرأسمالى أو بالمعنى الاشتراكى أيام كانت الاشتراكية مقصد العاجزين والمخدوعين.

فلو كان هناك عدل وإحسان لظهرت الحقائق ولاستفادت منها الدولة والمؤسسات كلها، ولكن الحكام الطغاة لا يزعجهم شيء، كما يزعجهم العدل، ولا يستهينون بشيء كما يستهينون بالإحسان، ومن ثم تتردى الحكومة والأمة على أيديهم وبسبب سياستهم إلى مهاوى الفوضى والحاجة فيلجئون إلى الديون ذات العائد الربوى الفاحش وذات الشروط التى تتعارض تمامًا مع استقلال الدولة وحريتها فى اتخاذ قراراتها.

٣- وظهور وحشية الدول الكبرى:

وعند غياب العدل والإحسان تظهر وحشية الدول الكبرى والتى تزعم أنها كبرى فى السيطرة على الأسواق، وكل سيطرة على الأسواق تتضمن أمرين على درجة قصوى من الخطورة الاقتصادية وهما:

- الإغراق أى إغراق السوق بالسلع المنافسة التى سريعًا ما تقضى على سلع البلاد التى استغلت تسويقيًا.

- والاحتكار، وما يجره من متاعب اقتصادية أبسطها التحكم فى الأسعار وفرض ربح بعينه على كل سلعة.

وفى الإغراق والاحتكار تدمير للحياة الاقتصادية تدميرًا شبه كامل!!!

٤- ويتحول الربح إلى غول يستنزف جهود العاملين:

وعند غياب العدل والإحسان فى أى نشاط اقتصادى يتحول الربح[١] - وهو مشروع - إلى غول يستنزف جهود العاملين وقدراتهم، ويصبح أهم هدف للمؤسسة الاقتصادية، هذا إذا كان النظام الاقتصادى السائد رأسماليا، فإن كان النظام اشتراكيًا أضيف إلى ذلك الشر شر آخر هو ادعاء أن الربح عائد على المجتمع لا على الأفراد - والمجتمع عندهم أغلوطة كبرى تسمى الشعب حينا وتسمى تحالف القوى العاملة حينا آخر، ومكاسب الشعب حينا ثالثًا - وفى الحق يكون هذا الربح عائداً فى أكثره إلى جيوب الحكام وذويهم ومنافقيهم من الخائفين أو الطامعين، وأقل القليل من هذا الربح يعود على المجتمع[٢].

٥- المثالب الاقتصادية لغياب العدل:

ولو شئت أن أعدد المثالب الاقتصادية لغيبة العدل فى هذا المجال ما وسعتنى هذه الصفحات القليلة ولكن حسبى أن أسرد أسماء بعض هذه المثالب والعيوب لغيبة العدل والإحسان مثل:

- احتكار السلعة:

ففى هذا الاحتكار ضرر عام للناس وسوء استغلال لحاجتهم وقد نهى الإسلام عنه نهيًا مطلقًا طعامًا كان أو أى سلعة يعود احتكارها بالضرر على الناس؛ فقد روى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من احتكر الطعام أربعين يومًا، فقد برئ من الله، وبرئ منه الله» وفى رواية، فكأنما قتل الناس جميعًا».

وليس هناك من عمل أسوأ من هذا العمل الذى يؤدى إلى هاتين الجريمتين اللتين ذكرتا فى الحديث الشريف.

وشيوع الغش وتوابعه:

وتوابع الغش أو لواحقه لا تكاد تحصى من كذب وخداع ومكر وسوء استغلال لحاجة الناس، وترويج السلعة بالثناء الكاذب عليها وكتمان عيوبها، وتطفيف كيلها أو وزنها، وكل ذلك حرمه الله تعالى من أجل أمن الناس فى حياتهم ومعاشهم، وقد وردت فى ذلك أحاديث نبوية عديدة نذكر منها ما يلى:

- روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غش

---

(١) الربح هو: الفرق بين التكلفة لمنتج ما، وبين الدخل النقدى العائد من هذا المنتج.

(٢) يؤكد ذلك أن حكومات النظم الاشتراكية فى معظمها تتهم بالسرقة بعد إزاحتها، وقد تقدم للمحاكمة تمويها على نزاهة الحكومة التى أزالتها.

فليس منا » وفى رواية: « من غشنا فليس منا » وفى رواية: « من غشنا فليس منا والمكر والخداع فى النار ».

– وروى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بطعام وقد حسَّنه صاحبه فأدخل فيه يده، فإذا طعام ردىء قال: « بع هذا على حدة وهذا على حدة، من غشنا فليس منا ».

– وروى مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: المنان، والمسبل، والمُنَفق سلعته بالحلف الكاذب ».

– وأخرج الحاكم والبيهقى بسنديهما عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يحل لأحد يبيع بيعًا، إلا أن يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه ».

– وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تلقوا الركبان للبيع، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، ولا تناجشوا، ولا يبع حاضر لباد، ولا تطروا الغنم، ومن ابتاعها فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها؛ إن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها وصاعًا من تمر ».

- وتلقى الركبان أى الوافدين بالسلعة قبل أن يدخلوا السوق، لتشترى منهم بسعر منخفض لجهلهم بسعر السوق... وهذا حرام.
- ولا يبع بعضكم على بيع بعض أى إن علم أحداً اشترى سلعة بثمن فليس له أن يذهب إلى صاحب السلعة ليزيد له من الثمن المعروض عليه فيها... وهو حرام بنص هذا الحديث.
- والنجش هو أن يعرض أحدهم على البائع سعراً أعلى من سعر سلعته أمام من يرغب فى الشراء بينما هو لا يريد أن يشتريها أصلاً، وهو حرام لما فيه من غش وخداع.
- ولا يبع حاضر لبادٍ، وصورته: أن يقدم أحد أهل البادية على الحاضرة – المدينة – ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه، فيقول له الحضرى: اتركه عندى حتى أغالى فى ثمنه، وأنتظر ارتفاع السعر... وهذا حرام لما فيه من غش وضرر.

– وكل هذه الأنواع من المعاملات غش وخداع وسوء استغلال لحاجات الناس ولذلك حرمها الإسلام.

- وانتشار آفة الآفات الربا :

والربا يعنى إقراض الناس بفائدة وهو فى الإسلام من الكبائر، وهو حرام بآيات من القرآن الكريم وعدد من الأحاديث النبوية الشريفة.

ومهما قيل فى الربا من بيان لأضراره وخطره على الاقتصاد القومى، وتدميره للعلاقات بين الناس وسوء استغلال الغنى للفقير، فكل ذلك قليل إلى جانب ما قال الله تعالى عن الربا؛ فقد قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ...** ﴾ [الروم: ٣٩]. وقال جل وعلا: ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقال: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...** ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وبعد: فهذه آثار فقد العدل فى مجال الاقتصاد والتجارة والتعامل مع الناس، وهى آثار خطيرة تهدد المجتمع فى حاضره ومستقبله، ولهذا أمر الله بالعدل فى كتابه الكريم وسنة نبيه الخاتم ﷺ.

ثانيًا: عند فقد الإحسان:

- أما فقد الإحسان فى مجال الاقتصاد والتجارة، فإن عيوبًا كثيرة وآفات خطيرة تترتب على ذلك، مما سنشير إلى بعضها فيما يلى:

١- شيوع الغبن[١]:

الأصل أن المسلم لا ينقص أخاه المسلم فى بيع أو شراء، بأكثر مما يتغابن به فى العادة أو يؤذن به فى الشرع فلا شيء فيه، لأن البيع مبناه على الربح، ولا يمكن الربح إلا بغبن ما، لكن مع وجود الإحسان يراعى المسلم بائعًا ومشتريًا ألا يغلب أخاه ولا ينقصه إلا فى حدود ما هو مباح.

فإذا بذل المشترى فى السلعة زيادة على الربح المعتاد، إما لشدة احتياجه للسلعة فى الحال أو لسبب آخر. فإن مقتضى الإحسان ألا يقبل البائع هذه الزيادة من المشترى، تقربًا بذلك إلى الله تعالى وعملاً بمبدأ الإحسان لأن الله تعالى مع المحسنين.

---

(١) غبنه فى البيع غلبه ونقصه.

فغياب الإحسان فى المعاملات يؤدى إلى غبن، وهو مما لا يليق بالمسلمين فى تعاملاتهم.

● ومن أدب الإحسان فى المعاملات بين المسلمين أن المسلم إذا اشترى من فقير أو ضعيف، فلا بأس أن يحتمل على نفسه الغبن ويعطيه ثمنا أحسن أو يتساهل معه، وهذا التسامح الذى حبب فيه رسول الله ﷺ، فقد روى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله عبداً سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى».

٢- فقد روح الأخوة بين المتعاملين:

الأصل فى التعامل بين المسلمين أن تظلهم روح الأخوة والمودة، ومقتضى هذه الأخوة أن ينظر المسلم أخاه المسلم فيصبر عليه حتى يستطيع الأداء، وأن يحط عنه بعض دينه أو التزامه، لأن الإحسان من معانيه أن يأخذ الإنسان أقل مما له على أخيه، وأن يعطيه أكثر مما عليه، وأن يسهل عليه طريقة الأداء والسداد ما وسعه؛ فإذا فقد الإحسان ضاع كل ذلك، وقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنظر معسرًا، أو وضع له - أى عن حط عنه - أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله».

٣- ومخالفة ما ندب إليه الدين:

وقد ندب الدين إلى فضائل كثيرة فى التعاملات التجارية بين المسلمين فوق ما ذكرنا مثل:

- ألا يكلف الدائن المدين بأن يمشى إليه، بل يكون هو المبادر بذلك أو المنظر له.
- وألا يشهر به فى الناس ويكشف أنه مدين له.
- وألا يرفع أمره إلى القضاء أو إلى من يتحاكم معه إليه، وإنما يمهله ويصبر عليه.
- وألا يلازمه حتى يؤدى ما عليه.
- وألا يبيع دينه عليه إلى دائن آخر قد لا يعامله بالحسنى ويدخل فى ذلك بيع الدين لأحد المصارف أو أحد المرابين. وبكل ذلك جاءت سنة النبى ﷺ وتعامله مع الناس، وأمر أصحابه بذلك، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خياركم أحسنكم قضاءً للدَيْن».

● وللإحسان فى التجارة آداب ينبغى للتاجر المسلم أن يراعيها ويحرص عليها ويحسن إلى

نفسه وإلى الناس باتباعها، ومن هذه الآداب ما نذكر بعضها هنا، مؤكدين أن كل أدب منها قد عُزز التمسك به بآية كريمة أو حديث شريف، ولولا الإطالة لذكرنا ذلك كله، ولكن حسبنا أن نشير إلى بعض هذه الآداب فيما يلي :

– لا يجوز للتاجر المسلم أن تلهيه تجارته ومعاشه عن آخرته ومعاده، فلو شغله هذا عن ذلك ضيع آخرته بكل تأكيد، وربما ضيع دنياه وتجارته كذلك؛ لأن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فقد مدح الله عباده الذين يذكرونه ولا يلهيهم عن ذكره تجارة ولا بيع فقال تبارك وتعالى : **﴿في بُيُوت أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [النور : ٣٦–٣٨] .

– ولا يجوز له أن يكف عن ذكر الله فى السوق نفسه، فإن فى ذكر الله بركة وربحاً دنيوياً وأخرويا، وعلى كل مسلم أن يظل لسانه رطبًا بذكر الله فى كل حين .

– وألا يكون أول داخل فى السوق ولا آخر خارج منه .

– وأن يتقى الشبهات فى أقواله وأعماله عمومًا وبخاصة فى تجارته .

وذلك كله وغيره كثير من صميم الإحسان الذى إن فقد اضطرب الاقتصاد وخسرت التجارة وضلت المعاملات طريقها فى إحداث الاستقرار والأمن فى المجتمع .

● وبعد فهذا هو الميدان الوحيد الذى اقتصرنا على الحديث عنه، وأوضحنا كيف يضطرب إذا فقد فيه العدل والإحسان، وكل ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والتعليمية بل والعبادية تتأثر بفقد العدل والإحسان حتى تصبح شراً على الناس جميعًا .

جـ– المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات، ثمرة من ثمار العدل والإحسان :

هذا الأساس – العدل والإحسان – الذى تقوم عليه التربية السياسية الإسلامية للإنسان، هو الضمان الأكيد لإقرار مبدأ المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات .

وقد أوضحنا هذه الحقوق والواجبات فى حديثنا عن الأساس الثانى من أسس التربية السياسية الإسلامية .

ونركز هنا على أن الضمان الأكيد لممارسة الإنسان حقوقه وقيامه بأداء واجباته هو: العدل والإحسان.

- ولابد لنا أن ننبه على أن كل أسس التربية الإسلامية السياسية تعطى نوعًا من الضمان للحقوق والواجبات، ولكى نوضح ذلك نقول:

- الأساس الأول لهذه التربية السياسية وهو: ضبط سلوك الإنسان وفق أحكام الشريعة وأخلاقها؛ ضمان لممارسة الناس حقوقهم، ولأدائهم لواجباتهم، لأن الشريعة تلزم بذلك، ولكن ضمان العدل والإحسان أفعل.

- والأساس الثانى لهذه التربية السياسية وهو: تعريف الإنسان بحقوقه وواجباته؛ ضمان آخر لممارسة الناس حقوقهم ولأدائهم واجباتهم، ولكن ضمان العدل والإحسان أوسع وأشمل.

- والأساس الثالث لهذه التربية السياسية وهو: تربية الإنسان على التعاون والتضامن والتكافل، فيه ضمان لممارسة الحقوق ولأداء الواجبات، ولكن ضمان العدل والإحسان لذلك أكبر وأقوى.

- والأساس الرابع وهو: الشورى التى يربى عليها الإنسان المسلم، فيه ضمان لممارسة الإنسان لحقوقه ولقيامه بأداء واجباته، ولكن ضمان العدل والإحسان لذلك أعمق وأبعد مدى فى الزمان وفى المكان.

- ومما لا شك فيه أن تربية الناس على أن تشرب قلوبهم وعقولهم العدل والإحسان يعود بأكبر النفع على المجتمع كله، إذ هو يحفظ للضعيف حقوقه، ويلزم القوى بأداء واجباته، وذلك أن للعدل والإحسان فى المجتمع آثارا عظيمة القيمة، نذكر منها ما يوفق الله إليه فيما يلى:

١- على مستوى الفرد:

عندما تكون التربية السياسية للمسلم قائمة على العدل والإحسان فإنها تثمر أحسن الثمر فى مجالين:

أ- فى مجال الفرد نفسه:

فإن من رُبِّى على أن يكون عادلاً محسنًا، يتمسك بحقوقه، وفى هذا التمسك منع لكل من حدثته نفسه بالعبث بهذه الحقوق ليقظة أصحابها، لأن الحقوق لا تهضم إلا فى غفلة

أصحابها، كما أنه يخلص فى أداء واجباته، وفى ذلك الأداء للواجبات استقرار للقيم الفاضلة فى المجتمع كله، وهذا من صميم المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

ب- وفى مجال الفرد فى تعامله مع غيره:

إذ لابد للفرد من تعامل مع غيره من زميل وصديق وجار وشريك فى عمل، فإذا كان قد رُبى على العدل والإحسان فإنه بهذه التربية يصبح حارسًا أمينا لحقوقه وحقوق غيره من الناس، ويصبح حريصًا على أن يؤدى واجباته نحو غيره،مشجعًا لغيره على أداء واجباتهم، وفى هذا وذاك أمان للمجتمع من الشرور والانحرافات، وفى ذلك تحقيق للمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

٢- وعلى مستوى المربِّين:

كل من يقوم على تربية غيره من الناس، فى البيت أو فى المسجد أو فى المدرسة أو فى الحياة عمومًا - التربية المستمرة - كل من يقوم بذلك من المسلمين يعلم علم اليقين أن واجبه نحو من يربيهم أن يحببهم فى العدل والإحسان فى جميع أنواع سلوكهم عدلاً يؤدون به ما فرضه الله عليهم، وإحسانًا يزيدون به قربًا من الله تعالى.

فإذا شاعت هذه التربية للناس على العدل والإحسان، فإن فى ذلك ضمانا لاعتبار ممارسة الحقوق وأداء الواجبات من أهم الشروط التى توفر للناس المساواة فى هذه الحقوق والواجبات دون استثناء أو تحيز أو تمييز.

٣- وعلى مستوى أولياء الأمور:

كل من يلى أمر غيره من الناس معلمًا أو داعية إلى الله، أو رئيسًا فى عمل، فإن الإسلام يوجب عليه أن يكون أنموذجًا حيًا لتوافر العدل والإحسان فى شخصه وفى عمله، ليصل من وراء ذلك إلى إقرار العدل والإحسان فى عقولهم وقلوبهم، وإذا استقر العدل والإحسان فى سلوك الناس فإن ذلك دعم وتأكيد للمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات، إذ إن تلك المساواة ثمرة من ثمار تطبيق العدل والإحسان.

٤- وعلى مستوى الحاكم والحكومة:

الحاكم - قبل أن يكون حاكمًا - فرد من أفراد المجتمع، إذا كان قد رُبى فى البيت أو فى

المسجد أو المدرسة أو فى المجتمع على العدل والإحسان، فإنه سوف يمارس هذا العدل والإحسان فى حكمه ويلزم به أفراد حكومته، وفى هذه الممارسة ضمان للمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

- ومن نافلة القول؛ التنبيه على أن أى حاكم أو حكومة لا تعمل ما وسعها على تحقيق المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات، فإنها تفقد شرعيتها من وجهة النظر الإسلامية ويجب على المسلمين نصحها، فإن لم تقبل النصح عملوا ما وسعهم على تغييرها، بما لا يحدث فتنة بين المسلمين.

وبعد: فإن تطبيق العدل والإحسان - كما أوضحنا - يثمر أينع الثمار وأهمها للمجتمع، وهى المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات، وهذه المساواة هى هدف كل تربية سياسية جاء بها الإسلام.

- وكما تفعل هذه الأسس الخمس التى ذكرنا فى هذا الباب فعلها فى تربية الإنسان المسلم تربية سياسية صحيحة، فإن أساسًا سادسًا من أسس التربية السياسية الإسلامية له فاعلية قصوى فى تكوين المسلم من الناحية السياسية، وذلك هو تربية الإنسان المكلف بالدعوة إلى الله، وذلك ما نتحدث عنه فى الصفحات التالية، والله المستعان.

الأساس السادس

تربية المسلم الداعي إلى الله المتحرك بدينه في الناس والآفاق

تربية المسلم الداعي إلى الله المتحرك بدينه في الناس والآفاق

هذه التربية أدخل فى السياسة منها إلى أى نوع من أنواع التربية وهى مما يميز دين الإسلام الدين الخاتم للأديان كلها، إذ هو دين دعوة وحركة؛ دعوة الناس إلى دين الله ومنهجه ونظامه، وحركة بهذا الدين وذهاب به إلى كل الناس فى جميع الآفاق.

والإسلام بوصفه الدين الخاتم للأديان، هو دين كل زمان ومكان إلى يوم القيامة.

- وكل مسلم ذو قدرة على الدعوة والحركة فهو مكلف بذلك من قِبل الإسلام؛ منهجه ونظامه ونصوصه – على نحو ما سنوضح بعد قليل – وليست الدعوة والحركة واجب علماء الإسلام وحدهم، كما يتوهم بعض الغافلين – متأثرين بالتيارات المعادية للإسلام – فيقعون فى الخطأ أولاً ثم فى خطيئة القعود عن أداء الواجب بعد ذلك.
- إن أعداء الإسلام يريدون للإسلام ألا يكثر عدد الداخلين فيه بل لا يحبون أن يكثر عددالمتمسكين بمنهجه، فهم يوهمون المسلمين بأن الدعوة إلى هذا الدين والحركة سواء كانت الموجهة لغير المسلمين ليدخلوا فى الإسلام أو موجهة للمسلمين ليتمسكوا بمنهجه ونظامه، إنما هى واجب علماء الإسلام وحدهم، وأن سائر المسلمين معفون من الدعوة إلى الدين والحركة به.
- وقد استجاب كثير من غافلى المسلمين لهذه المقولة المغالطة فقعدوا عن الدعوة إلى الدين والحركة به فى الناس والآفاق، وكان للأعداء فى سبيل تقليل عدد المسلمين وسائل وأساليب عديدة منها:

– إقناع كثير من بلدان المسلمين بأن النسل يجب أن يحد أو يقلل أو ينظم كما يقولون، حتى إن الدول الوالغة فى عداء الإسلام والمسلمين تنفق على تحديد النسل فى البلدان المسلمة إنفاقات ضخمة فتبنى مراكز تحديد النسل وتسميها تنظيم الأسرة، وترسل وسائل منع الحمل بالمجان، وتدعو إلى تأخير سن الزواج، وتبيح الاتصال بين الجنسين بغير زواج، وتشجع على الإجهاض، وتبارك الشذوذ الجنسى ولا تدين الشاذين ولا تحاكمهم ولا تعاقبهم.

– تفعل الدول المعادية للإسلام والمسلمين هذا فى بلدان المسلمين وتجد آذانًا صاغية

وشياطين داعية فى حين تشجع هى على زيادة النسل وتمنح علاوة اجتماعية لمن زاد عدد أبنائه عن اثنين ؟!!

وأسبق الناس إلى التشجيع على زيادة النسل اليهود وكثير من دول أوروبا، أما الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا وغيرها فتزيد عدد مواطنيها بقوانين الهجرة والتشجيع على الاستيطان فيها!!!

– وينساق الغافلون من المسلمين وراء ذلك ويسوقون لذلك حججاً أوهى من خيوط العنكبوت، ولو عقلوا لعلموا أن الإنسان أغلى موجودات الدنيا، ولو تدبروا لبحثوا عن كيفية الاستفادة مما فى الأرض والبحر والسماء وسخروا ذلك لمواجهة الأزمات التى يترقبونها، ويسجلونها فى إحصائياتهم، ولكن هيهات!!!

– **وعلى سبيل المثال :**

من كان يظن قبل مائة عام أو أكثر أن باطن الأرض زاخر بالنفط والغاز والمعادن التى اكتشفت حديثًا، وكلها أغلى من الزروع ومن كثير من المنتجات الزراعية أو الصناعية .

وكل هذه المكتشفات إنما قام بها الإنسان، فكيف يضحون بهذا الإنسان، ويعملون على تقليل أعداده؟

– إن الأزمة الاقتصادية التى يزعمون أن زيادة عدد الناس هو الذى يؤدى إليها، إن الرد على تلك الفرية أو المغالطة أن الإنسان عندما يولد يظل فى كفالة ذويه ما يقرب من عشرين عامًا، ولكنه يكفل غيره ما يقرب من أربعين عامًا بعد أن يكوِّن أسرة، فهو علاج للأزمة المزعومة وليس سببًا فيها كما يزعمون .

– إن الإنسان أهم منتج فى الحياة، ومن أراد أن يتأكد من ذلك مطلقًا عقله من الأسر، فعليه أن ينظر فى تعداد سكان الصين، وفى تطور إنتاج اليابان، وكوريا وغيرها، ولينظر ما هى المجاعة التى تعانى منها هذه البلاد؟

ولا نذهب بعيداً فأنا عشت طفولتى فى مصر وكان تعداد سكانها ستة عشر مليونًا، وهى اليوم تقارب السبعين مليونًا، وليس عندنا مجاعة ولا أكلنا الحيوانات التى لا تؤكل ولا اجتاحتنا – بفضل من الله – الجوائح التى يخوفوننا بها .

– وأنا على يقين بأن كلامى هذا لا يعجب أصحاب «المعادلة الصعبة» ولا أولئك المؤمنين

بصحة الإحصائيات التى تقوم بها الهيئات الدولية، بل يتهمون من يقول هذا اتهامات عديدة، ولكنى أومن بما أقول وأذكر الذين لا يرون ما أرى فى هذه القضية بأن الذين يعملون على تقليص أعداء المسلمين هم أعداؤهم من اليهود وأمثالهم من عبدة المال وهواة السيطرة على اقتصاد العالم بالعولمة حينا وبالاحتكار حينا، وبإغراق الأسواق بمنتجاتهم حينا ثالثًا وهكذا...

إنهم يخططون لذلك ويوافقهم على تنفيذ خططهم ضعاف النفوس والعقول من الذين رضوا بأن يعطلوا شرع الله ويلغوا منهجه ونظامه.

- أين هؤلاء من قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [هود: ٦].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: ١٥].

- وأين هؤلاء الذين يخافون قلة الموارد فى الكون، وقد جعل الله فيه رزق اليوم والغد إلى يوم القيامة؟ أين هؤلاء من قول الرسول الله ﷺ فيما رواه أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: أهديت لرسول الله ﷺ ثلاث طوائر، فأطعم خادمه طائرًا، فلما كان من الغد أتته به، فقال لها رسول الله ﷺ: «ألم أنهك أن ترفعى شيئًا، فإن الله عز وجل يأتى برزق كل غد» صدقت يا رسول الله: الله يأتى برزق كل غد، فهل يخاف مسلم ألا يرزق غدًا؟ إن عليه أن يعمل وأن يأخذ بالأسباب والله تعالى متكفل برزق كل غد.

- وأين هم مما رواه أحمد بسنده عن ابنى خالد رضى الله عنهما، قالا: دخلنا على رسول الله ﷺ وهو يصلح شيئًا فأعنَّاه فقال: «لا تيأسا من الرزق ما تهززت رءوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة، ثم يرزقه الله عز وجل».

وما رواه أحمد بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض».

وما رواه أحمد بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانا».

ومعروف أن التوكل على الله لا يعنى التواكل وترك الأخذ بالأسباب والسعى فى الأرض والمشى فى مناكبها.

وإذا كانت تربية المسلم سياسيًا تقوم على أساس متين من تكليفه بالدعوة إلى الله والحركة يدينه فى الناس والآفاق ما دام قادرًا على شىء من ذلك، فإن علينا أن نوضح أهداف الدعوة إلى الله ووسائلها، وأن نعرف بالمدعوين إلى الله، والله سبحانه هو الموفق المعين(١).

بين يدى الأهداف

الهدف - بصورة عامة - هو إما أن يكون على مستوى الفرد، أو على مستوى الجماعة، ولكل من المستويين حديث.

فالهدف على مستوى الفرد هو: الشىء الذى يرى الإنسان أن وصوله إليه يشبع حاجة له، وبالتالى يحرك سلوكه نحو الوصول إليه.

والهدف على مستوى الجماعة هو: الشىء الذى تنشده الجماعة عن طريق العمل الجماعى بحيث يكون الوصول إليه مشبعًا لحاجة من حاجاتها، وبالتالى يحرك سلوكها نحو الوصول إليه.

فالهدف على المستويين الفردى والجماعى، هو الذى من أجله، يبذل الجهد، ويتم العمل.

ونود هنا أن نوضح أن الهدف قد يكون هو السبب أحيانًا، وقد يختلف عنه؛ لأن الاتصال بينهما وثيق فالسبب محرك ودافع للوصول إلى الهدف، وعمومًا فإنه فى مجالناهذا، قد تشترك وتشتبك الأسباب مع الأهداف وإن كان ذلك غير قائم فى كثير من المجالات والأحيان.

ونحن هنا ننشد أن نتحدث عن أهداف الدعوة إلى الله برصدها فى نقاط:

(أ) أهداف الدعوة إلى الله

أولاً: إعانة الناس على عبادة الله تعالى وفق ما شرع لهم:

وذلك فى الأصل عمل الرسل - صلوات الله عليهم - ولكنه انتقل بالميراث إلى الدعاة إلى

(١) تحدثنا عن ذلك بتفصيل كبير فى كتابنا الموسع فقه الدعوة إلى الله،فمن أراد أن يتوسع فليرجع إليه. نشر دار الوفاء فى طبعات عديدة.

الله؛ إذ هم العلماء بهذا الدين، وورثة الأنبياء فى التبليغ بهذا الدين.

وإعانة الناس على عبادة الله وفق ما شرع، تتطلب من الدعاة شرحًا، وتفسيرًا، وإرشادًا، وتنويرًا، يتضمن تعريفهم بالله – ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره – وتعريفهم بكل ما جاء به محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين من منهج، ينظم كل شىء فى معاش الناس ومعادهم.

ثانيًا: إعانة الناس على التعارف والتعاون فيما بينهم:

فهذا التعارف قد أمر به الله سبحانه، وأوجبه على الناس جميعًا – فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...**﴾ [الحجرات: ١٣].

وإعانة الناس على التعارف فيما بينهم، تستوجب أن يوضح الدعاة لهم، أن التعارف فيما بينهم هدف كبير لا تستقيم حياتهم الدنيا إلا به، ففى جو التعارف بين الناس، يحدث التعاون والتناصر والتآخى والمودة فى الله والتآزر فى التغلب على أى مشكلة من مشكلات الحياة الدنيا.

التعارف بين الناس، دون نظر إلى اختلاف لون، أو عرق، أو لسان؛ لأن الله – تبارك وتعالى – جعل الناس شعوبًا وقبائل؛ ليتعارفوا.

والعبرة فى الإسلام فى التفرقة بين الناس، لا بأجناسهم، وألوانهم، وألسنتهم، ولكن بما يكونون عليه من تقوى لله وخشية.

وعلى الدعاة إلى الله أن يؤكدوا هذه المعانى، فإنها مفاتيح للقلوب ولكل خير، بل مفاتيح للإقبال على الإسلام – كما شاهدت ذلك فى كثير من بلدان افريقيا، التى تقدم فيها الكنيسة للأفارقة كل شىء، ثم يفرون منها إلى الإسلام؛ لأن الكنيسة أيضًا تمارس معهم التفرقة العنصرية.

ثالثًا: تغيير الواقع السيىء الذى يعيشه المسلمون:

فيباعد بينهم وبين الإسلام يومًا بعد يوم، إلى واقع إسلامى، يقربه من الله ومن الحق، ومن مصالح الدنيا والآخرة.

معاونة الناس على هذا التغيير، إن على الدعاة أن يجعلوا الناس قادرين على إدراك أهمية هذا التغيير، وأن يعينوهم على أن ينظموا أنفسهم وصفوفهم؛ ليستطيعوا ممارسة هذا التغيير، وإن على الدعاة أن يعرفوا الناس فى هذا المجال أموراً هامة هى:

ماذا يغيرون؟

وكيف يغيرون؟

ومتى يغيرون؟

كل هذه الأمثلة تعتبر الإجابة عليها من أهم مفردات الدعوة إلى التغيير ومن أهدافها الجزئية الضرورية.

ومن الواضح الجلى أن واقع كل قطر إسلامى فى العالم الإسلامى كله، وإن جمعت بينه وبين قطر إسلامى آخر مشابهات وموافقات، فإن احترام ما يحدث بين هذه الأقطار من اختلاف أمر ضرورى، على الداعية أن يفطن إليه، ويضعه فى اعتباره.

رابعًا: تربية الفرد المسلم تربية إسلامية صحيحة:

تتناول كل جوانب شخصيته الروحية والعقلية والبدنية والسلوكية والاجتماعية، فما لم تُربَّ هذه الشخصية على أخلاق الإسلام وآدابه، فلن يحدث لها هذا التكافل المنشود وبالتالى فلن تستطيع أن تؤدى وظيفتها فى الحياة.

إن على الدعاة إلى الله أن يبذلوا فى هذا المجال جهداً، يمكنهم من الإسهام فى تربية الأفراد المسلمين، تلك التربية الإسلامية المتكاملة.

خامساً: إعداد البيت المسلم:

وتربية أفراده جميعًا وفق منهج الإسلام ونظامه؛ ليشب الأبناء فى جو إسلامى وتسيطر على البيت روح الإسلام وآدابه، فينتج البيت للمدرسة وللمجتمع أفراداً صالحين، بمعايير الإسلام فى الصلاح، من ذكور وإناث، قادرين على أداء ما يجب عليهم نحو المجتمع المسلم، الذى يعيشون فيه.

إنه بغير طبع البيت بالطابع الإسلامى، يُخرج البيت أفراداً سلبيين أو أنانيين كسالى، يجيدون كيف يأخذون من المجتمع ولا يعطونه، كما هو المشاهد فى كثير من مجتمعات المسلمين، وما داموا لا يعطون، فقلما يجدون فى المجتمع ما يأخذونه.

إن عمل الدعاة فى تبصير الآباء والأمهات نحو تربية أبنائهم، منذ الطفولة الباكرة تربية إسلامية، عمل جليل القدر، عظيم الأثر.

وإن هذا الهدف لمن أهم الأهداف فى الدعوة إلى الله.

سادساً: إعداد المجتمع المسلم:

الذى تسوده قيم الإسلام ومبادئه وأخلاقه، والتى تسيطر على كافة مؤسساته آداب الإسلام ونظمه، إن هذا المجتمع بتلك الصفات، هو القادر على أن يمارس أفراده، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعدل، والإحسان.

وقد تحدثنا عن أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعدل، والإحسان، فى المجتمع، بما يؤكد أن مجتمعًا ما من مجتمعات الناس - لا المسلمين وحدهم - إذا لم يمارس أفراده الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعدل، والإحسان، فلن يعيش سعيداً، ولن يحقق آمالاً فى حياته الدنيا، فضلاً عن خسرانه حياته الأخرى.

إن على الدعاة أن يبذلوا فى هذا المجال جهوداً هائلة؛ لأن أخذ الناس بممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعدل، والإحسان، أمر عظيم وذو فائدة عظيمة.

سابعًا: العمل على إيجاد الحكومة الإسلامية:

التى تطبق شرع الله على عباده، الحكومة بصفاتها الإسلامية التى أبرزها: إحقاق الحق، وتطبيق العدل، وممارسة الإحسان، ورعاية المصالح العامة، ودرء المفاسد العامة، والأمانة، وتنمية الثروة القومية، ونشر دين الله فى الناس، ونشر التعليم الإسلامى.

وإذا كانت هذه خدمات الحكومة الإسلامية، فلا يعنينا فى شىء، شكلها الذى تتخذه، ولا اسمها، ما دامت فى الشكل والاسم، لا تخالف شرع الله، لأن العبرة فى الحكومة الإسلامية باللب والجوهر لا بالقشرة والعرض.

ثامنًا: العمل على تحرير الأوطان الإسلامية:

كلها من أى عدوان واقع عليها أو احتواء لها، وتحريرها من التبعية لأى تيار من التيارات

السائدة فى العالم غير الإسلامى، واتخاذ كافة الوسائل المشروعة فى سبيل تحقيق هذا الهدف الكبير.

وأول أرض يجب أن تحرر من غاصبيها، هى فلسطين، لا على أساس العنتريات التى خُدع بها الناس حينا طويلاً من الزمان، يوم كانوا يطلقون شعار إلقاء إسرائيل فى البحر لأن الإسلام لا يلقى بأحد فى البحر، وإنما يعمل على تحرير أرضه من غاصبيها، ثم إعطاء اليهود حق العيش فى فلسطين، على أنهم مواطنون فى هذه الأرض الإسلامية لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، ما داموا ملتزمين بنظام الإسلام فى التعامل مع أهل الكتاب.

وكل عمل غير هذا، لن يعيد فلسطين إلى المسلمين، وكل استعانة على اليهود بأعداء الإسلام من غرب أو شرق، لن تجدى فتيلاً والدليل على ذلك أنهم يحاولون من خمسين سنة، ولا تؤدى المحاولات إلا إلى مزيد من التوسع الإسرائيلى، على حساب أرض المسلمين.

تاسعًا: العمل على إيجاد الوحدة بين بلدان العالم الإسلامى:

وحدة الفكر والثقافة، وحدة الاهداف والغايات، وحدة الاقتصاد وتكامله بين بلدان العالم الإسلامى، ثم الوحدة السياسية.

وحدة الشعوب الإسلامية لا الحكومات ولا الحكام؛ لأن الحكومات إلى انحلال، والحكام إلى زوال، أما الشعوب فباقية، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإن أسباب الوحدة بين بلدان العالم الإسلامى لكثيرة وضاغطة، وإن العقيدة والعبادة، والكتاب والسنة، والتاريخ والجغرافيا، لمن أبرز مبررات هذه الوحدة، المهم أن تصدق النوايا، وأن تصح العزائم.

إن هذه الوحدة ستكون تمهيداً لوحدة الصف والكلمة؛ لتعود الخلافة الإسلامية إلى حياة المسلمين، فهى عمود النظام السياسى، وعماده فى الإسلام.

ويوم كانت للمسلمين خلافة موحدة، كانوا فى مد، ملأ ربوع العالم ويوم فقد المسلمون هذه الخلافة توزعوا دولا وعاشوا أشتاتًا وطمع فيهم أعداؤهم.

وحسبنا اليوم، أن المسلمين يعيشون أكثر من أربعين دولة أو حكومة، والأصل فيهم أن يعيشوا أمة واحدة، ودولة واحدة، ولن تضيع على حكومة من هذه الحكومات فرصتها، فى أن تحكم القطر الذى تعيش، بشرع الله ونظامه، ولكن تحت مظلة إسلامية ضخمة هى «الدولة الإسلامية» إنه أمل كبير يحتاج إلى عمل كبير.

إننا بحاجة فى تحقيق هذا الهدف إلى دعاة عالميين، لا محليين فى كل قطر إسلامى، وإن نواة هؤلاء الدعاة يمكن أن تبدأ فى وقت قريب.

عاشراً: العمل على نشر دعوة الله:

دعوة الحق فى العالم كله، شرقه وغربه، إسلاميه وغير إسلاميه، لأن الإسلام هو دين البشرية كلها، مهما يكن لها من دين أو نظام؛ لأنه الدين الخاتم التام الكامل، الذى جعل الله له الهيمنة، على كل دين ونظام، والذى قضى سبحانه بأن يمكن له فى الأرض؛ إذا كان أهله من المؤمنين الذين يعملون الصالحات، إنه الدين الذى رضيه الله للبشرية كلها دينا، أقول البشرية كلها ولا أقول المسلمين؛ لأن البشرية كلها، مطالبة بأن تدخل فى دين الحق دين الإسلام.

ومعنى رضا الله بهذا الدين، اختياره واصطفاؤه له، دون سائر الأديان والنظم، التى أنزلها من قبله؛ لكماله وتمامه، وملاءمته لما يصلح الناس فى دينهم ودنياهم؛ ومن أجل هذا كان، ولا يزال الخروج عن اختيار الله ورضاه، إلى اختيار الناس ورضاهم، حماقة ما بعدها حماقة، وسفها ليس كمثله سفه، واستحقاقًا أكيداً لعقاب الله، يوم يرجع الناس إلى ربهم فيحاسبهم ويجازيهم.

الأصل ألا يهدأ للأمة الإسلامية بال، حتى تصل إلى تحقيق هذا الهدف.

إن المقبلين على الإسلام - فى أوربا وأمريكا كما شاهدت بنفسى - عدد غير قليل، وقد دخلوا فى الدين، دون أن تكون هناك أساليب ووسائل لنشر دعوة الإسلام فيهم، فما بالنا لو خرج هذا الهدف إلى حيز الوجود؟

إن حاجتنا إلى الدعاة إلى الله العالميين لمستمرة كذلك مع هذا الهدف الكبير...

ألا ما أقرب إفريقيا إلى الإسلام - كما رأيت بنفسى - لو نظم للدعوة الإسلامية برنامج عمل جاد، فى مجال نشر الإسلام، والتعريف به.

كما أن كثيراً من دول آسيا الممعنة فى الشرق قاب قوس أو أدنى، على الرغم من كل ما يدعيه أعداء الإسلام، أو المثبطون - من المسلمين.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

ب- وسائل الدعوة إلى الله

والوسيلة هي العمل الذي يحقق أهداف الدعوة إلى الله، وتلك الأهداف قد حددناها آنفًا وهي في إجمال: «إعانة الناس على عبادة ربهم، وعلى التعارف فيما بينهم، وعلى تغيير الواقع السيىء الذي يعيشه المسلمون، وعلى تربية الفرد، وإعداد البيت والمجتمع، والعمل على إيجاد حكومة إسلامية، تطبق شرع الله، والعمل على تحرير الأوطان الإسلامية من كل مستغل أجنبي، وعلى إيجاد الوحدة الإسلامية، وعلى نشر دعوة الإسلام في العالم كله، وإقامة الخلافة الإسلامية».

والوسائل العامة للدعوة الإسلامية وتبليغها للناس يمكن أن نجملها في ثلاث وسائل:

الأولى: التبليغ بالقول.

الثانية: التبليغ بالعمل.

الثالثة: التبليغ بالقدوة.

ولكل وسيلة من هذه الوسائل فروع ومفردات نشير إليها إجمالاً على النحو التالي:

الأولى: وسيلة التبليغ بالقول:

وهي خطبة، ومحاضرة، ودرس، ومناظرة، ورسالة، ومقالة، وكتاب.

الثانية: وسيلة التبليغ بالعمل:

والتبليغ بالعمل يتناول ثلاثة مناشط:

الأمر بالمعروف،

والنهي عن المنكر،

وإقامة المنشآت والمؤسسات الخدمية.

فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ سبق أن تحدثنا عنهما بتفصيل.

وكلا النوعين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسيلة عملية من وسائل الدعوة إلى الله.

وأما إقامة المنشآت والمؤسسات الخدمية.

فمعناه أن الدعاة إلى الله، والمنضمين إليهم من الناس، الذين استجابوا لربهم، عليهم أن يلجأوا إلى الأسلوب العملى، القائم على تلبية احتياجات الناس إلى المنشآت، والمؤسسات الخدمية.

إن هذه المنشآت، وتلك المؤسسات، لابد أن تبدأ صغيرة، تسد حاجة فرد أو عائلة، ثم تكبر وتتسع، لتسد حاجة حى أو قرية أو مدينة، ثم تزداد تعاظمًا واتساعًا لتسد حاجة المجتمع كله، ثم تأخذ وضعها الأمثل، بأن تعظم بعض هذه المنشآت والمؤسسات، حتى تسد حاجة العالم الإسلامى كله، بإذن الله.

والعاملون فى الحقل الإسلامى، مطالبون بذلك شرعًا؛ لأن الدعوة إلى الله، ليست مجرد كلام، وإنما هى كلام وعمل وتنفيذ مواكب، يتوازى فى حركته وسيره، نحو تحقيق الأهداف مع الكلمة ومع القدوة.

وما ينبغى لعامل فى الحقل الإسلامى أن يستهين بمنشأة، مهما كانت صغيرة، ما دامت تحقق للمسلمين مصلحة، أو تدفع عنهم مفسدة أو حاجة؛ لأن الصغير مع الصغير كبير والقليل مع القليل كثير، ولأن أطول طريق يقطع أو يبدأ فى قطعه بخطوة واحدة، ولأن المعصوم ﷺ فيما رواه البخارى بسنده، عن أم المؤمنين عائشة قد قال فى حديث له: «... وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»[1] إنما العيب ألا يكون هناك منشأة أو مؤسسة، تلبى حاجات المسلمين، مهما تكن صغيرة أو ضئيلة.

الثالثة: وسيلة التبليغ بالقدوة:

وهى وسيلة عملية ناجحة، تضع أمام الداعى صورة حية لما يدعو إليه، حيث يقتدى المدعو بسيرة الداعى، ويرى فيه الأنموذج الجيد لما يدعو إليه، وبذلك ينجذب المدعوون إلى دعوة الله، ويقبلون بشغف عليها، شأن النفس البشرية، حينما تجد الأنيس والرفيق والشريك والمعين.

غير أن أسلوب الدعوة إلى الله بالقدوة محفوف ببعض المحاذير والمزالق، ولابد لنا هنا أن نذكر بعضها لنحذر منها؛ وهى كما نتصور ما يلى:

١- غرور الداعى، أو إعجابه بنفسه، أو عمله، عندما يرى الناس يقتدون به، ويتأسون بعمله، وهى آفة نعوذ بالله منها، ونسأل الله أن يباعد بينهما وبين الدعاة إليه.

---

(١) رواه كل أصحاب السنن.

٢- وربط الناس بالأشخاص لا بالمبادئ، فالأشخاص مهما كانوا، ومهما أوتوا من صفات، هم إلى زوال، بحكم خلقتهم، وما فطرهم الله عليه، أما المبادئ، فباقية ما بقى على وجه الأرض أحد من الناس. فالداعية التى يربط الناس بشخصية، غافل عن تلك الحقيقة، وليس له أن يغفل عنها، وهو يعمل فى حقل الإسلام.

٣- ووقوع بعض الدعاة - والعياذ بالله - فى أحبولة عدم تطابق الظاهر مع الباطن، وذلك أنه يرى أن الناس تقتدى به، فيقتضيه هذا أن يزين من نفسه، ومن عمله بأكثر مما هو عليه، فى واقع الأمر وحقيقته ونسأل الله ألا يوقع أحد الدعاة فى ذلك، لأن تلك آفة الآفات والعياذ بالله.

الأصل الأصيل، الذى يجنب الدعاة هذه الآفات، أو غيرها مما لم نذكرها هو: التواضع لله، والشعور بأن العمل أقل من الأمل، وأن العمل مهما كان لن يدخل صاحبه الجنة، وإنما هو فضل الله ورحمته، كما ورد ذلك على لسان المعصوم ﷺ: «لن يدخل الجنة أحدًا عملُه»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل»[١].

ويحتاج الداعى إلى الله، لكى يعطى فى دعوته القدوة الحسنة، إلى أمور ضرورية وجوهرية، نذكر منها:

١- عمق الإيمان وحسن الصلة بالله.

٢- ودقة الفهم لعمله ولدعوته إلى الله.

٣- والمداومة على العمل الصالح، وحب الخير للناس.

٤- والتضحية بالوقت والجهد والمال فى سبيل الله والدعوة إليه، فلا دعوة بغير تضحية.

٥- والتواضع لله، والاعتراف بالتقصير، والخطأ مهما مَنَّ الله عليه به من نجاح فى دعوته، إذ الكمال لله وحده، ومن تواضع لله رفعه.

٦- وحسن الخلق، والتأسى فى ذلك برسول الله ﷺ، واتخاذ القرآن الكريم، وما جاء فيه من صفات المؤمنين، مرتكزًا ومنطلقًا، للتحلى بالقيم الأخلاقية الإسلامية، وفى بداية سورة «المؤمنون»، ونهاية سورة «الفرقان» فرصة جيدة للتأمل فى صفات المؤمنين، ومحاولة التحلى بها[٢].

---

(١) رواه أصحاب السنن، مع اختلاف يسير فى ألفاظ بعض الروايات من بعض، مع المحافظة فى كل الروايات على المعنى.

(٢) سورة المؤمنون: ١-١١ وسورة الفرقان: ٦٣-٧٧.

وفى كثير من آيات القرآن الكريم، غير هذين الموضعين، ما فيه غناء وشفاء فى التحلى بمكارم الأخلاق.

٧- ومراقبة الله- سبحانه وتعالى - فى كل قول وكل عمل يمارسه الداعية إلى الله، لأن مراقبة الله تولد فى النفس خشيته وتقواه، والخشية تؤدى إلى الحب، والإقبال عليه بالتقرب بالطاعات وترك المعاصى. والحب يولد الرضا بقضائه وقدره، وكل تلك معالم رئيسة فى شخصية كل من يتصدى للدعوة إلى الله.

٨- واتخاذ الإحسان مبدأ فى الحياة وفى العمل، وفى كل شيء يأتيه المسلم أو يدعه؛ لأن الإحسان، قد كتبه الله على كل شيء،وطالب به كل مسلم ومسلمة، ومقتضى الإحسان، أن يأخذ الإنسان أقل مما له، وأن يعطى أكثر مما عليه، وتلك سمات الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى.

٩- والاجتهاد فى أن يعمل الدعاة على القيام بكل عمل يؤدى إلى جلب مصلحة للمسلمين، عامتهم أو خاصتهم؛ لأن ذلك أصل من أصول شريعة الإسلام.

١٠- والاجتهاد وبذل غاية الوسع من كل داعية إلى الله فى دفع الضرر أو المفاسد عن المسلمين، عامتهم أو خاصتهم، فإن ذلك - كذلك - أصل من أصول شريعة الإسلام.

وبعد: فتلك صورة مجملة لوسيلة الدعوة إلى الله عن طريق القدوة والله يوفق من يشاء إلى صراط مستقيم.

وإن الآية القرآنية التى تعد أمًّا فى وسائل الدعوة؛ حيث اشتملت على الوسائل الثلاث: القول والعمل والقدوة، وذلك قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٥-١٢٨].

فمن الدعوة بالقول فى هذه الآية الكريمة:

١- الدعوة إلى الله بالحكمة.

٢- والدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

٣- والجدال بالطريقة التى هى أحسن.

ومن الدعوة إلى الله بالعمل فى هذه الآية الكريمة:

١- الاقتصاد فى الرد على المساءة بمثلها.

٢- والصبر على مشاق المدعوين ومتاعبهم.

٣- وصدق التوكل على الله.

٤- وعدم اليأس من المدعوين.

٥- عدم الضيق بما يوجهه أعداء الدعوة إلى الدعاة.

ومن الدعوة إلى الله بالقدوة فى هذه الآية:

١- تقوى الله.

٢- والإحسان.

نفعنا الله بكتابه، وبما جاء فيه من الهدى والبينات.

جـ- المدعوون إلى الله هم الناس جميعًا وهم أصناف

سبق أن أكدنا فى حديثنا عن أهداف الدعوة فى الله، أن الدعوة إلى الله هى الدعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، والدعوة إلى عبادة الله وحده موجهة إلى الإنس والجن، ومعنى ذلك أن المدعوين إلى الله، هم الناس جميعًا فى كل زمان ومكان.

وإن الخطاب القرآنى موجه إلى الناس جميعًا، ليدخلوا فى عبادة الله وطاعته.

وإن الآيات القرآنية التى توجه الخطاب إلى الناس عمومًا، وإلى الإنسان جنسه كله لكثيرة.

وإن الآيات القرآنية، التى تتحدث بصيغ العموم، فتوجه الخطاب إلى أولى الألباب، أو إلى العباد، أو إلى العالمين، أو إلى بنى آدم، أو إلى البشر لكثيرة كذلك.

وحسبنا هنا الشاهد والمثال، تاركين علاج قضية عالمية الدعوة إلى الله للكتب المتخصصة فى ذلك[١].

---

(١) انظر للمؤلف: عالمية الدعوة الإسلامية جزءان ط ثالثة دارعكاظ الرياض - السعودية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقال جل شأنه : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة : ٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس : ١٧] .

وقال عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : ٣٢] .

وقال سبحانه : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر : ٧] .

وقال جل شأنه : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٢٠] والبشرية كلها إما أهل كتاب أو أميين .

وقال سبحانه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وقال سبحانه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

وقال عز وجل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٥] .

وقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس : ٦٠] .

وقال عز من قائل : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وقال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وقال سبحانه : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ

وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

إن هذه الآيات القرآنية الكريمة، وغيرها كثير، لدليل قاطع على أن الدعوة إلى الله موجهة لجميع الناس فى كل زمان ومكان.

وكذلك ورد عدد كبير من أحاديث النبى، ﷺ تؤكد هذه الحقيقة، ولولا الاستطراد، لذكرنا جانباً كبيراً من هذه الأحاديث النبوية، ولكننا نكتفى بالشاهد والمثال فنقول:

روى الإمام أحمد بسنده، عن ابن عباس، رضى الله عنهما، مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمساً، لم يعطهن نبى قبلى - ولا أقوله فخراً-: بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود»[1].

وروى البخارى ومسلم وأصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال: «كان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة...»[2].

وروى الأصبهانى بسنده، عن كرز بن علقمة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما أهل بيت من العرب، أو العجم، أراد الله، عز وجل، بهم خيراً أدخل عليهم الإسلام»[3].

هذه النصوص الدينية دليل، أى دليل على أن الدعوة إلى الله موجهة إلى البشرية كلها فى كل زمان ومكان.

ومعنى ذلك أن كل واحد من الناس، مدعو إلى أن يعبد الله وحده لا شريك له، وأن يؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله، وأن يدخل فى هذا الدين الذى جاء به محمد، ﷺ، وإن لم يفعل فهو من الآثمين.

ومهما كانت الظروف والأحوال بالنسبة لأى إنسان، فإنه غير مقبول منه أن يعبد غير الله، ومطلوب منه ألا يقطع رحلة حياته الدنيا، إلا وفق منهج الله الذى جاء به الدين الإسلامى كاملاً تاماً مفصلاً.

الإنسان كل الإنسان مطالب بذلك، الإنسان المتحضر، والآخر الذى يعيش بداوة وتخلفاً، ما دام قد وصلته دعوة الله، وبلغته شريعة الإسلام.

---

(١) الإمام أحمد فى مسنده.

(٢) كل أصحاب السنن.

(٣) الأصبهانى: أخلاق النبى.

أما من لم تبلغه الدعوة فى هذا العصر، الذى قربت فيه المسافات على بعدها، وطويت فيه الأرجاء على ترامیها، بوسائط النقل والاتصال المتعددة، إن هذا الإنسان الذى لم تبلغه الدعوة - إن وجد - فإنما إثمه على الدعاة إلى الله، وعلى المسلمين جميعًا، فهم مسئولون بين يدى الله عنه، لماذا لم يبلغوه ما دام إبلاغه فى استطاعتهم.

وإن أميل - بعد تجوال كبير فى كثير من أنحاء العالم - إلى أن أحدًا من الناس لم تبلغه دعوة الإسلام اليوم، وفى هذا العصر بالذات، عصر طى المسافات وتقارب الأرجاء.

هؤلاء المدعوون إلى الله أصناف عديدة، حاولنا هنا أن نختار تصنيفًا لهم، من بين عديد من التصنيفات التى اطلعنا عليها، لما له من صلة بالدعوة والدعاة والمدعوين لنوضح موقف هذا الصنف من الدعوة على النحو الذى تبينه النقاط التالية من هذا الفصل.

فالمدعوون إلى الله هم الناس جميعًا وهم أصناف:

١- من لا دين لهم.

٢- أهل الأديان الأخرى غير الإسلام.

٣- عصاة المسلمين.

٤- عامة المسلمين - وقد قسمهم الإمام البنا إلى أربعة أقسام:

أ- مؤمن،

ب- ومتردد،

جـ- ونفعى،

د- ومتحامل.

أولاً: من لا دين لهم من الناس:

من دواعى الأسف أن المجتمع الإنسانى اليوم فى عصر العلم والتقدم والوصول إلى الكواكب البعيدة عن الأرض، لا يزال فيه عدد من الناس لا يدينون بدين - على الرغم من أنهم فى الغالب قد سمعوا عن دين من الأديان - وهؤلاء ليسوا قلة يستهان بها، وحتى لو كانوا قلة، فإن الأصل ألا يستهان بهم، وقد كرمهم الله سبحانه بأن جعلهم من بنى آدم عليه السلام.

وليس بمستغرب أن يوجد اليوم من لا دين لهم من الناس، فإنه ليس أقل غرابة من ذلك وجود من يعبدون الأصنام اليوم فى عدد من البلاد، فلا تزال فى العالم اليوم شعوب بدائية تعبد أوثانًا أو طواطم(١).

إن أهل استراليا الأصليين، وبعض سكان شمالى أمريكا، ومعظم سكان «ميلا تيزيا» يعبدون طوطمًا، ويعتبرون أكل لحمه حرامًا على أفراد عباده الذين يعتنقون تلك العقيدة، ويعتبرون أنفسهم قد انحدروا عنه، بل إن بعضهم يحمل اسمه مثل عشير القنغر، ويوجبون على أنفسهم القيام نحو هذه الطواطم بشعائر وطقوس خاصة فى مواسم معينة،ويحرمون على أنفسهم قيام العلاقات الجنسية، ممن انحدروا من طواطم واحدة!!

وبعضهم يتخذ طوطمًا من النبات، أو من الكائنات الحية المادية، أو من الظواهر الطبيعية.

وهو نظام محير للباحثين من علماء الاجتماع، فلا يستطيع أحد حتى اليوم أن يتصور نظرية واحدة مقبولة عن أصل هذه العبادة الوثنية(٢).

وفى أفريقيا الوسطى اليوم يعتنق أغلب سكانها الوثنية حتى اليوم، على الرغم من انتشار الإسلام فى شماليها بالقرب من تشاد، وهى عضو فى هيئة الأمم المتحدة، منذ استقلت عن فرنسا عام ١٩٥٨م.

وكذلك – فإن فى أفريقيا قبائل عديدة، لا تزال تعبد الأصنام، وتعبد الأشخاص، وتعبد الأشجار.

وفى الهند معبودات فوق الحصر، إذ السائر لدى الناس، أن الهندوس يعبدون البقرة، ويتصورون أن هذا وحده هو الشائع الذائع هناك.

---

(١) الطوطم: حيوان أو نبات أو جسم محسوس، ينظر إليه الرجل البدائى فى احترام وخشية، ودون أن يكون هناك سبب معقول، يدفعه لذلك. ويعتقد الناس فى القبائل الطوطمية، أنهم ينحدرون عن ذلك الطوطم، كما تسمى القبيلة باسمه، أى أن الطوطم عندهم رمز للأب أو الجد، وبديل عنه. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية – أحمد زكى بدوى.

(٢) وهذا شائع فى الأماكن التى ذكرنا آنفًا ومنها ميلاتيزيا. وهى: إحدى مجموعات الجزر الثلاث الرئيسية بالمحيط الهادى وتقع جنوبى خط الاستواء إلى الجنوب الغربى من هذا المحيط وتشمل:
سولومون إيلاندز، ونيو هبريدز، ونيوكالدونيا، وأرخبيل بسمارك، وأومرالتى، وفيجى، ومعظم هؤلاء من أصل زنجى، ولغتهم مالاوية بولينيزية.

والحق أن الهند حافلة بمعبودات وثنية عديدة، تفوق حصر الحاصرين، نذكر منها ما يلى كدليل وبرهان:

فمن المعبودات المعروفة هناك:

١- «قارونا» أى السماء.

٢- و «أجنى» أى النار.

٣- و «سوريا» أى الشمس.

٤- و «لاكشمى» أى آلهة الحظ والأعاصير والنور.

وهناك آلهة يظهرون فى صور إنسانية مثل:

١- «شيفا» أى الواقى.

٢- و «فيشنوا» أى الهادم.

٣- و «براهما» وهو إله سامّ لا يقترب منه الإنسان، وهو عندهم إله خلق العالم واتحد به.

والثالوث المكون من: «شيفا وفيشنوا وبراهما» هو محور الديانة الهندوكية الآن.

و «شيفا» يعبد ويصنع على هيئة بظر[١].

و «فيشنو» نزل إلى الأرض فى تسعة تقمصات أشهرها صورة «كريشنا» الشهوانية.

وفى الهند آلهة أخرى مثل:

الأفاعى، وكثير من الحيوانات.

وفى اليابان من يعبدون الشمس حتى الآن، بل منهم من يعبد الإمبراطور، ويدعى أنه مقدس.

هؤلاء الناس جميعًا يعدون كمن لا دين لهم، لأن الأديان من عند الله، ولا يمكن أن يكون هذا دينا جاء من عند الله.

إنهم يعبدون الكواكب والأحجار والأشجار والحيوانات...

وهؤلاء جميعًا مدعوون إلى الله، ليدخلوا فى دين الإسلام، ويذروا ما هم عليه من باطل ووهم.

---

(١) هو نتوء فى فرج المرأة.

وهؤلاء أولى أن يدخلوا فى عبادة الله وحده وفق شريعة الإسلام ومنهجه ونظامه، وذلك عمل الدعاة إلى الله.

ثانيًا: أهل الأديان الأخرى

وهؤلاء كثيرون، وأهمهم فى نظرنا أصحاب الأديان السماوية الذين يطلق عليهم فى الإسلام «أهل الكتاب» وهم:

اليهود،

والنصارى.

وهم وإن كانوا أهل دينين سماويين، إلا أنهم مطالبون بأن يدخلوا فى الإسلام عند ظهوره، كما حدثتهم بذلك أديانهم، ولأن الله تعالى نسخ بدين الإسلام جميع الأديان التى سبقته فى التاريخ.

وسوف نسوق على ضرورة دخولهم فى الإسلام أدلة من القرآن الكريم، لإقناع المسلمين، كما سنسوق أدلة من كتبهم لإقناعهم هم بذلك، أو إقناع غير المسلمين جميعًا.

أما الأدلة من القرآن الكريم فقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧، ١٥٨].

وفى الآيتين الكريمتين دلالات كثيرة على أنهم مطالبون بالدخول فى دين الإسلام، منها:

١- أن النبى محمداً ﷺ وأخباره وكتابه معروف عند اليهود فى التوراة، ومعروف عند النصارى فى الإنجيل.

٢- وأنهم مكلفون بالاستجابة له فى أمره إياهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر،وتحليل الطيبات، وتحريم الخبائث.

٣- وأن النبى الخاتم، سوف يكون بإذن الله مكلفًا، بأن يضع عمن آمنوا به من بنى إسرائيل الأثقال والأغلال التى علم الله أنها ستفرض عليهم، بسبب معصيتهم، فيرفعها عنهم

النبى الأمى، حين يؤمنون به ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

٤- وأنه لا فلاح لأهل الكتاب، إلا بالإيمان بدين الإسلام، واتباع ما جاء به محمد ﷺ عليهم... ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقال سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] .

قال ابن كثير بعد هذه الآيات: فذكر تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب، وسائر الخلق من عربهم وعجمهم، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له، قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ولا يؤمن بى إلا دخل النار»(١) رواه مسلم. وهذا هو لفظه.

وروى الإمام أحمد بسنده نحوه ولفظه: «من سمع بى من أمتى من يهودى أو نصرانى فلم يؤمن بى لم يدخل الجنة».

وروى الحافظ أبو يعلى بسنده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل، وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حيًا بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعنى وفى بعض الروايات: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعى»(٢).

وأما الأدلة التى تقنع أهل الكتاب، وتقنع غير المسلمين من الناس ممن ليسوا أهل كتاب فكثيرة كذلك، نكتفى بأن نذكر منها ما يقوم حجة وبرهانًا على أهل الكتاب من يهود ونصارى.

وسوف نستشهد ببعض ما جاء فى كتبهم التى بين أيديهم حتى اليوم، فهى على الرغم مما دخلها من تحريف، لا يزال فيها ما يثبت وجوب اتباعه، ﷺ، والدخول فى دينه، وترك ما عداه من أديان.

وسوف نجعل الاستشهاد من التوراة والإنجيل، ومن سائر الكتب المعروفة لديهم، التى يجمعها اليوم ما يسمونه بالعهدين القديم والجديد، مفردين كل شاهد فى أحد هذه الكتب، عن أى شاهد فى كتاب آخر منها.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/١٣٣.

(٢) من أراد التوسع فى هذه الأدلة فليرجع إلى كتابنا: عالمية الدعوة الإسلامية.

ففى التوراة :

١- فى السفر الرابع فى قصة موسى : « إن الله أوحى إلى موسى عليه السلام، أن قل لبنى إسرائيل، سأقيم لهم نبيًا من أقاربهم، مثلك يا موسى، وأجعل وحيى بفيه، وإياه يسمعون » .

٢- وفى السفر الخامس - سفر الميعاد : « أن موسى عليه السلام، خطب بنى إسرائيل فى آخر عمره، وذلك فى السنة التاسعة والثلاثين من سنى التيه - وذكرهم بأيام الله، وأياديه عليهم، وإحسانه إليهم، وقال لهم فيما قال : « واعلموا أن الله سيبعث لكم نبيًا من أقاربكم،مثل ما أرسلنى إليكم، يأمركم بالمعروف، وينهاكم عن المنكر، ويحل لكم الطيبات، ويحرم عليكم الخبائث، فمن عصاه فله الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة » .

وفى الإنجيل :

١- فى إنجيل يوحنا :

أ- الإصحاح الرابع عشر :

يقول عيسى عليه السلام لأتباعه : « إنى مرتق إلى صفات العلى، ومرسل إليكم الفارقليط، روح الحق يعلمكم كل شيء » .

والمراد بالفارقليط محمد، ﷺ ، وهذا مصداق لما جاء فى القرآن الكريم على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام : ﴿ **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [الصف : ٦] .

ب- وفى الإصحاح الرابع عشر أيضًا :

يقول المسيح عليه السلام : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم معزيا آخر، ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق... أما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم » .

جـ- وفى الإصحاح السادس عشر :

جاء قول المسيح : « لكى أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إذا لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم » .

د- وفى الإصحاح السادس عشر أيضًا :

قال المسيح : « . . . إن لى أموراً كثيرة أيضًا لأقول لكم . ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذلك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية » .

وبعد :

فهذه الكلمات من التوراة والإنجيل، دليل على أن اليهود والنصارى مطالبون بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ إن هم أدركوه، ولا أدل على صدق تلك الكلمات من أن هذه الكتب - التوراة والإنجيل - دخلها ما دخلها من التحريف، ومع ذلك بقيت فيها هذه الدلالات .

والخلاصة التى أريد أن أنتهى إليها، هى أن اليهود والنصارى، مدعوون إلى الدخول فى الإسلام، بنص كتبهم وكتابنا، وهم - كما قال أسلافنا - أمة دعوة، ومن آمن منهم دخل فى أمة الإجابة، وهداه الله إلى خاتم الأديان .

إن اليهود والنصارى مدعوون إلى الدخول فى الإسلام، ليس كرهًا، وإنما اختياراً، طاعة لله ولرسلهم الذين أرسل الله إليهم .

وإن على الدعاة إلى الله واجبًا كبيراً، نحو دعوة أهل الكتاب إلى الدخول فى الإسلام، فهم مطالبون بدعوتهم إلى ذلك، بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن .

ومطالبون كذلك باختيار أنسب الأساليب والوسائل للتعامل بها معهم - فهم أقرب إلى المسلمين - بحكم أنهم أهل كتاب - من المشركين والكفار ومن ليسوا على دين .

وللإسلام أحكام فى التعامل معهم داخل دولة المسلمين، فصلنا الحديث فيها فى كتاب لنا هو : مع العقيدة والحركة والمنهج فى خير أمة أخرجت للناس .

وتُلتمس هذه الأحكام بتوسع، فى كتب الفقه الإسلامى، وفى كتب الأحكام السلطانية وكتب الحسبة .

ثالثًا : عصاة المسلمين :

المقصود بهؤلاء العصاة، طائفة ممن آمنت قلوبهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكن الشيطان والهوى غلب عليهم، فخالفوا بعض ما أمر الله به وأتوا بعض ما نهى عنه،وهؤلاء ليسوا كفاراً، وإنما هم مؤمنون عصاة .

غير أن هؤلاء العصاة درجات، يتفاوتون فيما بينهم، في كم المعاصي التي يرتكبون والعياذ بالله، وما ينبغي أن يتهم العاصي بالكفر أو الشرك، والعياذ بالله، ما دام يؤمن بالله، ويشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

والمعصية واردة على كل أحد من المسلمين، فقد روى الترمذي بسنده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»(١).

والحديث النبوي الشريف، يعترف بأن الناس جميعًا معرضون لأن يخطئوا، ولكن خير هؤلاء الذين أخطأوا، هم الذين يتوبون إلى الله، نادمين عازمين على ألا يعودوا.

وهناك دوافع إلى المعصية كثيرة نذكر منها ما يلي:

١- تزيين الشيطان - وتلك مهمته - للمعصية، فهو يأمر بالسوء والفحشاء، والغافل من المسلمين، هو الذي يستجيب لهمزات الشياطين، وكل عاص من المسلمين، فهو جاهل حين عمل المعصية، روى ابن كثير في تفسيره، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: من جهالته عمل السوء قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٧].

٢- وضعف النفس البشرية أمام شهواتها وأمام زهرة الحياة الدنيا، وأمام عاجل اللذة، والنفس الإنسانية في عمومها أمارة بالسوء، إلا من رحم ربي.

ومن هنا فإن العاصي منساق إلى شهواته ولذاته، غافل جاهل، ليس أمامه إلا التوبة النصوح، أو عقاب الله، والعياذ بالله.

٣- ونسيان الله، ونسيان ما أمر الله به وما نهى عنه، نسيان بمعنى التناسي، فلا شك أنه يذكر الحلال والحرام، ولكنه يتناسى فيخسر كثيرًا، والعياذ بالله، وما دام الإيمان يزيد وينقص، فإن المعصية تنقص الإيمان، ومن نقص إيمانه استمرأ المعصية، والعياذ بالله، إلا أن يتوب ويثوب قبل أن لا تنفع توبة، ولا يقبل رجوع، لأن حياة الإنسان على هذه الدنيا هامة اليوم أو الغد، وقد تفلت في لحظة من لحظات الليل أو النهار.

إن عصاة المسلمين توجه إليهم الدعوة إلى الله، فيدعون إلى الطاعة، واتقاء محارم الله، والتزام أوامره، وهؤلاء العصاة أقرب إلى أن يقلعوا عن المعصية، من أولئك الذين لم يدخلوا في الإيمان أبدا.

---

(١) الترمذي: سننه: ٤ / ٧٠ ط الكيتي القاهرة.

وإن أسباب المعصية فى المجتمعات التى لا تحكم بكتاب الله، ولا وفق منهجه كثيرة، وإن دواعيها مما أوشك أن يصبح كالعادة فى بعض هذه المجتمعات.

إن كثيراً من العادات والتقاليد والأعراف اليوم، تشجع على المعصية ، وإن كثيراً من الأماكن لكذلك.

إن البيت والمدرسة والشارع والنادى، وكثيراً من وسائل الإعلام لتشجع الناس على معصية الله، وإن كثيرًا ممن يمتهنون الكتابة حرفة وارتزاقًا، فيكتبون من القصص والروايات والمسرحيات، ما يشجع على المعصية بشكل مباشر حينًا، وغير مباشر حينًا آخر، وإن هؤلاء المشجعين على المعاصى أعلى صوتًا، وأكثر إمكانيات من المشجعين على الطاعات.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن الدعاة إلى الله، لهم مع أولئك العصاة واجب، أى واجب، فهم أهل حرص على أن ينقذوا هذا العاصى من شيطانه، وهواه، ونفسه التى بين جنبيه.

وهم أكثر شفقة ورحمة به من نفسه.

وإن للدعاة إلى الله مع العصاة أساليب حكيمة، تبغض فى المعصية وترغب فى الطاعة، وإن احتواء العصاة والإشفاق عليهم لهو السبيل الملائم لهم.

وإن من أفدح أنواع الخطأ إسلاميًا وتربويًا، أن يعير العاصى بمعصية، أو يشهر به بسببها، فإن هذا وذاك مما نهى عنه الإسلام، ومما لا يتفق مع أساليب الدعوة، ولا مع العلاج.

إن الرفق والستر، والتشجيع على هجر المعصية، والإقبال على الطاعة، هو الأصل.

رابعًا: عامة المسلمين أو عموم المسلمين

أى أهل الطاعات، وأهل المعاصى على السواء، أو أولئك الذين خلطوا عملاً صالحًا، وآخر سيئًا، وكثير ما هم.

إن هؤلاء جميعًا توجه إليهم الدعوة إلى الله، وهم من المدعوين إليها، ليفيدوا منها، على النحو التالى:

أما الطائعون فلتثبيتهم على الطاعة، وتشجيعهم على المضى فى ممارستها.

وأما العصاة، فلكى يقلعوا عن معصيته، كما قدمنا.

وأما الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فلكى يزيد عملهم الصالح على عملهم السيىء.

وللإمام البنا، رحمه الله، تقسيم جيد للناس أمام الدعوة إلى الله، نحب أن نذكره كاملاً لعظيم نفعه، وفائدته، وعمق نظرته إلى طبائع الناس مع الدعوة.

يقول رحمه الله: تحت عنوان «أصناف أربعة».

«وكل الذى نريده من الناس، أن يكونوا أمامنا واحداً من أربعة:

مؤمن:

إما شخص آمن بدعوتنا، وصدق بقولنا،وأعجب بمبادئنا، ورأى فيها خيراً اطمأنت إليه نفسه، وسكن له فؤاده، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا، والعمل معنا، حتى يكثر به عدد المجاهدين، ويعلو بصوته صوت الداعين، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل، ولا فائدة فى عقيدة، لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها، والتضحية فى سبيلها، وكذلك كان السابقون الأولون، ممن شرح الله صدورهم لهدايته، فاتبعوا أنبياءه، وآمنوا برسالاته، وجاهدوا فيه حق جهاده.

ولهؤلاء من الله أجزل الأجر، وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

أو متردد:

وإما شخص لم يستبن له وجه الحق، ولم يتعرف فى قولنا معنى الإخلاص والفائدة، فهو متوقف متردد، فهذا نتركه لتردده، ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب، ويطالع كتاباتنا، ويزور أنديتنا، ويتعرف إلى إخواننا، فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله.

وكذلك كان الشأن مع المترددين من أتباع الرسل من قبل.

أو نفعى:

وإما شخص لا يريد أن يبذل معونته، إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة، وما يجره هذا البذل له من مغنم، فنقول له:

حنانيك ليس عندنا من جزاء، إلا ثواب الله إن أخلصت، والجنة إن علم فيك خيراً.

أما نحن فمغمورون جاهًا، فقراء مالاً، شأننا التضحية بما معنا وبذل ما فى أيدينا، ورجاؤنا رضوان الله، وهو نعم المولى ونعم النصير.

فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه، وأزاح كابوس الطمع من فؤاده، فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وسينضم إلى كتيبة الله، ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا، لينال ثواب الله فى العقبى، وما عندكم ينفد وما عند الله باق.

وإن كانت الأخرى، فإن الله غنى عمن لا يرى لله الحق الأول فى نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته.

وكذلك كان شأن قوم من أشباهه، حين أبوا مبايعة رسول الله ﷺ، إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده، فما كان جوابه ﷺ إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

أو متحامل:

وإما شخص ساء فينا ظنه، وأحاطت بنا شكوكه وريبه، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك، ويأبى إلا أن يلج فى غروره، ويسدر فى شكوكه، ويظل مع أوهامه.

فهذا ندعو الله لنا وله، أن يرينا الحق حقًا، ويرزقنا اتباعه،والباطل باطلا، ويرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا وإياه الرشد، ندعوه إن قبل الدعاء، ونناديه إن أجاب النداء، وندعو لله فيه، وهو سبحانه أهل الرجاء.

ولقد أنزل الله على نبيه الكريم فى صنف من الناس ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [القصص: ٥٦].

وهكذا سنظل نحبه، ونرجو فيئه إلينا، واقتناعه بدعوتنا، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ، من قبل: «اللهم اغفر لقومى، فإنهم لا يعلمون».

نحب أن يكون الناس معنا واحدًا من هؤلاء، وقد حان الوقت الذى يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته، ويحدد وجهته، ويعمل إلى هذه الوجهة، حتى يصل إلى الغاية.

وأما تلك الغفلة السادرة، والخطرات اللاهية والقلوب الساهية، والانصياع الأعمى، واتباع كل ناعق، فما هو من سبيل المؤمنين فى شىء.

ونحب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا، أن هذه الدعوة لا يصلح لها، إلا من حاطها من كل جوانبها، ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة : ٢٤].

فهي دعوة لا تقبل الشركة إذ أن طبيعتها الوحدة، فمن استعد لذلك، فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء، فسيحرم ثواب المجاهدين، ويكون مع المخلفين، ويقعد مع القاعدين، ويستبدل الله لدعوته به قومًا آخرين ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [المائدة : ٥٤].

نحن ندعو الناس إلى « مبدأ » واضح محدد، مسلَّم به منهم جميعًا، هم جميعًا يعرفونه، ويؤمنون به، ويدينون بأحقيته، ويعلمون أن فيه خلاصهم وإسعادهم وراحتهم.

مبدأ أثبتت التجربة، وحكم التاريخ صلاحيته للخلود وأهليته لإصلاح الوجود »(١).

إن على الدعاة إلى الله، أن يتعاملوا مع كل صنف من هذه الأصناف، بالأسلوب الملائم، والوسيلة الحكيمة التى تضمن للداعية أنه قدم للناس ما ينفعهم، وينفع بهم فى الدين والدنيا.

وليس للداعية بحال، أن يمل الطرق على القلوب، بكلام الله سبحانه وبكلمات الرسول ﷺ، ولا يحرم أسماع الناس من الاستمتاع بهذه الأصوات المعلمة الهادية، ولا يحرم القلوب من الالتفات إلى هدى الله ورسوله، بكثرة ما يعرض عليهم من هذا الهدى القديم.

وإن أصناف الناس جميعاً أمام الداعية إلى الله مؤمنين ومترددين ونفعيين ومتحاملين – كما قسمهم الإمام البنا – سواءٌ من حيث رغبته فى هدايتهم جميعًا.

إن أخلاق الداعية، يجب أن تتسع للمتحامل والنفعى، كما تتسع للمتردد والمؤمن، لأن تلك مهمته ووظيفته، بل هى من صميم عمله.

إن الداعية إلى الله مطالب بأن يستجيب لأى رغبة مشروعة يبديها المدعو، ما دام يرى فى

---

(١) الإمام البنا : رسالة دعوتنا.

ذلك تقريبه إلى الحق والهدى، وعلى سبيل المثال:

فإن المتردد إذا كان تردده يزول بالمجاملة جامله، وإن كان يزول بالقراءة والإطلاع، ساعده على ذلك، وقدم له الكتب والدراسات.

وإذا كان تردده، لا يزول إلا بالصداقة والمودة الحميمة، صادقه وارتبط معه، فى مودة حميمة، واعتبر ذلك من صميم عمله.

وأما النفعى، فإن كان ما يريد أن ينتفع به، مما شرع الله، ومما لا يتصور معه أنه باع ولاءه لله أو لدينه بثمن، أى ثمن، فإن الداعية عليه أن يقدم ذلك له، لا على أنه ثمن، بل على أنه مجاملة أخوة بين الداعية والمدعو - وما فى ذلك بأس شرعى بإذن الله تعالى -.

ولنضرب على تلك المنافع بعض الأمثلة:

لا بأس أن تقدم له خدمة أدبية من أى نوع.

ولا بأس أن تقدم له خدمة مادية، بحيث لا تعد رشوة له على استجابته، وهو أمر يقدره الداعية حق قدره.

ولا بأس أن تقدم له خدمة مالية، إن كان من أهل الاستحقاق، وبحيث لا تكون ثمنًا لاستجابته، وهذا أيضًا متروك لحسن تقدير الداعية إلى الله.

وأما المتحامل، فليس للداعية أن يعامله بغلظة أو خشونة فى مقابل تحامله على الدعوة وعلى الحق، لأن الداعية إلى الله لا يجوز له بحال أن يكون فظًا غليظ القلب - كما هو معروف عن الدعاة إلى الله وإلا لانفض الناس من حوله.

وأخيرًا، فإن الداعية إلى الله ليس له بحال أن ييأس من متحامل، فضلاً عن متردد، لأن اليأس صفة قادحة فى الداعية لا يليق به أن يتصف بها - كما أوضحنا ذلك فيما مضى فلو فتح الداعية إلى الله باب اليأس أمام قلبه، فإنه وشيكًا ما يترك الدعوة إلى الله، لأنه فى كل يوم وفى كل موقف، يفقد أحد المدعوين.

إن الأمل فى الله، وفى استجابة المدعويين هو الصفة التى يجب أن يتحلى بها الداعية على الدوام، وألا يتخلى عنها تحت ضغط أى ظرف من الظروف، والله يهدى من يشاء والداعية لن يهدى أحدًا إلا بإذن الله.

الأساس السابع

تربية المسلم سياسياً على بث روح الجهاد فيه

تربية المسلم سياسيًا على بث روح الجهاد فيه

تقوم التربية السياسية الإسلامية على تكوين المجاهد إيمانيا ونفسيًا وعقليًا وبدنيا، بدءًا من بث روح الجهاد فيه منذ صباه إلى أن يصبح ممارسا للجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا عندما يبلغ أشده، ويستطيع تحمل أعباء الجهاد.

وسبيل الله تعالى فى الجهاد هو أن يسود منهج الله ونظامه فى المجتمع الإنسانى كله.

- والجهاد فى سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، كما أخبر بذلك الرسول الخاتم ﷺ، فقد روى أحمد بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « .. رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ... ».

- وبالجهاد يحرز المسلم أعلى الدرجات عند الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [التوبة: ٢٠].

- ولا يوجد عمل يعدل الجهاد أو يساويه أو يقاربه، حتى ذلك العمل الإنسانى النبيل وهو سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، إذ يستنكر الله تعالى على الناس أن يجعلوا هذا العمل - على نبله - مساويًا للجهاد فى سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ...** ﴾ [التوبة: ١٩].

- بل لا يدخل الجنة أحد من المسلمين حتى يعلم الله - وهو بكل شيء عليم - موقفه من الجهاد فى سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

- والمجاهدون فى سبيل الله أهل لأن يهديهم الله إلى أقوم السبل فى الدنيا، ويحشرهم مع المحسنين يوم القيامة، فقال تبارك وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- والجهاد فى سبيل الله أنواع، ولكنها جميعًا تستهدف مقاومة قوى الشر والفساد والعدوان، وإقرار العدل والمرحمة بأن يسود شرع الله ومنهجه ونظامه.

– فالنوع الأول من الجهاد :

هو جهاد النفس والهوى، لأن النفس فى عمومها – وقبل أن يهذبها الإسلام – أمارة بالسوء إلا من رحم الله فاستقامت نفسه على الحق وتواصت به وتواصت بالصبر عليه والتحمل فى سبيله لأى متاعب – وكلمة الحق تعنى : الله تعالى، والدين، والقرآن الكريم – وفى سبيل ذلك يجاهد المسلم نفسه التى قد تحول بينه وبين الحق ونصرته، خوفًا أو طمعًا، قال الله تعالى : ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...** ﴾

[التوبة : ٤١]

ومن جهاد النفس : حملها على تعليم غيرها ما تستطيع تعليمه إياه مما يعود على المتعلم بالنفع فى الدنيا والآخرة .

– والنوع الثانى من الجهاد :

هو جهاد الشيطان، ولجهاد الشيطان مجالان :

● مجال رفض وسوسته وهمزه ولمزه وإيحائه بالشر .

● ومجال ترك المخالفات التى يزينها الشيطان للإنسان .

ولأسلافنا رحمهم الله مقولة فى تيسير مجاهدة الشيطان هى قولهم : « إن مجاهدة الشيطان عندما يوسوس ويوحى بالشر؛ هى أن يتذكر الإنسان أمر الله ونهيه، وما عنده للمؤمنين المتقين، ويتفكر فى عمل الشيطان الذى هو العدو المبين للإنسان » .

● ومجاهدة الشيطان حينما يزين المعاصى تقتضى من المسلم أن يتذكر قول الرسول ﷺ : « حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات » رواه مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه .

● ومجاهدته عندما يحاول فتنة الإنسان بالمال والولد أن يتذكر قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

– والنوع الثالث من الجهاد :

هو جهاد أهل الظلم والمنكرات، وهذا الجهاد قد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية .

فهو فرض عين على كل من رأى منكرًا أو ظلمًا ولم يعلم به سواه؛ فجهاده عندئذ فرض عين .

وهو فرض كفاية عندما يكون هذا المنكر أو الظلم قد شاهده بعض المسلمين[١].

● وجهاد أهل الظلم والمنكرات مراتب:

أولاها: جهادهم باليد أى القوة عند القدرة على جهادهم، وعندما لا يترتب على جهاده إياهم فتنة أو فساد، فقد روى مسلم بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وثانيتها: جهادهم باللسان، كلاما وكتابة وحوارًا، لقوله تبارك وتعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: ١٢٥].

وثالثتها: جهاد أهل الظلم والمنكرات بالقلب، وذلك عند العجز عن جهادهم باليد واللسان، فقد روى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

– والنوع الرابع من الجهاد: هو جهاد أعداء الله من المشركين والكافرين والمنافقين، وهؤلاء جميعًا يكون جهادهم بالقلب واللسان والمال والنفس – أى القتال – لأن هذا أخص بهم وألزم.

ويرى الفقهاء أن جهاد المشركين والكفار بالنفس – أى القتال – لأن هذا أخص بهم وألزم.

ويرون أن جهاد المنافقين باللسان أخص بهم وأنسب لهم.

● وكل نوع من أنواع جهاد أعداء الله بالقلب أو باللسان أو بالمال أو بالنفس تحته صور عديدة لا تخفى على المسلم الذى يعرف دينه. وله أحكام تلتمس فى كتب الفقه الإسلامى وقد أجملتها فى كتاب: ركن الجهاد[٢].

---

(١) لمن أراد التوسع فى ذلك: انظر لنا: الجهاد الركن الرابع من أركان البيعة – نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٢) المرجع السابق.

● فروح الجهاد ومفهومه ومتطلباته والاستعداد له، ما ينبغي أن تغيب عن المسلمين، والتربية السياسية الإسلامية تتكفل بذلك وتعين عليه بحول الله وقوته.

وبعد: فسوف نحاول في توضيح هذا الأساس «الجهاد» الذى تقوم عليه التربية السياسية الإسلامية أن نقصر الحديث على نقاط ثلاث هي:

- الأمة المسلمة أمة مجاهدة.

- وأهداف الجهاد في سبيل الله.

- وهل يمكن القضاء على المجاهدين؟

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

أ- الأمة المسلمة أمة مجاهدة:

الأمة المسلمة هي خاتمة الأمم الكتابية التى أنزل الله تعالى إليها خاتم الكتب وهو القرآن الكريم، واختار رسولها خاتم الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، وأمره أن يبلغهم خاتم كتبه.

وهذه الأمة بهذا الوصف لابد أن تجاهد في سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، ولكى لا يعبد غير الله فى الأرض، تجاهد كل أنواع الجهاد من أجل تحقيق ذلك، والجهاد بالنسبة لهذه الأمة فرض عين، أما بالنسبة للأفراد فقد يكون فرض عين أو فرض كفاية.

● ولا يمكن أن توصف الأمة بأنها مسلمة ما لم تكن مجاهدة، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة: ٤١].

وروى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

- وعند التدبر فى الآية الكريمة والحديث الشريف نوقن أن الأمة المسلمة أمة يجب أن تكون مجاهدة، وأن تظل مجاهدة إلى يوم القيامة، لأن الأمر بالجهاد عام غير مخصص بزمان أو مكان فى الآية الكريمة، وبأن الغاية من الجهاد هى أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولن تبلغ البشرية هذه الغاية بحال، لأن المضلين والضالين والمشركين والكافرين لا يمكن أن تخلو منهم الأرض، فالأمة المسلمة إذن أمة مجاهدة إلى قيام الناس لرب العالمين.

● ومن أجل ألا يعبد غير الله فى الأرض فإن على الأمة المسلمة أن تؤدى أعمالاً وأن تقوم بوظائف من أجل تحقيق هذا الهدف؛ من أهمها ما نلخصه فيما يلى:

- عرض الإسلام ديناً ومنهجًا ونظامًا على البشرية كلها مشركها وكافرها وطغاتها ومستبديها، وذلك أن الإسلام دين الحق ودين العقل ودين الحرية للإرادة الإنسانية، ودين الحياة، ولابد أن تسود هذه المبادئ من أجل الحياة الإنسانية الكريمة، ولا سيادة لها بغيرالجهاد فى سبيل الله تعالى.

- والعمل على تمكين دين الله ومنهجه ونظامه فى الحياة الإنسانية، من أجل أن يسود العدل وتمارس الشورى، وتحترم حقوق الإنسان احترامًا حقيقيًا لا مجرد أن تكون كلامًا فى مواثيق لا تطبق، ولا يمكن الوصول إلى هذا إلا بالجهاد فى سبيل الله بالدعوة والحركة والتنظيم وحشد الطاقات المعنوية والبشرية والمادية، وكل ذلك واجب الأمة المسلمة.

- والعمل على إزالة المعوقات التى تعترض الدعوة والحركة بالدين فى الناس والآفاق، إزالتها بكل وسيلة ممكنة ابتداء من الكلمة الهادئة اللينة ووصولاً إلى المقاومة والجهاد فى سبيل الله تعالى، فالأمة الإسلامية أمة مجاهدة إذ بالجهاد تزايل هذه المعوقات.

- ومواجهة النظم المعادية بإبطال خططها وأهدافها ومنع شرها وفسادها وطغيانها وشياطينها، لأن كل المعادين لدين الله أعداء لله وأعداء لدينه الخاتم ومنهجه التام الكامل.

وهؤلاء الأعداء كانوا منذ ظهور الإسلام وسوف يبقون على عدائهم لله ولدينه إلى آخر الزمان، وهم أصناف وأشكال تتزيا بزى الحرية والصالح العام وتضمر الطغيان والاستبداد وقهر الإنسان ما لم يقبل بهم وبما يمارسونه من حرب لدين الله.

ومنهم الأعداء الظاهرون الذين يعلنون هذا العداء كالصهيونية والصليبية القديمة والجديدة، والنظام العالمى الجديد، والعولمة، والإلحاد، وأصحاب النظام القائم على عزل الدين عن السياسة أى عزله عن الحياة، الذين يسمون أنفسهم علمانيين.

كل هؤلاء جهادهم واجب من أجل أن يعبد الله وأن يسود شرعه ونظامه، وهذا الجهاد هو واجب الأمة المسلمة.

● إن الجهاد فى سبيل الله الواجب على الأمة المسلمة عمل مختلف تمامًا عما يسمى عند الغربيين؛ «الحرب المقدسة» إذ أطلقوا هذه التسمية ليستجلبوا بها العداء للمسلمين، وهو مصطلح صكتة الكنسية لتبيح به للغوغاء وللطامحين من الطغاة الهجوم على بلاد المسلمين

فى الشام ومصر فى أخريات القرن الخامس الهجرى ٤٩٢ هـ والذى استمر ما يقرب من قرين من الزمان حتى سنة ٦٩١هـ بهدف الاستيلاء على البلاد التى تفيض سمنا وعسلاً وللاستيلاء على بيت المقدس، وهى حرب غير مقدسة بكل معيار من المعايير؛ إذ هتكت فيها الأعراض واستبيحت الأموال والديار وبقرت بطون الحوامل من المسلمات وسالت فيها دماء الآمنين فى ديارهم أنهاراً، وخلفت هذه الحرب من ورائها آثاراً سيئة تسيء إلى الإنسانية كلها.

● إن الجهاد فى الإسلام مختلف تماماً عن هذه الحرب الوحشية التى سميت مقدسة للخداع والتضليل؛ لأنه جهاد يستهدف إصلاح كل ما هو معوج فى حياة الناس، مع الرعاية التامة لحرمة الإنسان، وبخاصة النساء والأطفال والشيوخ والرهبان وكل من لا يستطيع حمل السلاح ضد الحق، بل فيه مراعاة لحركة الحيوان والنبات.

– إنه الجهاد فى سبيل الله وهو ملازم للقيم الخلقية الفاضلة فى التعامل مع المقاتلين ومع الأسرى والمغلوبين بل المقتولين فى المعركة، حيث يوجب الإسلام على المجاهدين أن يصونوا كرامة الإنسان وآدميته حتى بعد أن يقتل وهو ظالم معتد؛ لأن هذا هو خلق الجهاد فى سبيل الله وآدابه.

● والجهاد فى الإسلام لا يستهدف الاستيلاء على أرض ولا قهر أقوام معينين ولا سرقة مقدرات هذه البلاد وآثارها – كما فعل الغربيون فى كثير من بلدان المسلمين – وإنما الهدف أن يكون فى سبيل الله وذاك شرط لا ينفك عن الجهاد بحال من الأحوال، وسبيل الله هو الحق وهو العدل وهو الخير، وهو كل ما أمر الله به، وهو اجتناب كل ما نهى الله، وهو السلام للبشرية كلها بل حرية الإرادة وحرية التدين وحرية التفكير والتعبير – بل إن الجهاد فى سبيل الله يتسع ليشمل ما هو أكثر من ذلك، إذ يحتم أن يكون الجهاد لغير غرض شخصى ولغير هوى يسيطر على حاكم أو جماعة أو مجموعة مغامرين، ولغير الحصول على مال أو جاه أو نفوذ، فضلاً عن قهر الناس وهضم حقوقهم والاستيلاء على أوطانهم أو السيطرة عليها تحت شعارات كاذبة مثل: الاستعمار والصهيونية والصليبية الحديثة والنظام العالمى الجديد، والعولمة وما ستكشف عنه الأيام المقبلة!!!

● إن الجهاد فى الإسلام بكل هذه الشروط والآداب والقيم الإنسانية العالية والممارسة العملية له على مدى قرون عديدة، لم يمنع بعض الغربيين وجميع اليهود أن يرددوا مقولة: «إن الإسلام قد انتشر بالسيف» أى كان من هدفه أن يدخل الناس فى الإسلام قهراً وإكراهاً،

وتلك فرية لا يقولها إلا الحاقدون على الإسلام أو الجاهلون له ولمبادئه؛ وذلك أن الإسلام أعلن في آية من القرآن الكريم أنه لا يجوز الإكراه على دخول الإسلام، وذلك قوله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ومن خالف صريح القرآن الكريم فليس بمسلم، وكيف يجاهد في سبيل الله وهو غير مسلم؟

● ولقد أجمع المنصفون من العلماء والباحثين على عدد من الحقائق لا ينكرها إلا من لا يحسن قراءة التاريخ، فضلاً عمن يتجاهل دلالاته ومن هذه الحقائق:

– أكثر بلاد المسلمين عدداً في سكانها المسلمين كانت أقل البلاد تعرضاً لحروب قام بها المسلمون ضدهم قبل أن يسلموا، وإنما كانت الدعوة والمعاملة الحسنة من المسلمين الوافدين على تلك البلاد هي السبب في إقبال أكثر سكان تلك البلاد على الإسلام.

– وأن معارك الجهاد في سبيل الله في صدر الدعوة الإسلامية كانت موجهة إلى أعداء هاجموا المسلمين أو حالوا بينهم وبين الدعوة إلى الله التي كانت بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

– وأن معارك الجهاد في سبيل الله ضد المشركين في الجزيرة العربية كانت دفاعاً عن الإسلام وعن الحق وعن النفس ضد أعداء المسلمين الذين هاجموا المسلمين في المدينة أكثر من مرة، وضد غارات كان الأعداء يشنونها على المسلمين بصورة تتكرر كل حين.

– وكان الجهاد في سبيل الله ضد اليهود في الجزيرة العربية لمحاولتهم قتل رسول الله ﷺ أكثر من مرة، ولتحالفهم مع أعداء الإسلام، ولتأليبهم المشركين على المسلمين، فكان جهادهم دفاعاً عن العقيدة وعن النفس.

– وكان الجهاد في سبيل الله الذي توجهت الجيوش فيه إلى فارس رداً على كسرى الطاغية الذي أساء إلى من أرسله إليه رسول الله ﷺ، وتهديده للإسلام والمسلمين ووعيده، وطلبه رأس محمد ﷺ لأنه تجرأ ودعاه إلى الإسلام.

– وكذلك كان الجهاد في سبيل الله ضد الروم، وضد كل من توجهت إليه جيوش المسلمين، وما سمعنا ولا قرأنا أن جيشاً من جيوش المسلمين اتجه إلى بلد ليدخلوا أهلها في الإسلام أو يقتلوهم، لأن هذا مخالف لصريح القرآن الكريم ولقول الرسول ﷺ وعمله وسيرته كلها.

● ولقد سجل هذه الحقيقة كاتب غربى غير مسلم، تجرد من الحقد على الإسلام ومن الرغبة فى المغالطات فى هذا الموقف هو: «توماس كارليل» الحكيم الأيقوسى الذى يلقبه النقاد الغربيون «نبى الكُتاب» سجل ذلك حين رفض زعم القائلين بأن الإسلام قد انتشر بالسيف ووصف هذا الزعم بأنه غاية فى السخف والبعد عن العقل، فقال: «إن هذا الزعم من أكاذيب التاريخ، وإنه أضعف من أن يحتاج إلى مناقشة لكى يبطل وينهار؛ لأن من يقول بهذا الزعم سواءٌ ومن يقول: إن رجلاً واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبعث فيهم الخوف من سيفه وحده ويسوقهم كرها إلى اعتقاد ما يفكر فيه، فيعتقدونه ويثنون عليه، ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين».

● وبعد:

فلعلى قد أوضحت لماذا كانت الأمة المسلمة أمة مجاهدة، ولماذا يتحتم عليها أن تظل أمة مجاهدة حتى لا تخرج بفقدها هذه الصفة عن كونها أمة مسلمة.

– وفى هذا إيضاح لحرص الإسلام على تربية الأمة المسلمة تربية سياسية، تقوم على إحدى الدعائم القوية وهى الجهاد فى سبيل الله، لأن هذا الجهاد – كما هو معروف – ذروة سنام الإسلام كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

– ومن الواضح الجلى أنه عندما تسقط صفة الجهاد عن الأمة المسلمة تسقط الأمة نفسها، ويسقط بالتالى كل إسهام حضارى لها، بل تصبح ذيلا بين الأمم.

وإذا كان الجهاد فى سبيل الله بهذه المنزلة، فما هى أهدافه؟ ذلك ما نحاول توضيحه فى الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

ب– أهداف الجهاد فى سبيل الله تعالى:

نستطيع أن نلخص أهداف الجهاد فى سبيل الله تعالى فى جملة واحدة هى: «حماية الإسلام من أعدائه وتأمين وصوله إلى الناس».

– وأعداء الإسلام هم أعداء الله وأعداء الحق وأعداء المسلمين، وهم أهل الشرك والإلحاد، وأنصار الباطل، وأهل الكفر والنفاق، وقد شاءت إرادة الله أن يكون الصراع بين الحق والباطل وأنصار كل منهما قائماً ومستمراً؛ ليحيا من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، وتلك من سنة الله تعالى حتى يتبين الذين جاهدوا وصبروا والذين قعدوا عن الجهاد وهم قادرون

عليه فيجزى كلا بما عمل.

– ومدخلنا إلى الحديث عن أهداف الجهاد فى سبيل الله هو أن نتحدث بإجمال عن موضوع الجهاد، والله المستعان.

● موضوع الجهاد الحقيقى الذى تتفرع عنه كل أهدافه هو: «تحرير النوع الإنسانى كله من الشرك ومن عبادة الناس والأشياء والهوى، وتحقيق الأمن للناس جميعًا بتحريرهم من أى خوف»؛ ومن أجل هذا كان الجهاد فى سبيل الله فريضة ماضية إلى يوم القيامة. لأن بعض الناس سوف يظلون على الشرك والإلحاد، وعلى تخويف الناس وترويعهم.

– ويخطئ من يظن أو يتوهم أن موضوع الجهاد ينحصر فى وعاء زمنى يضم أبناء زمان بعينه أو مكان بذاته، لأن من يقول بذلك فهو يقول بإقليمية الإسلام وحصره فى زمان بعينه، وهذا مناف للحق مخالف للحقيقة، ولا يجد قبولاً عند المسلمين ولا عند غيرهم من العارفين المنصفين.

– ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة: ٤١].

وقوله جل وعلا: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**... ﴾ [الحج: ٧٨].

وعدد آخر من الآيات القرآنية الكريمة، وعدد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة، التى ذكرنا آنفًا والتى سوف نذكرها فيما بعد.

● وعند التأمل والتدبر فى موضوع الجهاد نستطيع أن نرصد من أهدافه الكبرى أهدافًا سبعة هى:

الهدف الأول: حماية العقيدة الإسلامية من الشرك والإلحاد والكفر والضلال عن الحق والتخبط فى ظلمات الباطل وتصوراتها الفاسدة.

– والعقيدة الإسلامية هى التوحيد. «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

– ومن صميم العقيدة الإيمان بنبوة محمد ﷺ واتباع ما جاء به، والالتزام بمنهجه ونظامه.

وأى عقبة تقوم فى طريق هذه العقيدة يجب إزالتها أى الجهاد فى سبيل الله تعالى لحماية عقيدة الإسلام.

والهدف الثانى: تحرير النوع الإنسانى من كل ما يهدد إنسانيته، وفى مقدمة ذلك الشرك والإلحاد والكفر وكل ما أدى إلى ذلك من أسباب ودواع، وتحرير الإنسان من الشرك يوجهه إلى الإيمان بالله، وتخلّصه بل تَرَفُّعه بإنسانيته عن عبادة غير الله تعالى، وتحريره من الكفر يحرره من الخرافة والوهم وكل ما يؤدى إلى الوثنية، وتحريره من الإلحاد يخلصه من الشياطين والطواغيت، سواء أكانوا من الإنس أم من الجن.

وكل هذه الأنواع من التحرير معارك لابد فيها من الجهاد فى سبيل الله تعالى، وهو جهاد مستمر أبداً إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

والهدف الثالث: حماية الإنسان من أعدائه التقليديين وأهمهم:

- الشياطين الذين يضلون الإنسان ويزينون له الكفر والفسوق والعصيان، لكى يعيث فى الأرض فساداً ويحارب الله ورسوله.

- والمضلون الذين يزينون للإنسان أن ينحرف عن فطرته التى فطره الله عليها، ليجعلوا منه مسخا شائها أقرب إلى الحيوان فى انكبابه على شهواته، وأقرب إلى الشيطان فى غيه وفساده.

- والطغاة الذين يحرمون الإنسان حرياته وحقوقه، ويقهرونه ويسخرونه لمصالحهم، وربما لشهواتهم وأهوائهم وتشبثهم بمقاعدهم فى السلطة.

كل أولئك الأعداء يجب مقاومتهم ولا سبيل إلى تلك المقاومة إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى.

والهدف الرابع: حماية الأسرة - وحدة المجتمع - بعد بنائها بناءً صحيحًا بحسن اختيار الزوج وحسن تربية الأبناء وحسن رعاية البيت وكل من يعيش فى كنفه، بالمحافظة على الأخلاق والآداب التى جاء بها الإسلام، حتى تسود المجتمع كله.

- ومن مجموع هذه الأسر الصالحة يتكون المجتمع الصالح، الذى يكفل لكل من يعيش فيه ما يطمئنه على حاضره ومستقبله، ويجد فيه من الضمانات والأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والإعلامية، ما يكفل له حقوقه ويلزمه باداء واجباته نحو الله تعالى ونحو نفسه ومجتمعه.

وكل ذلك لا يتوصل إليه إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى.

والهدف الخامس: حماية الفرد والأسرة والمجتمع من أعدائهم التقليديين؛ الفقر والجهل والمرض، وحمايتهم من العادات الضارة لحاضرهم ومستقبلهم؛ وذلك بمواجهة هؤلاء الأعداء بتضافر الجهود والعمل الدائب والإخلاص فيه، ومطالبة الحكومة بأداء واجبها فى هذا المجال. ما دامت تحصل على حقوقها من الطاعة.

ومن خلال هؤلاء الأعداء يتسرب إلى المجتمع من خلال الفقر: الحاجة والبطالة والجريمة والفسوق والعصيان، كما يتسرب إليه من خلال الجهل: البعد عن الله وعن الحق والانخداع بالضالين المضلين، حيث تنقلب أمامهم الحقائق فتأخذ المحرمات فى الإسلام أسماء غير أسمائها كالخمر والميسر والربا ونحوها، كما يتسرب إليه من خلال المرض ضعف البدن فضعف العقل فضعف الإرادة، فضعف القدرة على اتخاذ القرار. وكل ذلك يحتاج إلى جهاد.

والهدف السادس: تأمين الدعوة إلى الله لأداء رسالة التبليغ عن الله بما أخبر به رسوله الخاتم ﷺ والحركة بهذا الدين إلى الناس جميعًا حيثما يكونون، لأن الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق واجب كل قادر على ذلك ويملك البصيرة فى عرض هذا الدين.

– والتربية الإسلامية من صميم الدعوة والحركة، فلابد من تأمين وصولها نقية خالية من الشوائب من خلال مؤسساتها التى اعتمدها الإسلام وهى: البيت والمسجد ودور التعليم، ووسائل الإعلام ووسائط الثقافة، بل لابد من تأمين استمرار التربية لتشمل الصغار والكبار وتعم المجتمع كله.

– ومن المسلَّم به لدى العقلاء أن التربية هى التى تشكل الأفراد وتشكل سلوكهم وأخلاقهم؛ ومن أجل ذلك فلا يجوز لمجتمع يحترم نفسه ومستقبله أن يسمح لتربية أخرى مغايرة للقيم السائدة فيه أن تزاحمها – فضلاً عن أن تكون بديلاً لها كما يحدث فى كثير من دول العالم الثالث التابعة اللاهثة وراء اللحاق بالدول الغربية الغالبة المسيطرة.

– ومن المسلم به كذلك أن الإعلام لا يقل أثرًا ولا خطرًا عن التربية فى إسهامه فى تشكيل فكر الفرد وسلوكه وقيمه، ومن أجل ذلك أيضًا فلا يجوز لمجتمع يحترم نفسه ومستقبله أن يسمح لمحتوى إعلامى مغاير لقيم المجتمع أن يزاحم الإعلام القومى فضلاً عن أن يحل محله – كما هو حادث فعلاً فى كثير من بلدان العالم الثالث – فإن فى ذلك ضياعًا

لقيم المجتمع وسلوك أفراده وأخلاقهم.

– ولابد أن نعترف أن القيم التربوية والمحتويات الإعلامية فى الغرب تختلف تماماً عن قيم المجتمعات المسلمة، فإن استوردت زاحمت القيم الإسلامية حتى تجليها عن موقعها وتحل محلها، وعندئذ تسود قيم فاسدة تقوم على إشباع الشهوات والخروج من دائرة النظم الإسلامية فى الزواج ورعاية الأسرة فتفشو الانحرافات والجرائم على النحو الذى نراه الآن فى كثير من مجتمعات العالم الثالث، مثل جرائم الاغتصاب والخطف والسطو وقطع الطريق، والعدوان على المحرمات!!!

● وتأمين طريق الدعوة إلى الله وتأمين عمل الدعاة إلى الله، وتأمين التربية الإسلامية والإعلام الإسلامى والمحافظة على كل ذلك من الأعداء المتربصين يحتاج إلى مختلف أنواع الجهاد فى سبيل الله تعالى.

والهدف السابع: توفير الإمكانات والظروف التى تصل بالمسلمين إلى تمكين دين الله فى الأرض بمعنى أن يتحاكم المسلمون إلى منهجه وحده، لما فى التحاكم إلى هذا المنهج من إقرار للعدل بين الناس دون تمييز، وتحقيق للمساواة بينهم فى الحقوق والواجبات، وتطبيق حقيقى لحماية حقوق الإنسان واحترام حرياته كلها، وتكريم لإنسانيته التى كرمها الله تعالى.

– إن التمكين لدين الله ومنهجه ليس استعلاء ولا اضطهاداً لغير المسلمين، ولكنه محاولة جادة للأخذ بأيديهم وانتشالهم من هوة الشهوات الجسدية والأهواء الشيطانية والإنسانية والغرور والرغبة فى استنزاف خيرات الآخرين.

– إن التمكين لدين الله له مفردات حددها القرآن الكريم لا يستطيع مسلم أن يتجاوزها ويدعى أنه مسلم، وهذه المفردات هى:

● إقامة الصلاة وهى نهى عن الفحشاء والمنكر وطهارة قلب وبدن.

● وإيتاء الزكاة وهى طهارة للمال وتزكية للنفس وتكافل اجتماعى يتتبع كل فقير أو مسكين أو مدين أو منقطع عن أهله ووطنه، أو أسير أو رقيق، أو أى حاجة يكون فى سدها مصلحة للمجتمع.

● وأمر بالمعروف وهو تشجيع الناس كل الناس على فعل الخير وتقديمه لمن يحتاجه، وإذا كثر فاعلو الخير فى المجتمع فقد نجا المجتمع من كثير من أسباب الفقر والاحتياج.

● والنهى عن المنكر، أى محاصرة الشر والتضييق على الأشرار، حتى ينجو المجتمع من شرورهم وآثامهم، فيأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

تلك المفردات جمعتها الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

ومن قال بغير هذه المفردات نتيجة للتمكين لدين الله ومنهجه فهو المخطئ وهوالمتجاوز، وليس خطؤه أو تجاوزه محسوبًا على الإسلام بحال من الأحوال.

● والتمكين لدين الله ومنهجه فى الأرض هو الشوكة التى تنشب فى حلوق أعداء الإسلام والمسلمين، فتؤذيهم لأنها تحول بينهم وبين تحقيق أطماعهم غير المشروعة وسوء استغلالهم للناس.

● والتمكين لدين ومنهجه فى الأرض هو الرعب الذى يملأ عقول أعداء الإسلام وقلوبهم، لما يحول به هذا التمكين بينهم وبين سيطرتهم على سياسة العالم الثالث واقتصاده ونظمه الاجتماعية، لأنه يفتح العقول والعيون على حقيقة ما يضمره أعداء الإسلام والمسلمين من أحقاد ومطامع.

وكل ذلك يحتاج إلى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

● ومن أجل منع المسلمين من التمكين لدين الله فى الأرض قام أعداء الإسلام الظاهرون والمضمرون بأعمال عديدة هدفها جميعًا أن تشوه دين الله ومنهجه والدعاة إليه ومن ذلك:

– أنهم كالوا التهم جزافًا إلى الإسلام والدعاة إليه فاتهموا الإسلام بأنه دين يقوم على التعصب الدينى والعرقى – مع أن هذا التعصب من صميم أعمالهم ومن أولويات سياستهم – واتهموه بأنه دين رجعى جامد متخلف عن مسايرة المتغيرات، مع أن الإسلام برىء من كل ذلك – مع أنهم يعلمون بطلان هذه التهم، كما يصرح بذلك العقلاء منهم ما بين حين وآخر.

– ووضعوا الخطط التى تستهدف إقصاء الإسلام عن الحياة وعزله عن سياسة الناس ومشكلاتهم، متوهمين أن الإسلام إذا مكن له فى الأرض استبد رجاله بالناس باسمه كما فعل رجال الكنيسة عندهم قبيل الثورة على الكنيسة وعزل المسيحية عن الحياة وإحلال العلمانية محلها، وهذا وهم ممعن فى الخطأ إذ لم يعرف التاريخ الإسلامى فترة استبد بها رجال دينه بالناس باسم الإسلام؛ لأنه ليس فى الإسلام من يعرفون برجال الدين أو الآباء

الذين لهم مغفرة الذنوب بعد الاعتراف بها أمامهم، بل الإسلام يأمر من قارف ذنبًا ألا يتحدث به فضلاً عن أن يعترف به لرجل مثله، والإسلام يقرر أن المغفرة هى حق الله وحده.

– ووضعوا الخطط التى تشوه الحركات الإسلامية وتستعدى عليها حكوماتها، وتمد هذه الحكومات بكل أنواع الدعم المادى والمعنوى ابتداء من القروض والمنح وآلات التعذيب للمعتقلين ومرورًا بآلة إعلامية رهيبة قادرة على قلب الحقائق لا تشويهها فقط!!! ثم المحاكمات الاستثنائية التى لا تقبل أحكامها طعنا ولا استئنافًا، ثم الزج بالعاملين فى الحركات الإسلامية فى سجون يعاملون فيها بأسوأ مما يعامل به المجرمون الذين أدانتهم محاكم الجنايات!!!

– لكنى أذكّر هؤلاء الظالمين وهؤلاء المظلومين بقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾ [القصص: ٤-٦].

وتلك سنة الله فى الأولين والآخرين: ﴿ **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ [لقمان: ٣٣].

● إن أمثال فرعون ظاهرة إنسانية فى كل عصر يضيع فيه الحق ويظهر الباطل، ويظل فرعون يمارس الظلم ولا يجد الجهاد لظلمه ولا المقاومة لباطله حتى يقول للناس: ﴿ **مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ** ﴾ [غافر: ٢٩] ثم يقول بعد ذلك ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ** ﴾ [النازعات: ٢٤]. ويغفل هذا الفرعون عن النتيجة الحتمية لظلمه وطغيانه، تلك النتيجة التى تعبر عنها الآيات الكريمة التالية: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿ **وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. ﴿ **وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ** ﴾ [غافر: ١٣٠]. ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ** ﴾ [الأنفال: ٥٤][(١)].

---

(١) تحدث القرآن الكريم عن فرعون الذى أرسل إليه نبيه موسى عليه السلام فى أكثر من سبعين آية ليعلم الناس فى كل زمان ومكان كيف يتعاملون مع الظاهرة الإنسانية المعتلة «فرعون».

● وبعد : فماذا يظن أعداء الإسلام أن يفعلوا بالإسلام؟

– لو استطاعوا أن يحجبوا ضوء الشمس عن بث النور والدفء فى الحياة فليحجبوا ضوء الإسلام ونوره – القرآن الكريم – عن الناس!!! إنهم أعجز من ذلك وأضعف.

– ولوا استطاعوا أن يوقفوا حركة الهواء وما يحمله للناس من أسباب الحياة حين يتنفسونه، فليوقفوا حركة الإسلام عن أن تنقذ الناس من طواغيت الأرض وفراعينهم، ولكن الله غالب على أمره.

– ولو استطاعوا أن يجمدوا مياه الأرض والسماء ليميتوا الناس من العطش فدونهم أمطار السماء ومجارى مياه الأرض، ولو استطاعوا فما هم بمستطيعين أن يحولوا بين الإسلام وحمله أسباب الحياة للناس. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق : ٣].

● إن الإسلام دين الحق ودين الإنسانية، وهو شمسها وهواؤها وماؤها، ولا حياة صحيحة للإنسانية إلا به، وليطمئن المسلمون على أن ما بأيدى أعدائهم من قوة وسلطان وغطرسة وبغى فى الأرض بغير الحق إنما هو سحابة صيف عما قريب تنقشع، وأذكر هنا بعدد من الأحاديث النبوية الشريفة التى تحمل للأمة المسلمة البشارة وتدفع عنها اليأس والقنوط ومن ذلك :

– ما رواه أحمد بسنده عن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله عز وجل ».

– وما رواه أحمد بسنده عن أبى بن كعب رضى الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : « بشّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين، والنصر والتمكين فى الأرض؛ فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب » رواه مسلم وابن حبان والبيهقى وهو حديث صحيح.

– وما رواه الطبرانى – فى الأوسط – بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله استقبل بى الشام، وولى ظهرى اليمن، وقال لى : يا محمد، إنى جعلت ما تجاهك غنيمة ورزقًا، وما خلف ظهرك مددًا، ولا يزال الإسلام يزيد، وينقص الشرك وأهله حتى تسير المرأتان لا تخشيان إلا جورًا، والذى نفسى بيده، لا تذهب الأيام والليالى حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم ».

وعلى الرغم من محاولات أعداء الإسلام لمقاومة التمكين له ولمنهجه فى الأرض، وعلى الرغم من تحديهم للمجاهدين، فهم يمكن القضاء على المجاهدين؟

هذا ما نوضحه فى الصفحات التالية والله المستعان.

جـ- لا يمكن القضاء على المجاهدين لأسباب هى:

أولاً: المجاهدون هم روح الأمة المسلمة:

والقضاء على روح الامة المسلمة يعنى القضاء على الأمة نفسها، وذلك محال على الرغم من محاولات الاعداء على مر التاريخ. لان القضاء على أمة أمر بالغ الصعوبة بل داخل فى إطار المستحيل؛ إذ يقتضى القضاء على لغتها ودينها وتراثها وتاريخها الاجتماعى وثقافتها المادية والمعنوية.

فالمجاهدون فى الأمة الإسلامية هم روحها وحراس مبادئها وقيمها ضد أى عدو، والمجاهدون فى سبيل الله يتقربون إلى الله بهذا الجهاد فهو عبادة بل هو ذروة سنام العبادة؛ فكيف يمكن القضاء على روح الأمة؟

- إن جميع أعداء الامة المسلمة لن يستطيعوا أن يقضوا عليها مهما أوتوا من القوة بجميع أنواعها، لان قضاءهم على الامة المسلمة يعنى قضاءهم على الإسلام، وهذا مستحيل لاكثر من سبب.

● وأول هذه الأسباب: أن الله تعالى تكفل بحفظ الإسلام كتابًا وسنة إلى أن يرث الأرض ومن عليها فقال سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجرات: ٩]. وتلك مشيئة الله تعالى ولا راد لمشيئته.

● وثانى هذه الأسباب: أن للمجاهدين صفات تميزهم عن غيرهم وتجعلهم الأفضل والأقرب إلى الله، ومن هذه الصفات:

- أن الله ينصرهم ويواليهم، ومن كان الله ناصره ووليه فلا يمكن القضاء عليه. قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**[محمد: ٧]. وقال: **﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾** [غافر: ٥١] وقال: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ**

حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٣٩، ٤٠].

– وثالث هذه الأسباب: أن المجاهدين متأهبون لبذل أنفسهم فى سبيل الله كما وصفهم الرسول ﷺ: «... رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة كان على متنه يبتغى القتل أو الموت مظانَّه...» رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، ومن كانت تلك صفته فكيف يمكن القضاء عليه.

إن المجاهدين قد ينهزمون فى معركة أو أكثر، ولكن القضاء عليهم مستحيل شرعًا وعقلاً، وتاريخيًا وجغرافيا.

– ورابع هذه الأسباب: أن المجاهدين فى سبيل الله هم صفوة المؤمنين بدليل أن الله تعالى اشترى منهم أموالهم وأنفسهم يجاهدون فى سبيله فيجازيهم بالجنة فى الآخرة والنصر فى الدنيا، ومن كانوا على هذا القدر من الإيمان الذى يحببهم فى الاستشهاد فى سبيل الله فكيف يقضى عليهم وقد وعد الله بنصرهم فى قوله تعالى: **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الروم: ٤٧].

– وخامس هذه الأسباب: أن المجاهدين هم أهل التقوى بدليل جهادهم وهم أهل الإحسان بدليل استعدادهم للتضحية فى سبيل الله بالنفس والمال، والله تعالى بحوله وقوته مع أهل التقوى وأهل الإحسان، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾** [النحل: ١٢٨]، ومن كان الله معه فكيف يقضى عليه؟

ثانيًا: جهاد المجاهدين نابع من إيمانهم:

إن المجاهدين فى سبيل الله لا يحركهم إلى الجهاد إلا إيمانهم بالله تعالى واتباعهم لما جاء به خاتم الرسل ﷺ، وهذا المحرك هو الذى يميزهم عن غيرهم ممن يدعون إلى الجهاد عن طريق قانون التجنيد الإجبارى.

– والفرق بين الجهادين عظيم:

● فالمجاهد الذى يحركه الإيمان وابتغاء مرضاة الله حريص على أن ينال الشهادة فى سبيل الله مدفوعًا إليها بإخلاصه لله، والمجند إجباريًا تحركه سطوة القانون وخوف العقاب فهو يجاهد طالما ألزمه القانون بذلك، وشتان بين المحرك فى الحالين.

● والمجاهد يعتبر الجهاد فى سبيل الله فريضة ماضية مكتوبة عليه طالما هو قادر على القيام بأعبائها، فهو الذى يعد نفسه وماله وسلاحه وعتاده، ويتقدم بذلك كله رغبة فيما عند الله من ثواب فى الدنيا والآخرة.

والمجند إجباريًا يعتبر خوض المعركة واجبا وقتيًا مرهونا بظروف المعركة، فإذا انتهت المعركة سكت حتى تقوم معركة أخرى، فإذا انتهت مدة تجنيده ترك الجهاد، وهو لا يكلف نفسه عناء توفير المال ولا السلاح ولا العتاد!!!

● والمجاهد فى سبيل الله يقبل على المعركة راغبًا فى الشهادة فى سبيل الله يعتبر التولى أو الفرار كبيرة من الكبائر يعاقب الله عليها أشد عقاب، ﴿**إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ**﴾ فمن لم يكن كذلك؛ ﴿**فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [الأنفال: ١٦].

والمجند قد يرى الفرار نجاة بنفسه من الموت، وأقصى ما يناله من عقاب على الفرار هو عقاب القانون الدنيوى، حتى لو وصل إلى الإعدام.

● وإذا كان المجاهدون فى سبيل الله كذلك فكيف يمكن القضاء عليهم؟

● ولأن جهاد المجاهدين نابع من إيمانهم فإن موتهم فى سبيل الله حياة لهم عند الله حياة كاملة محوطة بالرزق، بل حياة للأجيال التى تجىء بعدهم، حياة حقيقية تتمثل فى إحدى الحسنيين النصر على العدو أو الشهادة فى سبيل الله أى الجنة.

ومعنى ذلك أن الموت لا يقضى على المجاهد وإنما يعد حياة له وللأجيال من بعده فى الأمة كلها، وبهذا لا يمكن القضاء على المجاهدين.

ثالثًا: المجاهدون ليست أهدافهم مادية:

الأهداف المادية للمقاتل عمومًا قد تكون استيلاء على أرض أو مال أو عرض من أعراض الدنيا، وقد تكون شهرة ومجدًا عسكريًا وبطولات قتالية ليعلم الناس مكانه ومكانته.

ولكن أهداف المجاهد فى سبيل الله ما يجوز أن تكون شيئًا من ذلك كله وإلا ما كان جهاده فى سبيل الله، وإنما جهاده فى سبيل الله إن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا، فقد روى البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه؛ أن أعرابيًا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، وفى رواية يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، وفى رواية: يقاتل غضبًا، فمن فى سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ:

«من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله».

فللمجاهد فى سبيل الله أهداف نبيلة إذ يجاهد لتكون كلمة الله هى العليا، ومعنى ذلك: إحقاق الحق»، وإقرار العدل، واحترام كرامة الإنسان، والمحافظة على حقوقه وحرياته.

ومن كانت هذه أهدافه ويرى الموت فى سبيل هذه الأهداف شهادة فى سبيل الله تعالى، فهل يمكن القضاء عليه؟

رابعًا: المجاهدون أصحاب مبادئ وقيم:

فالجهاد فى سبيل إقرار عدد من المبادئ الإنسانية والقيم الرفيعة السامية، وهذه المبادئ والقيم حددتها كلمات الرسول ﷺ للمجاهدين الذين ينطلقون فى سبيل الله، فقد روى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخًا فانيا، ولا طفلاً، ولا صغيرًا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».

وفى رواية: «ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً».

فأى مبادئ وقيم أرفع من ذلك وأعلى؟

ومن أبرز المبادئ والقيم فى الجهاد تحريم الغلول وتحريم الغدر أو نقض العهد.

فقد روى أبو داود بسنده عن زيد بن خالد الجهنى أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ توفى يوم خيبر فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «صلوا على صاحبكم»فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: «إن صاحبكم غلَّ فى سبيل الله»، ففتشنا متاعه فوجدنا خرزًا من خرز يهود لا يساوى درهمين.

وروى أبو داود بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان»[1].

● وإذا كانت المبادئ والقيم لا تموت – كما هو معروف – فإن المجاهدين الذين يحملون هذه المبادئ والقيم ويجاهدون فى سبيل الله تعالى من أجل اقرارها لا يموتون أبدًا، مهما قتل بعضهم فى المعارك.

---

(١) روى أبو داود فى سننه فى كتاب الجهاد (٣١) ثلاثمائة وعشرة من الأحاديث النبوية استوعبت كل أحكام الجهاد وآدابه.

- فهل استطاع اليهود منذ عهد النبى ﷺ أن يقتلوا المبادئ والقيم التى جاء بها الإسلام؟

وهل استطاعوا بعد استيلائهم على فلسطين حديثًا بمعونة مباشرة من بريطانيا وبدعم من الغرب كله ومن الشيوعية ومن الولايات المتحدة الأمريكية أن يقضوا على الشعب الفلسطينى أو ينسوه قضيته ومقدساته - على الرغم من التأييد الضخم الذى يلقاه اليهود من أمريكا ماديًا ومعنويًا؟

مَنْ شك فى ذلك فليسأل أحداث القدس والمسجد الأقصى فى الثلاثين من جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ - ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠م وإلى الآن رمضان ١٤٢١ هـ وقت تأليف هذا الكتاب.

- وهل استطاع الصليبيون فى حملاتهم السبع على مصر والشام على مدى قرنين من الزمان (٤٩٢-٦٩١ هـ) على الرغم من أنهم أقاموا ممالك وإمارات، هل استطاعوا أن يقضوا على المجاهدين؟ إن المجاهدين هم الذين انتصروا فى حطين واستعادوا بيت المقدس بقيادة المجاهد يوسف صلاح الدين.

- وهل استطاعت محاكم التفتيش فى إسبانيا أن تقضى على الأمة المسلمة هناك؟ على الرغم من إكراه بعض المسلمين على الدخول فى النصرانية أو القتل!!!

- وهل استطاع ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى أن يقضى على الأمة المسلمة فى ست جمهوريات إسلامية؟ على الرغم من أنهم ساموهم أسوأ أنواع العذاب وتفننوا فى تعذيبهم وقهرهم على يد «ستالين وجلاده بريا» قاتل الملايين؟

إن القضاء على المجاهدين يعنى القضاء على الأمة المسلمة وهذا فى حد ذاته مستحيل، والتاريخ على ذلك من الشاهدين.

● وقد يقول قائل من غير المتعمقين فى معرفة سنة الله تعالى: ولكن المسلمين اليوم على مستوى العالم كله يسامون الخسف من اليهود ومن الصليبية الحديثة ومن هيئة الأمم التى تنصر الباطل على الحق، ومن الولايات المتحدة الأمريكية التى تضمر أسوأ أنواع الحقد للإسلام والمسلمين، وتغرى بهم أعداء الإسلام متعاونة مع الغرب وروسيا، تغرى بهم اليهود والهندوس والصرب والكروات، والصليبية الحديثة فى الفلبين وأندونيسيا..

قد يقول ذلك، وربما كان محقا فيما يقول، ولكن الرد عليه يسير، وهو ما رواه أبو داود

بسنده عن خباب رضى الله عنه قال : أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة، فشكونا إليه فقلنا : ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فجلس محمراً وجهه فقال : « قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين، ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضر موت، ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تعجلون » .

وبعد : فلكل هذه الأسباب لا يمكن القضاء على الأمة المسلمة لأنها أمة يربيها الإسلام على الجهاد فى سبيل الله حتى تكون كلمة الله هى العليا، ولأن الجهاد أساس مكين من أسس التربية السياسية الإسلامية .

الباب الثانى

أهداف التربية السياسية الإسلامية

الهدف الأول : تكوين الإنسان المسلم السياسى

والهدف الثانى : تكوين البيت المسلم الذى يشارك سياسيًا

والهدف الثالث : توظيف المسجد واستثمار وظائفه سياسيًا .

والهدف الرابع : تكوين الرأى العام الإسلامى السياسى .

أهداف التربية السياسية الإسلامية

لابد أن تكون أهداف التربية السياسية الإسلامية نابعة من الأهداف العامة للتربية الإسلامية، تلك التى أشرنا إليها أكثر من مرة فى هذه السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» وهى أهداف إنسانية نبيلة فى عمومها وخصوصها لأنها تستهدف تكوين الإنسان المتكامل السوى القادر على التفاعل مع المجتمع الذى يعيش فيه ومع المجتمع الإنسانى كله، لأنه يُرَبَّى على أساس أن ينظر لكل شئون الحياة الإنسانية نظرة صحيحة صائبة، بعيدة عن إطار الإقليمية والمحلية والعرقية؛ لأن الناس جميعًا من خلق الله وقد كرمهم جميعًا وفضلهم على كثير من خلقه بغض النظر عن إيمانهم به وبكتبه ورسله، أو كفرهم بذلك وجحدهم إياه.

● التربية الإسلامية تستهدف تكوين الإنسان الصالح للتعامل مع الإنسانية كلها، بينما سائر أنواع التربية تستهدف تكوين المواطن الصالح للتعامل مع أبناء وطنه، وطموحات هذا الوطن ومطامع قادته وحكامه، وشتان بين هذين النوعين من التربية.

● غير أن التربية السياسية الإسلامية تستهدف أهدافًا سياسية إلى جانب الأهداف العامة للتربية الإسلامية.

- فهى تستهدف تكوين الإنسان المسلم السياسى الذى يدرك ما يحيط به من أحداث وتغيرات ويحسن التعامل معها بوعى وإدراك، فتيسر له الأسباب التى تكونه وتوجهه وتعزز انتماءه لدينه وولاءه له ولأمته الإسلامية، وتبث فى عقله وقلبه القيم الإسلامية فى السياسة خصوصًا وفى الإسلام عمومًا.

- وتستهدف تكوين البيت المسلم السياسى، وترشده وتمده بالأسباب التى تمكنه من المشاركة السياسية فى القضايا التى تخصه وتخص المجتمع المسلم الذى يعيش فيه، والقضايا التى تتصل بأمته العربية وأمته الإسلامية، القضايا كلها: الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، ليكون بيتًا مسلمًا فاعلاً قادرًا على إحداث التغيير السياسى المطلوب مرحليًا أو فى كل وقت.

- وتستهدف أن تعيد للمسجد وظيفته التى كانت له على عهد النبى ﷺ حيث كان رواده يشاركون فى كل قضايا المجتمع المسلم، لأن المسجد يجب أن يتعاون مع البيت المسلم فى تكوين الوعى السياسى لدى الفرد صغيرًا كان أم كبيرًا، أى أن يكون المسجد إلى جوار

أنه مكان للعبادة مكانًا للثقافة السياسية، والحوار وإبداء الرأى؛ لأنه هكذا كان على عهد رسول الله ﷺ.

– وتستهدف تكوين الرأى العام السياسى الإسلامى، فتعد للفرد كل الأسباب التى تكون له رأيًا عامًا سياسيًا يواكب ما يجرى فى وطنه الأم ووطنه العربى ووطنه الإسلامى من متغيرات، فيواجه من هذه المتغيرات ما يحتاج إلى مواجهة ورفض، ويقبل منها ما لا يتعارض مع ثوابته من قيم الإسلام ومبادئه، ويطور منها ما يحتاج إلى التطوير؛ كل ذلك من أجل خدمة مجتمعه المحلى والعربى والإسلامى، والعالمى من غير المسلمين، لأن الإسلام ينظر إلى غير المسلمين جميعًا على أنهم أمة الدعوة – أى الذين يجب أن توجه إليهم دعوة الإسلام – على حين ينظر إلى من دخلوا فى الإسلام على أنهم أمة الإجابة – أى الذين استجابوا لدعوة الله فدخلوا فى دينه الخاتم، ولهم أيضًا توجه الدعوة ليزدادوا إيمانًا وصلاحًا وإيجابية فى الحياة.

● وهذه المستهدفات الأربعة – وهى اختصار لعديد من الأهداف – هى موضوع الباب الثانى من هذا الكتاب، أسأل الله أن أوفيها حقها من البيان والإيضاح، فمنه العون والتوفيق وهو المستعان.

الهدف الأول : تكوين الإنسان المسلم سياسيًا

١- مفهوم «الإنسان المسلم سياسيًا» :

السياسة - كما قلنا فى مدخل هذا الكتاب - هى : التدبير والقيادة، والإصلاح، والمسلم لا يتكامل بناؤه الإسلامى إلا إذا كان سياسيًا أى يحسن التدبير والقيادة والإصلاح، وما لم يكن كذلك فهو مقصر فى حق دينه وحق بيته ووطنه وحق الإنسانية كلها.

- والسياسة - بكل معنى من معانيها التى ذكرنا فى مدخل هذا الكتاب - جزءً أصيل من الحياة الاجتماعية للناس، والحياة الاجتماعية بكل أجزائها جزء من الدين؛ لأن الدين الإسلامى بوجه خاص نظم الحياة الإنسانية كلها ورسم لها حدودها، وبث فيها القيم التى تنفعها فى الدنيا والآخرة.

- وكل مسلم مطالب بأن يسوس ما يحيط به من مواقف وأحداث وناس وأشياء، لأنه لا يستطيع وهو مسلم أن يعيش بمعزل عن الناس والمواقف والأحداث، لأن الله تعالى خلقه، وطلب منه أن يعمر هذا الكون ، فكيف يعمره وهو بمعزل عنه.

- والإنسان المسلم السياسى إيجابى مع الحياة ومع الناس ودليل إيجابيته أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويتضامن مع أخيه المسلم ويتكافل معه ومع المجتمع، ويجاهد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وليس بمسلم كامل الإسلام من يتعامل مع الناس والحياة بسلبية وعدم مبالاة، فضلاً عن أن يكون سياسيًا فى نظرته للحياة وللأحياء، والنصوص الإسلامية التى تطالب المسلم بهذه الإيجابية والعمل أكثر من أن تحصى، وفى مقدمتها الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الآمرة بممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والأحاديث النبوية التى تدعو المسلم إلى العمل والإيجابية وتقديم الخير للناس، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، والمشى فى حاجاتهم وحب الخير لهم، وحبهم فى الله، ورد غيبتهم وإكرامهم والإحسان إليهم والتسامح معهم، وعيادة مريضهم وفك عانيهم، ونصر مظلومهم وعون ضعيفهم وكفالة يتيمهم، ومخالطتهم والصبر على أذاهم، والوفاء بعهدهم، والغيرة عليهم، وإطعام جائعهم وكسوة عريانهم، وتحريم قتالهم أو سبهم أو اغتيابهم أو الخوض فى أعراضهم، هذه الأحاديث النبوية التى أمرت بذلك أشهر من أن اذكرها، وهى معظم السنة النبوية المطهرة، وكذلك الشأن فى آيات القرآن الكريم التى تعطف المؤمن على أخيه المؤمن

وتلزمه ببره والإحسان إليه هى معظم ما فى القرآن من آيات.

فالمؤمن إيجابى بأمر الكتاب والسنة النبوية المطهرة، ولكنى أحب أن أذكر آيتين أو ثلاث وحديثين أو ثلاثة تذكر المؤمنين:

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ... **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...** ﴾ [المائدة: ٢].

- وقال جل وعلا: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ..** ﴾ [النحل: ٩٠]

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

- وروى البخارى بسنده عن أبى شريح رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن؛ الذى لا يامن جاره بوائقه».

- وروى أبو داود بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لأن يُهْدَى بهداك واحد خير لك من حمر النعم».

- وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بالله من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به».

● والمسلم السياسى مطالب بأن يعرف ما يحيط به وبوطنه المحلى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى من قضايا، وأن يكون ملماً بأبعاد هذه القضايا وأسبابها وما يمكن أن تؤدى إليه من أوضاع تنعكس عليه وعلى غيره من الناس والأوطان بما ينفع أو يضر، ولا يكون سياسيًا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة إلا إذا كانت لديه تصورات لبواعث هذه القضايا وأسبابها، ومدركًا لأهداف هذه القضايا وعارفًا بمن يثيرونها وبمن يجنون الثمرات من طرح هذه القضايا فى العالمين العربى والإسلامى.

٢- التيارات السياسية المعادية للإسلام

● والمسلم السياسى لابد أن يكون له علم بالتيارات والمذاهب المعادية للإسلام، ولديه قدرة على صد هذه التيارات بنفسه وبالتعاون مع إخوانه، ومن أبرز هذه التيارات:

أ- الصهيونية:

وهى حركة عنصرية دينية تقوم على الاستيطان والإجلاء، وهى مرتبطة «بالإمبريالية»؛ تطالب بتوطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة لهم فى فلسطين على أساس الهجرة والغزو والعنف. وقد ابتلعت الصهيونيةُ اليهوديةَ وأصبحتا وجهين لعملة واحدة.

والصهيونية ذات طبيعة عنصرية فاشية، تمارس الاضطهاد ضد العرب بل ضد اليهود الشرقيين، وهى على وجه الحقيقة أداة دمار وموت وتخريب.

ومما يدعم هذا القول عن الصهيونية أن هيئة الأمم المتحدة اتخذت قراراً فى خريف عام ١٩٧٥م باعتبار الصهيونية حركة عنصرية.

ومن الجدير بالذكر أن أول من فكر فى تهجير اليهود إلى فلسطين هو رئيس وزراء بريطانيا «الفايكونت بالمرستون» عام ١٨٤٠م وكان هدفه إقامة حاجز بشرى يهودى بين الغرب والمشرق العربى بعد تجربة محمد على باشا فى مصر وسوريا وتهديده الدول الإمبريالية - على الرغم أن الصهيونية السياسية التنظيمية ولدت سنة ١٨٩٧م على يد «تيودور هرتزل» فى بال بسويسرا - وظلت محاولات بريطانيا مستمرة حتى كان وعد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا سنة ١٩١٧م الذى وعد فيه من لا يستحق بما لا يملك، أى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وقد بذلت بريطانيا من الدعم والتأييد لإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين بأكثر مما بذل اليهود أنفسهم، وحسبهم أنهم مدوا اليهود المهجرين إلى فلسطين بالسلاح فى الوقت الذى صادروا فيه كل ما يمكن أن يسمى سلاحًا من الفلسطينيين.

- إن الصهيونية تفرز سمومًا ضد الإسلام والمسلمين بعد أن أجلت الفلسطينيين من ديارهم وأقامت دولة البغى والعدوان على أشلاء أصحاب الحق وأصحاب الأرض، وهى وراء كل شر يصيب المسلمين فى أى بقعة من بقاع الأرض يعاونها فى ذلك الغرب كله والولايات المتحدة على رأسه وهيئة الأمم المتحدة التى تسيطر عليها أمريكا، وما كان يعرف بالاتحاد

السوفيتي واتحاد روسيا الآن، وكل ما أصاب المسلمين من اضطهاد في إسبانيا وفي الحروب الصليبية القديمة والحديثة وفي الجمهوريات الإسلامية في آسيا وفي باكستان وأفغانستان وأندونيسيا والفلبين وألبانيا والبوسنة والهرسك وكوسوفا، بل ما يصيب المسلمين من أذى في بعض الأوطان المسلمة اليوم لابد أن تكون وراءه الصهيونية وراعيتها أمريكا.

وحسب الصهيونية شراً وفساداً أن فككت العالم العربي وشتتت العالم الإسلامي بمعونة أمريكا والغرب والشرق الملحد.

ب- والموجة الإلحادية:

وهي موجة تستهدف الطعن في الدين وفي الخالق جل وعلا، والإلحاد الحديث مصدره ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي سابقًا والاتحاد الروسي الآن وكثير من المغرورين المخدوعين الذين يطلقون على أنفسهم أسماء تخفي إلحادهم وإنكارهم للخالق جل وعلا وللدين نفسه مثل: الوجودية، والشيوعية، والداروينية، والهيجلية والماركسية والعلمانية وغيرها.

وهذا الإلحاد تيار خطير ضد الإسلام، فهو يقوض العقيدة من أساسها وينكر الخالق ويستبعد الدين، ويفسر الحياة الإنسانية بل يفسر ظواهر الكون كلها تفسيراً مادياً، ويسخر من الأديان جميعًا وبخاصة الإسلام ويستهزئ بالقيم التي جاءت بها الأديان، ويرمي المؤمنين بالتخلف والجمود والرجعية والإيمان بالغيب ويرى كل ذلك مظهراً من مظاهر إلغاء العقل والتنازل عن الحرية.

● إن المسلم السياسي لابد أن يكون على علم بهذه التيارات الإلحادية وما تفرزه من خطر يهدد الدين عمومًا والإسلام على وجه الخصوص، والقيم الخلقية الفاضلة والحياة الإنسانية كلها، والحياة الإسلامية بوجه خاص.

- إن هذا الإلحاد يهدد المؤسسات الإسلامية كلها من البيت إلى المسجد إلى المدرسة إلى المجتمع إلى النادي، لأنها جميعًا تقوم في المجتمع على الإيمان بالله وتوحيده إلهًا وربًا وخالقًا ورازقًا، والإيمان برسوله الخاتم ﷺ وبما جاء به من نظام ومنهج وقيم وحلال وحرام.

- إن الإلحاد يهدد إيمان المؤمن وإسلام المسلم والعمل الصالح لكل عامل، ويطلق الحيوان الكامن في الإنسان ليعبر عن نفسه دون حدود أو قيود، وفي ذلك ما فيه من الشر والفساد.

جـ- والصليبية الحديثة:

وهي نزعة تبنتها دول أوروبا وأمريكا بعد انهيار ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي

وخلاصتها أن يتخذوا الإسلام عدواً تقليدياً بعد سقوط المعسكر الشيوعى، فأخذت هذه الدول تكيد للإسلام والمسلمين على المدى البعيد وتوجه أعتى الضربات للحركات الإسلامية بل لبعض الحكومات الإسلامية، حتى إن كانت إسلامية هذه الحكومات شكلاً لا جوهراً، وشعاراً لا مضموناً.

– واختارت الصليبية الحديثة بعض دول المسلمين لتكون أنموذجًا فى تحدى الحركات الإسلامية فيها مثل:

● تركيا: التى أقالت رئيس الوزراء المنتخب الذى يمثل أغلبية برلمانية، وحظرها كل عمل إسلامى وإغلاقها كل مدرسة إسلامية وتحديها للمرأة التى لا تكشف شعرها وساقيها وذراعيها، وحرمانها طالبًا من الالتحاق بكلية عسكرية لأنه يعرف سورة الكوثر!![1]

● والجزائر: التى ألغى الجيش فيها انتخابات حرة جاءت بحزب إسلامى إلى الحكم، فثار المظلومون وتدخل الجيش والأمن وسالت أنهار من الدم على مدى سبع سنوات ولا تزال تنزف حتى اليوم.

● وتونس: التى تحظر كثيراً من أنظمة الإسلام الاجتماعية والسياسية ويقودها فى ذلك الجيش كذلك.

● وسوريا: أيام حافظ الأسد التى حظرت على الإسلاميين المشاركة فى أى عمل سياسى، وملأت السجون والمعتقلات بكثير من أعضاء الحركات الإسلامية وحملتهم على الهجرة من البلاد، ونأمل ألا يستمر الوضع فى عهد وريثه بشار الأسد.

● ومصر: التى تسمح لكل من شاء أن يشارك فى العمل السياسى حتى لو جهر بإلحاده وكفره، وتحظر ذلك على أعضاء الحركات الإسلامية، وتعتقلهم وتحاكمهم عسكرياً على فترات متقاربة!!!

– ولا نحب أن ندخل فى النوايا أو أن نفتش عنها فنقول إن ذلك كله استجابة إلى ما تطلبه دول الحملة الصليبية الحديثة أو إسرائيل، ولكننا نرصد واقعًا كتبت عنه عشرات الصحف وأذاعته عشرات أجهزة الإعلام.

---

(١) انظرجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٦/٨/٢٠٠٠م بعنوان: العودة إلى تفتيش الضمائر بقلم: سيد عبد المجيد ص٧.

● وتحاول الصليبية الحديثة وتنجح فى ذلك تمامًا وهى تكيد لإيران وللسودان ولباكستان ولأندونيسيا وأفغانستان وتسرف فى عقاب العراق وليبيا وحصارهما لأنهما دولتان مسلمتان شعبًا ومواطنين.

● وفى سبيل الكيد للمسلمين والإسلام أطلقت أجهزة الإعلام الغربية - وتابعتها أجهزة الإعلام فى العالم كله تقريبًا - أطلقت مصطلحات تشوه بها الإسلام والمسلمين، وتقصد بها المغالطة والتضليل وتنفير الناس عن الإسلام وإرهابهم حتى لا ينضموا لأى حركة إسلامية، ومن هذه المصطلحات:

- الإسلام السياسى :- أى تسييس الدين أو إخضاع السياسة له - نزولاً على منطق العلمانية فى عزل الدين عن السياسة!!!

- والأصولية الإسلامية: أى الرجعية والجمود والتحكم بالدين فى الناس والحياة!!!

- والإرهاب الإسلامى: بمعنى أن كل الأعمال الإرهابية من قتل للأنفس وتدمير وتخريب هو بأمر الإسلام ومنهجه!!!

- وزعمهم أن الإسلام يهضم حقوق المرأة!!!

- والإسلام يلزم بختان الأنثى!!!

- والإسلام دين التعصب والعنف!!!

وكل تلك مزاعم وأكاذيب ولكن أجهزة الإعلام تصدرها على أنها من الإسلام.

● ولهم مصطلحات أخرى صدقوا فيها وهم يصفون الإسلام بها - على الرغم من أنهم كذَّابون - وذلك مثل:

- الإسلام يحرم الصلات المثلية بين الرجال والنساء «اللواط والسحاق».

- والإسلام يصر على الأسرة التقليدية زواجا وأبناء.

- والإسلام لا يحترم الأم التى تكتسب الأمومة بغير زواج.

- والإسلام يبيح تعدد الزوجات.

- والإسلام يحرم الإجهاض.

● فما لم يكن المسلم سياسيًا أى فقيهًا بالسياسة وقادراً على فهم أهداف هذه المصطلحات، فهو بعيد تمامًا عن الإسلام نفسه وعن سياسته فى تربية الناس.

إن هذه المصطلحات أثيرت للتهجم على الإسلام وتشويهه والسخرية منه، وتنفير الناس عنه، وهى إرهاب ثقافى لكل من ينتمى إلى الإسلام منهجًا ونظامًا.

– وعلى المسلم أن يدرك ذلك سياسيًا، وأن يعمل ما وسعه فى مجاله، ليناقش هذا الباطل ويدحضه، ويكشف عن خبث نواياه، وتوجهات الصليبية الحديثة والصهيونية اليهودية.

د– والنظام العالمى الجديد:

وهو مصطلح أعلنه «جورج بوش» الأب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن شن حرب عاصفة الصحراء ضد العراق – الذى أجرم فاعتدى على دولة مجاورة لها حق الجوار وحق العروبة وحق الإسلام – ولكنه فى الواقع شن تلك الحرب على الأمة العربية كلها مستنزفًا دول النفط فيها، مثقلاً لها بباهظ الديون مستغلاً هذا العدوان العراقى الغاشم فى إقامة قواعد عسكرية فى كثير من بلدان العالم العربى، وفى تحسين صورة الاستعمار الغربى الذى جاء لينصف المعتدى عليه، وأجزم بأن عدوان العراق على الكويت خطة أمريكية عبرت عنها مسئولة أمريكية عندما أغرت مجنون العراق بالعدوان على الكويت لأن الكويت لا تتمتع بمعاهدة دفاع مع أمريكا.

– ومن قبل تحركت أمريكا – بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران – لتغرى مجنون العراق أيضًا يشن حرب الخليج الأولى ضد إيران الجارة المسلمة، وقد حققت أمريكا من وراء حرب الخليج الأولى أهدافًا من أهمها:

● إضعاف دولتين مسلمتين واستنزاف أموالهما وعتادهما ورجالهما فى حرب هى لصالح أمريكا بكل تأكيد لمعاداتها للثورة الإسلامية فى إيران.

● وإضعاف دولة عربية هى العراق كى لا تستطيع مواجهة إسرائيل، بدليل أن إسرائيل شنت غارة على العراق فى ذلك الوقت تستهدف الأسلحة النووية مع أنها وحدها التى تملك الأسلحة النووية!!!

● وإقامة سوق رائجة لبيع الأسلحة الأمريكية خصوصًا والغربية عمومًا للعراق ولإيران على السواء، وهذا ربح اقتصادى فاحش بكل مقياس من مقاييس فحش الربح.

● وأعجب العجب أن العلاقات السياسية بين دول الغرب ومعها أمريكا، والدول العربية والإسلامية أحلى من السمن الممزوج بالعسل الذى ذُر على وجهه «الهيل» ذو الرائحة الزكية!!!

– أليست هذه نتائج للنظام العالمى الجديد؟

– المسلم الذى لا يدرك هذه النتائج وأبعادها القريبة والبعيدة ليس على شىء من الوعى بالسياسة عمومًا ولا بسياسة النظام العالمى الجديد على وجه الخصوص ولا بإدراك ما تضمره الصليبية الحديثة وإسرائيل والنظام العالمى الجديد من عداء للإسلام والمسلمين، يضرهم فى حاضرهم ومستقبلهم على السواء.

هـ – والعولمة:

وهى فى كلمات واضحة صريحة بعيدة عن التعبيرات «الدبلوماسية»: سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم الثالث – ومنه العرب والمسلمون – سيطرة اقتصادية وثقافية وأخلاقية وعسكرية وسياسية على هذا العالم الثالث!!! بحيث لا يستطيع اليوم ولا غداً أن يحقق اكتفاءً ذاتيًا فى أى سلعة ليظل محتاجًا إلى أمريكا تمده بما شاء بالسعر الذى تشاء وبفوائد الديون التى تشاء.

وحسبنا للدلالة على ذلك مثال واحد:

الدول المسلمة ذات الأرض الخصبة والمياه العذبة والقدرة على الزراعة؛ تُقنن لها المساحة التى تزرعها قمحًا تقنينا لا يسمح لها بالاكتفاء بما تزرعه لكى تظل فى احتياج إلى قمح أمريكا الذى يجب أن يباع، ولقد رأيت بعينى أن الفائض من قمح أمريكا يرمى به فى المحيط حتى تحافظ على أسعاره عملاً بنظرية العرض والطلب.

يحدث هذا فى القمح، فى الوقت الذى إذا ارتفع سعراً النفط عالميًا تُحمل بعض الدول العربية والإسلامية المنتجة للنفط على أن تزيد من إنتاجها حتى ينخفض السعر!!!

ولا نستطيع القول بأن أمريكا وراء إصدار القرار بعدم كفاية القمح أو زيادة إنتاج البترول، لا نستطيع ذلك حتى لا نتهم أولاً بالتفسير التآمرى للأحداث لعقدة نفسية تحكمنا، ثم نتهم أخيراً بمعاداة السامية، لأن صاحبة المصلحة فى هذا كله هى إسرائيل!!!

مع أننا ساميون، لأن السامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام وهى تتسع لتشمل العرب والأكاديين – من قدماء البابليين والآشوريين – والكنعانيين – الأموريين والمؤابيين والأودوميين والعمونين والفينقيين والآراميين – ومنهم العبرانيون: اليهود، وجزءاً كبيراً من سكان أثيوبيا، ومن اتهم بعداء السامية اسودت الدنيا فى عينيه وظل يدفع غرامات وتعويضات مالية لليهود وحدهم إلى يوم الدين، كما هو حال ألمانيا – الغربية والاتحادية –

بعد الحرب العالمية الثانية وإلى يومنا هذا بعد مرور ستين سنة أو أكثر على تحدى «هتلر» لليهود!!!

● وعلى سبيل العلم والمعرفة المحدودة لنا، فإن مصطلح التفسير التآمرى مصطلح صُك فى إسرائيل، وإن صدره إلينا الغرب وختمه بخاتمه ودمغته أمريكا حتى لا يُزَيَّف.

وكذلك شأن معاداة السامية!!!

● ومن لم يدرك أبعاد العولمة وأهدافها فليس بمسلم كامل الإسلام، وليس بسياسى، بل ليس من الشداة فى فقه التيارات السياسية، وعليه أن يراجع نفسه فى فهمه لترديد الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، فربما وجد نفسه يدين لآلهة أخرى غير الله تبارك وتعالى، وربما وجد نفسه يدين بمنهج غير المنهج الذى جاء به محمد ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم(١).

و - ومذهب التحدى لكل ما هو إسلامى:

هذه التيارات التى ذكرنا من الصهيونية والإلحادية، والصليبية الحديثة، والنظام العالمى الجديد، والعولمة، كل هذه التيارات تكون فيما بينها مذهبًا أو منهجًا يقوم على تحدى كل ما هو إسلامى، سواء أكان هذا التحدى على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات أو على مستوى الدول والحكومات.

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

● على مستوى الأفراد:

- منعت فرنسا - بلد شعار الحرية والإخاء والمساواة - تلميذات المدارس المسلمات من أن يلتزمن فى زيهن بستر ما أمر الله بستره من جسم المرأة، وكذلك تفعل تركيا!!!

- وشوهت فرنسا أسماء الجزائريين لتحرمهم من الانتماء إلى قبائلهم المسلمة وتاريخ هذه القبائل وتراثها، وأصدرت بذلك قانونًا ظل ساريًا حتى ألغاه هوارى أبو مدين الرئيس الثانى للجزائر بعد استقلالها عن فرنسا بمليون شهيد، وأموال وعتاد ومعونات من بلدان عربية وإسلامية لا يُقادر قدرها(٢).

---

(١) سنعود إلى تفصيل الحديث عن العولمة ونحن نتحدث عن الهدف الثانى من أهداف التربية السياسية الإسلامية «تكوين البيت المسلم الذى يشارك سياسياً».

(٢) فى مقدمة هذه البلاد مصر.

– وكذلك فعلت انجلترا وهولندا وبلجيكا والبرتغال وألمانيا، وإيطاليا فى كل بلد بُلى باحتلالها، حيث كان الهدف هو القضاء على شخصية أبناء هذه البلدان بإذابتهم فى الحضارة الغازية والزراية بحضارتهم الإسلامية أو العربية أو القومية،واصطناع الاتباع الذين يطبقون سياسة المحتلين فى أوطانهم .

بل أصبح من هؤلاء الاتباع الذين تشربوا ثقافة المحتل وحملوا رايته من يتهجمون على الإسلام والعروبة، فيلقون بذلك من سادتهم المناصب والأموال بل الحماية إن تعرض لهم أحد الغيورين على دينه، وإذا عجزت بعض دول الاحتلال أن تحمى أحد هؤلاء الاتباع استضافته فى بلادها وأنفقت عليه بسخاء، واعتبرته أحد المفكرين المبدعين!!!

وهى قصة تكررت مع أكثر من تابع ذليل النفس ضعيف الولاء لدينه، مادى يؤمن بما يحقق له المكاسب ولو كان ذلك على حساب دينه. فكم من مؤلف تهجم على الإسلام وعلى القرآن وعلى النبى ﷺ، وعلى الصحابة رضى الله عنهم، وعلى كبار العلماء والمصلحين من المسلمين؟!!!

إنها سمة عصرنا هذا والشواهد عليها أكثر من أن تحصى.

● **وعلى مستوى الجماعات:**

تجمعت الصليبية الحديثة والصهيونية وأمريكا والاتحاد الروسى وأذنابه المتوحشون من الصرب، تجمع هؤلاء جميعًا ليكيدوا لكل جماعة تنتمى إلى الإسلام، وليقضوا عليها بعد منعها من التعبير عن مشروعها الإصلاحى، وتشويه كل عمل تقوم به وإطلاق الإشاعات المضادة حولها، فضلاً عن وصف هذه الجماعات كلها بالعنف والإرهاب، وتحمل تبعات أى جرائم سياسية ولو كانت فى أقصى الأرض.

وهذه الحرب الضارية جندت لها بعض حكومات فى العالم الإسلامى من تلك التى تتبع هذا الحشد الدولى تبعية منظورة حينا وغير منظورة أحيانًا، فجرمت هذه الحكومات أى حزب سياسى إسلامى، مع أن العالم كله ملىء بأحزاب مسيحية وفيه دولة يهودية تقوم على الدين ولا يستطيع أى نظام فى العالم أن يتعرض لها أو يلومها على انتمائها الدينى، أما الانتماء إلى الإسلام فمحظور!!!

– وقد اخترقت أجهزة المخابرات المعادية بعض هذه الجماعات وأغرتها بأعمال لا يقرها الإسلام، فقام بعض أفرادها بذلك فانطلقت أجهزة الإعلام، وأعداء الإسلام ينسبون هذه

الأعمال للإسلام وللجماعات الإسلامية دون تمييز بينها وبين سائر الجماعات الإسلامية.

– وخوفًا من هذه الجماعات المخترقة المخالفة للإسلام فيما قامت به من أعمال، أصدرت كثير من الحكومات فى كثير من بلدان العالم الإسلامى قوانين تحظر تشكيل أى جماعة أو جمعية إلا بإذن من الدولة – بعد أن أوقفت نشاط كل الجماعات والجمعيات الإسلامية، بل إن بعض البلدان حظرت تأسيس الأحزاب السياسية إلا بموافقة الدولة!!!

– ومن التحدى الذى وجه للجماعات الإسلامية أنها عندما كان متاحًا لها الاشتراك فى الترشيح للمجالس النيابية والمجالس المحلية، فحققت نجاحًا، صدرت الأوامر بإلغاء الانتخابات التى أتت ببعض أعضاء الجماعات الإسلامية، وفصلت أعضاء المجالس المحلية – وهم منتخبون – كما حدث هذا فى بعض بلدان العالم الإسلامى المعروفة فى هذا العصر.

– ولقد أصبحت الانتخابات بناء على ذلك بابا مفتوحًا للحزب الحاكم ومرشحيه حيث يمثلون فى الغالب ٩٠٪ تسعين من كل مائة، فإن سربوا عضواً بين هذا الطوفان الكاسح فهذا دليل على الديموقراطية وشفافية الانتخاب.

– ومن أجل أن تكون الانتخابات نزيهة فى بعض البلدان تقوم قوات الأمن باعتقال المرشحين المغضوب عليهم ومندوبيهم قبيل الانتخابات، حتى لا يستطيع أحد الفوز إلا بإذن من الحكومة. وعندما تتصور الحكومة أن الإقبال على التصويت محدودٌ؛ لفقد الناس الثقة فى عملية الانتخاب، فإن الموتى يُبعثون من قبورهم ويدلون بأصواتهم، فإذا أصدرت المحاكم أحكامًا ببطلان الانتخابات، قال مجلس النواب: إن المجلس هو سيد قراره، وخرج من دائرة القضاء كما يريد!!!

● وكل مسلم مطالب أن يعى هذه الألاعيب السياسية، وأن يعرف الهدف منها، والهدف من عزل الإسلام عن الحياة السياسية، وما لم يدرك هذه الأبعاد، ويعرف بدقة تلك الأهداف فليس بسياسى، وليس بمسلم كامل الإسلام.

● وعلى مستوى الدول:

– كان ما فعلته أمريكا وأوروبا غداة نجح الإسلاميون فى إيران فى ثورتهم على الظلم والاستبداد والشاه ورجال مخابراته؛ الساڤاك[1] المتعاونين تمامًا مع وكالة

---

(١) كلمة «ساڤاك» مكونة من خمسة أحرف، كل حرف منها هو الحرف الأول من كلمة من كلمات الاسم الكامل لهذا الجهاز وهو: سازومى، إطلاعات، فاإمجيناق إى كيشفار» أى: «المنظمة الوطنية للأمن والمعلومات» وقد ساعدت أمريكا على إنشاء هذا الجهاز ومده بالخبراء وهو جهاز أمنى قمعى يعد من أقسى =

المخابرات المركزية الأمريكية[1].

– جندت أمريكا إمكاناتها وكل أصدقائها من الأوربين وغيرهم للضغط على الثورة الإسلامية الإيرانية، وحاربتها اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا، بل فجرت لها طائرة مدنية تحمل أكثر من مائتى راكب!!!

– ثم حاربت أمريكا تسويق نفط إيران، وحاصرتها، ثم أغرت بها مشئوم العراق وصدامها بكل كارثة؛ فأشعل ضدها حربًا استمرت أكثر من ثمانى سنوات، أتت على الأخضر واليابس من المال والعتاد والنفط والرجال، وكلاهما من الدول المسلمة، وهذا هو الذى يقر عين أمريكا ويهدئ بلابلها.

وما أحوج أعداء الإسلام إلى صدام وأمثاله من المغرورين الذين لا يحسنون الحساب ولا يتنبهون إلى التمييز بين العدو والصديق.

– ومثل آخر فى تحدى الدول الإسلامية هو ما قامت به أمريكا وكثير من حلفائها ضد الثورة الإسلامية فى السودان، فقد كاد لها هؤلاء الأعداء للإسلام وحاربوها واتهموها بالإرهاب والعنف، فوجهوا إلى السودان ضربات سياسية واقتصادية بل وعسكرية فى بعض الأحيان، وحرموا عليها الطيران، وحشدوا ضدها أعداء من السودان نفسه، حيث شجعوا المتمرد «جون جارنج» ومدوه بالمال والسلاح والخبراء، بل كادوا للحكومة السودانية من الداخل حتى حدث الانشقاق وانتهى التحالف الذى كان يقوم عليه حزب المؤتمر الحاكم، وتبودلت الاتهامات وأُقصى أمين حزب المؤتمر ورئيس البرلمان!!!

ولا يزال مستقبل السودان الإسلامى غامضًا محفوفاً بالخطر ولا تزال أمريكا والصهيونية والصليبية الحديثة والاتحاد الروسى، لا يزال هؤلاء يعملون ضد السودان وضد التوجه الإسلامى لسياسته.

– وكل مسلم يجب أن يدرك أبعاد سياسة أعداء الإسلام وأهدافها، إذا كان يجب أن يكون مسلمًا كامل الإسلام له وعى سياسى يفسر به الأحداث والمواقف.

= أجهزة الأمن فى العالم.

وظلت الساڤاك تمارس عملها منذ عام ١٩٥٦م إلى أن ألغتها الثورة الإسلامية الإيرانية سنة ١٩٧٩م.

(١) وكالة المخابرات الأمريكية أهم أجهزة التجسس ومقاومة التجسس فى العالم. وقد أنشئت أثناء الحرب العالمية الثانية بأمر من الرئيس الأمريكى «ترومان»، ومن أبرز رجالها ومؤسسها: الن دالاس، وقد نُحى عنها عقب فشله فيما عرف بأزمة خليج الخنازير عام ١٩٦١م ثم تعاقب عليها أصحاب الخبرة فى التجسس.

– ومثل آخر على تحدى بلدان المسلمين من هؤلاء الأعداء، هو ما حدث فى الجزائر وتركيا، وما يحدث الآن فى أندونيسيا وباكستان والهند وأفغانستان ونيجيريا وغيرها.

● ولقد حملت فرنسا – يعاونها الغرب وأمريكا والصهيونية – عبء إلغاء انتخابات الجزائر التى جاءت بالإسلاميين، إذ سلطت الجيش الجزائرى ليقوم بالمهمة، بغض النظر عما أدى إليه هذا العمل من بحار الدم وتعويق النمو الاقتصادى وقتل عشرات الآلاف من المواطنين...!!!

● وقد حملت أمريكا والصليبية الحديثة والصهيونية والاتحاد الروسى، عبء طرد رئيس الحكومة المنتخب بأمر الجيش كذلك، ثم محاربة كل ما هو إسلامى، وتجريم معرفة سورة قصيرة من سور القرآن الكريم، وتجريم ستر المرأة ما أمر الله بستره من جسمها.

– ما من مسلم إلا وعليه أن يدرك أبعاد هذه السياسات المعادية للإسلام، وإلا كان محسوبا على المسلمين وهو يفقد كثيرا من صفات المسلمين.

إن التربية السياسية الإسلامية تتكفل بتحقيق ذلك على أحسن وجه، إذا اديت على أحسن وجه.

٣- عوامل تكوين الإنسان المسلم سياسيًا

تكاد أهداف التربية السياسية الإسلامية تنحصر وتتجمع حول تكوين الإنسان المسلم سياسيًا، بحيث يقدر على المشاركة الواعية فيما يحيط به وبمجتمعه من قضايا سياسية على مستوى الوطن المحلى أو الوطن العربى أو الوطن الإسلامى.

● ومن أجل تكوين المسلم سياسيًا، لابد من الاستعانة بوسائل فاعلة ومؤثرة فى هذه التربية من أبرزها كما أشرنا إلى ذلك فى أكثر من كتاب لنا - فى هذه السلسلة -:

- المدرسة،

- والمسجد،

- والمجتمع، أسرًا، وأندية اجتماعية وثقافية ورياضية،

- والقيم الدينية السائدة فى المجتمع التى يجب أن تبث فى الناس.

● ولكل واحدة من هذه الوسائل الأربع حديث نرجو أن نوفق فى عرضه بإيجاز غير مخل بإذن الله تعالى.

● وهذه الوسائل متكاملة فيما بينها، أى لا يستغنى ببعضها عن بعض، ولا تتم التربية السياسية الإسلامية إلا من خلالها جميعًا، حتى لا يكون هناك قصور فى تربية المسلم سياسيًا، ولا تقصير فى تكوين المسلم السياسى الذى ينظر إلى ما يحيط به من مسائل وقضايا ومتغيرات نظرة موضوعية تمكنه من التعامل مع هذه المتغيرات من خلال وعى إسلامى راشد، وإدراك حكيم.

أ- المدرسة

وهى أقوى الوسائل الأربع تأثيرا فى نفوس الناس منذ طفولتهم ونعومة أظفارهم، بل يستطيع تأثيرها أن يستمر مع الكبار إذا أُحسنت الاستعانة بها، بحيث تظل مصدر إشعاع فى المجتمع، بعد أن تغلق أبوابها أمام الصغار بانتهاء يومهم المدرسى.

● إن المدرسة إحدى مؤسسات المجتمع وما ينبغى أن تغلق أبوابها بعد انتهاء اليوم المدرسى، وإنما يتسلمها المشغولون بالتربية والإعداد الجيد للمواطنين، أما إغلاقها بعد انتهاء

اليوم المدرسى فغفلة أو خيبة يعتذر عنها الغافلون والخائبون بصعوبة التعامل معها إدارة ومنهجًا ومتعلمين، وذلك بالتأكيد عذر غير مقبول يساوى ذنب إغلاقها(١).

● وتستطيع المدرسة أن تربى من يترددون عليها تربية سياسية إسلامية من خلال ركائزها المعروفة من منهج ومعلم وخطة دراسية ومقررات علمية، وإدارة مدرسية، ونظام تعليمى، وأنشطة ثقافية أو رياضية أو اجتماعية أو سياسية ومسابقات علمية أو أدبية أو رياضية ونحوها.

● وكلمة المنهج فى مفهومها العام تشمل كل ما ذكرنا آنفًا، من هذه المفردات.

كل ذلك وسواه مما يدخل فى المنهج ولم نذكره، يستطيع أن يؤدى عملاً على درجة عالية من الأهمية فى التربية السياسية، ولا يستطيع أحد ممن يشغلون أنفسهم بقضايا التربية أن ينكر شيئًا من ذلك فى العالم كله شرقه وغربه وشماله وجنوبه.

● وفى عصرنا وما تميز به من صراعات أيديولوجية ومذاهب فى السياسة يحاول كل مذهب أن يربى الأبناء فى المدرسة التربية السياسية التى تروج لمذهبه الذى يكون غالبًا هو المذهب الذى تتبناه الدولة، فتسخر له المدارس لكى ينتشر ويروج.

● ولقد شهد الصراع بين الشيوعية أو الاشتراكية والرأسمالية ما جعل المدارس فى البلدان الاشتراكية تخرج عن خط التربية الأصيل – وهو التعليم عن طريق الحوار والمناقشة – إلى النمط الشيوعى البغيض المدمر – وهو التعليم عن طريق التلقين – لأن المدرسة عندئذ تلقن للدارس بل تجرعه من الجرعات السياسية المذهبية ما يقر عين الحاكم المستبد بغض النظر عما يتركه هذا التلقين فى نفوس المتعلمين من خوف من السلطة أو أساليبها القمعية الضارية، أو نفاق هذا السلطة لينجو من نارها واعتقالاتها وتعذيبها وتشريدها.

– وقد ترتب على تلك السياسة الغاشمة الجاهلة فى التربية أن أصبحت بعض الكلمات التى كانت ممجوجة مستبعدة فى المجتمع الإسلامى لما بينها وبين الإلحاد وازدراء الدين من صلة وثيقة كالشيوعية والاشتراكية، أصبحت بعد التلقين السياسى فى المدرسة تجد لدى كثير من الناس قبولاً، حتى كان بعض المسلمين يجاهرون بأنهم شيوعيون أو اشتراكيون أو ماركسيون ... إلخ!!!

---

(١) لنا فى ذلك حديث ضاف فى كتاب لنا نقوم بإعداده هو: «التربية الإسلامية فى المدرسة» إذا أذن الله تعالى. وفيه عرض لقضايا المدرسة من جوانبها العديدة.

– وأصبحت هذه الكلمات البغيضة المعادية للإسلام جزءاً من منهج المدرسة، بل عملاً أساسيًا يقوم به المعلم فيغرزه فيهم كما تغرز الأفاعى سمومها فى فرائسها، وويل لمن قصر أو توانى، إذ ينتظره الاعتقال والمحاكمات الهازلة، التى يقول فيها من يجلس على منصة القضاء لأحد المتهمين «اقرأ لى سورة الفاتحة بالمقلوب أى من آخرها إلى أولها»!!!

هكذا القضاة فما بالنا بالسجانين والجلادين والذين يدفنون الناس أحياء؟(١)

وصال المنافقون للحكام وجالوا وأوشكوا أن يعبدوا الحاكم حتى إن منافقًا كان يشغل منصب محافظ قال للرئيس جمال عبد الناصر فى حفل عام تناقلته وكالات الأنباء: إن الأنبياء كان لكل منهم خطأ أو غلطة ولكن الزعيم الملهم ليس له خطأ أو غلط، فنقل هذا المحافظ على هذا النفاق من محافظ لأسيوط إلى محافظ للقاهرة. هذا تاريخ قامت عليه الأدلة والشواهد، وسمعه القاصى والدانى من الناس وقد تقبله الرئيس بصفاقة يحسدعليها إذ أصبح أفضل من الأنبياء والمرسلين!!!

ومع كل هذه المخازى فإن فى الناس اليوم من يقولون إنهم ناصريون؟!!!

وقد انجرف فى هذا التيار بعض الناس من المسلمين والله أعلم بنواياهم – فأخذوا يقولون: اشتراكية الإسلام، وأن أبا ذر رضى الله عنه أول اشتراكى فى الإسلام!!!

– ولقد جر هذا التلقين السياسى على البلاد والعباد من الويلات ما تأخر بالبلاد عقودًا كثيرة من الزمان.

– ولقد أثرى من دعاة الاشتراكية ومنظريها عدد رأيناه بأعيننا يلبس أفخر الثياب ويتحلى بخواتم الذهب والماس، حتى أثار ذلك بعض أعضاء مجلس الشعب ذلك الزمان، فقال: «هى الاشتراكية علىَّ أنا وحدى...» فخلع من مجلس الشعب وألقى به فى غياهب السجون.

– وزادت الموجة قوة وضراوة فأصبح كل شىء فى البلاد اشتراكيًا من المسرح إلى السينما إلى الصحف إلى الحزب الواحد الضاغط الثقيل الوطأة، وفغرت السجون أفواهها لتستقبل فى ليلة واحدة ثمانية عشر ألف معتقل كما صرح بذلك الزعيم الأوحد وهو فى زيارة قبلته

---

(١) اقرأ فى ذلك كثيراً من الكتب التى ظهرت بعد موت عبد الناصر الطاغية فهى كثيرة من أشهرها كتاب «البوابة السوداء» لأحمد رائف أحد المعذبين فى السجن الحربى بمصر.

الاتحاد السوفيتي(١) وأصبحت الرياضة اشتراكية وكذلك الثقافة وكان من ليس عضواً في الاتحاد الاشتراكي يفصل من عمله ليصبح هو وأهله في مهاوى الفقر والحاجة وكان ذلك عام ١٩٦٢م.

● والأعجب من كل ما قلنا - وهو عجيب - أنه بعد فشل التجربة الاشتراكية في مهدها،وانهيار معبدها على المتعبدين بقى في بعض بلدان العالم النامى، من ينفخون في الجسد الميت، لعلهم بذلك في خوف من أن يصبحوا تراثًا في يوم قريب .إذا عادت الاشتراكية، ولكن هيهات!!!

لقد انهار الاتحاد السوفيتي انهياراً مدويًا، ولكن الغافلين عن حركة التاريخ والمتنطعين الذين يتصورون أن عقارب الساعة قد ترجع إلى الوراء لا يزال بعضهم ينتمي إليها حتى بعد إفلاسها وسقوطها علميًا وعمليًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا؛ إذ أصبحت روسيا اليوم تعيش على القمح الأمريكي، قمح العدو الأكبر!!!

● هكذا فعلت المدرسة في تلقين السياسة، وفي حرب الإسلام وقيمه، وتحويل الناس قسرا إلى الولاء للمستبد الظالم والإشادة بالرئيس «الديكتاتور» الملهم.

- وهكذا كان التلقين السياسي في المدرسة حتى عقب الهزيمة المدوية عام ١٩٦٧م، حيث زعم الاشتراكيون - على الرغم من احتلال سيناء وهى ثلث مساحة مصر - زعموا أن تلك ليست هزيمة وإنما نكسة، وما دام الرئيس الملهم لم يقتل في المعركة فهى نكسة لا هزيمة!!!

● والبلاد النامية المنتمية للعالم الثالث الفقير هي وحدها من بين أمم الأرض التي تجعل التلقين السياسي في المدرسة من أجل الحاكم الملهم الذي لا يخطىء.

● أما سائر بلدان العالم فإن المدرسة فيها لا تلقن ما يريده الحاكم، وإنما تستمد قيمها التربوية من القيم السائدة في المجتمع، وليس من رغبات الزعيم ونزواته وسيطرته الباغية على كل شيء.

وبعد : فإذا كانت المدرسة في ظل الاشتراكية وتوابعها قادرة على تلقين الباطل بهذه الصورة الوحشية في مجال المغالطة والتضليل، فإنها بغير شك قادرة على تربية الناس تربية سياسية راشدة تستهدف الحق والخير لكل الناس.

---

(١) انظر الصحف اليومية في مصر في هذا الوقت من أغسطس ١٩٦٥م إلى أكتوبر ١٩٦٥م لتقرأ هذا التبجح والجهل بالديموقراطية التي يدعون.

ب- والمجتمع

المجتمع عمومًا هو المستودع الأصيل والحارس الأمين على القيم التى تسود المجتمع، وهذه القيم فى مجموعها إنما ترسخها وتعلى من شأن المتمسك بها، الأديان التى جاءت من عند الله دون أن يدخلها تزييف أو تحريف . . .

والمجتمع المسلم يختزن القيم الإسلامية ويحرسها ويحرص عليها، وهذه القيم التى جاء بها الإسلام تتميز بأنها دون القيم الدينية الأخرى لم تمسها يد بتحريف أو تزييف لأن الله تعالى هو الذى تكفل بحفظها فى كتابه وسنة رسوله ﷺ .

● والتربية السياسية الإسلامية هى التى تستمد قيمها بل منهجها كله من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهى بحق قيم الحق والعدل بل الإحسان، القيم التى تأتى من عند الله لتنظم للناس حياتهم لا القيم الوضعية التى لا تستقر، ولاتحقق كرامة الإنسان وتحفظ حقوقه، وليست قيما آتية من حاكم أو أسرة حاكمة منحةً وتكرمًا، إنها من أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين سبحانه وتعالى .

– إن القيم الإسلامية تربى إنسانًا عزيزًا كريمًا أعظم حرمة عند الله من الكعبة المشرفة،على حين تحاول سائر القيم الوضعية أن تدعى هذا الفخار باسم الديموقراطية حينا والاشتراكية أحيانًا والنازية أو الصهيونية، أو حتى التمييز العنصرى والكيل بمكيالين فى كثير من الأحيان، كما يدعى الغرب الذى ولدت الديموقراطية الحديثة على يديه، فكانت الثورة الفرنسية التى رفعت شعار الإخاء والمساواة والعدل حاضنة لها وتبعها الغرب كله؛ فكانوا كما قال القائل :

فكل يدعى وصلا ليلى   وليلى لا تقر لهم بذاك

فكم من جرائم ضد الإنسانية قد ارتكبها الغرب باسم ا لديموقراطية، وهى بريئة منهم ومن دعاواهم، فما فعلته فرنسا بالجزائر وبسائر البلدان الإفريقية والآسيوية التى احتلتها من جرائم وانتهاكات لكل حقوق الإنسان أوضح من أن يحتاج إلى دليل .

– وما فعلته انجلترا – بريطانيا العظمى – فى فلسطين وفى سائر البلدان التى احتلتها باسم الاستعمار أو الحماية أو الوصاية أو الانتداب من جرائم يشيب لها الغراب، أوضح من أن نعيد الحديث فيه .

– وما فعله ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى معتنق الإلحاد والشيوعية على عهد « ستالين »

وجلاده «بريا» فوق أن يوصف وحشية وقسوة ورغبة فى إبادة إنسانية الإنسان.

– وما فعلته النازية والصهيونية والفاشية من إعدام بالجملة، وما تفننت فيه إسرائيل من دفن الناس أحياءً وتكسير عظامهم –كما شاهدت ذلك بعينى فى التلفاز – وسلخ جلودهم وهم أحياء وقتل الأطفال والنساء والشيوخ، مع ادعاء كذابيها أنها واحة للديمقراطية، على الرغم من مجازر دير ياسين وبحر البقر وقانا والأقصى!!!

– وما تفعله أمريكا التى ترفع شعار الحرية، وتغمس يدها فى اليوم الواحد عشرات المرات فى دماء الأبرياء تمتصها بتجارة السلاح وبالنظام العالمى الجديد وبالعولمة، وبتوليها شرطة العالم كله، وبقدرة المجلس النيابى فيها أو مجلس الشيوخ على إصدار قرارات ضد أى شعب لا يركع لها ويحقق لها ما تريد!!!

– وما فعلته الاشتراكية على يد الطغاة باسمها فى عالمينا العربى والإسلامى من جرائم شاب لها الولدان فعلاً؛ لحماية مكاسب الشعب التى يزعمون، مما لا تتسع له مئات الصفحات(١).

● إن التربية الإسلامية السياسية هى التى تعمد أعداء الإسلام أن يحاربوها وأن يغيبوها عن مناهج المدارس وعن المساجد والأندية وعن المجتمع كله؛ لأنهم فى غيبتها يمارسون كل

---

(١) تحت شعار الاشتراكية فى العالم الثالث وما تحمله من مغالطات وأكاذيب عانى المواطنون من ويلات الاشتراكية بأيدى الزعماء الذين رفعوا شعار الاشتراكية نفاقًا لما كان يسمى الاتحاد السوفيتى من جانب، ورغبة فى القضاء على الحركات الإسلامية من جانب آخر لإرضاء الروس والأمريكان واليهود ودعاة التقدمية والطلائعية من جانب ثانٍ، وتأمينا للكراسى المهتزة التى أجلسوا عليها من جانب رابع و.. من جانب خامس وسادس الخ.

تحت هذا الشعار مارس الحكام الدكتاتوريون الثوريون أقسى أنواع الظلم وأبشع ألوان الإهدار لحقوق الإنسان، وسيادة الأحكام العرفية وقوانين الطوارئ وتشكيل المحاكم العسكرية والمحاكم الخاصة فى مهزلة قضائية لم يعرف العالم لها نظيراً.

فقد كان المتهم يعذب حتى يموت ثم يدفن فى الصحراء، ومن نجا من الموت كتبت له التهم ثم وقع عليها مكرها وحكم عليه بالموت أو بالسجن المؤبد بعد أن تشوه جسده وعطلت بعض حواسه ونفخ من دبره، وحرم النوم والراحة وأجبر على أن يغنى لظالمه تحت تهديد المدافع، فإذا خرج من سجنه بعد استيفاء مدة السجن صدر له قرار باعتقاله من جديد!!!

كل ذلك باسم الاشتراكية والحرية والوحدة ومن أجل المحافظة على مكاسب الشعب.

وكان المعذّبون بأيديهم وزراء وكباراً وقواداً فى الجيش، ورءوسا لها أهيمتها فى الفكر الاشتراكى وفى الحرية ورفع الرأس التى انخفضت من طول ما نكست، وكثرة ما حيل بينها وبين لقاء عدوها الأكبر إسرائيل فى حربين ضاريتين عامى١٩٥٦م و١٩٦٧م!!! =

أنواع الظلم والإهدار لحقوق الإنسان،لأنها التربية السياسية الراشدة التى تقوم على الأسس السبعة التى ذكرنا فى الباب الأول من هذا الكتاب،حيث أوضحنا صلة هذه الأسس بتكوين الإنسان المسلم السياسى.

● والتربية الإسلامية السياسية تستطيع أن تقوم بها المدرسة إن خرجت من دائرة السلطان المستبد إلى سلطان كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ويستطيع أن يقوم بها البيت المسلم، والمسجد، والمجتمع، والقيم الدينية السائدة فى المجتمع.

ويساند هذه المؤسسات الحرية التى خلق الله الناس بها، الحرية التى توجب عليهم النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وتوجب عليهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فيستطيع كل منهم أن ينتقد سياسة الحاكم وأن يقترح تعديلها دون خوف من زبانيته وسجونه ومعتقلاته وجلاديه والآلات البشرية التى تعذب الناس بالصعق بالتيار الكهربائى،وقلع الأظافر ونفخ الأمعاء من الدبر، ودون خوف، كل ذلك فى ظل المحاكم العسكرية والاستثنائية!!!

= إن أحد وزراء الداخلية فى عهد الهزائم والانتكاسات سنة ١٩٦٦م جمع المعتقلين فى سجن أبى زعبل وقال لهم: هذه ليست محنة كما تقولون ولكنه الموت من التعذيب أو بحكم المحكمة، وشهود هذا الكلام لا يزال عدد منهم أحياء حتى اليوم، ومن العجب أن الطاغية أقال هذا الوزير بعد أشهر، على الرغم من نفاقه إياه، النفاق الذى يرشحه بمقاييس هذا الزمان إلى منصب نائب رئيس الوزراء أو نائب رئيس الجمهورية.

جـ- والقيم الدينية السائدة فى المجتمع

هذه القيم الدينية والمعتقدات المتصلة بها أو التى نبعت منها هذه القيم، لها أثر كبير فى توجيه التربية عموماً، والتربية السياسية على وجه الخصوص، بل هى غذاء هذه التربية وزادها الذى تتزود به لتعيش.

● وهذه القيم الدينية عميقة الجذور فى الإنسان المؤمن بالله ورسوله الخاتم ﷺ، وما جاء به من هدى، إذ هى التى تحكم سلوكه عموماً، وسلوكه السياسى بوجه خاص، وهذه القيم من الكثرة والتنوع بحيث يصعب الحديث عنها جميعًا فى هذا الكتاب، لكننا نذكر أهمها فى الجانب الذى يحتاج إليه الإنسان ليربى تربية سياسية إسلامية، ومن هذه القيم:

التوحيد:

الإيمان بالله، أى: شهادة أن لا إله إلا الله، أى توحيد الله تبارك وتعالى إلهًا وخالقًا، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة: ٢١].

وتوحيده سبحانه ربًّا ومنعمًا لا يوجه الدعاء إلا إليه، ولا يُسأل غيره لانه أقرب إلي الإنسان من أي مسئول سواه لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

وتوحيده بمعنى التلقى عنه وحده سبحانه وتعالى، فلا منهج أكمل من منهجه ولا نظام أحكم من نظامه، لقوله عز وجل: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

● ومعنى قيمة توحيد الله تعالى إلها وربا وموحيا بالمنهج التام الكامل على لسان خاتم أنبيائه محمد ﷺ.

– معنى ذلك أن المسلم الموحد لله لايخاف الحكام وإنما يحترمهم ويطيعهم ما أطاعوا الله، فإن عصوه فلا طاعة لهم عليه.

– ومعنى ذلك أن يتحاكم المسلم فى كل أمره إلى منهج الله ونظامه، لا إلى منهج يخالف منهجه فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد ونحو ذلك.

– ومعنى ذلك ألا يتوكل المسلم إلا على الله ولا يسأل سواه، وفى هذا هدم وإهدار للنفاق والرشوة وأخذهم ما لا حق لهم فيه.

● وذلك كله يعنى أن التربية الإسلامية السياسية تأخذ من توحيد الله أرقى مستويات السلوك السياسى والاجتماعى عموماً.

● **والإسلام:**

أى: شهادة أن محمداً رسول الله، وتلك الشهادة تعنى أموراً أهمها:

- تصديق الرسول ﷺ فيما بلغ به عن ربه، وقبول كل ما جاء به، لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر: ٧]، ووجوب الامتثال لأمره، والانتهاء عما نهى عنه.

- والإيمان بأن الرسول ﷺ أمر بكل خير ونهى عن كل شر، مما يضمن للمسلم السلامة والأمن والسعادة فى معاشه ومعاده، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

- ووجوب اتخاذ الرسول ﷺ قدوة أو أسوة، فهو المعصوم عن الخطأ المجرد عن الهوى المستغفر لربه آناء الليل والنهار، لقول الله جل وعلا: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

- والالتزام بشريعته جملة وتفصيلاً، أى الالتزام بكل مفردة من مفردات الإسلام ابتداء من: «لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى إماطة الأذى عن الطريق» وهى شعب الإيمان أو الإسلام[١].

● فالتربية الإسلامية السياسية تصوغ الإنسان موحداً مؤمناً، مصدقاً برسوله الخاتم مسلماً لله ولرسوله أمره كله.

● **والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** هما تعبير عملى عن العقيدة الصحيحة فى الله ورسوله وكتابه ومنهجه، وهى أكبر خدمة يقدمها الإنسان للمجتمع الذى يعيش فيه، إذ يهيئ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للمجتمع غرس القيم الفاضلة وأنواع الخير فى الناس عندما يأمرون بالمعروف ويأتمرون به، كما يؤدى النهى عن المنكر إلى محاربة الرذائل والدنايا

---

(١) جمعها الإمام البيهقى فى كتاب سماه شعب الإيمان، وعددها فى سبع وسبعين شعبة وقد ذكرتها فى أكثر من كتاب.

ومحاصرة الراذلين الأدنياء فيتطهر المجتمع من الفساد والمفسدين.

● والتربية السياسية الإسلامية - كما أوضحنا آنفًا - تربى الإنسان على الإيجابية والفاعلية، وتنمى فيه الإحساس بأنه جزء من المجتمع الذى يجب أن يسوده الخير والبر والإحسان.

● وما أكثر القيم الفاضلة التى يجب أن تسود المجتمع المسلم، لأن التربية الإسلامية السياسية تجعلها من أهدافها.

● ولقد أشرنا من قبل إلى قيم عديدة منها:

- ضبط السلوك الإنسانى فى ممارسة الحياة.

- وممارسة الحقوق وأداء الواجبات.

- والتعاون على البر والتقوى، والتكافل والتضامن.

- والشورى والعدل والإحسان.

- والاستمرار فى الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق.

- والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا والشوق إلى الشهادة فى سبيل الله.

● والإسلام منهجًا ونظامًا يحرص كل الحرص على بث هذه القيم فى كل مسلم ليكون المسلم صاحب الحس السياسى الفاعل.

وهذه القيم التى حرص الإسلام على بثها فى الناس كثيرة، نجدها عند التحقيق صفات يجب أن يتصف بها المسلم لكى يكون مسلمًا، وهذه الصفات اشتملت عليها عشرات الآيات القرآنية بل مئاتها، مع مئات الأحاديث النبوية الشريفة، كما دلت عليها صفات المعصوم ﷺ وهديه فى سيرته.

● ومن الآيات الكريمة التى جمعت هذه القيم أو تلك الصفات الملازمة للمسلم، آيات سورة الفرقان[1].

وآيات سورة «المؤمنون»[2].

وآيات سورة الإسراء[3].

وآيات سورة الأنعام[4].

---

(١) هى الآيات الكريمة من الآية: ٦٣ إلى الآية: ٧٦.

(٢) هى الآيات، من الآية: ١ إلى الآية: ١١.

(٣) هى الآيات من الآية: ٢٢ إلى الآية: ٣٨.

(٤) هى الآيات من الآية: ١٥١ إلى الآية: ١٥٣.

وآية سورة البقرة[١].

● ومن الأحاديث النبوية التي جمعت هذه القيم وألزمت بها كل المسلمين، ما جاء من أحاديث في أبواب بعينها من كتب السنة، مثل: باب الإيمان، وباب الإسلام، وباب الحث على إكرام الجار والضيف وباب الآداب والبر والصلة، وباب الذكر والدعاء، وباب التوبة والاستغفار، وباب الرقاق، وباب الزهد، وغيرها من الأبواب التي اشتملت على مئات الأحاديث النبوية الشريفة.

– وهذه الأبواب جاءت في معظم كتب السنة وفي مقدمتها: الكتب الثمانية[٢]. وجاءت في المسانيد[٣] وفي المعاجم الصغيرة والوسطى والكبيرة، وفي الجوامع الصغيرة والكبيرة.

– وكتب السيرة النبوية الشريفة حافلة بهذه الأحاديث الشريفة.

● **أهم الكتب التي جمعت هذه القيم:**

● وعمدة الكتب في هذه القيم أو الصفات الملازمة للمسلم هي كتب: الشمائل النبوية وهي كثيرة منها:

– كتاب الشمائل: للإمام الترمذي صاحب السنن المتوفى ٢٧٩ هـ[٤].

– وكتاب الشمائل: للمستغفري المتوفى ٤٣٢ هـ.

– وكتاب الشمائل: لابن المقَّرى الغرناطي المتوفى ٥٢٢ هـ.

– وشرح الشمائل للترمذي: للإمام ابن حجر المكي الهيتمي المتوفى ٩٧٣ هـ.

● هذه القيم وتلك الصفات يجب أن تنتشر في المسلمين وتبث في عقولهم وقلوبهم، وأن يتمثلوها في أخلاقهم وسلوكهم، فهي التي إن رُبوا عليها، وتحلوا بها كانوا مسلمين حقا وصدقًا، وكانت تربيتهم عليها تربية إسلامية حقًا، وطالما أن التربية إسلامية، فإن السياسة جزء أصيل منها لا ينفك عنها ولا تنفك عنه.

---

(١) هي الآية: ١٧٧.

(٢) الكتب الثمانية هي: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وموطأ مالك ومسند الدارمي.

(٣) المسانيد جمع: مسند وهو كتاب يجمع الأحاديث ويسند كل حديث إلى راويه يبلغ به النبي ﷺ فيسمى «مرفوعًا» أو يقف به عند الصحابي فيسمى «موقوفًا» والكتب التي تحمل اسم مسند عشرات عديدة. جمعها ابن كثير في كتاب ضخم سماه: «جامع المسانيد والسنن» مطبوع.

(٤) كتاب: شمائل النبي ﷺ للإمام الترمذي، حظي بشروح كثيرة زادت على العشرة، ومن أجمعها شرح ابن حجر الهيتمي الذي ذكرناه، وهي أجمع الكتب في التعريف بصفات النبي ﷺ.

د- القيم الدينية المفقودة فى المجتمع :

● ومن أهم القيم التى بلينا بفقدها فى عصرنا هذا، أو ابتلينا بانتقاصها أو المغالطة فيها قيم على جانب كبير من الأهمية نذكر بعضها فيما يلى :

أولاً : الحرية :

كل إنسان خلقه الله تعالى حراً، وكفل له هذه الحرية فى حياته الدنيا، وحرم سبحانه وتعالى استرقاق الإنسان أو حرمانه من حريته أو انتقاص جزء منها، كما حرم إكراه الإنسان وقمعه أو العدوان على عقله وبدنه وبيته وكل ما يملك.

بهذا جاءت الأديان جميعاً، وبخاصة أكملها وأتمها الإسلام، وحرية الإنسان من أهم القيم التى تقوم عليها حياته.

– وهذه الحرية تتناول :حرية المعتقد والتدين «العبادة» بعد اختيار الدين الذى يرضاه، وحرية الفكر، وحرية التعلم وحرية التعبير، وحرية العمل والكسب،وحرية التنقل، وحرية الاجتماع والتنظيم، وحرية التملك، وحرية الإعلام.

كل هذه الحريات قد كفلها الإسلام للإنسان ورباه تربية سياسية تمكنه من ممارسة هذه الحريات والمحافظة عليها من كل ما يتعرض لها بالقمع أو الانتقاص.

– والتربية السياسية فى الإسلام تقوم على تعريف الناس بهذه الحريات، وحثهم على التمسك بها والدفاع عنها ضد أى معتد عليها أو على شىء منها.

هذه التربية السياسية التى تقرر الحرية تقرر معها كل حقوق الإنسان، وتلزمه بأداء واجباته،ليستقر المجتمع، وينصرف الناس إلى ممارسة حياتهم آمنين من ظلم الظالمين واستبداد المستبين.

– ولا يزعج الطغاة من الحكام شىء مثل ما يزعجهم معرفة الناس لحقوقهم وتمسكهم بحرياتهم، ولا يضمن للناس ممارسة حقوقهم وحرياتهم مثل معرفتهم وتمسكهم بممارستها.

ثانياً : الثقافة :

وهى قيمة رفيعة القدر، إذ هى محصلة النشاط الإنسانى كله، النشاط المعنوى المتمثل فى : الإنتاج العقلى والروحى والفنى والأدبى، ويتضح هذا الجانب المعنوى من الثقافة فى الأفكار والمفاهيم والنظم، والرموز ونحوها.

والنشاط المادى المتمثل فى: النتاج الاقتصادى والتقنى - الأدوات والآلات - والمساكن والمزارع وأماكن العمل بل فى كل مرافق المجتمع.

● والثقافة عنصر هام من عناصر تكوين شخصية الإنسان القومية والإسلامية؛ لذلك لم يكن من المستغرب من القوى المعادية للإسلام أن تعمل على اقتلاع الثقافة الإسلامية من المسلمين الذين تقع بلادهم تحت سيطرة هؤلاءالأعداء، ابتداء باللغة لغة الكتاب والسنة ومروراً بكل مفردات الثقافة معنوية أو مادية، مع إحلال لغة العدو وثقافته محل لغة القرآن وثقافة المسلمين.

- وقد اصطنع الأعداء صراعًا بين لغة القرآن وثقافة المسلمين ولغاتهم وثقافاتهم، كانت الغلبة فيه لهم إلا من عصم الله.

- وأسوأ ما ابتلى به المسلمون فى النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى ما سمى عند الاشتراكيين «بالثورة الثقافية» فضلاً عما أصيب به من داء تغلغل لغات الغرب وإخمالها للغة القرآن، وسيطرة ثقافتهم المعنوية والمادية.

- وقد زعم الاشتراكيون أن الثورة الثقافية تعنى تقدم المجتمع والارتقاء به، وعند التطبيق والتدقيق ظهر أن التقدم والارتقاء كان وقفًا على أعضاء الحزب الواحد الحاكم،ولم ينل الناس من هذه الثورة الثقافية إلا أن يحملوا أرقامًا تدل عليهم يتسلمون بها الغذاء والكساءوالمأوى!!!ولقد أكد ذلك هذا السقوط المدوى لما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى الذى كشف عن تقدم الحكام وبعض أعضاء الحزب، وتراجع الطبقة العاملة إلى الفقر والحاجة والضياع.

● وكذلك فعلت كثير من بلدان العالم الثالث التى استجارت من التحكم الغربى فيها «الرمضاء» بالاشتراكية «النار»، فكان التقدم والارتقاء للحكام وذويهم وبعض أعضاء الحزب الحاكم، والفقر والضياع لقوى الشعب العاملة.

وكذلك سقطت شعارات الاشتراكية وثورتها الثقافية مثل: «الأرض لمن يزرعها» وعند التطبيق أصبحت الأرض للحكومة ولأعضاء الحزب الحاكم.

«والمصانع وما فيها للعمال» فأصبحت للحكومة ولأعضاء الحزب!!!

● والثقافة الإسلامية الأصلية تتمثل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة

الرسول ﷺ وتاريخ الصحابة والمصلحين المجددين من المسلمين، وقد يكون هذاهوالجانب المعنوى من ثقافة المسلمين.

أما الجانب المادى من هذه الثقافة الإسلامية ففى التراث الإنسانى الذى أبدعته أجيال المسلمين فى مجالات الاقتصاد والتقنية والزراعة والصناعة والأدوات والآلات التى بنت عليها أوروبا نهضتها العلمية كما اعترفت هى بذلك.

– والمسلم المثقف يتزود من ثقافته الأصلية أولاً ثم يضيف إليها أى ثقافة أخرى لا تتعارض مع دينه وقيمه، أو تهز ثقته فى قيمه ومبادئه وولائه لأمته ودينه.

ثالثًا: تعزيز الانتماء للوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى:

وتلك قيمة سياسية عظمى،لأن المواطن بغير هذه الانتماءات الثلاثة يعيش حياة فارغة غير هادفة بل ربما غير إنسانية ولأن هذه الأوطان الثلاثة بغير من ينتمون إليها تصبح مثل الصحارى المجدبة التى لا نفع فيها ولا حياة.

– وتعزيز الانتماء للوطن المحلى جزء من التربية السياسية للمسلم لأنه جزء من الإسلام، فكل مسلم مطالب بأن يحمى وطنه وأن يعمره.

وكذلك شأن الوطن العربى، لأن تعزيز الانتماء إليه تعزيز للانتماء إلى وطن لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وعلى الرغم من أن العربية اللسان فإن الأوطان التى لا تتحدث العربية لها مكانة خاصة واعتزاز له شأنه بوصفها أوطانًا إسلامية.

وكذلك الوطن الإسلامى الذى يعيش فيه كثرة من المسلمين فإن تعزيز الانتماء إليه تعزيز للانتماء إلى الإسلام الذى جمع بين المسلمين فى سائر أقطار الأرض.

– إن معرفة القضايا السياسية لهذه الأوطان الثلاثة واجب شرعى، وإن ما يترتب على هذه المعرفة من بذل الجهد والوقت والمال لمناصرة قضايا هذه الأوطان واجب شرعى كذلك، بل إن الجهاد فى سبيل الله من أجل هذه الأوطان والموت فى سبيل الله من أجلها قد يكون فرضًا عينيًا أو فرض كفاية على المسلمين.

● وإن على المسلمين أن يعوا أن أعداء الإسلام أيًا كان نوعهم: الصهيونيون اليهود، أو الصليبيون أو الملحدون أو العلمانيون أو المنتمون إلى النظام العالمى الجديد أو إلى العولمة؛ كل هؤلاء لا هم لهم أكبر من أن يضعفوا انتماء المسلمين إلى أوطانهم؛ لأنهم عندئذ يستطيعون أن يفعلوا فى هذه الأوطان ما يشاءون، وعندئذ أيضًا يقع المسلمون فريسة فى

شباك هؤلاء الأعداء، وماذا تستطيع الفريسة أن تفعل بعد أن وقعت فى الشباك؟

● إن أعداء الإسلام والمسلمين قد يسمحون للفريسة أن تتحرك ما دامت داخل الشبكة ولكنها حركة مرسومة الخطى والأبعاد، لا تستطيع أن تقوم بعمل يتحدى إرادة العدو أو يفسد عليه مخططاته ما دامت الفريسة داخل الشبكة!!!

●وإن إضعاف انتماء المسلم إلى أوطانه الثلاثة كانت دائمًا هى البداية الحقيقية لالتهام هذه الأوطان والقضاء عليها مطلقًا، أو ربطها بفلك أحد الأعداء، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى لكن نذكر منها بما يلى:

– ما استطاع الصليبيون القدامى أن يغزوا مصر والشام فى هذه الحملات الصليبية السبع إلا بعد أن ضعف انتماء المسلمين لأوطانهم، وما استطاع الصليبيون أن يقيموا الممالك فى بلاد المسلمين ما يقرب من مائتى عام إلا بعد ضعف هذا الانتماء لأسباب عديدة أسهم فى إيجادها الأعداء.

– ما استطاع الإسبان أن يضطهدوا المسلمين فى الأندلس ويحملوا بعضهم على الهجرة وينصبوا لهم المشانق ومحاكم التفتيش إلا بعد أن ضعف انتماء المسلمين لأوطانهم ودينهم وضعف ولاؤهم لها.

– وما استطاع كثيرمن المستشرقين أن ينفثوا سمومهم فى تراث المسلمين فيشوهوا الإسلام والقرآن والنبوة والمصلحين المجددين من المسلمين إلا بعد ضعف انتماء المسلمين لأوطانهم ودينهم.

– وما استطاعت جحافل التنصير أن تنقل بعض المسلمين إلى النصرانية، وأن تقيم الكنائس فى بلاد المسلمين، وأن تجعل هذه الكنائس أوكار حرب للإسلام والمسلمين إلا بعد إضعاف انتماء المسلمين لأوطانهم ودينهم.

– وما استطاعت دول الغرب الحاقدة على الإسلام والمسلمين أن تحتل بلاد المسلمين بالجيوش العسكرية، وأن تخضعها لنفوذها السياسى والاقتصادى والثقافى إلا بعد إضعاف انتماء المسلمين لأوطانهم ولدينهم.

– وما استطاعت القوى المعادية للإسلام أن تقضى على وحدة المسلمين وتحولهم إلى دويلات وإمارات وأقاليم منفصل بعضها عن بعض، بل متعادية فى كثيرمن الأحيان إلا بعد إضعاف انتمائهم لأوطانهم ودينهم.

– وما استطاعت الثورة الشيوعية الاشتراكية الإلحادية أن تستولى على جمهوريات

المسلمين فى آسيا الوسطى إلا بعد إضعاف انتماء المسلمين لأوطانهم ودينهم.

– وما استطاع الأعداء أن يقضوا على دولة الخلافة العثمانية رمز وحدة المسلمين وقوتهم إلاَّ بعد إضعاف الانتماء إلى أوطان المسلمين ودينهم.

– وما استطاع اليهود الصهيونيون، يعاونهم أعداء المسلمين فى الغرب والشرق أن يقتلعوا الشعب الفلسطينى من أرضه ليقيموا عليها دولة باطشة متوحشة لا ترقب فى أحد إلا ولا ذمة، إلا بعد إضعاف انتماء المسلمين والعرب والفلسطينيين إلى أوطانهم ودينهم.

– وما استطاعت الدول التى كانت تحتل بلاد المسلمين أن تبقى على نفوذها وقواعدها وأذنابها المنتفعين بها المتبنين لشعاراتها الداعين إلى إذابة المسلمين فى الكيان الغربى المعادى أو الكيان الماركسى الملحد، ما استطاعوا ذلك إلا بعد إضعاف انتماء المسلمين إلى أوطانهم ودينهم.

– وما استطاع أعداء الإسلام أن يصنعوا بأيديهم زعماء من المسلمين يعادون الإسلام بأكثر مما يعاديه غير المسلمين ويهيئوا لهم تولى الحكم فى البلاد الإسلامية، وأن يغروا هؤلاء الزعماء المسلمين بقهر المسلمين عموماً،ومن ينتمون منهم إلى أى حركة إسلامية على وجه الخصوص، ما استطاعوا ذلك إلا بعد إضعاف الانتماء والولاء للأوطان الثلاثة وللدين الإسلامى.

– وما استطاعت أمريكا أن تبنى قواعد عسكرية لها تحيط تماماً بالعالم الإسلامى كله، وتكون مستعدة للانقضاض على أى بلد مسلم فى ساعات وبخاصة دول العالم العربى أى دول النفط ما استطاعت ذلك إلا بعد إضعاف الانتماء والولاء للأوطان الثلاثة وللدين الإسلامى.

– وما استطاع أعداء الإسلام أن يفرضوا لغتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومؤسساتهم الاقتصادية والثقافية وجامعاتهم إلا فى غيبة الاعتزاز بالانتماء إلى الأوطان الثلاثة وغيبة الاعتزاز بالدين الإسلامى عقيدة ومنهجاً ونظاماً.

– وما استطاع أعداء الإسلام أن يحاصروا الثورة الإسلامية فى إيران ولا أن يثيروا ضدها حرباً ضارية من العراق الجار المسلم، الذى زودوه بالسلاح والخرائط، فاستنزفوا بذلك طاقات البلدين فى حرب استمرت ثمانى سنوات، ما استطاعواذلك إلا بعد إضعاف الانتماء للأوطان الثلاثة وإضعاف الولاء للدين نفسه.

– وما استطاع أعداء الإسلام أن يقوموا بهذه البشائع الإنسانية فى البوسنة والهرسك

وكوسوفو، وأن يقسموها لصالح الصرب والكروات، ما استطاعوا ذلك إلا بعد إضعاف الانتماء إلى الأوطان الثلاثة وإضعاف الانتماء إلى الإسلام.

– وما استطاع أعداء الإسلام أن يخدعوا بعض بلدان المسلمين فيغروها بتغييرجلدها وانتمائها فتلهث وراء الانتماء إلى الغرب أو الاتحاد الاوربى، ثم يردونها عند ذلك فى إذلال لها واستعلاء عليها، ومع هذه المهانة تظل تلهث وراء الغرب، ما استطاعوا ذلك إلا بعد إضعاف انتماء هذه البلدان إلى أوطانها الثلاثة وإلى دينها الإسلامى.

– وما استطاع أعداء الإسلام أن يثيروا فتن الانفصال بين أجزاء الوطن المسلم الواحد، كما فعلوا إذ فصلوا بنجلادش عن باكستان، وجنوبى السودان عن شماليه، وكثير من جزر أندونيسيا عن وطنها الام،وكما مزقوا إفريقية تمزيقًاوكما أثاروا فتنة لتطبيق الشريعة فى نيجيريا،ما استطاعوا ذلك إلا بإضعاف هذا الانتماءوذلك الولاء للإسلام ولأوطان المسلمين.

● إن التربية السياسية الإسلامية تجعل من أولوياتها تعزيز هذا الانتماء للأوطان الثلاثة وللإسلام دينًا ومنهجًا ونظامًا، بل لا تربية سياسية إسلامية بغير تقوية هذا الانتماء.

● فماذا يعنى هذا الانتماء؟

أولاً: لابد من التنبيه على أن الانتماء إلى الإسلام ليس بمجرد الاسم أو اللقب أو الكنية كما أنه ليس بالشكل فى الملبس، ولس بالإقامة فى وطن للمسلمين.

ولكن الانتماء إلى الإسلام يعنى ولاء القلب والعقل والسلوك والعمل الصالح للإسلام منهجًا وخلقًا وسلوكًا.

ثانيًا: يمكن نفى الانتماء للإسلام عن كل مسلم يأتى أعمالاً حرمها الإسلام أو يرضى عنها أو عن مرتكبها، فإتيان أى معصية حرم الله ارتكابها ينفى عن العاصى أنه منتم للإسلام.

ثالثًا: ليس بمنتم إلى الإسلام من يترك القيام بعمل أوجبه الله عليه،ما دام قادراً على أدائه.

● وماذا يعنى الولاء للإسلام؟

الولاء هو القُرب أو النصرة، ومنه: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الجاثية: ١٩]. بمعنى ناصرهم وقريب منهم ومؤيدهم.

– والولاء للإسلام هوالولاء لله تعالى لكتابه وخاتم أنبيائه ومنهجه ونظامه، وللمؤمنين،

قـال الله تعـالى: ﴿ وَمَن يَتَـوَلَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَـإِنَّ حِـزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَـالِبُـونَ ﴾ [المائدة: ٥٦].

– ومعنى الولاء لله ورسوله وللمؤمنين أن يعتز المسلم بهذا الولاء ويفخر به، ويكتفى به دون أى ولاء آخر، سواء أكان موالاة للشيطان أو للكفار أو لغير المسلمين من أهل الكتاب، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩]. وقوله جل شأنه: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

– ولا يجوز لمسلم أن يوالى أحداً من الذين يسخرون بالإسلام أو ينتقصونه أو ينتقصون عباداته وشعائره أو يصفونه بصفات غير لائقة، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨].

– ومن تورط فى اتخاذ ولى غير الله تعالى فقد وضع نفسه فى أسوأ مكان، واعتمد على مالا يجوز الاعتماد عليه، فأصبح شأنه فى تلك الموالاة لغير الله شأن العنكبوت اتخذت بيتاً ليحميها، فلم يحمها لأنها اتخذته من أضعف الخيوط، فقد قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

● إن تعزيز ولاء المسلم للإسلام دليل على أن التربية الإسلامية السياسية لا تدع جانباً من جوانب شخصية المسلم إلا وتوليه من العناية والرعاية ما يجعله إيجابيًا فاعلاً فى المجتمع الذى يعيش فيه مسلحًا بهذه القيم التى جاء بها الدين الخاتم، والتى تعلمها فى البيت والمسجد والمدرسة والمجتمع المسلم كله.

وبعد: فإذا كانت عوامل تكوين المسلم سياسيًا على هذا القدر من التنوع والأهمية، فليست تربية المسلم سياسيًا على هو النحو تربية غير هادفة، وليس المسلم الذى رُبِّى هذه التربية متروكًا دون وظيفة يؤديها سياسيًا؛ وذلك ما نتحدث عنه فى الصفحات التالية والله الموفق.

٤ - توظيف الإنسان المسلم سياسيًا

التوظيف من معانيه: تحديد الوظيفة وتعيينها فى الزمان والمكان والشخص الذى يناط به أداؤها.

ومن معانى التوظيف: أن الوظيفة هى ما يقدَّر للإنسان من عمل أو طعام أو رزق فى زمن معين.

- والوظيفة تعنى الواجبات والمسئوليات التى تناط بالإنسان، وهذا المعنى هو الأقرب إلى توظيف المسلم سياسيًا، أى تحديد واجباته ومسئولياته نحو دينه عمومًا ونحو كل قيمة من قيم الإسلام على وجه الخصوص.

- إن مبادئ الإسلام ومنهجه ونظامه والمحافظة على قيمه؛ يجب أن توظف لها طاقات الإنسان المسلم سياسيًا ليبلغ بها الناس وينشرها فيهم، ويفسرها ويقنع بها،ويبين ضرورتها للحياة الإنسانية الراشدة، تلك وظيفة الإنسان المسلم التى أوجبها عليها الإسلام وهو يفقهه فى السياسة ويربيه عليها.

● إن العبادات الإسلامية كلها تحتاج إلى أن يوظف لها كل المسلمين القادرين أصحاب الوعى السياسى، لإقناع الناس بأن أداء هذه العبادات على وجهها الذى شرعه الله،تقرب إلى الله تعالى وإرضاء له، وفتح لأبواب رحمته وتأييده ونصره، وهى فى الوقت نفسه تصفية للروح من همزات الشياطين ومن هواجس المعصية والهوى.

● وهذه العبادات كلها تعنى أمورًا على جانب كبير من الأهمية فى بناء المجتمع الصالح الراشد، ومن هذه الأمور:

- الإقبال على العمل الصالح الذى يرضى الله تبارك وتعالى.

- وممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

- والالتزام بالتخلق بالخلق الحسن.

- والتعاون على البر والتقوى.

- والتضامن والتكافل بين المسلمين.

– والتمسك بالحقوق وأداء الواجبات.

– والتعامل بين الناس بالعدل والإحسان.

وكل ذلك يحتاج إلى من يوظف له طاقاته وإمكاناته،وذلك من صميم فقه التربية السياسية فى الإسلام.

● وهذه القيم الإسلامية – التى تحدثنا عنها آنفًا – وهى: قيم الخير والبر والإحسان، والقيم الناهية عن الفحشاء والمنكر والبغى، وهى فى مجموعها تغرس الخير وتمنع الشر فى المجتمع؛ هذه القيم بحاجة إلى أن يوظف لها كل مسلم قادر على إقرارها والدعوة إليها فى المجتمع، لأن الإسلام ربى أفراده جميعًا على أن يكونوا دعاة للخير نهاة عن الشر، ناشرين لقيم الإسلام وأخلاقه وآدابه فى الناس، لكى يقبل الناس على التمسك بهذه القيم مختارين مقتنعين،فيدخلوا بذلك فى زمرة عباد الله الصالحين.

● وإن القضايا السياسية الإسلامية لا تجد قبولاً عند الناس مسلمين وغير مسلمين ما لم يوظف لخدمتها ونشرها والإقناع بها رجال رُبُّوا تربية سياسية إسلامية تهيئ العقول للفهم بعد التدبر، وتهيئ الجوارح للعمل بعد الإيمان.

– وإن كل قضية من قضايا الأمتين العربية والإسلامية تحتاج إلى دراسة واعية لكل ما يحيط بها؛ كالأسباب التى أدت إليها، والأبعاد التى يمكن أن تمتد إليها، والظروف المحيطة بها من كما يتصل بالأعداء والأولياء،وكيفية السير بها فى الطريق الصحيح لتبلغ أهدافها، مع بيان وجه الحق فيها فى كل مرحلة من مراحل العمل من أجلها.

ولا يستطيع القيام بذلك إلا من ربوا تربية سياسية ووظفوا للقيام بطرح جيد لقضايا الأمة العربية والأمة الإسلامية.

● **وأبرز قضايا الأمة العربية أو الإسلامية:**

– قضية العدوان الإسرائيلى على فلسطين وإقامة دولة يهودية على أرض عربية تاريخًا وجغرافيا وتراثًا ومقدسات.

هذه القضية التى وقف فيها أعداء العرب والمسلمين من دول الغرب والاتحاد السوفيتى السابق والولايات المتحدة الأمريكية وقفوا جميعًا منحازين لإسرائيل ضد الحق العربى، مع إضعاف العرب وتعهد أمريكا بأن تكون إسرائيل أقوى من الدول العربية مجتمعة فى مجال التسلح والتقنية، حتى لقد وضعت أمريكا نفسها فى مكان العدو الألد الأول للحق العربى

فى فلسطين مع رضوخ العالم العربى لقبول أمريكا وروسيا راعيين للسلام مع إسرائيل!!! ورضوخهم للقرار الأمريكى وللعدوان اليهودى الوحشى على فلسطين وعلى كثير من بلدان العالم العربى.

لقد أصبح الشارع العربى – بعد اتفاق أوسلو ولمدة سنوات سبع عجاف – يعلم علم اليقين أن إسرائيل لا تريد السلام فى مقابل الأرض التى احتلتها عنوة وخروجًا على الشرعية الدولية، وإنما تريد الأرض والسلام وتريد العدوان المستمر على الفلسطينيين العزل كما أوجبت اتفاقية أوسلو!!! بل تريد الأرض من الفرات إلى النيل، كما يعلم الشارع العربى أن القمة العربية المنعقدة فى القاهرة فى٢٣-٢٤ من شهر رجب ١٤٢١ هـ الموافق ٢١-٢٢ من أغسطس ٢٠٠٠م، ما لم تتخذ قرارات رادعة لإسرائيل، كاشفة لتحيز أمريكا لباطل إسرائيل ضد الحق العربى، فإنها تصبح بمعزل عن التعبير عن الشارع العربى الذى تمثله.

– إن قتل إسرائيل للأطفال والنساء والشيوخ والشباب الذى يتظاهر من أجل حقوقه فى وطن آمن ودولة مستقلة، إن قتلها لهؤلاء بأحدث الأسلحة الأمريكية وأرقاها تقنية، لا يمكن أن يمر بغير عقاب سياسى واقتصادى إذا عجز العرب عن العقاب العسكرى – وإن انتفاضة الأقصى قادرة على إقناع إسرائيل بما أقنعها به حزب الله فى لبنان، ما يشك فى ذلك إلا غافل، وما يتعلق بهيئة الأمم ومجلس أمنها إلا متخاذل يتعامى عن سيطرة أمريكا راعية إسرائيل على هذه الهيئة الدولية لأن سجل مجلس الأمن حافل بالقرارات التى تدين إسرائيل، والتى جمدتها أمريكا من أجل إسرائيل.

– إن القول بأن العدو الحقيقى للعرب أصحاب الحق فى فلسطين وأصحاب النفط، وأصحاب الأموال المستثمرة فى أمريكا، هو أمريكا نفسها ومن ورائها إسرائيل هو القول الفصل، والأدلة على مصداقية هذا القول هو ما جرى فى حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق، وما جرى ولا يزال يجرى فى حرب الخليج الثانية بعد إغراء العراق بالعدوان على الكويت.

– إن العائق الحقيقى لقيام دولة فلسطينية على أقل من ربع مساحة فلسطين، والعائق الحقيقى لعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم هو أمريكا. لأن إسرائيل وحدها لا تستطيع أن تعوق هذه المطالب الشرعية المتواضعة!!!

– إن قضية لاجئى فلسطين المشردين فى العالم الذين طردوا من ديارهم سوف تحلها أمريكا الحل الذى يرضى إسرائيل وأمريكا – وهو فى تصورى – هو أن توطنهم بعض الدول العربية فى أراضيها عن طريق الضغط على تلك البلاد العربية، فإن أبت غضبت عليها أمريكا

وربما حرمت عليها الطيران فوق أراضيها فضلاً عن سائر الأراضى!!!

وسوف لا تعوض إسرائيل اللاجئين عن ديارهم وأموالهم كما لا تزال ألمانيا تعوض إسرائيل حتى اليوم والغد .

وسوف نقرأ هذا التصور بعد وقت قليل من يومنا هذا!!!!

ونرجو الله تعالى ألا يحدث هذا التوطين فى غير فلسطين نفسها .

– وقضية الخلافات بين الدول العربية :

من الذى غذى هذه الخلافات وحولها إلى صراعات، أليسوا هم المستشارين الأمريكان القابعين حول أصحاب القرارات فى الدول العربية؟

من أصحاب المصلحة الحقيقية فى إثارة هذه الخلافات ما لم يكونوا اليهودوأمريكا والاتحاد الروسى والاتحاد الأوربى؟ إنهم هم المستفيدون من إذكاء هذه الخلافات، وعلى سبيل المثال :

● ما الذى فجرالصراع بين المغرب وجبهة البوليساريو؟ من الذى أنشأ هذه الجبهة؟ وأين كانت هذه الجبهة يوم كانت الصحراء المتنازع عليها تحت سيطرة إسبانيا؟ ولماذا تساعد الجزائر هذه الجبهة ضد المغرب؟

● وما الذى فجر الصراع الداخلى فى الجزائر بعد فوز الجبهة الإسلامية فيها فى الجولة الأولى من الانتخابات؟ ومن وراء هذا الصراع الدموى الذى كلف الجزائر ما لا تطيق؟ومن الذى فجر مشكلة البربر؟ ولماذا لم تظهر هذه المشكلة أيام الاحتلال الفرنسى للجزائر؟

● وما حقيقة الخلاف الحاد الذى نشب بين تونس وليبيا سنة ١٩٨٠ م إلى درجة أن عناصر تونسية تدربت فى ليبيا احتلت مدينة قفصة التونسية وبعض المراكز التونسية الأخرى؟

من الذى أذكى الخلاف بين البلدين حول الجرف القارى الغنى بالنفط؟ ومن صاحب المصلحة فى هذا الخلاف .

● ومن الذى فجر الخلاف بين ليبيا ومصر سنة ١٩٧٣م، حتى إن القذافى سير مظاهرة معادية لمصر تريد أن تقتحم حدود مصر؟

وما السر الحقيقى للخلاف بين ليبيا وتشاد وهما دولتان مسلمتان؟

● ومن أصحاب المصلحة الحقيقية فى إثارة الخلافات على الحدود بين كثير من الدول

العربية؟ من الذى يقبض ثمن هذه الخلافات؟

● ومن الذى فجر حرب الخليج الأولى بين صدام حسين – وليس العراق– والجمهورية الإسلامية الإيرانية؟ ومن الذى جنى أرباح بيع الأسلحة للمتحاربين على مدى ثمانى سنوات؟

● ومن الذى فجر حرب الخليج الثانية حيث احتاج صدام حسين دولة الكويت التى لها حق الجوار وحق العروبة وحق الإسلام؟ ومن الذى لا يزال يقبض ثمن هذه الحرب وتوابعها؟

– إن عدوان العراق على الكويت صاحبته وحشية لجيش صدام وإفراط فى التخريب والسلب والنهب والاغتصاب!!!

– إن العراق بلى بالاستعمار ردحًا طويلاً من الزمان وبنظام حكم ضعيف أيام حرب اليهود سنة ١٩٤٨م جعل قائد جيش العراق فى تلك الحرب يرفض إطلاق طلقة واحدة على اليهود قائلاً: «ماكو أوامر» أى لم تصدر أوامر من قيادته بإطلاق النار على اليهود، ثم رمى العراق بثالثة الأثافى على يد صدام حسين الذى أشعل حربين فى الخليج كلفت العراق مالاً ورجالاً وعتادًا وحصارًا مستمرًا حتى اليوم لأكثر من عشر سنوات أتى على الأطفال والمرضى وعلى كثير من مقدرات العراق، وهكذا الحكام الأشاوس وإلا فلا!!!

●وقضية الدول التى تعلن تطبيق الشريعة الإسلامية، فيصب عليها أعداء الإسلام ورأس حربتهم أمريكا والنظام العالمى الجديد، والعولمة، جام غضبهم، وتغرى الآخرين بالعدوان على كل دولة تعلن تطبيق الشريعة الإسلامية – كما حدث فى الجمهورية الإسلامية فى إيران والجمهورية السودانية،ونيجيريا وغيرها،وأبسط ما تتهم به هذه الدول هو انتهاك حقوق الإنسان واضطهاد الأقليات،ثم تتفاقم العقوبات حتى تحاصر اقتصاديًا ويخطر عليها الطيران!!!

● وقضية الدول التى تحاول الجماعات الإسلامية فيها أن تشارك فى الحياة السياسية من خلال صناديق الاقتراع،فيحال بينها وبين هذا الحق الطبيعى لها، فإن وصلت إلى المجالس النيابية من خلال صناديق الاقتراع كما حدث فى الجزائر أو وصلت إلى الحكومة كما حدث فى تركيا، فإن خط الدفاع الثانى ضد كل ما هو إسلامى هو الجيش الذى يلغى الانتخابات ويقيل رئيس الحكومة ويحرمه من تشكيل حزب سياسى!!!

من وراء هذه الجيوش؟ ومن الذى يغريها بالإسلاميين؟

● وقضية المضطهدين فى بلادهم المحرومين من حقوق المواطنة فضلاً عن حقهم فى التعبير عن مشروعاتهم الإصلاحية،مثل ما هو حادث فى البوسنة والهرسك وكوسوفا وألبانيا والشيشان والفلبين ونيجيريا وغيرها.

من وراء الإصرار على اضطهاد المسلمين فى أوطانهم؟

● وقضية تشويه الإسلام، مبادئه وقيمه واتهام المسلمين بالتهم الباطلة كالرجعية والظلامية والتعصب والإرهاب والعنف وغيرها من التهم.

وما لا أستطيع حصره من قضايا تخص العالمين العربى والإسلامى.

● هذه القضايا يجب أن يوظف لها المسلمون الذين ربوا تربية سياسية إسلامية، تستهدف تكوين الإنسان المسلم السياسى، إن هذا أول هدف من أهداف التربية الإسلامية السياسية الأربعة التى سنعرض لها فى هذا الباب الثانى من هذا الكتاب.

الهدف الثانى : تكوين البيت المسلم الذى يشارك سياسيًا

البيت المسلم، أو الأسرة المسلمة نواة المجتمع المسلم وإحدى لبناته التى يتكون منها بناؤه، والأسرة المسلمة هى المحضن الصحيح السليم لأبناء الأسرة لا يغنيهم عنه محضن آخر حكومى كان أو غير حكومى.

● وللبيت فى الإسلام حرمة ومهابة وآداب؛ فلا يجوز لمسلم أن يدخل بيتًا مسكونًا حتى يستأنس ويسلم ويؤذن له بالدخول، لقول الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النور : ٢٧].

● وهذا البيت محضن الأسرة كلها كبارها وصغارها، هو المدرسة الأولى التى يتعلم فيها الأبناء قبل أن تتحرك خطاهم إلى المسجد أو إلى المدارس والمعاهد، يتعلم فيها الأبناء منذ نعومة أظفارهم كل ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم تعلمًا عمليًا إذ يرون الأبوين والكبار يمارسون الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة فى التعامل مع كل من فى البيت ومع الجيران والضيوف متعاونين معهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

● هذا البيت المسلم؛ كيف نكونه؟ وكيف نعلمه؟ وكيف نجعله يعلم الآخرين؟

– إن الخطوة الأولى هى حسن اختيار الطرف الآخر، فكما يجب على الرجل أن يختار ذات الدين؛ فإن على المرأة المسلمة وأوليائها أن يقبلوا من كان على دين وخلق من الرجال، وذاك هو الأساس وإن وجدت خصلة أخرى فلا بأس كالمال والجمال والحسب، وكل ما تقتضيه الكفاءة بين الرجل وزوجه، على أن التهاون فى هذا الأساس وتفضيل غيره عليه فيه مخالفة لحديث شريف : « .. فاظفر بذات الدين.. » وحسب هذه المخالفة نزعًا للبركة والخير من هذا البيت.

– والخطوة التالية : هى العناية بتربية الأبناء منذ ميلادهم حيث يجب على الأبوين أن يحسنا اختيار اسم الابن أو البنت، وأن يحسنا تربيتهما على قيم الإسلام وأخلاقه.

ومن صفات البيت المسلم أن يتلى فيه القرآن وأن تؤدى فيه بعض النوافل، وأن توجد به مكتبة مناسبة تضم بعض كتب تفسير القرآن الكريم وبعض كتب السنة والسيرة النبوية وما يتيسر من الكتب الأخرى النافعة.

ولا بأس من وجود المذياع والتلفاز «والفيديو» إذا أحسن اختيار ما تذيعه أو تبثه فى أهل البيت، وتلك مسئولية الأبوين، فليست هذه الأجهزة محرمة لذاتها ولكن إذا ما بثت ما فيه ضرر وشر، فقد روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... والرجل راع فى أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

– والخطوة الثالثة: هى استقراء السنة والسيرة النبوية لأخذ القدوة من المعصوم ﷺ ففى هدى رسول الله ﷺ ما يعلم المسلم كيف يأكل وكيف يشرب وكيف ينام، وكيف يجلس وكيف يمشى، وبماذا يتكلم ومتى يكون الصمت أفضل؟ وكيف يعامل أهل بيته وجيرانه؟

إن فى السنة النبوية والسيرة الشريفة ما يرسم الحدود والأبعاد والحلال والحرام لكل ما له صلة بحياة المسلم،وما يضيع المسلمون ويضعفون إلا بإهمال سنة رسول الله ﷺ وسيرته.

● هذا البيت المسلم الذى أحسن تكوينه وتربية من فيه يتعاون مع المدرسة ومع النادى ومع الشارع ومع المجتمع كله فى تربية الإنسان المسلم صاحب الدين والخلق والاستقامة.

● والتربية الإسلامية فى البيت المسلم تحاول ما استطاعت أن تكفل لكل من فى البيت تربية روحية وخلقية وعقلية ودينية وسياسية واجتماعية واقتصادية وبدنية وجهادية وجمالية،لأن تلك هى مفردات التربية الإسلامية، حتى يخرج من ربى هذه التربية فى البيت المسلم قادرًا على ممارسة الحياة الإنسانية من جميع جوانبها، متمسكًا فى كل ذلك بخلق الإسلام وأدبه.

● على أن الجانب السياسى فى تربية البيت المسلم لمن فيه ليس أقل أهمية إن لم يكن أكثر من أى جانب آخر من جوانب التربية الإسلامية، كما سنوضح ذلك بإذن الله تعالى.

١ - مفهوم البيت المسلم سياسيًا :

البيت المسلم لابد أن يكون له وعى سياسى بكل ما يحيط به من ظروف وقضايا، فيتعلم ذلك كل من يعيش فى هذا البيت من خلال ما يرى بعينيه من أعمال وسلوك، ومما يسمع فيه من كلمات وتعليقات ومواقف.

فالأسرة - بما يسودها - من قيم، هى التى تولد عند الأبناء انتماءهم إلى الأسرة المباشرة والأسرة الممتدة وأسرة الوطن العربى وأسرة الوطن الإسلامى، والأسرة هى التى تربى أبناءها على الولاء لكل أنواع الأسر التى ذكرنا.

وهذا الانتماء والولاء هو الذى يكون الوعى السياسى وتنضجه وتطوره،وتعزز انتماءه وولاءه لدينه الإسلامى.

● ومن وظائف الأسرة التى يجب أن تؤديها نحو أفرادها أى نحو المجتمع كله ما نشير إلى بعضه فيما يلى :

- تكوين مفهوم صحيح للسلطة الأسرية.
- وتحرير مفهوم دقيق للطاعة فى مجال الأسرة وفى مجال المجتمع.
- وتفسير مفهوم الحرية أو الحريات.
- وتربية الناس على احترام الرأى الآخر والحوار.
- وتوضيح مفهوم الولاء والإخلاص.
- ووضع الأطر الصحيحة لمعنى الالتزام.
- وتحرير التعامل مع الحكام من المغالطات والمبالغات.

● والأسرة مطالبة بشكل مباشر بأن تكوِّن الرؤية السياسية والوعى السياسى بكل المواقف والأحداث التى تحيط بالمجتمع، وقد يعترض بعض الناس على ذلك بأنه إملاء من الكبار وتفضيل لوجهة نظرهم على من سواهم من الشباب، وفى هذا كما يقولون : عوائق للتغيير والتطوير، ولكنه اعتراض غير قوى وربما كان غير صحيح؛ لأن أسباب التغيير إذا توافرت فلن يعوقها أو يقف فى طريقها إرث ولا رؤية سياسية مسبقة.

● ومن الوعى السياسى الذى يجب أن تغرزه الأسرة فى أبنائها،أنها تعلمهم نوع الأعمال وحسن توزيعها على القائمين بها من أعضاء الأسرة، فيعرفون بدقة نوع عمل الأب ويفرقون بينه وبين عمل الأم، ونوع عمل الكبار وعمل الصغار،وتلك هى التنشئة السياسية الصحيحة التى يراها الإسلام، بحيث يقر فى أذهانهم ألا أحد فى الأسرة بغير عمل إلا أن يكون غير قادر عليه.

- الأسرة المسلمة يجب أن تربى أفرادها تربية سياسية، مهماكان مستوى الأبوين من العلم والثقافة، ومهما كان فقههما للسياسة بسيطا أو محدودًا، لأنهما مسئولان عن تربية أبنائهما،وسريعًا ما يشب الصغار ويذهبون إلى المسجد فيجدون فيه عونًا على هذه التربية السياسية، وسريعًا ما يذهبون إلى المدرسة فتؤدى نحوهم واجبًا بوصفها مدرسة إسلامية.

- إن الأبوين مهما تكن درجة تعليمهما وثقافتهما فلابد أن لهما رؤية فى السياسة، ولهما إلمام بالقضايا السياسية المطروحة أمامهما على مستوى الوطن المحلى أو الوطن العربى أو الوطن الإسلامى وكل ما عليهما أن يبصرا أبناءهما بهذه القضايا على قدر ما يستطيعان، وما وراء ذلك ففى المسجد والمدرسة.

- وعلى سبيل المثال:

فإن أسرة بأكملها - بالنسبة للوعى السياسى والمشاركة السياسية - تؤمن بجدوى المشاركة السياسية فى الانتخابات؛ فتشارك، وأخرى تسمع أن الانتخابات تزور وينجح فيها مرشح الحزب الحاكم بأى وسيلة من وسائل النجاح غير المشروعة؛ فتمتنع عن المشاركة حتى لو تعرضت لغرامة مالية!!!

الأسرة المشاركة إيجابية تحترم حقها فى التعبير عن رأيها واختيار من تراه أصلح، والأسرة الأخرى سلبية تتنازل عن حقها فى التعبير عن رأيها وتتيح فرصة أكبر للعبث بنتائج الانتخابات... وهكذا، فإن الأسرة هى التى وجهت أفرادها إلى أحد هذين المسلكين بشكل مباشر أو غير مباشر.

- والأسرة هى التى ترسِّب فى نفوس أفرادها وعقولهم ثقتهم فى القيم السائدة فى المجتمع، أو تصرفهم عنها ازدراءً لها وإعراضا عنها، وهذا مفهوم سياسى عميق لا تستطيع عشرات المحاضرات والكتب والنصائح أن تصل إليه بمثل ما تصل إليه الأسرة بسهولة ويسر.

- والأسرة التى تسمع وترى الشعارات التى تطلقها بعض الحكومات وتجرعها الناس فى

كل وسائل الإعلام وفى المدرسة والمسجد والنوادى الاجتماعية والرياضية من مثل:

- «مجتمع الرفاهية والعدل» على حين تخيم البطالة والفقر على نسبة عالية من الناس!!!

- «وارفع رأسك يا أخى فقد مضى زمن الاستبداد» «وزوار الفجر ومنتصف الليل يقتحمون البيوت على أهلها ويقبضون على أحد أفراد الأسرة بعد أن يوسعوه ضربًا وإهانة له ولأهله بمرأى ومسمع من أطفال الأسرة، بل يقبضون على النساء ويفحشون لهم القول والعمل أمام المحارم!!!

- «والرجل المناسب فى المكان المناسب» على حين يختار أهل الثقة أو النفاق دون أهل الخبرة والدراية!!!

- «وتكافؤ الفرص» بينما تبعثر أموال الدولة على المنافقين والأذناب!!! ويحرم المستحقون من أى فرصة حتى لو كانت غير متكافئة!!! وغيرها من الشعارات الكاذبة المضللة.

هذه الأسرة إن كانت قد ربت أبناءها على الوعى السياسى والمصداقية بين ما تقوله الحكومات وما تفعله، فإن أفرادها يستطيعون التمييز بين الحق والباطل، وبين مجرد الشعارات والأعمال الجيدة التى تستهدف صالح الناس.

- والأسرة - فى بعض الأحيان كالحكومة فى التناقضات بين القول والعمل - فهناك أسر تطلق شعارات العدالة بينما تفضل الولد على البنت، أو لا تسوى بين الأبناء جميعًا فى الحقوق والواجبات، هذه الأسرة بعيدة عن القيم الإسلامية وعن الأسلوب الإسلامى فى تربية الأبناء، وهى بذلك بعيدة عن أن يحترم أبناؤها ما تقول وما تعمل، وإذا شب الابن على عدم احترام شعارات أسرته فهيهات أن يحترم الشعارات التى يسمعها فى وطنه حتى لو كانت صحيحة، لأن تلك هى أولى نتائج التربية.

- والأسرة المسلمة التى تربى أبناءها على الوعى السياسى تحفظ لأبنائها توازنهم أمام المواقف والأحداث، وتغرس فى نفوسهم الحب والثقة والإيجابية بالمشاركة فى كل عمل سياسى.

وما لم تفعل الأسرة ذلك ضاعت حقوقها وحقوق أبنائها وأعطت الفرص لكل حاكم

مستبد أن يزداد استبدادًا، لأن أحدًا لا يحاسبه ولا يراجعه،ولا يحب أن يشارك فى أى عمل سياسى!!!

● إن التربية السياسية فى البيت المسلم تحدث برضا الأسرة أو بغير رضاها،وإن التوجيهات والتوجهات السياسية فى الأسرة تنبع من داخلها بالضرورة الاجتماعية، وتتبع ما يسود هذه الأسرة من قيم وأخلاق.

ولو قصرت إحدى الأسر فى واجبها ذاك، فقد أساءت إلى نفسها وإلى أبنائها وإلى الوطن الذى تعيش فيه،ومع ذلك التقصير فإنه لابد أن يتولد لدى أفراد الأسرة قبول أو رفض للقيم والمبادئ، ومع القبول يكون التجاوب والمشاركة،ومع الرفض تكون السلبية والانعزال عن قضايا المجتمع.

● وبعد:

فهذا هو مفهوم البيت المسلم سياسيًا، وهو مفهوم صحيح لا يجوز الاستهانة به، أما أولئك الذين يتصورون أن البيت مأوى ومطعم ومشرب، فهؤلاء يخلطون بين الحق والباطل، ويهبطون بمستوى الأسرة إلى حضيض يكتفى فيه بتأمين الماديات، غافلين عن الوظيفة الأساسية للبيت!!!

فكيف يشارك البيت المسلم الواعى سياسيًا فى قضايا المجتمع الذى يعيش فيه؟

ذلك ما نرجو أن نوضحه فى النقطة التالية والله المستعان.

٢- مشاركة البيت المسلم فى قضايا المجتمع :

البيت المسلم - كما أوضحنا ذلك آنفًا - مسئول عن تكوين الوعى السياسى لدى أفراده، لأن هذا الوعى السياسى إنما ينشأ فى الأسرة ويتغذى وينمو على ما تقدمه الأسرة له من زاد.

ويقتضينا ذلك أن نسأل عن الوعى عمومًا وعن الوعى السياسى على وجه الخصوص.

● فالوعى عمومًا هو : الحفظ، والتقدير، والفهم، وسلامة الإدراك، تقول :

- وعيت الحديث الشريف : أى حفظته.

- ووعيت الأمر : أى قدرته تقديرًا دقيقًا.

- ووعيت القضية : أى فهمت أبعادها وأدركت مراميها.

وعلماء النفس يقولون :

- الوعى هو : الشعور بما فى النفس، وبما يحيط بالإنسان.

● وهذا الوعى بكل معنى من معانيه تسهم الأسرة فى تكوينه لدى الأفراد الذين يعيشون فى كنفها وتغذيته وتنميته.

● أما الوعى السياسى فهو : معلومات ومعارف يكتسبها الفرد ويستطيع بها أن يكوّن رأيًا عن السلطة السياسية على كل مستوياتها، كما يستطيع بهذا الوعى أن ينتقد من أعمالها ما لا يتلاءم مع تصوره لحقوقه وواجباته فى وطنه المحلى أو العربى أو الإسلامى، متأثرًا فى هذا النقد بالقيم الإسلامية التى يدين بها فى حياته.

- ويدخل فى الوعى السياسى : قدرة الإنسان على معرفة نفسه ومجتمعه والعلاقات الإنسانية التى يجب أن تسود هذا المجتمع.

كما يدخل فيه معرفة الواقع الاجتماعى والسياسى للمجتمع الذى يعيش فيه، وقدرته على التحليل المنطقى لهذا الواقع، وقدرته على تصور ما ينبغى أن يحدث فيه من تغييرات.

● ولابد لنا من تحليل الوعى السياسى إلى عناصره الأساسية من وجهة النظر التربوية الإسلامية السياسية، ومن أجل ذلك نقول :

إن عناصر الوعى السياسى الإسلامى وعناصره هى :

– القدرة على الرؤية الصحيحة للناس وقضايا المجتمع من وجهة نظر إسلامية .

– والقدرة على معرفة ما هو ملائم للبيئة المحيطة بالإنسان وما هو غير ملائم لها، للتفكير والعمل على تغيير غير الملائم، وفق منهج وأسلوب إسلامى .

– **والإيجابية والفاعلية** فى التعامل مع الناس والأحداث،مما يدعم مسئولية المسلم عن المجتمع الذى يعيش فيه، من حيث ممارسته لحقوقه وأداؤه لواجباته،مما يهيئه للتغييرعند الاقتضاء .

– ومعرفته بالوسائل التى تمكنه من التعاون مع غيره على البر والتقوى،لإحداث هذا التغيير فى الزمان والمكان الملائمين له .

– واعتقاده بأن إسهامه فى إحداث التغيير واجب عليه شرعا ما دام قادراً عليه ومنحصراً فيه، وليس مجرد نافلة أو من باب التفضل بحيث يؤديه أو لا يؤديه .

– وممارسته للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإطار الشرعى للأمر والنهى، وللجهاد بجهده وماله ونفسه فى سبيل الله عند وجود الأسباب الموجبة لهذا الجهاد .

– وأن يكون عمله كله خالصًا لله تعالى، لا تشوبه شائبة هوى أو مصلحة شخصية مقدمة على المصلحة العامة للمسلمين .

● وإذا كانت هذه هى عناصر الوعى السياسى، فكيف تكون المشاركة فيه؟

يقتضى هذا أن نتحدث عن ثلاث نقاط هى : تحديد القضايا التى يجب أن يشارك فيها البيت المسلم،وتوضيح كيفية المشاركة وحصر أهم القضايا التى يجب أن تتم فيها المشاركة .

أولاً : تحديد القضايا التى يجب أن يشارك فيها البيت المسلم !

وهى القضايا الاجتماعية والقضايا السياسية والقضايا الاقتصادية بشكل عام لأن ذلك يمثل أولوية وأهمية .

أما سائر القضايا الفرعية كقضية الفن والرياضة ونحوهما فهى متفرعة من القضايا الاجتماعية ولها أهمية فى مجال الأسرة ولكنها تأتى فى المرتبة الثانية إذا قورنت بالقضايا الثلاث الرئيسية .

ثانيًا : كيف تشارك الأسرة المسلمة فى هذه القضايا ؟

– هذه الكيفية تقتضى استيعاب القضايا أولاً؛لمعرفة أهدافها ومراميها، ومدى تأثيرها فى الناس.

– وهذه الكيفية تقتضى ثانيًا؛ المشاركة الإيجابية فى تأييد هذه القضايا أو معارضتها بموضوعية شديدة، وفى بعد عن الانفعال بإصدار الأحكام المتسرعة؛ أى الالتزام بقيم الإسلام وأخلاقه فى طرح القضية والحكم لها أو عليها دون تهويل أو تهوين.

– وهذه الكيفية يجب أن تكون متضمنة مقترحات وبدائل لكل ما يرغب فى تغييره، لا مجرد الاعتراض دون تقديم البديل.

– وأن يكون هدف مشاركة البيت المسلم فى هذه القضايا هو إظهار الحق وإحقاقه، واستهداف الصالح العام للمجتمع المحلى أو العربى أو الإسلامى، بغض النظر عن العلاقات التى تربط أفراد هذا البيت المسلم بالسلطة السياسية التى تطرح هذه القضايا أو تحاول علاجها من وجهة نظر غير إسلامية.

– وهذه الكيفية تعنى قبول الحق إذا ظهر والإذعان له حتى لو كان مع الخصوم، لأن الحق أحق أن يتبع،وليس على حق ذلك الذى يظهر له الحق ثم لا يذعن له ويتبناه ويدعو له ويصبر على لأواء الدعوة إليه والتواصى به؛ ومعنى ذلك رفض مقولة بعض الغافلين من المعارضة السياسية : « المعارضة من أجل المعارضة » لأن الصحيح الذى يقره الإسلام هو : المعارضة من أجل الصالح العام وسد أبواب الشر عن الناس.

– وكيفية المشاركة تعنى أن كل فرد من أفراد الأسرة يجب أن تكون له مشاركة فى مناقشة هذه القضايا على المستوى الذى يحتك به ويعيش فيه، مناقشة تستهدف إظهار الحق والدعوة إلى الالتزام به والتواصى بالاستمرار فيه.

ثالثًا : حصر أهم القضايا التى تجب فيها المشاركة :

أهم القضايا التى يجب أن تشارك فيها الأسرة المسلمة ذات الوعى السياسى هى :

الأولى : القضايا الاجتماعية :

وأبرز هذه القضايا بالنسبة للأسرة المسلمة هى القضايا المثارة عالميًا بالنسبة للمرأة المسلمة؛حيث يحرص الغرب على إثارتها والمغالطة فيها طمعًا فى هدم القيم الإسلامية والنظم الإسلامية التى تحمى المرأة وتصونها وتحافظ على حقوقها.

وليست الصهيونية ولا الصليبية الحديثة ولا العولمة بمنفكة عن محاولاتها فى ضرب الإسلام؛ قيمه ونظمه فى أى مقتل يتاح لها، وليس أمامهم مقتل أخطر من المرأة لأنها نصف المجتمع المسلم ولأنها ركيزة البيت المسلم.

ومن أجل ذلك يعقد أعداء الإسلام مؤتمرات عديدة من أجل المرأة، وينظمون الدراسات والندوات بل ينشئون الجمعيات التى تناصر المرأة فى الظاهر، وتهدم قيم الإسلام ونظمه فى الواقع، وبين يدى توصيات مؤتمر «بكين» الذى عقد فى عام ١٩٩٥م، وأحاول أن استعرض بعض هذه التوصيات ليتدبر الراغبون فى معرفة الحقيقة:

– إلغاء ولاية الأب على ابنته بحيث يحق لها أن تتزوج دون موافقته ما دامت قد بلغت من العمر واحداً وعشرين عامًا وهذا إبطال لعدد من الأحاديث النبوية التى تعلن أن نكاح المرأة بغير إذن وليها باطل باطل باطل، فقد روى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت:قال رسول الله : «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل – ثلاث مرات – فإن دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها، فإن تشاجروا فالسلطان ولى من لا ولى له» ورواه الترمذى وابن ماجة والدارمى وأحمد بن حنبل.

– وإلغاء قوامة الزوج على زوجته، وجعل القوامة على الأسرة قسمة بين الرجل والمرأة، وفى هذا مخالفة صريحة لقول الله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...**﴾ [النساء: ٣٤].

– إلغاء نظام الميراث بحيث ترث المرأة مثل نصيب الرجل، وهو مخالف لقوله تبارك وتعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ...**﴾ [النساء: ١١].

– وإعطاء المرأة الحق فى أن تكون أما بغير زواج شرعى، وذلك يبيح الزنا وهو من أكبر الكبائر وقد حرمه الله تعالى فى كل كتاب جاء من عنده تعالى، وفى القرآن الكريم: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ٣٢].

– وإعطاء المرأة الحرية الجنسية دون قيود، وذلك من الزنى المحرم فى كل كتاب.

– وإباحة تعدد العلاقات الجنسية، وهى زنى أيضاً.

– وإلغاء تعدد الزوجات، وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾ [النساء: ٣].

وغير ذلك من التوصيات التى تستهدف إعطاء المرأة الحرية فى أن ترتكب جريمة الزنى، وإلغاء نظام الإسلام وقيمه وأخلاقه.

● الأسرة المسلمة تشارك فى هذه القضايا وأمثالها من كل ما يتصل بعقيدتها وعبادتها ومنهج شريعتها، وكل أفراد الأسرة مطالبون بطرح هذه القضايا من وجهة نظر الإسلام وتوضيح أهدافها الخبيثة المعادية للإسلام والمسلمين، تعبيرًا عما لديهم من وعى سياسى بهذه القضايا وغيرها مما يتصل بالنواحى الاجتماعية فى المجتمع المسلم، فهى جميعًا تهدد الإسلام والمسلمين وتحاول القضاء على قيمهم وأخلاقهم.

ومما يتصل بالنواحى الاجتماعية قضية الأخلاق، حيث يحاول أعداء الإسلام إبعاد المسلم عن قيمه الأخلاقية التى جاء بها الإسلام فيشجعون المسلمين على التخلى عن الفضائل كالصدق والعدل والعفة والأمانة وعدم استغلال حاجات الناس، وييسرون لهم من خلال وسائل الإعلام الاتصاف بصفات يعتبرها الإسلام راذلة حرم الله على المسلمين الاتصاف بها، والقصص والروايات وأفلام السينما والمسرحيات والتمثيليات التى تجمع الناس وتستهويهم تسرب إلى عقولهم ونفوسهم هذه الرذائل فيمارسونها متجاهلين أن الله تعالى قد حرمها وجرمها وأوعد بعقاب من ارتكبها.

– إنها محاولة لإقصاء أخلاق الإسلام عن المسلمين، تتعاون عليها الصهيونية والصليبية الحديثة والغرب وروسيا وأمريكا، لأنهم يعتبرون الإسلام عدوًا تقليديا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، إنهم يحلون ثقافتهم ولغاتهم محل ثقافة المسلمين ولغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، من خلال نظم التعليم ومقرراته وأجهزة الإعلام ومؤسساته، وشبكات المعلومات والقنوات الفضائية.

– والأسرة المسلمة الواعية سياسيًا مطالبة بأن تشارك فى صد هذه التيارات وإظهار ما تحتويه من عداء للإسلام والمسلمين، وهى مشاركة يوجبها الإسلام.

والثانية: القضايا السياسية:

وأبرز هذه القضايا هى قضية تفتيت العالم الإسلامى وتجزئته وتحويله إلى أمم بعد أن كان أمة واحدة، وإلى أوطان ذوات حدود سياسية بعد أن كان وطنا واحدًا.

وقد نجح أعداء الإسلام والمسلمين فى ذلك – بعد تخطيط وتدبير وتآمر – من يوم أن اتحدوا من غرب وشرق على إسقاط دولة الخلافة الإسلامية فى تركيا على اعتبار أنها رمز لوحدة المسلمين على الرغم مما كان فى بعض حكامها من تجاوزات للإسلام أخلاقه وآدابه، ليحلوا محلها نظامًا لا دينيا– علمانيا – يقوم على رأسه نصف يهودى يدعى مصطفى كمال،عدو الإسلام ليهوديته وحقده واستجابته لأوليائه أعداء الإسلام، فقد حارب الإسلام

قيما ومنهجًا ونظاما ومسجداً ومدرسة ومؤسسات إسلامية عديدة، فكان عدوا متجبراً أطلق أعداء الإسلام يده فى تخريب كل ما هو إسلامى من الأذان إلى إلغاء المدارس والمعاهد الدينية إلى تتبع الجمعيات والجماعات الإسلامية إلى تحويل المساجد إلى مرابض ومخازن إلى إلغاء اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد منّاه الغرب إن قام بذلك التخريب بأن يجعل تركيا جزءاً من أوربا، ثم نكثوا عهدهم معه فى قصة مذلة لا تزال إلى هذا اليوم على الرغم من مرور ما يقرب من قرن من الزمان، حيث ترفض أوربا على الدوام أن تجعل تركيا جزءاً منها!!!

ولا تزال تركيا حتى الآن علمانية تعادى الإسلام والمسلمين وتضطهد من يحفظ قدراً من القرآن فتحرمه من اللحاق ببعض الكليات العسكرية!!!

– على أن حقيقة تركيا لمن أراد أن يعرفها هى أن يبتعد الإنسان عن أنقرة واستانبول ويذهب إلى ريف تركيا ليجد النساء الملتزمات والرجال الحريصين على أداء فريضة الفجر فى المسجد – كما رأيت ذلك بنفسى فى بعض سفراتى إلى ريف تركيا– وإن رغم أنف الحكام والجيش والغرب وإسرائيل!!!

– إن ما حدث فى تركيا كان من أقوى الضربات السياسية التى وجهت إلى العالم الإسلامى فى الربع الأول من القرن العشرين.

– والضربة التى تلت ذلك هى شق العالم العربى وزرع إسرائيل بين نياطه وجوارحه بتحالف قوى العالم على ذلك، لتحول إسرائيل بين العرب والوحدة أو الاتحاد وبين المسلمين والإسلام.

– والذين عاونوا إسرائيل على اغتصاب فلسطين معروفون معترفون لا يخجلون من نصر الباطل على الحق لأنهم معادون للإسلام والمسلمين، بريطانيا العظيمى «النبى» إلى «بلفور» والغرب كله وما كان يسمى الاتحاد السوفيتى وأمريكا وكندا.

– وصراع إسرائيل وحربها من أجل اغتصاب فلسطين والتوسع فى احتلال البلدان العربية المحيطة بها إنما يتم بأسلحة الغرب وبخاصة أمريكا وبخبراء عسكريين، وبضمان أن تظل إسرائيل أقوى من مجموع الدول العربية كما تعهدت وتعاهدت على ذلك أمريكا!!!

– وكلما قامت انتفاضة فلسطينية ضد اليهود أخمدها الغرب وأمريكا بمفاوضات كاذبة ومعاهدات غير مقدسة – كما يقولون حين ينكثون بعهدهم – والحقيقة أن العدو ليس

إسرائيل وحدها وإنما العدو القادر الفاجر هو أمريكا وأعداء الإسلام من شرق وغرب.

– وقد ذابت مع تعنت إسرائيل وأمريكا و« الفيتو » الأمريكى كلمات لها بريق مثل: الشرعية الدولية ، والقانون الدولى، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها، وعدم احتلال أراضى الغير بالقوة، وعدم التعرض للمدنيين أثناء الحرب، وغيرها. ذابت مع أمريكا و« الفيتو » وإسرائيل وتفوقها فى السلاح، ووصم المجتمع الدولى بأكبر وصمة عار فى تاريخه حيث انحاز إلى الباطل ضد الحق، وإلى المجرمين المتوحشين ضد الضحايا الذين تصب عليهم النيران من الطائرات والدبابات والمدافع الثقيلة لأنهم يمسكون بالحجارة!!!

– لقد تبلور موقف إسرائيل وأمريكا ضد ما يسمونه الشرق الأوسط لتدخل فيه إسرائيل، وحقيقته العالم العربى، لقد تبلور موقفهما من الشرق الأوسط فيما صوره أنيس منصور فى جريدة الأهرام[1] بقوله: أما قضية الشرق الأوسط فخلاصتها ألا تقوم لهذا الشرق الأوسط قائمة فى وحدة أو اتحاد، أو حتى ترك الخلاف والاختلاف، وكل ذلك لصالح إسرائيل والغرب.

والناس جميعًا يحسون بذلك ويعلمونه علم اليقين، والكتاب المحترفون للكتابة والصحافة، وأولو العلم منهم يقررون ذلك عيانا بيانا فى أوسع صحف العالم العربى والشرق الأوسط انتشاراً وهى صحيفة الأهرام القاهرية،قال: « لابد أن يتمزق الشرق الأوسط، فلا تكون وحدة قومية فى أى مكان، ولابد أن يتمزق البلد الواحد ديانات وأقليات، ليس هذا رأيى ولا أملى وإنما هو خطة الذين فركشوا الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا، الذين يحرصون على أن لا تكون للأكراد دولة مقتطعة من أربع دول أخرى.

وأن تكون هناك أكثر من « كونغو »،

وأن تكون المغرب، والصحراء،

وأن يتمسك العرب فى المغرب باللغة الفرنسية بديلاً عن اللغة العربية.

وفى الشرق الأوسط أقليات تساعدها أمريكا على أن تأخذ من الأغلبية أكثر مما تأخذ من الفلوس والسلطان، ابتزازاً وخوفًا من الأقلية النشيطة التى تساندها أمريكا والفاتيكان.

وإذا كانت دولة إسرائيل تضم اليهودية والعربية والهندية والحبشية والأوربية؛ فهذه لعبة عبقرية نجح فيها الدين اليهودى والرأسمالية الأمريكية والشيوعية الروسية، حتى أصبحت دولة أعجوبة بين الدول.

(١) جريدة الأهرام العدد: ٤١٤٦٢ الصادر فى ١٠/٣/١٤٢١ هـ - ١٣/٦/٢٠٠٠م.

واستطاعت العبقرية اليهودية أن تجمع هذه الدولة بين دفتى كتاب «التلمود» فعندما انهزم معبد سليمان مرة بعد مرة أقامت حاخامات اليهود معبداً آخر هو التلمود الذى هو أقوى وأعظم وأقدس من التوراة.

واليهود مختلفون فى اللغة والسياسة والدين والدم، ولكنهم متفقون على شيء واحد هو الخوف من العدو، وكل من ليس يهودياً فهو عدو... الخوف جعلهم يتسلحون بالمكر والفلوس والسلطان فى الصحف و«الميكروفون» و«الشاشة» و«البورصة».

كنت أناقش أ.د ميلاد حنا فى أحلامه الوردية – ولا أعرف لماذا – فى أمله فى أن يكون السودان واحداً، مع أننى أرى أن أمريكا والفاتيكان وشركات البترول تدبر كل وسائل الانفصال بين شمال السودان وجنوبه، وفى الوقت نفسه ترى أمريكا والفاتيكان يملآن أفواه زعماء منابع النيل بالفلوس والسلاح.

ويكفى أن تتذكر حادثاً واحداً عندما فكرت إسرائيل فى نقل يهود أثيوبيا، اتفقت مع اثنين هما الرئيس جعفر النميرى وشارون، ودفعت إسرائيل نصف الثمن الآن،والنصف الثانى عندما يرفرف على جنوب السودان علم الانفصال عن شمال السودان والعالم العربى» وهى كلمة دالة وموجهة.

● إن البيت المسلم عليه أن يشارك فى هذه القضايا السياسية مشاركة إيجابية على النحو الذى أشرنا إليه آنفًا،إذ لابدأن يستوعب أبعاد هذه القضايا ويعرف أهدافها، ومدى ضررها بالوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى، لكى يقف منها الموقف الذى يتحداها ويبطلها أو يغير مسارها،وهو قادر على ذلك بأفراده وبعلاقاته بمن حوله من البيوت وبمداخلاته فى تلك القضايا السياسية الساخنة.

والثالثة: القضايا الاقتصادية:

وتلك أكثر أهمية إذ هى التى تحرك القضايا السياسية فى بعض الأحيان، فكل قضية اقتصادية عند التحليل الدقيق هى قضية اجتماعية أو سياسية.

– وكل الناس – لكى يعيشوا حياتهم – فى حاجة إلى أساسيات الحياة من مسكن وعمل ومطعم ومشرب وملبس وأسرة وأبناء تكفل لهم حياة إنسانية كريمة، وتلك الحاجات العديدة هى حاجات اقتصادية أساسية.

– وكلما ارتقى الإنسان فى حياته وتمدن وتحضر زادت حاجاته عن حياة غيره الذى

يسكن القرى والأرياف، والدول مثل الأفراد فى هذه الحاجات، فكلما تقدمت الدولة فى مضمار التمدن زادت حاجاتها الأساسية وربما تعقدت وتشابكت ودافع بعضها بعضًا وألغى بعضها بعضًا.

– والدول ذات الاحتياجات الاقتصادية المضاعفة، تضع سياستها لكى تحقق هذه الحاجات سلما حينا وحربا أحيانًا، وسوء استغلال للبلدان الأضعف منها ماديًا فى كثير من الأحيان – كما حدث ذلك من الدول الغربية التى اعتدت على كثير من بلدان العالم الثالث واحتلتها باسم استعمارها أو الوصاية عليها ونحو ذلك من الألفاظ المغالطة، ولعل ذلك هو السبب فى طمع الغرب دائمًا فى بلاد الشام ومصر تلك البلاد التى تفيض عسلا ولبنا،فكان الإصرار على احتلال تلك البلاد والاستيلاء على خيراتها، وتفريغها من طاقاتها البشرية والمادية والمعنوية.

–ولقد توغلت دول الغرب المستعمرة أو الطامعة فى دول آسيا وإفريقيا، فاستولت بريطانيا على شبه القارة الهندية، وعلى كثير من دول آسيا وسال لعاب طمعها فى إفريقيا حتى وصلت إلى جنوب افريقيا وقهرت أهلها وجعلتهم أغرابًا فى بلادهم، وكذلك فعلت فرنسا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا والبرتغال وإسبانيا وغيرها – فى قصة يطول شرحها، وما يحرك هذه المطامع التى أدت إلى مجازر، إلا الرغبة فى تحقيق الحاجات الاقتصادية.

– وهذه الدول الغربية المعتدية لم تكن تتورع عن ارتكاب أى جريمة من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية حتى لو كانت استرقاق الناس بصيدهم كالحيوانات ثم سوقهم إلى أمريكا أو غيرها من بلدان الغرب ليكونوا عبيدًا وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ولكن الغرب وضع أطواق العبودية فى أعناقهم.

وقد تميزت أمريكا عن سائر دول أوربا بأن المهاجرين إليها من أوربا أخلاط وأوشاب ومغامرون دفعتهم الحاجة إلى خوض الغمار وجوب البحار، حتى وصلوا إلى أمريكا فقهروا سكانها الأصليين وأقاموا حكمهم على أشلاء هؤلاء الهنود الحمر ودمائهم وحرياتهم. ولا يستحون أن يظهروا ذلك من خلال أفلامهم السينمائية فى بجاحة ووقاحة لا يعرفها التاريخ إلا من اليهود عندما يقدرون أو ينتصرون، ولا عجب فى ذلك فكثير من الأمريكان يهود شذوا من دول أوربا وهربوا من الفقر إلى الغنى والمال.

– وما عرف العالم حربًا بين دولتين إلا أن يكون أحد أسبابها اقتصاديا ولا تزال الحروب

حتى اليوم تحركها مطامع اقتصادية، حتى ما كان من الحربين العالميتين فى النصف الأول من القرن العشرين لم تخل إحداهما من أسباب اقتصادية.

- ومع ظهور أفكار جديدة فى الربع الأخير من القرن العشرين مثل:

الاتحاد الأوربى،

والنظام العالمى الجديد،

والعولمة.

فلابد أن يكون المحرك لهذه الأفكار السياسية عوامل اقتصادية. إن الوجه الاقتصادى للعولمة يبدو كالحًا قبيحًا تحاول به أمريكا أن تلتهم العالم كله، وبخاصة العالم النامى أو الثالث أو الفقير، إن قبح العولمة وبشاعتها يتمثل فى أن يزيد العالم الغنى أو الشمالى أو الصناعى غنى ليزداد العالم النامى أو الجنوبى أو الفقير فقراً.

- وليقل فى العولمة من شاء أن يقول ما شاء عن توجهاتها السياسية والاجتماعية والعلمانية التى تحاول أن تخلع الناس من أديانهم وقومياتهم وثقافاتهم ولغاتهم وعاداتهم، ليقولوا ما شاءوا دون حرج ما دام ذلك التوجه يصب فى صالح أمريكا وإسرائيل أولاً، فإن كان هناك فائض اقتصادى فليصب فى صالح الاتحاد الأوربى أو الاتحاد الروسى أو الصربى أو غيره.

- ويدخل فى الأسباب الاقتصادية احتياجات دول الشمال إلى النفط بوصفه أساسيًا فى توليد الطاقة وفى الصناعة عمومًا، ومن أجل ذلك فإن الدول الكبرى تفرض هيمنتها على إنتاج النفط فى العالم كله، ومن المعروف أن أكثر من نصف نفط العالم تنتجه بلدان إسلامية، لذلك كانت كثير من بلدان العالم الإسلامى واقعة تحت هيمنة تلك الدول الكبرى وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية أكبر وأشره مستهلك للنفط فى العالم!!

● هذه إحدى القضايا الاقتصادية المتصلة بالنفط، وغيرها كثير مما يتصل بصناعة السلاح، وبالصناعة عمومًا، وبالتجارة والزراعة والإعلام الذى أصبح سلعة رائجة تصدر من الدول الكبرى لتستهلكها الدول النامية فتقضى على أديانها وأخلاقها ومعنوياتها وتراثها..

إن العالم المتوحش عالم الشمال وصناعة السلاح يحتاج دائمًا إلى أسواق ومستهلكين وأولى الناس بأن يكون سوقًا استهلاكية هم العالم النامى وفى مقدمته العالم الإسلامى.

– وإن الأسرة المسلمة لابد أن توجه أفرادها إلى وعى سياسى بهذه القضايا الاقتصادية، لأن هذه الأسر المسلمة تستطيع أن تصد هذه التيارات بعمل يسير جدًا هذا أن تمتنع عن التعامل مع سلع الأعداء، إنها ضربة لا تستهين بها حتى أكبر هذه الدول المتوحشة وهى أمريكا ولا أخبث هذه الدول المتوحشة وهى إسرائيل، ولا دول الاتحاد الأوربى أو الاتحاد الروسى.

– إن الأسرة المسلمة تستطيع أن تفعل ما لا يمكن التقليل من شأنه، وها أنا قد بلغت، فاللهم فاشهد.

٣- توظيف البيت المسلم سياسيًا

البيت المسلم وحدة المجتمع من جانب، ومحضن الإسلام وأخلاقه من جانب آخر، ومنطلق العمل السياسى من جانب ثالث.

وكل جانب من هذه الجوانب له وظيفة إسلامية سياسية يجب عليه أن يؤديها على وجهها.

● أما أن البيت أو الأسرة وحدة المجتمع ونواته فلا يختلف على ذلك أحد، ومعنى ذلك أن البيت يجب أن يوظف لأداء ما على المجتمع أن يؤديه لأن ذلك من صميم السياسة ومن مقتضيات الوعى السياسى.

- فإذا كان المجتمع مطالبًا بأن يضع سياسة من شأنها رعاية اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل والمتعطلين، من أجل أن يكفل لهم عيشًا إنسانيًا كريمًا، فإن البيت المسلم - بوصفه وحدة المجتمع ونواته - عليه أن يوظف طاقات أفراده للمعاونة فى تحقيق سياسة المجتمع فى هذا المجال، فإن البداية الحقيقية لتطبيق سياسة الرعاية تبدأ من البيت حين يقوم بما يستطيع من هذه الرعاية مع من يتعامل معهم ويجاورونه من أصحاب هذه الحاجات، فإن فعل البيت المسلم ذلك فقد نجحت سياسة المجتمع فى سد حاجات أصحاب الحاجة،وإن قعد عن ذلك فقد تسبب فى أن يعجز المجتمع عن تطبيق سياسته وعن القيام بواجباته.

- ولندع واجب الحكومة جانبًا، لأن واجبها كائنا ما كان لا يغنى عن واجب المجتمع،كما لا يغنى واجب المجتمع عن واجب البيوت، والأصل أن يتعاون البيت والمجتمع والحكومة على سد حاجة أصحاب الحاجات كل فيما يستطيع.

● وأما أن البيت المسلم محضن القيم والأخلاق الإسلامية فإن أحداً من المسلمين لا يمارى فى ذلك ولا يقلل من شأنه؛ إذ الأصل فى البيت المسلم أن يغرس القيم الفاضلة فى أفراده وفيمن يحيطون به من أهل وأرحام،وأن يحذر من القيم الراذلة ويحاصرها ويحاصر المتصفين بها فى أضيق نطاق، حتى يخلون المجتمع منها أو يكاد.

وما تخبو قيمة فاضلة فى المجتمع أو تنتهك إلا والبيت مسئول عن ذلك لإهماله

وتقصيره وبعده عن التمسك بالقيم الإسلامية وانجرافه وراء قيم وافدة غريبة عن الإسلام وأخلاقه...

ومعظم ما نراه اليوم من انحراف الشباب عن القيم الإسلامية أو انجرافهم إلى القيم والأخلاق المخالفة للإسلام، إنما يعود فى كثير من الأحوال إلى البيت قبل أن تتسبب فيه المدرسة أو الشارع أو المجتمع.

– ومن أجل هذا كان تدقيق الإسلام فى اختيار كل من الزوجين للآخر، وكان معيار الدين والخلق هو الأساس الذى تقوم عليه عملية الاختيار، ومن أجل ذلك كانت تربية الأبناء على قيم الإسلام ورعايتهم عملاً يؤجر عليه الأبوان أحسن الأجر وأوفاه.

● وأما أن البيت المسلم منطلق العمل السياسى فذلك نتيجة لأنه وحدة المجتمع والقادر على توجيه أفراد البيت منذ نعومة أظفارهم،ونتيجة لأنه محضن القيم الخلقية الفاضلة.

– وليس العمل السياسى عند تحليله وتفسيره سوى دعم وتأييد لكل ما يحقق صالح المجتمع فى معاشه ومعاده، وليس أكثر من تبنى القضايا الاجتماعية والسياسية وتأييدها والدعوة إلى وجهة النظر الإسلامية فيها، أو معارضة القضايا المضادة للإسلام ونفيها عن الساحة الاجتماعية والسياسية.

– يفعل البيت المسلم ذلك على أنه جزء من واجبه الدينى نحو أبنائه وأقربائه وأرحامه،صغاراً وكباراً، لا ينفك عن ذلك بوصفه بيتًا مسلمًا.

– إن قضايا سياسية فادحة الأثر ضد الإسلام وقيمه، يثيرها أعداء الإسلام كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ويجندون لها من وسائل الإعلام العالمية وأجهزته ما يضمنون به الوصول إلى الإقناع بهذه القضايا على الرغم مما فيها من مخالفة لمنهج الإسلام وقيمه وأخلاقه، وما فيها من المغالطات.

– ومن هذه القضايا:

● العلمانية أو الاستغناء عن الدين ونفيه عن الحياة.

● وتهوين شأن الإسلام بين الأديان بالافتراء عليه.

● والنظام العالمى الجديد والعولمة.

– وليس كالبيت المسلم من يحصّن أبناءه ضده القضايا أو الأوبئة التى تحاول أن تعصف بالمسلمين والإسلام.

أولاً : قضية العلمانية أو الاستغناء عن الدين ونفيه عن الحياة

لهذه العلمانية مفاهيم عديدة لدى علماء الاجتماع وعلماء السياسة وعلماء النظرة الإنسانية(١) وهؤلاء جميعًا يحاولون تجميل العلمانية وإخفاء عيوبها.

غير أن المفهوم الصحيح الدقيق للعلمانية يوضحه العلماء المنصفون الموضوعيون الذين لا يعرفون المجاملة على حساب الحق.

أما المجملون للعلمانية فيقولون:

● فى مجال العلوم الاجتماعية:

يقولون فى تعريفها، إنها ذات دلالتين سياسية وتعليمية:

- فالدلالة السياسية يقصد بها فصل السلطة الروحية عن السلطة السياسية، وعدم تدخل الهيئات الدينية فى شئون الحكم والسياسة.

- والدلالة التعليمية يقصد بها قبول المدارس لجميع الأطفال على مختلف عقائدهم،والامتناع عن أى ضغط أو دعاية لتفضيل عقيدة على أخرى(٢).

● وفى مجال العلوم السياسية:

يقولون: العلمانية مفهوم سياسى اجتماعى نشأ إبان عصور التنوير والنهضة فى أوربا لمعارضة سيطرة الكنيسة على الدولة وهيمنتها على المجتمع بتنظيمه على أساس الانتماءات الدينية والطائفية،مع أن الدين عندهم لا يعدو أن ينظم العلاقة بين البشر وربهم، فلابد أن يكون بمعزل عن الحياة الاجتماعية والسياسية للناس.

ويقولون بوجوب إخضاع المؤسسات والحياة السياسية كلها لإرادة البشر، ويبقى للدين الممارسة الشخصية فقط.

وعلى الرغم من ذلك كله فهم يزعمون أن العلمانية لا تنفى الدين ولا تنادى بالإلحاد!!!(٣).

---

(1) HUMAISM

(٢) الواقع يكذب ذلك فى فرنسا وبعض دول أوربا.

(٣) الواقع يكذب ذلك لأن العلمانية هى نفى الدين وإقصاؤه.

● وفى مجال علوم الإنسان :

يقولون :

إن العلمانية تقوم على أسس أهمها :

– تمجيد الإنسان، واعتباره محور الكون، إذ هو حر الإرادة سيد نفسه. (أى لا سلطان للدين ولا للخالق عليه).

– واتخاذ العقلانية وسيلة للتنظيم الاجتماعى،ولتسخير كافة الإمكانات لتحقيق حاجات الإنسان وسعادته،(ومعنى ذلك نفى التوجهات الروحية عن حياته).

– والمناداة بالديموقراطية بوصفها أساسًا للعلاقات التى يجب أن تكون بين الفرد والدولة (أى نفى سيطرة الكنيسة على الدولة)[1].

وقد واكب هذا نشوء الدولة القومية من أجل إطفاء نيران الانقسامات الطائفية والعشائرية والعرقية، وإذابتها فى إطار الانتماء المشترك المباشر للوطن.

وأما الحياديون الذين يلتزمون الحق والموضوعية؛فيقولون عن العلمانية غير تلك المقولات المجملة للعلمانية،حيث يقولون :

–كلمة العلمانية فى صورتها العربية كلمة مزيفة أريد منها ترويج العلمانية بإيهام أن لها صلة بالعلم، مع أن الأصل الذى أخذت عنه الكلمة لا صلة له بالعلم على الإطلاق.

وبيان ذلك أن « العلمانية » ترجمة –قام بها اللبنانيون المسيحيون فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين – لكلمة: Secul Arism الإنجليزية وهى كلمة لا صلة لها بالعلم إطلاقًا إنما معناها : « إقامة الحياة على غير أساس من الدين » فهذا هو المفهوم الصحيح لها، وأقرب ترجمة لها فى العربية أن يقال : « اللادينية » أو غير الدينية.

– وتاريخ العلمانية تاريخ أوربى بغير شك؛ إذ كانت نشأتها فى ظروف محلية بحتة تخص أوربا دون العالم الإسلامى، لأنها جاءت فى أوربا نتيجة لملابسات تاريخية بدأت منذ دخول المسيحية فى أوربا قسرًا وفرضها بالقوة على يد الامبراطور قسطنطين عام ٣٢٥ م حينما دخل هو النصرانية بعد أن كان وثنيًا، فصارت أوربا مسيحية منذ ذلك الحين.

– والكنيسة التى سيطرت على المسيحيين كنيسة لم تلتزم المسيحية التى جاءت من عند الله؛ جوهرها التوحيد، وإنما جعلت عقيدة الأقانيم الثلاثة وعقيدة القول بأن المسيح ابن الله،

---

(١) ليس واقع العلمانية كما يزعمون وإنما هو رفض الدين.

وعقيدة أسرار الكنيسة،مع سيطرة رجال الدين على الدين والدنيا معًا، فأدى ذلك إلى انفصال الدين عن الحياة،وألغيت الشريعة المسيحية بحيث لم يبق منها غير ما يتصل بالأحوال الشخصية،إذ حل القانون الرومانى محل الشريعة المسيحية، فحدث الفصل بين الدين والدولة نتيجة لذلك.

– فالفصل بين الدين والدولة عمل أوربى قديم واكب دخول المسيحية قسرًا إلى أوربا، ثم ظل سلطان الكنيسة يتزايد حتى استولت على السلطة الدنيوية أيضًا بمعنى أن «البابا» أصبح المتحكم فى الشئون الدينية والدنيوية معًا.

– اتسع نفوذ «البابا» وسلطانه فما فتىء أن أصبح طغيانًا لخروجه عن الدين والعقل والمنطق، فكان هناك طغيان دينى حظر على الناس المناقشة فى أسرار الكنيسة، وطغيان فكرى حظر على الناس القول بكروية الأرض،وطغيان أخروى ابتكر مهزلة صكوك الغفران، وطغيان مالى أوجب على الناس دفع عشر أموالهم للكنيسة أى «للبابا» ورجال الكنيسة،وطغيان سياسى فرض على الملوك والأمراء، فلا ملك إلا من ينصبه «البابا»ويلبسه التاج، فإن غضب عليه «البابا» وجب على شعبه أن يخلعه لأن غضب «البابا» من غضب الرب!!!

● كل هذه الأنواع من الطغيان استمرت فى أوربا قرونا عديدة، وكان رد فعلها أن قامت الثورة الفرنسية ضد الكنيسة ورجالها، لكن اليهود الخبثاء الأشرار استطاعوا أن يحولوها إلى ثورة على الدين نفسه تحقيقًا لمخططهم الذى تضمنه «التلمود» والذى ينص على أن:
«الأمميين (أى غير اليهود) هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار، وكلما نفق منهم حمار ركبنا حمارًا آخر».

– ومنذ ذلك الحين خرجت الحياة عن نطاق الدين، وفصل الدين عن حياة الناس، فأصبحت الحياة «لا دينية» أو علمانية.

– وأول ما خرج من نطاق الدين فى أوربا هو السياسة، إذ ثار الملوك والأمراء على سلطة «البابا» وانتزعوا السلطة الدنيوية أو الزمنية منه فرضخ.

– ثم خرجت التعاملات المالية عن الدين – بفعل اليهود – فأصبح الربا – الذى تحرمه المسيحية – هو أساس التعامل.

– ثم خرج العلم عن الدين بسبب قتل الكنيسة للعلماء، فثار العلماء على الكنيسة وأطلقوا شعار: «حرية الفكر» بما يعنى حرية الإلحاد، وشعار: إن أردت أن تتعلم فلا تتدين، لأن الدين والعلم لا يجتمعان.

– ثم خرجت الأخلاق عن الدين، وقال الرأسماليون إن أكل القطة للفار لا علاقة له بالأخلاق وكذلك الاقتصاد، وكذلك الجنس، وصال «فرويد» وجال، حيث اعتبر الاتصال الجنسى غير محرم ولا مجرم ونادى بأن الحواجز التى وضعها الدين هو كوابت للنشاط الحيوى للإنسان تصيبه بالاضطرابات النفسية والعصبية، فأصبحت العلاقات الجنسية بين الناس كالعلاقات بين الحيوانات لا ضابط لها ولا رابط ولا حواجز لها.

● ومن أكبر المغالطات وأفدحها قول العلمانيين: نحن لا نحارب الدين، فإن من أراد أن يتدين فى ظل العلمانية فهذا حقه ولا أحد يمنعه منه.

وهذا وهم وباطل بناء على أنهم جعلوا للحياة الإنسانية ثلاثة نطاقات:

– نطاقًا دينيًا متعلقًا بالآخرة لا صلة له بالدنيا.

– ونطاقًا غير دينى يدخل فيه العلم والسياسة والاقتصاد وعلاقات الجنسين ذكوراً وإناثًا، والأخلاق بكل قيمها.

– ونطاقًا ثالثًا مضاداً للدين، أى إلحادى يجحد الخالق.

ثم قالوا: إن ذلك معناه فى العلمانية أن تضع نفسك حيث تشاء من هذه النطاقات:

فمن أراد أن يتدين بمعنى أن يذهب إلى الكنيسة ساعة من يوم الأحد، فلا أحد يمنعه.

ومن أراد أن يكفر ويجحد الخالق، فلا أحد يمنعه ولا أحد يعترض عليه!!!

ثم يزعمون أنهم بذلك لا يحاربون الدين!!!

إنهم يقضون على الدين قضاءً مبرماً باسم هذه العلمانية.

● إن العلمانية اليوم – وقد تبنتها دول الغرب الصناعية الغنية القادرة على المنح والمنع، والإنعام والانتقام – أصبحت مهوى أفئدة كثير من أنظمة الحكم فى العالم الإسلامى طمعًا فى القرب من الغرب أو خوفًا من نقمته الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وهذه الأنظمة الطامعة الخائفة نوعان:

– يساريون أو شيوعيين أو اشتراكيون غربيون أو شرقيون،ممن لا يرون فى الدين والتدين

مكاسب مادية للشعب، بل يرون الدين مخدراً للشعوب، ومانعا من التقدمية والإبداع والتنوير، ولذلك يتهمون الدين والمتدينين بأشنع التهم وأبعدها عن الحق والصواب كالرجعية والتخلف والإيمان بالغيبيات والأصولية والعنف والإرهاب، ثم يزعمون أن العلمانية لا تمنع أحداً من التدين!!!

– أو رأسماليون غربيون يرون فى العلمانية منجاة لهم مما عانوا منه من سيطرة الدين ورجال الدين والكنيسة على كل شىء فى الحياة ابتداءً من الاعتراف بالذنوب وصكوك الغفران وانتهاء بتنصيب الملوك والأمراء، وبيع قراريط فى الجنة لمن يدفع!!!

هؤلاء رأوا فى العلمانية تخلصًا من التدين ومن الكنيسة مكتفين بأن يكون حظهم من الدين والتدين ساعة من يوم الأحد فى إحدى الكنائس.

● والمروِّجون للعلمانية جميعًا يجرون وراء تحقيق شهواتهم التى لا تضع عليها العلمانية أى قيد، كما يفعل الدين.

● على أن لليهود – كما أسلفنا – خططا وتدبيرات ومؤامرات تستهدف التخلص من المسيحية عدوهم من يوم جاء المسيح عليه السلام وتآمروا على قتله، فرفعه الله إليه، كما يستهدفون التخلص من الإسلام عدوهم من يوم جاء خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام بخاتم الأديان، إذ تآمروا عليه وحاولوا قتله أكثر من مرة.

ولا يزال اليهود حتى اليوم يكيدون للمسيحية والإسلام على السواء، ما وسعهم الكيد.

وإن لليهود فى العلمانية أمل فى القضاء على المسيحية والإسلام، ولكن المسيحيين وكثيرًا من المسلمين غافلون عن تلك القضية التى أكدها «التلمود» واستهدفها اليهود الذين أصبحوا يؤمنون «بالتلمود» أكثر من إيمانهم بالتوراة!!!

● إن العلمانية نتاج غربى أصيل، ونتيجة للصراع الحاد بين دول الغرب والإسلام: منذ أن استطاع المسلمون أن يقضوا على الإمبراطورية الرومانية تخليصًا للإنسانية من الوثنية والظلم والاستبداد، ليحل محل ذلك أنظمة عادلة لا تعتسف ولا تستولى على أموال الناس بالباطل باسم الدين أو باسم الدنيا، حيث نعم كثير من الناس مسلمين وغير مسلمين بحياة إنسانية كريمة – منذ ذلك التاريخ – وهو مواكب للعقود الأولى من تاريخ الإسلام – أخذ الغرب يفكر ويدبر ويحشد طاقاته ليعرف سر قوة المسلمين وسر إقبال الناس على الدخول فى الإسلام، وسر انتصارات المسلمين المتوالية، فاهتدى إلى أن سر هذه القوة هو الإسلام نفسه

والأخذ بشريعته في حياة الإنسان.

– فشمّر الغرب وبذل جهوداً فائقة في التعرف الدقيق على الإسلام منهجًا ونظامًا، لا ليعرفه الغرب فيدخل فيه بوصفه الأفضل والأقدر على تحقيق النصر لأوليائه، ولكن فعل ذلك ليقضي على أسباب قوة الإسلام، وكان أمامه طريقان أو فلسفتان هما:

أولاً: إيمانهم بأن الإسلام يهدد مصالح الغرب، فلابد من القضاء عليه!!!

ثانيًا: اتخاذ الغرب كل الخطوات والوسائل التي تضعف الإسلام في نفوس المسلمين، تمهيداً لعزله عن حياتهم كما عزلوا المسيحية عن حياة المسيحيين بالعلمانية ونحوها مما هداهم إليه تفكيرهم فيما بعد.

● وعند تحقيق هذه الخطوات والتدبيرات قاموا بأعمال خطيرة كان من أهمها ما نشير إلى بعضها فيما يلي:

– شنوا على الإسلام والمسلمين الحروب الصليبية منذ عام ٤٩٢ هـ بقيادة الكنيسة والمغامرين من ملوك أوربا وأمرائها فيما سموه «حربا مقدسة»، وكان لهذه الحروب التي استمرت قرنين من الزمان استطاعوا خلالها أن يحققوا انتصارات وأن يقيموا ممالك في الشام[١] – أهم الآثار:

– فحشدوا عددا غير قليل من الدارسين الذين عكفوا على معرفة نقاط الضعف في المسلمين لضربهم في مقاتل ومواجع – وقد صاحب هؤلاء الدارسون جنود تلك الحروب الصليبية، وقدموا هذه الدراسات لرجال السياسة والحرب.

– واتجهوا – بعد تحالفهم على القضاء على دولة الخلافة العثمانية – إلى تمزيق العالم الإسلامي والاستيلاء على خيرات بلاد المسلمين، وعقدوا على ذلك الاتفاقيات المعروفة، وحالوا بين المسلمين وبين أي وحدة أو اتحاد حتى يومنا هذا.

– وكان سهلاً عليهم الاستيلاء على بلدان العالم الإسلامي بعد أن انفرط عقده باسم الاحتلال أو الحماية أو الانتداب أو الاستعمار، ونجحوا في إحياء النعرات العرقية والقومية والجنسية التي كان الإسلام قد نجح في القضاء عليها ليحل محلها الولاء للإسلام.

– وكان من نتيجة كيدهم للإسلام أن قامت في تركيا جمهورية علمانية بعد القضاء

---

(١) للتوسع في معرفة ظروف هذه الحروب – انظر لنا: الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

على كل ماله علاقة بالإسلام،وتولى كبر ذلك مصطفى كمال نصف اليهودى أو اليهودى - كما يقال - ثم حذت حذو تركيا دول إسلامية أخرى تحظرالإسلام وتحارب المسلمين.

- وسادت القوة العسكرية والمادية معظم بلدان العالم الإسلامى فقامت الانقلابات العسكرية تدعى الإصلاح وتضمر العداء للإسلام والمسلمين،وتحولت الحياة الإنسانية إلى حياة مادية قاسية بغيضة بعيدةعن الإنسانية.

- واتجهوا إلى محاربة لسان الإسلام اللغة العربية بحيث أدت إلى استعجام العرب أنفسهم، وإلى توارى لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، لكى تحل محلها لغات الغرب - إنجليزية وفرنسية وغيرهما - حتى فى مصر بلد الأزهر؛ حصن الإسلام والعربية.

- ثم غزونا بثقافتهم، وملأوا ساحتنا الثقافية بمعارك لا معنى لها إلا الإساءة إلى الإسلام مثل:

المعركة بين القديم والجديد،

والمعركة بين التقليد والتحديث،

والمعركة بين أنصار تحرير المرأة والداعين إلى صيانتها.

وكلها معارك مغالطة ولا جدوى من تضييع الوقت والجهد فيها لأن الإسلام واضح وصريح فى تبنى كل ما يحفظ على الناس مصالحهم فى الدنيا والآخرة.

وبعد:

● فإن البيت المسلم يستطيع فى هذه المجالات أن يوظف لها أفراده، ويكلفهم فى هذه المجالات بما لا تستطيعه المدرسة ولا أى مؤسسة اجتماعية أو سياسية، فليس فى المجتمع مؤسسة أكثر فاعلية وإيجابية من البيت المسلم الذى رُبى أفراده تربية سياسية إسلامية.

● وإن البيت المسلم بحكم تكوينه الإسلامى السياسى صخرة صلدة تتحطم عليها كل التيارات المعادية للإسلام، والبيت هو القادر على مناقشة هذه القضايا الساخنة التى يطرحها أعداء الإسلام فى وسائل الإعلام، ويروجون لها بكل ما أوتوا من قوة وحيلة وإرهاب وتخويف وتهديد وتنفير من الدين وقيمه فى وسائل الإعلام التى يسيطرون عليها ويملكونهاويملكون ولاء العاملين فيها ملك رقبة!!!

● البيت المسلم هو الحصن الآمن والحضن الدافئ والمدرسة التى لا شك فى إخلاص

معلميها وهو المسجد الذى يخلو من عيون الرقباء، من الموكلين بحبس حرية الناس ومنعهم من التعبير عما يريدون وتقديمهم للمحاكمات الظالمة لمجردأن قاموا فقالوا كلمة الحق وكانوا أهلها؛ ذلك أن المساجد كالمدارس تخضع للخطة السياسية للحكومة التى تحارب الإسلام تقربا إلى أعدائه ليضمنوا لهم القمح والزبد والبقاء فى الحكم!!!

● إن البيت المسلم بديل عن كل المنافذ التى استولت عليها حكومات الظلم والعداء للإسلام فى مناداتها بالعلمانية وبحظر العمل من أجل الإسلام فى دعوة أو حركة أوجهاد فى سبيل الله تعالى.

● أفليس أثر البيت المسلم ضرورياً وحاسمًا فى مواجهة أعداء الإسلام وما يثيرون من قضايا مغلوطة وما يخططون له من كيد للإسلام والمسلمين.

وفى ختام الحديث عن قضية العلمانية أو نفى الدين والاستغناء عنه؛ نشير إلى ما نتحدث به عن قضية تهوين شأن الإسلام فى نفوس المسلمين، بسيل من الافتراءات والأكاذيب التى يوجهونها إليه،والله الموفق.

ثانيًا : تهوين شأن الإسلام بالافتراء عليه

هذا التهوين والتكذيب لدين الإسلام كان ولا يزال شأن اليهود فى كل العصور؛ لأنهم أعداء كل دين غير دينهم الذى حرفوه، وعداؤهم للإسلام أشد، ثم انتقل ذلك التهوين من شأن الإسلام وتكذيبه من اليهود إلى متعصبى النصارى، وإلى الملحدين من الوثنيين والشيوعيين وأمثالهم من العلمانيين نفاة الدين كله.

● وقضية تهوين شأن الإسلام قضية سياسية بالدرجة الأولى ولكن لها جوانب اجتماعية وثقافية بل اقتصادية أحيانًا.

– والإسلام بين الأديان هو خاتمها وأتمها وأكملها وأرضاها لله تعالى، لذلك كان هدفًا لليهود ولمتعصبى النصارى وللوثنيين والشيوعيين والعلمانيين ومن إليهم.

– والعقيدة الصحيحة فى الإله الخالق هى أصل كل دين جاء من عند الله تعالى، وعلى قدرالمعرفة الصحيحة لله تعالى ذاته وصفاته وأفعاله يكون الدين النابع من هذه المعرفة صحيحًا أو سقيمًا أو فاسداً مضللاً، لا يختلف فى ذلك من يدركون الحقائق فى كل عصور البشرية، حتى قبل أديان الدعوة إلى الله(1).

● ومما لا شك فيه، أن البشرية منذ أقدم العصور، وفى مختلف أطوارها العقلية حاولت أن تكوِّن عقيدة فى الإله الخالق سبحانه وتعالى لكنها ظلت تتخبط حتى منَّ الله عليها بالأديان السماوية؛ اليهودية والمسيحية والإسلام، لكن اليهود والنصارى – لأسباب عديدة – حرفوا وبدلوا فى كتبهم التى استحفظوا عليها – التوراة والإنجيل – ولم يصب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة شىء من ذلك التحريف أو التبديل لأن الله تعالى هو الذى تكفل بحفظهما.

● وفى عجالة سريعة نشير إلى هذه المحاولات :

– الفلاسفة القدامى حاولوا ذلك على قدر ما أوتوا من عقل وعلم، بل تنافسوا فيما بينهم فى وصف الإله بصفات تنزهه عن النقائص ومنهم – أو على رأسهم فى هذا المجال – أرسطو الذى بلغت عنده صفات الإله درجة عليا من التنزيه والتجريد، لكنه تصوره بلا عمل ولا إرادة، لأن الإرادة اختيار بين أمرين،والإله قد اجتمع عنده الأصلح والأفضل من كل

(1) أديان الدعوة هى : الإسلام والمسيحية واليهودية كما يقول كتاب الغرب.

كمال، فلا حاجة به إلى الاختيار، ولا عمل له لان العمل طلب لشيء والله غنى عن كل شيء.

والخلاصة التى وصل إليها أرسطو أن الإله عنده كمال مطلق لا يريد ولا يعمل.

– وفى الحضارة المصرية القديمة حضارة التوحيد والتنزيه فى ديانة «أتون» التى بشر بها الفرعون المنسوب إليه وهو «أخناتون» الذى كان يصلى إلى خالق واحد قريب من الخالق الذى يصلى إليه العارفون من أتباع الديانات الكتابية.

غير أن الديانة المصرية القديمة لم تسلم فكرة التوحيد فيها من شائبة الوثنية المتمثلة فى عبادة الشمس.

– وفى الحضارة الهندية القديمة، كان قصارى ما وصلت إليه ديانتهم فى معبوداتها، بل أشرف هذه المعبودات: «الكارما والنرفانا» وهما تشبهان الكائنات الحية وأبعد ما تكون عن صفات الله ذى الكمال، وإذا كان هذا تصورهم للإله؛ فكيف يكون تصورهم للدين؟

– وعند العبرانيين أو اليهود – فيما بعد – تصور للإله بعيد جداً عما جاءت به التوراة قبل أن تحرَّف.

والتوراة المحرفة التى بين أيدينا اليوم تصور الإله «يهوا» بأنه إله شعب إسرائيل، وأن معه آلهة أخرى كثيرة كانت تعبدها الأمم التى كانت تجاور العبرانيين، وهو تصور بعيد عن التوحيد، لأن هذا الإله – كما تقول التوراة – تشبه صفاته صفات الإنسان لأنه: يغار من الآلهة الأخرى،ويستأثر بشعب إسرائيل، ويحب رائحة الشواء، ويصارع عباده ويصارعونه، ويتمشى فى ظلال الحديقة ليبترد من حر الصيف!!!

ولما جاء المسيح عليه السلام وأراد أن يردهم إلى الصواب حاربوه وغضبوا عليه واتهموه بالمروق من الدين، وحاولوا قتله!!!

– وعند المسيحيين للإله، بعد عصر المسيح عليه السلام، ومنذ عصر بولس الرسول وإلى اليوم، كان تصورهم للإله بعيداً عن التوحيد كما جاء به المسيح عليه السلام.

ولما اتصلت المسيحية بالأمم الأجنبية وبخاصة مصر سرت إليهم فكرة التثليث «الأب والابن وروح القدس» وهى مناقضة لتوحيد الإله، وسماها القرآن الكريم كفراً فى قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ..** ﴾ [المائدة: ٧٣]. وهؤلاء هم مسيحيو الشرق(١).

(١) للتوسع فى ذلك انظر: جورج سيل فى مقدمة ترجمته للقرآن الكريم حيث كتب كلامًا عن الإسلام فيه إنصاف وإن كان هو مسيحيًا متعصبًا.

أما مسيحيو الغرب فكان منهم من يقول بألوهية العذراء مريم ويعبدونها ويقربون إليها أقراصاً مضفورة يقال لها: «كليرس».

هذه لمحة خاطفة عن تصور الناس فى مختلف عصورهم وأديانهم للإله، وما ترتب على هذا التصور من تصور للدين، وجميعًا قد اشتملت على خلل واضح فى العقل وفى التصور.

● فلما جاء الإسلام خاتم الأديان السماوية وأكملها جاء بالتصور الصحيح والتحديد الدقيق لذات الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله، منزها إياه عن لوثة الشرك وجهالة العصبية، وحمق الخصوصية بشعب بعينه، ومنزها إياه عن سلالة النسب وعن التثليث والأبوة والبنوة، ومن كل ما تسرب إلى الأديان الكتابية من بقايا الوثنية.

العقيدة الإلهية جاءت فى الإسلام مصححة متممة لكل عقيدة سبقتها من الديانات الكتابية،ومن مذاهب الفلسفة، وجاء كمال هذه العقيدة وخلوها من الشوائب دليلاً على أنها وحى من عند الله تعالى، وعلى أنها حق وصدق، وأنها عقيدة الفطرة التى فطر الله الناس عليها إذ هى متميزة بالشمول الذى يضم الإنسانية كلها، ويطب لأدوائها جميعًا، ويصلح لها دنياها وأخراها.

● ولقد طبق المتدينون بهذه العقيدة ما جاء فيها من الدين والدنيا تطبيقًا عمليًا فاستطاعوا أن يواجهوا جحافل الشرك والوثنية وحشود الصليبيين حتى أجلوهم عن ديارهم واستعادوا منهم فلسطين وبيت المقدس بعد أن ظل فى أيدى الصليبيين تسعين عاماً.

وبهذه العقيدة عندما يتمسك بها المسلمون ويحلونها فى حياتهم محلها يستطيع المسلمون استعادة فلسطين وبيت المقدس وإلزام اليهود بالعودة من حيث أتوا،وهذا وعد الله للمؤمنين على الدوام ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم:٤٧].

● ومن مظاهر تهوينهم لشأن الإسلام بالافتراء عليه، ما نشير إليه فى إيجاز فى العناوين التالية[١]:

- اتهام القرآن الكريم بأنه ليس من عند الله.

- واتهام القرآن الكريم بأنه كتاب محلى إقليمى قديم لا يصلح للعصور التى جاءت بعد نزوله.

---

(١) فصلنا ذلك فى كتابنا: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، نشر دار المنار بالقاهرة ط الرابعة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

– وتكذيب محمد ﷺ في نبوته،

– واتهامه ﷺ بأنه الذى أملى القرآن وألفه.

– واتهامه ﷺ بأنه نشر الإسلام بالسيف وأكره الناس عليه.

– واتهام الإسلام بأنه دين رجعى غير قادر على مواكبة المتغيرات.

– واتهام الإسلام بأنه دين مليء بالغيبيات.

– وتشويه سير الصحابة رضى الله عنهم،وسير القادة والمصلحين من المسلمين.

– وزعمهم أن المسلمين المتمسكين بدينهم يعيشون ظلام العصور الوسطى – عند الأوربيين.

– وادعاؤهم أن العاملين فى الحركات الإسلامية إرهابيون متطرفون متعصبون رجعيون يؤمنون بالغيب...

● ومن الواضح الجلى أن وراء هذه الحملة من تهوين شأن الإسلام وتشويهه بالافتراء عليه أعداء معروفين فى الماضى والحاضر بل وفى المستقبل، وهم:

– اليهود والصهاينة.

– والملحدون والوثنيون المحدثون.

– والصليبية الحديثة.

– والنظام العالمى الجديد.

– والعولمة.

– وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى الذى انقمع فيما يعرف بالاتحاد الروسى.

● والبيت المسلم يجب أن يوظف جميع أفراده للتعامل مع هذه القضايا لكشف أهدافها الخبيثة والرد على ما تضمره من شر وإفساد، وتفنيد الأباطيل والمفتريات التى توجه ضد الإسلام وتستهدف تشويهه والتهوين من شأنه فى حياة الناس.

ثالثًا : النظام العالمى الجديد

هذه الجملة «النظام العالمى الجديد» خدعة كبرى،فكر فيها طغاة العالم المعاصر – العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى – وكبراؤه وأغنياؤه،سواء أكانوا السبع الدول الغنية أو أصحاب المليارات فى الغرب أو دول الشمال، أو رُكزوا واختُصروا ليصبحوا الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، فكر هؤلاء الطغاة فى هذه الكلمة لتكون ضد العالم النامى أو الثالث أو الفقير، ليزيدهم فقرًا وحاجة فى مقابل أن يزداد الطغاة غنى ونفوذا.

● ولقد واكب التفكير فى النظام العالمى الجديد أو سبقه بقليل انهيار ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى بعد سبعين عامًا من الخداع والأكاذيب وقهر الإنسان وإبعاد الأديان وسحق حقوق الإنسان.

بعد هذا الانهيار المدوى نشطت فى الغرب حركة توحد أوربا عوضًا عما كانت عليه من قبل من فرقة، ثم انتقلت عدوى التوحد والاتحاد إلى دول الشمال عمومًا، ثم اهتمت بها الدول الخمس الكبرى أصحاب العضوية الدائمة فى مجلس الأمن وأصحاب الحق فى إلغاء قراراته «الفيتو». فى هذا الجو فكر رجل المخابرات الأمريكية ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى التسعينيات «جورج بوش» فى خدعة وأكذوبة هى: النظام العالمى الجديد تحت قيادة أمريكا وإمرة «بوش».

– وعند تحليل هذه الخدعة سنجدها ذات محتوى مضلل لا يختلف كثيرًا عن خدعة الاتحاد السوفيتى السابق الذى استمر فى التضليل سبعين عامًا، بينما خدعة النظام العالمى الجديد لم تستطع أن تستمر إلا ما يقرب من عقد من الزمان لتحل محله أكذوبة أخرى هى: «العولمة» وسريعًا ما ستنكشف خدعة العولمة أو هى قد انكشفت أبعادها وأهدافها المضللة، لأنها جميعًا تفتقد المبادئ والمصداقية والنزعة الإنسانية.

● هذا النظام العالمى الجديد لم تنطل خدعته على أحد إذ قد كشف العقلاء عن أنه سيطرة أمريكية على العالم اقتصاديًا، ومن سيطر اقتصاديًا سيطر سياسيًا.

لقد كتب «جوليوس نيريرى» رئيس زامبيا السابق فى صحيفة «الجارديان» البريطانية يقول: «إن السوق الحرة أصبحت بمثابة ديانة، وأن المشتغلين «بالبورصة» والمضاربات المالية أصبحوا قادة العالم!!! وهكذا أصبح لدينا نظام عالمى جديد»!!!

– وقد يتوهم بعض المتفائلين أو حسنى الظن أنه قد كان للعالم نظام عالمى قديم تمثل – مثلاً – فى عصبة الأمم أو فى هيئة الأمم المتحدة، فلما اشتدت الحرب الباردة بين القوتين العظميين آنئذ – بعد الحرب العالمية الثانية، وعجزت هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها المنحاز إلى الدول الكبرى والمعصوم بحق «الفيتو»، لما اشتدت هذه الحرب حاولت هيئة الأمم المتحدة تهدئة هذه الحرب، وسقط ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، وأقامت دسائس أمريكا حربى الخليج لاستنزاف دول المسلمين ودول النفط كما حدث، رأت أمريكا أن تعدل هذا النظام العالمى القديم لفشله فى تحقيق جميع أهدافها فى السيطرة على العالم؛ فاتجهت إلى استحداث نظام عالمى جديد تخدع به البسطاء أو المغلوبين على أمورهم أو الفقراء المحتاجين إلى قمح أمريكا – على الرغم من خصوبة أرضهم ووفرة المياه عندهم – أو إلى أسلحة أمريكا أو إلى مطاعم «البيتزا» والهامبورجر» و«التكا» ودجاج «كنتاكى» وشطائر «ماكدونالد» و«سلطاته» ومطاعم «أمريكانا»، والكوكا كولا والبيبسى، وسائر الأغذية المعلبة...

خدعت أمريكا كل هؤلاء وهم من عالم الجنوب أو عالم الفقر والبشرة الملونة، والديانة الإسلامية التى يرغبون فى تشويهها، فجاءت بما سمته النظام العالمى الجديد.

● إن الحق الذى لا يمارى فيه عاقل أنه لم يكن للعالم نظام قديم يضمن له الحد الأدنى من حقوق الإنسان!!! حتى يحل محله نظام جديد يضمن للإنسان هذه الحقوق، إذ على الرغم من الطنطنة لهذا النظام ومباركته والدعاية المزورة له لم يستطع أن يضمن للإنسان حقوقه، وإنما قام على استغلال الإنسان والتحكم فى حاضره ومستقبله وفق قانون الغابة الذى يفتك فيه من كان ذا مخلب وناب قويين بمن كان أضعف منه نابا ومخلباً!!!

فما بالنا إذا كان الضعيف غير ذى ناب أو مخلب على الإطلاق؟

● إن القيم فى ظل هذا النظام العالمى الجديد قد أصبحت معكوسة منكوسة؛ إذ أصبحت القوة هى الحق بل فوق الحق، وأصبحت المساواة هى مساواة بين الناس فى الفقر والاحتياج، وأصبح استغلال مقدرات الشعوب لصالح الأغنياء والأقوياء هو العدل!!!

– ومن النقد اللاذع الموجع لهذا النظام العالمى الجديد؛ أن القوانين الدولية والشرعية الدولية تفسر كما يهوى الأقوياء مهما كان فى تفسيرهم اعتساف وظلم.

– وأن هيئة الأمم المتحدة والجمعية العامة لها ومجلس أمنها المكبل بحق «الفيتو»

للخمسة الكبار، والعدد الكبير من الوكالات الدولية التابعة لها؛ هي على وجه الحقيقة لا تستطيع أن تضمن لشعوب العالم الحد الأدنى من حقوقه، لأنها جميعًا مكبلة بإرادة أمريكا، وقدرتها على نسف أى قرار لصالح شعب من الشعوب الفقيرة أو الضعيفة بموجب حق«الفيتو»، ولها فى ذلك عشرات المواقف بل مئاتها، ودليل ذلك موقف أمريكا من الحق الفلسطينى الذى تتحداه وتقمعه، والباطل اليهودى الذى تتبناه وتدعمه!!! ثم تزعم بغير حياء أنها شريك محايد فى عملية السلام، مع تأكيدها على أن تمد إسرائيل بالأسلحة التى تجعلها متفوقة على العالم العربى كله، مما جعل إسرائيل لا تعرف لغة غير القوة، وجعل أمريكا تدعم كل حكام إسرائيل الإرهابيين مجرمى الحرب، بدليل أن اليساريين الإسرائيليين ارتكبوا فظائع تحرمها جميع الاتفاقات والأعراف الدولية وكانوا فى ذلك سواء مع اليمينيين منهم، ومن يزعمون أنهم من الحمائم، ومن أمثلة ما ارتكبوه من جرائم الحرب المحرمة دوليًا:

– قتل الأسرى المصريين بعد تعذيبهم فى حرب ١٩٦٧م.

– وارتكاب مذابح صبرا وشاتيلا على يد اريل شارون.

– وتباهى رفائيل إيتان بأنه قتل كثيراً من العرب بيديه خنقًا.

– وتكسير عظام الفلسطينيين العزل من السلاح على يد إسحق رابين.

– وإطلاق قنابل عناقيد الغضب «المحرمة دوليًا» على يد شمعون بيريز.

– وقصف قانا على يديه أيضًا وقتل عدد من جنود هيئة الأمم المتحدة.

– وافتخار «نيتنياهو» بأنه أجهض عملية السلام وامتنع عمداً عن الاستجابة لمستحقاتها حسب اتفاقيات وقعتها إسرائيل وقوله فى تعليل هذه البجاحة إن المعاهدات والاتفاقيات غير مقدسة!!!

– فضلاً عما كان من المخازى التى تتنافى مع الشرف العسكرى منذ عام ١٩٤٨ فى دير ياسين وبحر البقر وغيرهما ما لا يحصى.

● إن أمريكا دعمت كل هؤلاء اليهود مجرمى الحرب، ولا تزال تدعمهم فى انتفاضة القدس حيث تصف الفلسطينيين باستعمال العنف المسلح بالحجارة، ولا تدين إسرائيل التى تستعمل فى منع الانتفاضة الدبابات والصواريخ والمدافع الثقيلة والطيارات وتهدم البيوت على ساكنيها،وتهدد باستعمال حق «الفيتو» لو طلب الفلسطينيون حماية دولية!!!

● ومن النقد اللاذع – إن كانت أمريكا تحس باللذع – الذى يوجه للنظام العالمى الأمريكى الجديد المتشبث ظاهريًا بالديموقراطية والمنكر لها على الدوام إن كانت مما يخص غيره عمومًا أو يخص العالم الثالث على وجه الخصوص.

– إن أمريكا تفقد كل عناصر الديموقراطية بل تنكرها فى أى قرار يتخذه النظام العالمى الجديد،إذا كان يمس الاقتصاد الأمريكى أو السياسة الإسرائيلية؛ فأين هذه الديموقراطية فى الاتفاقية العامة للتجارة الخارجية والتعرفة «الجمركية» (الجات)؟ إن معظم الشركات الكبرى صيغت من أجلها اتفاقية (الجات) من دول الشمال – وفى مقدمتها أمريكا – مما يجعل من المستحيل على أى دولة نامية أن تضبط نشاط هذه الشركات فضلاً عن أن توجهها لصالحها!!!

– إن سكان دول الشمال الذين يمثلون خمس سكان العالم، هم المسئولون وحدهم من خلال أنظمتهم الإنتاجية والاستهلاكية التى تتسبب فى كثير من الشرور التى تقع فى الكرة الأرضية، كتغيير المناخ العالمى،وتدمير طبقة الأوزون، أى أنهم مسئولون ماديًا ومعنويًا عما يلحق أربعة أخماس سكان العالم من أضرار بيئية خطيرة على حاضر العالم ومستقبله.

– إن الباب مفتوح على مصراعيه أمام الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها صاحبة النفوذ الأقوى والثروة الأكبر فى العالم، أن تفعل ما تشاء!!! وماذا يرتجى لمستقبل العالم فى ظل نظام عالمى جديد أحادى القطب كان الأصل فيه أن تكون أقطابه المتنافسة بعدد الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة؟

● وفى ظل هذا النظام العالمى الجديد – الذى يستهدف سيطرة أمريكا على العالم – يدفع العالم النامي أفدح الأثمان من اقتصاده ومن سياسته بل من إنسانيته وحقوقه العامة لتزداد أمريكا أولاً ودول الغرب ثانيًا غنى وثروة، ومن استعصى من دول العالم الثالث على سيطرة الغرب وابتزازه لإنسانية الإنسان حوصر وحورب وعوقب أشد أنواع العقاب وحظر عليه الطعام والعلاج والدواء، والطيران وبيع النفط، ووجهت إليه الطائرات والدبابات وكل أنواع الأسلحة المحرمة دوليًا ،وحيل بينه وبين الدفاع عن نفسه أو تصنيع السلاح أو شرائه، فإذا كان هذا الجزء من العالم الثالث فى البلاد العربية سُلطت عليه إسرائيل والمتوحشون من خبراء التدمير الأمريكان والغربيين، حتى يخضع ويذل أو يموت إما من الجوع أو بالأسلحة المحرمة دوليًا!!! فإن ذلك هو النظام العالمى الجديد.

- وقد يقول غافل عما يدور فى عالم الغرب ضد العالم الثالث: وأين هيئة الأمم المتحدة، ومجلس أمنها الموقر؟

والجواب يعرفه أقل الناس معرفة بخطط النظام العالمى الجديد والاتحاد الأوربى، وروسيا الاتحادية، وإسرائيل، والصرب، والمؤسسات الصهيونية والمؤسسات الصليبية الحديثة.

- ومن العجيب أن كل هذه التيارات تدعى الديموقراطية!!!

- ومن المقرر بين شعوب العالم الثالث أن الديموقراطية قد أصبح لها عندهم مفهوم آخر أملاه الواقع المر الذى يمارسه النظام العالمى الجديد ضد العالم الثالث؛ ومن مفردات هذا المفهوم:

- أن الديمقراطية فى الحقيقة هى شىء آخر غير العدالة والمساواة والحرية التى يتشدقون بها!!!
- وأنها تعنى الاتجار فى السلاح الفتاك وتصنيعه وترويجه وجعله فى متناول الأطفال والقاصرين عقليًا وثقافيًا وإنسانيًا الذين هم أقرب إلى الوحوش منهم إلى الأناسى!!!
- وأن الديموقراطية هى نبذ مؤسسات الزواج واحترام الأم التى تلد وهى بغير زوج،وحماية الشذوذ الجنسى، وإباحة الإجهاض.
- وأنها تدمير البنيان الأسرى الاجتماعى تحت ستار الحريات الشخصية وممارسة الإنسان لحقوقه فى الانعتاق من إنسانيته.
- وأن الديموقراطية هى طمس تاريخ الشعوب وإبادة كيانها الروحى والثقافى والإسلامى(١).
- وأن المفهوم الدقيق للديموقراطية هو التمييز العنصرى وإهدار إنسانية الإنسان(٢).
- إن النظام العالمى الجديد،يتشدق بحقوق الإنسان، وبحقوق المرأة، وبشئون البيئة، ويتخذ من ذلك ذريعة للتحكم فى بلدان العالم الثالث حين يشرع فى وجهها سلاح تنكرها لحقوق الإنسان، فيصليها من عقوباته ما يحقق مصالحه وما يذكر بخلق المرابى -فى الأدب العالمى -وبعمل مصاص الدماء -فى الأساطير- وبعمل أمريكا فى الهنود الحمر وفى اليابان

---

(١) لنتذكر فى هذا المجال ما فعلته فرنسا فى الجزائر وتونس والمغرب، وما فعلته إيطاليا فى ليبيا.

(٢) لنتذكر هنا ما فعلته انجلترا فى جنوبى إفريقيا وأمريكا فى اليابان وفيتنام، وفرنسا فى الصين، وإيطاليا وبلجيكا والبرتغال فى أفريقية.

وفى فيتنام، وبعمل «الاتحاد السوفيتى السابق» فى سيبيريا وفى المجر، وفى الولايات المسلمة فى أواسط آسيا، وبعمل أمريكا وانجلترا فى العراق بعد حرب عاصفة الصحراء!!!

● إن الديموقراطية فى مفهومها لدى دول العالم الثالث هى أن يموت ملايين الأطفال من الجوع والمرض وسوء التغذية فى العالم الثالث، بينما ترمى أمريكا ملايين الأطنان من القمح والزبد فى عرض المحيط لتحافظ على سعر يرضى لديها غرور المرابى الكامن فى روحها وعقلها وجسدها!!!

● إن الديموقراطية عند دول العالم الثالث تعنى أن الإنسان منهم أقل من الحيوان الذى يدعى الغرب أنه يشفق عليه فيعالجه ويطعمه وينشئ له جمعيات الرفق به!!!

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

رابعًا : العولمة أو سيطرة أمريكا على العالم

عندما فشل النظام العالمى الجديد فى سيطرة أمريكا على العالم، لرفض كثيرمن دول العالم وبخاصة فى أوربا والاتحاد الروسى وفرنسا على وجه الخصوص، لهذه السيطرة، عندئذ خيل إلى أمريكا أنها قادرة على خداع العالم بعنوان آخر تفرض به سيطرتها على العالم هو : «العولمة».

● إن العولمة فى كلمات هى : سيطرة أمريكا على العالم سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا وإعلاميًا وعسكريًا، بحيث يصبح من المعقول فى ظل العولمة ألا يتنفس أحد إلا إذا سمحت له أمريكا بذلك وصرفت له الهواء من أحد مخازن الهواء عندها أو من إحدى قواعدها العسكرية المنتشرة فى العالم كله.

ودليلنا على ذلك له مصدران :

أحدهما : الواقع الذى يعيشه الناس فى ظل العولمة أو سيطرة أمريكا على العالم، وهو واقع مرير يكشف عن أخبث وأضرى ما توجهه أمريكا للإنسانية من شر.

فما من دولة لا ترضخ للسيطرة الأمريكية إلا وتتهمها أمريكا بانتهاك القانون الدولى، وانتهاك حقوق الإنسان – مع أن أمريكا هى أجرأ الدول على انتهاك القانون الدولى وانتهاك حقوق الإنسان غير الأمريكى على أن يكون أسود اللون – وعندئذ تشن أمريكا الحرب على من لم يرضخ لسيطرتها، الحرب الاقتصادية أولا، ثم حرب التشويه ثانيًا، ثم حرب التضييق والتحجيم لها ولمصالحها، ثم حرب التقييد لحريتها فى سمائها وأرضها ومياهها ثم الحرب العسكرية صراحة فى بعض الأحيان.

ومن أخطر ما تنتهكه أمريكا من القانون الدولى أنها تتدخل فى الشئون الداخلية لهذه الدولة التى لم ترضخ لسيطرتها، فتثير – بوساطة خبرائها ومستشاريها – الحروب الطائفية فى هذه الدولة أو التنازع بينها وبين جيرانها مع حرمانها من السلاح، فما هو إلا أن تخضع وتذل أو تبحث عن شفيع لدى أمريكا تدفع له من أموالها ومن كرامتها، وقد تقبل أمريكا

والآخر:

اعتراف بعض الأمريكان بهذه الرغبة فى السيطرة على العالم حتى يصفها ذلك البعض بأنها شكل مَرَضى، وعلى رأس هؤلاء المعترفين رجل كان وكيلاً للمخابرات الأمريكية المركزية هو: تشارلز جونسون «الذى ننقل من كتاب له بعنوان: «الضرب العكسى» جاء فيه قوله: «إن واشنطن أقنعت نفسها بأنها إذا أغلقت قاعدة واحدة، أو أنها إذا سمحت لدولة صغيرة أن تدير شئون اقتصادها الخاص فإن النظام العالمى كله قد ينهار»!!!

ثم يقول: «إن المؤسسة العسكرية الأمريكية تكاد تكون خارج السيطرة المدنية، وأنها تلعب الدور الأساسى فى تكوين قناعات الرأى العام الأمريكى، وأنها تحتكر صناعة السياسة الخارجية».

ثم يواصل قائلاً: «إنه رغم انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتى فإن الولايات المتحدة الأمريكية مستمسكة بقواعدها العسكرية فى العالم».

ويضرب على ذلك المثال بقوله: «إن المؤسسة العسكرية الأمريكية تدرك أن موسكو تعارض عملية توسيع حلف شمال الأطلسى شرقًا، ومع ذلك فإنها تحث واشنطن على تشجيع دول أوربا الشرقية على الانضمام إلى الحلف لدفع روسيا إلى رد فعل متطرف، ومن ثم لاستغلال رد الفعل هذا مبرراً لتوسيع الحلف، أما الأسباب الأساسية وراء هذا التوسيع فهو تغيير هوية سلاح الدول المنضوية إلى الحلف، وبالتالى فتح أسواق جديدة أمام الإنتاج الأمريكى من الأسلحة»[1].

وبعد فهذا مصدرنا الثانى للتدليل على أن أمريكا تسعى بالعولمة إلى السيطرة على دول العالم، وهو مصدر لا يرقى إليه شك.

والخلاصة أن أمريكا تنتهك القانون الدولى وتدوس حقوق الإنسان عندما تكون لها مصلحة... يقرر هذه العلاقة بين مصالح أمريكا والقيم الأخلاقية والإنسانية الكاتب اللبنانى المعروف محمد السماك، حيث يقول: «إن جدلية العلاقة بين المصالح العليا للدولة والمبادئ الأخلاقية والإنسانية العامة تضع حدوداً للتدخل العسكرى بصرف النظر عن تكاليف هذا

---

(١) بالفعل تبيع أمريكا من الأسلحة أكثر مما تبيع روسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا مجتمعة، وتسويق السلاح فى أمريكا من أهم دعائمها التى يقوم عليها اقتصادها.

التدخل من الخسائر البشرية، فعندما كان للولايات المتحدة الأمريكية مصالح عليا فى الخليج العربى أعدت نفسها لتحمل نتائج سقوط ضحايا من الأمريكيين[1] ولكن الأمر كان مختلفًا فى الصومال مثلاً، حيث لا مصالح لها هناك، إذ سارعت إلى الانسحاب فوراً بعد سقوط تسعة عشر قتيلاً أمريكيًا فى صدام فوضوى مع قوى الميليشيا المحلية».

● إن أمريكا السياسية المتوحشة فى السيطرة على دول العالم الثالث، لا تختلف كثيراً وقليلاً عن دول أوربا فى استعمارها الضارى المتوحش لكثير من بلدان العالم الثالث فى القرن التاسع عشر وأكثر من نصف القرن العشرين الميلاديين، إذ كانت هذه الدول تحتل البلاد وتقتل العباد تحت أسماء جوفاء مضللة مثل:

الوصاية، والحماية، والانتداب وغيرها.

ثم يواصل محمد السماك قوله: «يومًا بعد يوم يفقد شعار عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى معناه وجدواه من: وثيقة حقوق الإنسان لعام ١٩٤٨م إلى وثيقة حقوق الأقليات لعام ١٩٩٣م،مروراً بوثيقة مكافحة عقوبة التعذيب وسواه من أعمال العنف الإنسانية لعام ١٩٩٤م.

تتساقط حدود السيادة الوطنية أمام إضفاء الشرعية على التدخلات الخارجية، وكم كان الترحيب بهذا الأمر جاداً وصادقًا لولا ازدواجية المعايير التى تتحكم فى تطبيقه فى دولة دون أخرى!!!»[2].

أسباب العولمة:

لابد أن يكون للعولمة بمعنى سيطرة أمريكا على دول العالم أسباب لدى أمريكا، سواء صرحت بها أم أضمرتها ففضحتها أعمالها وربما أقوال بعض مفكريها وكتّابها.

ومن هذه الأسباب:

١- فشل النظام العالمى الجديد الذى ابتدعته أمريكا على يد رئيسها «جورج بوش الأب» بعد حرب عاصفة الصحراء، فشل هذا النظام فى أن يخدع كل الناس كل الوقت، وعجز عن أن يحقق لأمريكا السيطرة على دول العالم، فكان لابد من البحث عن

---

(١) أغرت أمريكا سوريا ومصر فى حرب الخليج الثانية بأن تتحملا كثيراً من أعباء الضحايا البشرية، بحجج قدمتها لهما آنذاك.

(٢) محمد السماك - كاتب لبنانى معروف - جريدة الأهرام المصرية الصادرة بتاريخ ١٤ يونيو عام ٢٠٠٠م ص٩.

بديل، فكانت العولمة.

٢- وعجز دول الجنوب أو دول العالم الثالث على مدى عقد أو أكثر من الزمان عن أن تحقق أى نوع من القوة المادية أو المعنوية أو الاكتفاء الذاتى - ومن وراء ذلك العجز أصابع أمريكية وخبراء ومستشارون - فكان التفكير فى العولمة.

٣- وأن أمريكا أمنت التهديد الذى كان يمثله ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، بعد أن انهارت أكذوبته، وافتضحت جرائمه ضد حقوق الإنسان، وافتضحت الدول التى كانت تدور فى فلكه تلك الدول الشيوعية والاشتراكية التى يتلذ: حكامها بأصوات المعذبين فى سجونهم ومعتقلاتهم، ويستعذبون انتهاك حرمة الإنسان وعرضه وماله ودينه وذويه[1].

بعد زوال هذه الأنظمة كان على أمريكا أن تقود تلك الدول وأمثالها لتكون تحت سيطرتها لكى تقنن لها تعذيب المواطنين وقهرهم لكى يركع الجميع للعولمة وصاحبتها.

٤- وشيوع عدد من النظريات فى دول الغرب وجدت لها أصداء لدى بعض الأمريكان فروجوا لها لما فيها من مصلحة أمريكا، فأرادت أمريكا أن تأخذ زمام المبادرة لتحقق مصالحها، فكانت هذه العولمة، وأبرز هذه النظريات هى:

- نظرية إيجاد خط مواجهة بين دول الشمال الغنية القوية ودول الجنوب الفقيرة الضعيفة.

- ونظرية إيجاد خط فاصل بين عالم الاستقرار والرخاء وعالم القلاقل والثورات.

- ونظرية العدو التقليدى الجديد - وهو الإسلام ودول المسلمين - الذين رسموا لهم مكانا على الجانب الآخر من خط المواجهة، وبخاصة بعد الصحوة الإسلامية التى عمت معظم بلدان العالم الإسلامى.

- ونظرية صدام الحضارات وخلاصتها لديهم أن الحضارة الإسلامية لابد أن تشتبك مع حضارة الغرب فى صراع يجر إلى حروب وضحايا.

---

(١) دليل ذلك ما كان يجرى فى السجن الحربى فى مصر وسجن المزة فى سوريا وسجون باطن الأرض فى المغرب وأحواض حامض الكبريتيك فى العراق وغيرها فى عهود: عبد الناصر وحافظ الأسد ومحمد الخامس وصدام حسين وغيرهم.

- ونظرية أن العدو المرتقب للغرب بعد سقوط الاتحاد السوفيتي هو: الصين - التي يصفونها بأنها سوس العالم - وما لها من الطاقة البشرية.

كل هذه النظريات جعلت أمريكا تسرع إلى العولمة تحاول بها أن تسيطر على العالم.

● وكل هذه النظريات لها مستفيدون معروفون هم الصهاينة والصليبيون المحدثون، والملحدون، والاتحاد الروسى، وأذناب الشيوعية وأدعياء الاشتراكية، والمخدوعون من المسلمين بالغرب وبالعلمانية، وأصحاب النزعات العنصرية الذين يقولون بصراع الحضارات ويزعمون تفوق جنس على جنس، وبأن عقول الشعوب منها ما هو ممتاز ومنها ما هو عاجز عن الفكر والإبداع، وهؤلاء قريبون من الفكر النازى والفاشى وأبناء شعب الله المختار - كما يزعمون -.

● **مبررات تبنى أمريكا للعولمة:**

المبررات التى تعلنها أمريكا لتبنى العولمة كثيرة منها:

١- أن أمريكا - كما تدعى - لا تستطيع أن تستغنى عن العالم، بل إنها تحتاج إليه أكثر مما يحتاج هو إليها فى مواجهة بعض المشكلات والمخاطر التى لا تحب أمريكا أن تواجهها وحدها بجنودها وعتادها فلابد أن تسيطر على العالم ليكون معها فى مواجهة هذه المشكلات -كما حشدت معها أكثر من خمس وعشرين دولة فى حرب الخليج.

٢- وأن أمريكا بسيطرتها على العالم لتستعين به أو تستغله فى مواجهة مصادر التهديد التى أصبحت العدو الجديد للغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، ومصادر التهديد عند أمريكا موحدة وإن كانت من جهات عديدة وتيارات مختلفة، فلا تريد أن تواجهها وحدها، وأجهزة مخابرات أمريكا تصنف هؤلاء المهددين بالإرهاب والعنف والأصولية، ومعاداة المصالح الأمريكية، وأمريكا أصبحت شرطى العالم، وعلى كل الدول التى تدور فى فلكها أن تتعقب الإرهاب والعنف والأصولية والجماعات الإسلامية عموماً حتى لو لم تمارس عنفاً ولا إرهاباً.

٣- وادعاء أمريكا أن أسرار أسلحة الدمار الشامل تصل إلى أيدى منظمات وهيئات تعادى أمريكا وتتحدى مصالحها فى العالم بل فى داخل أمريكا نفسها، فلابد لها من حشد دول العالم لمواجهة هذه المنظمات وتلك الهيئات التى تراها إسلامية غالباً، ومن أجل ذلك لابد من السيطرة على العالم - أى العولمة -.

٤- وغرور أمريكا وتصورها الكاذب بأن أياً من دول الغرب لا ينافسها فى السيطرة على

العالم، على حين أن منافسيها فى حُمَّى السيطرة على العالم كثيرون: فرنسا واتحاد روسيا والاتحاد الأوربى، واليابان والصين...

ومعنى ذلك أن سيطرة أمريكا على العالم ليست مسلمة لها وإنما عليها أن تصارع من أجل الوصول إلى ذلك متخذة كل خبيث من الوسائل وكل دنىء من الأساليب.

● **ومما يساعد أمريكا على العولمة أمور:**

– ما تملكه أمريكا من تقدم مذهل فى مجال العلم والمعلومات، أى «تكنولوجيا» الذكاء الاصطناعى بكل أبعاده، حيث توصلت إلى علوم جديدة منها: علم التنقيب عن البيانات، وعلم: مستودعات البيانات وغيرهما.

ويتميز هذان العلمان بقدرتهما على استخلاص المعرفة والمعلومات التى لم تكن معروفة من قبل لاستخلاصها الدلالات والتوجهات المستقبلة عن ظاهرة معينة وقدرتهما على الاستمرار فى متابعة ما يطرأ على هذه الظاهرة من تغيير.

ومثال ذلك:

١– الأقمار الصناعية الأمريكية التى تدور فى الفضاء وحول الكواكب، ترصد وتجمع البيانات والمعلومات عن كل شىء فوق اليابسة وتحتها وما يحيط به، مما يشمل معظم الكائنات والموارد والظواهر الطبيعية وحركة الناس، تجمع ذلك كله فى مستودعات بياناتها، ثم تحلله وتستخلص منه كل ما تشاء عن أى بلد فى العالم، ومن ثم ترسم سياستها وخططها فى المستقبل القريب أو البعيد لهذا البلد؛ مما يحقق مصالحها هى، أما هذا البلد فهو غائب تماماً عما يحدث له ويدبر ضده.

هذه الأقمار عامل مساعد لأمريكا على العولمة أو بسط نفوذها وسيطرتها على العالم.

٢– وأجهزة الاستخبارات، وما يعرف بأجهزة الإنذار المبكر التى يمكنها رصد ما سوف يحدث فى مكان بعينه بعد فترة زمنية بعينها من متغيرات فى الطبيعة نتيجة للدراسة المستفيضة لحركة عوامل الطبيعة، بل ما يحدث من تغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية. وقد يتوهم بعض الناس أن هذا من علم الغيب الذى استأثر الله تعالى به ولا يطلع عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضى من رسول!!!

غير أن التدبر فى قول الله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ**

﴿ ... السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣] يزيل هذا التوهم ويرد النفوس والعقول إلى الحقائق الكونية المحيطة بالإنسان.

٣- وكثرة القواعد العسكرية التى تملكها أمريكا فى مختلف بقاع العالم، وزيادة عددها بعد حرب الخليج، وذلك مصحوب بقوة عسكرية ضخمة تملك أحدث الأسلحة المتطورة التى لا تقاوم بالنسبة لبلدان العالم الثالث، مع قوة اقتصادية لا تضاهيها فيها قوة أخرى حتى فى عالم دول الشمال..

ذلك وغيره جعل لأمريكا صوتًا مسموعًا بل مدويًا، وإرهابا لكل من يقف فى طريق سياستها إرهابًا اقتصاديًا وعسكريًا عند اللزوم.

● لكن على الرغم من كل هذه العوامل المساعدة لأمريكا على العولمة بالإضافة إلى الأسباب التى ذكرنا؛ فإن التصدى لسياستها فى العولمة والسيطرة على العالم ليس مستحيلا.

وهذا التصدى لا ينتظر من العالم الأول أو الثانى لأنهم قد يكونون أصحاب مصالح مشتركة مع أمريكا... ولكن هذا التصدى قد يكون من العالم الثالث المقهور المنهوب الذليل الخاضع للعولمة، ولقد انكسرت سياسة أمريكا فى فيتنام وفى إيران وفى الصومال إزاء إرادة هذه الشعوب وإصرارها على التصدى.

● إن العالم الثالث اليوم فيه صحوة لمواجهة سياسة السيطرة الأمريكية وفيه بلاد قوية نسبيًا، ومستقلة فى اتخاذ قرارها، والمستقبل كله بيد الله والمتغيرات كذلك بيده، والأسباب كلها بيده يهيئها لمن يشاء عندما يشاء، ولنتدبر هذه الآيات الكريمة:

- ﴿ ... بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧].

- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٣٢) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٢، ١٣٣].

- ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

- ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك : ١٦ ، ١٧] .

● إن دول العالم ينقصهاأن تتحد ضد قهرها وإذلالها، وأمريكا تقاوم هذا الاتحاد بكل وسيلة غير مشروعة، وتتخذ من كثير من حكومات العالم الثالث وسائل لتكميم الأفواه وتقييد العقول وتنفير العلماء، وتسميم أجواء الفكر والإبداع .

- ومن المبشرات أن عددًا من دول العالم الثالث أخذت تتحرك فى حذر،وتنظر بإحدى عينيها لمصالحها وبالعين الأخرى لأمريكا خشية أن تغضب، فكان لهذه الدول تجمع من خمس عشرة دولة ينعقد سنويًا، ولقد ندد بالعولمة ولكنه لم يستطع أن يصدر قرارًا ضدها،ولقد زاد عدد أعضاء هذا التجمع إلى تسع عشرة دولة، ولعله فى لقاء تال يتخذ ضد العولمة إجراء يرد عليه كرامته ومصالحه، ويكشف بوضوح عن الأهداف الشريرة الخبيثة لأمريكاوللعولمة!!!

● إن دعاوى العولمة عريضة وعالية الصوت وضاغطة من شتى أجهزة الإعلام، ومن أبرز هذه الدعاوى:

- الأسواق العالمية التى يجنى ثمرتها جميع الناس، وهى دعوى باطلة لأن الذى يجنى الثمرة هو أمريكا .

- و«التكنولوجيا» العالمية التى يعم نفعها للجميع، وهى دعوى باطلة كسابقتها لأن هذه «التكنولوجيا» محرمة على معظم الدول، ومن ثم فإن نفعها مقصور على من يملكها أى أمريكا .

- والتضامن العالمى الذى يضفى - فى زعمهم - الطابع الإنسانى على تلك العولمة فتتولد عنه قيم أخلاقية تقتضى - بزعمهم - أن تكون عوائد التنمية العالمية متاحة للجميع فى شتى أنحاء العالم، مع أن عوائد التنمية تصب فى يد أمريكا وحدها .

- والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، وتحسين أحوال الطبقات الفقيرة، وهى دعاوى باطلة، لأن العولمة تنافس ضار بين ضعيف وقوى، ونهم شديد إلى الربح، وتركيز للثروات فى أيدى قلة من الناس، وللفقراء بعد ذلك أن يزدردوا فقرهم ويتنفسوا حاجتهم وملقهم ويرضوا بما تصنعه فيهم العولمة!!!

حقيقة العولمة :

بعد هذه الجولة التى تحدثنا فيها عن العولمة؛ أسبابها ومبرراتها والعوامل التى ساعدت أمريكا عليه، نحاول أن نوضح حقيقتها من وجهة نظرنا معشر الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر،وبانه سبحانه وتعالى رب كل شيء ومليكه وأن الأسباب كلها بيديه فنقول :

● إن العولمة شر كلها مهما حاولت أمريكا طلاءها بأزهى الألوان الخادعة، فهى بكل تأكيد - كما ترى فى الواقع - ليست من أجل أن يتساوى الناس فى الحقوق والواجبات، وليست دعوة إنسانية أو أخلاقية أو مساندة للمهمّشين فى الحياة، وليست عدالة اجتماعية،وليست شرعية دولية، وليست محافظة على حقوق الإنسان.

وإنما هى تعنى أن تسيطر أمريكا على دول العالم، بحيث يصبح العالم غابة يأكل قويها ضعيفها، ويفترس ذو الناب والمخلب فيها من ليس بذى مخلب أو ناب.

● إن العولمة كما عبرت عنها المؤتمرات العالمية التى دعت إليها أمريكا مثل : مؤتمر السكان، ومؤتمر التجارة والتنمية «أونكتاد» و«الجات»وغيرها، جاءت كلها لتغير شرائع الله العادل الرحيم بخلقه لتحل محلها تشريعات بشر لا يشبعون من الشهوات والأموال ويتلذذون بظلم الناس ما دام ذلك يحقق لهم مصلحة أدنى مصلحة!!!

وأصابع اليهود شر عباد الله وأشدهم عداوة للذين آمنوا وتدبيرهم واضح فى مخططات العولمة التى تنادى بها أمريكا، بحيث يستطيع المراقب أن يلحظ التشابه الشديد بين أهداف العولمة وما جاء فى «التلمود» و «بروتوكولات حكماء صهيون»، إن اليهود اليوم فى مطلع القرن الحادى والعشرين يركبون أمريكا على أنها الحمار الذى طالبهم «التلمود» بركوبه، وأمريكا بدورها تريد أن تجعل العالم كله الحمار الذى تركبه وهى تقطع به الطريق إلى العولمة!!! فهل يحس العالم بذلك؟

● إن ا لعولمة التى تنادى بها أمريكا تفقد عنصرين أساسيين هما من أهم عناصر الحياة على وجه الأرض :

أحدهما :

العدالة : وفى هذا المجال نجد أن أمريكا تفردت وتزعمت بغير منازع ازدواجية المعايير من أجل اعتبارات دينية حينا وعرقية حينا، فهى أكبر دولة فى التعامل بمكيالين وميزانين حسب ما تمليه عليها مصالحها دون حياء أو خجل.

وأمريكا هى أجرأ الدول على تصنيف الناس حسب أديانهم وأعراقهم وألوان بشرتهم – على الرغم من أن دستورها يحرم ذلك – لكن من الذى يحاسبها؟

والآخر:

الإنسانية: وهى احترام الإنسان بوصفه إنسانًا دون أى اعتبار آخر؛ وذلك أن أمريكا منذ نشأتها وإلى اليوم لم تعرف النزعة الإنسانية فى تعاملها مع الهنود الحمر أو الأفارقة والملونين وسائر الناس، أو فى تعاملها مع إيران، وسوهرتو، أو مع كل قضية سياسية عادلة تضمن حق شعب مغلوب، حيث تستعمل حقها فى الاعتراض على العدالة، ومن شك فى ذلك فليحاول إحصاء استعمال أمريكا لحق الاعتراض لصالح العدوان الإسرائيلى على الفلسطينيين وعلى الآمنين من الأطفال والنساء والشيوخ بل اللاجئين إلى مبانى هيئة الأمم المتحدة!!!

● إن العولمة تفقد العدالة والإنسانية بكل تأكيد يشهد به القاصى والدانى من كل من كان له عين تبصر وبصيرة تعى، حتى من بعض الأمريكيين أنفسهم.

ولقد صرح نائب رئيس البرازيل بأن الهدف الذى تسعى إليه دول الخمس عشرة هو البحث عن نظام للعولمة أكثر عدالة أو أكثر إنسانية.

● إن العولمة التى تتبناها أمريكا وتريد أن تسيطر على العالم هى قسمة بينها وبين إسرائيل، حيث يجتمع الدهاء والخبث والرذائل اليهودية وحب الشر والفساد والإفساد، يجتمع ذلك كله مع القوة والثروة الأمريكية، فتكون العولمة فى صالحهما معًا، إسرائيل تستغل قوة أمريكا وأموالها لصالح مشاريعها غير الإنسانية، وأمريكا تستغل خبث اليهود ودهاءهم للشر والفساد، لصالح تربعها على عرش العالم.

تلك فى تصورنا هى حقيقة العولمة.

وبعد: فإن البيت المسلم لابد أن يشارك فى كشف أبعاد العولمة وأهدافها، وأن يوضح لكل من يتعامل معه فى داخل البيت وفى خارجه يوضح كل ما يعرفه من أسباب العولمة ومبرراتها، إن ذلك واجب البيت المسلم فى مشاركته السياسية فى تلك القضايا التى تحيط بالبيت المسلم والمجتمع المسلم والعالم الإسلامى، وتوشك أن تخنقه بالقضاء على أمله فى عيش كريم فى ظل نظام عادل اختاره الله تعالى للبشرية كلها ديناً ومنهجًا ونظامًا.

وإن البيت المسلم الذى لا يشارك فى ذلك بيت سلبى يسىء إلى نفسه وإلى مجتمعه

وإلى دينه، مهما التزم أفراده بأخلاق الدين وآدابه فيما بينهم، لأن العبرة فى التمسك بمنهج الإسلام أن يجد متنفسًا خارج البيت فى المجتمع المحلى والمجتمع العربى والمجتمع الإسلامى كله.

إن البيت المسلم يخطط له أعداؤه ليعزلوه عن قضاياه الهامة ويضللوه – عن طريق مفكرين مصطنعين للأعداء – يردون عليهم كلمات من القرآن الكريم ليثبطوهم مغالطين حينما يعرضون قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وقد شرحنا أن هذه الآية الكريمة توجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولكن المغالطين يوردونها فى غير موردها.

كما يعرضون قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [القصص: ٥٦] وهو عرض يستهدف تفسيراً مغالطًا، ثم يأتى سيل من الأمثال العامية المحبطة المثبطة السلبية التى عبرت عن أزمنة القهر واليأس والذل أمام الحكام الباطشين مثل: دع الخلق للخالق، وإن أحداً لا يستطيع تعديل الكون، وامش بجانب الحائط، والحيطان لها آذان.. إلخ وكلها تصيب الفرد المسلم والبيت المسلم بمرض السلبية والانعزالية والإحباط.

● والبيت المسلم يجب أن يوظف ليشارك سياسيًا فى كل قضية من قضايا المجتمع، وإلا قعد البيت المسلم عن واجبه فدخل بذلك فى دائرة الإثم والحرج.

الهدف الثالث : توظيف المسجد واستثمار أنشطته سياسياً

المسجد أهم مؤسسة إسلامية على الإطلاق، إذ هو يفضل أى مؤسسة أخرى من المؤسسات التى تنشئها النظم الإسلامية للمجتمع؛ لأنه يجمع فى داخله عدداً من الأنشطة التى تسودها روح المسجد وروحانيته وما يمارس فيه من عبادات أو أعمال توصف كلها بأنها عبادات.

●وكل مسلم مطالب بأن يتدبر ويطيل التفكر فى عمل الرسول ﷺ عندما أمره الله تعالى بالهجرة إلى المدينة المنورة إذ كان أول عمل له بل أهم عمل هو إقامة المسجد، فهذا يقطع بأهمية المسجد فى الإسلام وضرورته للمسلمين.

– ولقد شارك الرسول ﷺ أصحابه فى بناء المسجد وحمل الحجارة واللبن بنفسه، وقد رآه أُسيد بن حضير رضى الله عنه يحمل حجراً فقال له: يا رسول الله أعطنيه – أى لأحمله عنك – فقال له ﷺ: «اذهب فاحتمل غيره فإنك لست بأفقر إلى الله منى».

وروى محمد بن الحسن المخزومى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: بنى رسول الله ﷺ مسجده، فقرَّب اللبن وما يحتاجون إليه، فقام رسول الله ﷺ فوضع رداءه، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار ألقوا أرديتهم وأكسيتهم وجعلوا يرتجزون ويعملون ويقولون:

لئن قعدنا والنبى يعمل ذاك إذًا للعمل المضلل

– وكان الصحابة رضى الله عنهم يحمل كل منهم لبنة لبنة، وعمار بن ياسر رضى الله عنه يحمل لبنتين؛ لبنة عنه ولبنة عن رسول الله ﷺ، فمسح رسول الله ﷺ على ظهره وقال: «يا ابن سمية للناس أجر ولك أجران».

– وكان بناء المسجد والصلاة فيه قبل أن يشرع الأذان لجمع الناس للصلاة، وقبل مؤاخاة الرسول ﷺ للمهاجرين والأنصار، وقبل تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة.

كل هذه الأوليات دليل قاطع على أهمية المسجد وحيويته فى بناء شخصية المسلم بناءً متكاملاً، إنه مسجد ومدرسة متعددة المناهج والمراحل، وإنه مقر طاهر نبيل لاجتماع المسلمين حول فريضة الجمعة كل أسبوع، وإنه مكان كريم نقى يتشاور فيه المسلمون فيما يهمهم أو يشغلهم فى حالتى السلم والحرب، وهو المكان الذى كانت تعقد فيه الرايات وتختار القيادات لتوجه إلى المعارك التى يرى رسول الله ﷺ خوضها.

● المسجد فى الإسلام جزء أساسى من حياة المسلمين،وعبادة الله تعالى فيه تفضل العبادة فى غيره، والسعى إليه وتكثير الخطوات إليه يزيد فى الحسنات،وعبادة الاعتكاف لا تكون إلا فيه.

وهو بيت الله لا ينبغى أن ينسب إلى غيره،والذين يعمرونه بالتردد عليه والعبادة فيه هم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ولا يخشون إلا الله.

● وفى المسجد يطلب العلم وتعقد فيه حلقاته، وهو بذلك أول مدرسة للمسلمين، ولا يزال المسجد حتى اليوم فى العالم الإسلامى كله مكان عبادة وعلم وتعلم وتعليم وتعارف بين المسلمين، وسيظل كذلك إلى أن يشاء الله تعالى.

وهو المكان الذى ينبغى أن يمر عليه المسلم أولاً وقبل ذهابه إلى بيته إن كان راجعًا من سفر.

والمساجد رياض الجنة، كما روى الترمذى بسنده فى باب الدعوات وعلى أبواب المساجد تقعد الملائكة فقد روى أحمد بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: إذا كان يوم الجمعة خرج الشياطين يرثبون[1] الناس إلى أسواقهم ومعهم الرايات وتقعد الملائكة على أبواب المساجد يكتبون الناس على قدر منازلهم؛ السابق والمصلى[2] والذى يليه حتى يخرج الإمام...».

وروى النسائى فى باب الإمامة: «فلو صليتم فى بيوتكم وتركتم مساجدكم لتركتم سنة نبيكم».

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان».

● والمساجد هى الأماكن التى أوجب الإسلام أن تنزه عن كل ما يليق بقدسيتها ومكانتها إذ هى بيوت الله، فقد روى ابن ماجة بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «خصال لا تنبغى فى المسجد؛لا يتخذ طريقًا،ولا يُشهر فيه سلاح، ولايقبض فيه بقوس، ولا ينشر فيه نَبْل، ولا يُمر فيه بلحم نئ، ولا يضرب فيه حد ولا يقتص

---

(١) يرثبون الناس إلى أسواقهم أى يصرفونهم إليها ويصرفونهم عن المساجد.

(٢) المصلى هنا: الذى يتلو السابق، وليس الذى يؤدى الصلاة فهى كلمة لها معنيان.

فيه من أحد،ولا يتخذ سوقًا».

وروى ابن ماجة بسنده عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم، وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم، وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجمّروها(١) فى الجُمع»(٢).

هذه مكانة المسجد أهم مؤسسات من المؤسسات التى جاءت بها الأنظمة الإسلامية للمجتمع فما وظيفته وما أهم الأنشطة التى تمارس فيه؟

---

(١) جمروها: أى بخّروها بالبخور الطيب.

(٢) أى فى أيام: الجمعة من كل أسبوع.

١- وظيفة المسجد وأنشطته

من المعروف المسلَّم به - كما قلنا فى حديثنا عن البيت المسلم - أن دين الإسلام ومنهجه فى بناء المجتمع المسلم يقوم على إعطاء أكبر الاهتمام ببناء الأسرة وبث القيم التى تبنى عليها الأسرة، وذلك أن الإسلام يعتبر الأسرة الصغيرة نواة الأسرة الإسلامية الكبيرة التى تجمع تحت لوائها الإنسانية كلها.

إن منهج الإسلام فى بناء المجتمع أو الأسرة الإنسانية هو أن يغرس فى نفوس الناس الأخوة والتعارف والتعاون والتآلف والتناصر، والتواصى بالحق والصبر؛ تصديقًا لقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [الحجرات: ١٣].

● وإذا كانت الأسرة بهذا الوصف قد حظيت من الإسلام ومنهجه بهذا الاهتمام -الذى أوضحناه آنفًا - فإن المسجد قد حظى من الإسلام ومنهجه بنفس الاهتمام، إذ المسجد يكمل ما بنته الأسرة وما غرسته فى أفرادها من قيم فاضلة، بل ينمى هذه القيم ويمدها بأسباب القوة، متعاونًا بذلك مع الأسرة فى بناء المجتمع الراشد المتجه نحو غايته التى ألزمه بها الإسلام وهى نقل من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى لتسقيم الإنسانية كلها على طريق الحق طريق عبادة الله وحده لا شريك له.

● فالارتباط بين الأسرة والمسجد وثيق وعضوى، فالأسرة تنجب وتربى وتعلم الخطوات الأولى على درب الحياة الإنسانية وتغرس أفضل القيم وأرضاها لله تعالى، والمسجديرعى هذا الغرس وينميه ويمده بماء الحياة أى بالإيمان بالله واليقين بألوهيته وربوبيته والالتزام بشرعه وبالأدب الإسلامى فى التعامل مع الناس والمواقف والأحداث.

تلك أولى وظائف المسجد فى حياة المسلمين وأهمها.

● وفى المسجد أنواع من التربية الإسلامية للفرد وللمجتمع نذكر منها:

أولاً: تدريب على الانضباط:

الانضباط فى التوقيت عندما ينادى المؤذن «الله أكبر.. كلمات الأذان» فإن على كل مسلم أن يستجيب لهذا النداء تاركًا كل ما يشغله عنه من عمل، لأن الدعوة موجهة إليه

من الله تعالى: حى على الصلاة حى على الفلاح» والله تعالى أكبر من كل عمل.

وهو انضباط يتدرب عليه المسلم فى اليوم خمس مرات.

ثانياً: تدريب على النظام:

وبداية هذا النظام أن المكان فى الصف الأول لمن سبق، وأنه لا يجوز لمسلم أن يتخطى المصلين ليصل إلى الصف الأول، وأنه يجب أن يقف فى صف الصلاة بمحاذاة أخيه منكبًا إلى منكب وقدما إلى قدم، والوجوه كلها نحو القبلة.

وأنه يلتزم باتباع الإمام فلا يسبقه بركوع أو قيام أو سجود أو تسليم، ويلتزم الخشوع وعدم الصخب أو رفع الصوت فى المسجد.

ثالثًا: تدريب على التواضع:

فالغنى يقف إلى جانب الفقير، وصاحب الجاه والمكانة يقف إلى جوار من لا جاه له ولا سلطان؛ وذلك دعم للأخوة فى الله بين المسلمين، ومدعاة إلى تفقد أخيه المسلم عندما يغيب عن الصلاة فيزوره أو يعوده إن كان مريضاً ويعرف من ظروفه وأحواله ما يوجبه عليه دينه، ويقدم له من واجبات الأخوة فى الله ما استطاع.

رابعًا: تعليم وتفقيه بأمور الدين والدنيا:

ففى المسجد حلقات العلم والدرس والسؤال والجواب عن كل ما له صلة بحياة المسلم، بل بحياة المسلمين فى الأقطار الأخرى، ليعرف كل مسلم ما يجب عليه نحو أخيه المسلم فى أى وطن يعيش فيه، لأن عون المسلم لأخيه المسلم مرضاة لله تعالى ومجلبة لمغفرته وعونه سبحانه وتعالى لأن الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه.

خامسًا: دعم الإيجابية وتحمل المسئولية:

ففى المسجد تصقل شخصية المسلم، ويزال عنها ما يحتمل أن يكون قد علق بها من عيوب اجتماعية، كالانعزالية والتواكل والهروب من تحمل المسئولية، فهو مع الناس خمس مرات فى اليوم يتعرف عليهم ويؤاخيهم ويقدم إليهم العون والمساعدة،ويتواصى وإياهم بالحق والصبر، وينصرهم ظالمين بكفهم عن الظلم ومظلومين بأخذ حقهم لهم من ظالميهم.

● هذه صورة مصغرة لوظائف المسجد، وغيرها كثير، ومن أجل ذلك كان تردد المسلم على المسجد فى اليوم خمس مرات وكانت صلاته فى المسجد أفضل من صلاته فى بيته أو

سوقه بخمس وعشرين مرة أو سبع وعشرين.

وعلى وجه الإجمال: فإن مكونات شخصية المسلم وهى:

الإيمان والإسلام والعدل والشورى والإحسان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، هذه المكونات كلها يتعلمها المسلم من المسجد، كما يفهم ذلك من قوله تبارك وتعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

● ولأن المسجد له هذه الأهمية فى حياة المسلمين، فإن كلمة العلماء أجمعت على أن من أعظم الذنب وأكبر الجرم أن يمنع أحد عباد الله من مساجد الله، أو يسعى أحد فى تخريبها أو تحويلها عما بنيت له، إذ شدد الله تعالى النكير على هؤلاء وأولئك وأوعدهم ووصفهم بأنهم ظالمون، وتكفل بأن يخزيهم فى الدنيا ويعد لهم أعظم العذاب فى الآخرة، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة: ١١٤].

– تلك أنشطة المسجدكما عرفها المسلمون على عهد رسول الله ﷺ وصحابته رضى الله عنهم، وكما عرفها المسلمون من بعدهم إلى يومنا هذا، وما انحرف بعض المسلمين بالمسجد عن وظائفه وأنشطته إلا وكان من وراء هذا الانحراف ظالمون مستبدون يعادون الله ورسوله والمؤمنين.

– وتلك وظائف المسجد فى مختلف العصور كما سجلها كبار العلماء كالإمام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ) والإمام العبدرى (٠٠٠ – ٦٧٨هـ) والإمام السيوطى (٨٤٩ – ٩١١ هـ) وغيرهم.

– قال ابن تيمية عن وظائف المسجد: «وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هى المساجد، فإن النبى ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى؛ ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم، والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه

يجتمع المسلمون عنده – أى عند النبى ﷺ – لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم.

وكذلك كان عماله ﷺ فى مثل مكة والطائف وبلاد اليمن وغير ذلك من الأمصار والقرى، وكذلك عماله على البوادى والقرى فإن المسجد كان لهم مجمعا فيه يصلون وفيه يساسون...

وكان الخلفاء والأمراء يسكنون بيوتهم كما يسكن سائر المسلمين فى بيوتهم، ولكن مجلس الإمام الجامع هو المسجد الجامع...»[1].

– وقال الإمام العبدرى: «أفضل مواضع التدريس هو المسجد لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تُحيا به سنة أو تُخمد به بدعة، أو يتعلم فيه من أحكام الله تعالى شىء، والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوافرًا، لأنه موضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم، بخلاف البيت فإنه محجور على الناس إلا من أبيح له، والبيوت لا تحترم وتهاب إذا أتيحت للجميع»[2].

– وقال الإمام السيوطى: «إن دروسًا مختلفة رتبت فى الجامع الطولونى – بمصر – وقد شملت: التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة، والقراءات، والطب، والميقات»[3].

● ومن أنشطة المسجد تزويد المسلمين بالعلم والمعرفة والثقافة ولذلك كان بالمسجد دائمًا مجموعة من الكتب – مكتبة –[4] شاملة متنوعة إلى حد ما، منظمة يقوم عليها أحد رواد المسجد، تسهم فى تزويد المسلم بالعلم والمعرفة والثقافة العامة التى تلزمه لشئون دينه ودنياه.

هذا هو الأصل فى المسجد؛ قلب نابض فى المجتمع المسلم، وتجمُّع تمارس فيه الدعوة وتنطلق منه الحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق، فهل يعده المسئولون عن المساجد هذا الإعداد؟

إنهم اكتفوا بأن جعلوه وقفا تابعًا لوزارات الأوقاف وهو أولى أن يكون مصدراً إعلاميًا!!!

كم عدد المساجد التى توجد فيها مكتبات شاملة متنوعة؟ وماذا تزود به مكتبات

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى: ٣٢/٣٩ ط السعودية على مدى أكثر من خمس سنوات.

(٢) العبدرى أحمد بن على: المدخل: ١/٥٨.

(٣) الإمام السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة: ٢/١٣٨.

(٤) أغلب ما يكون ذلك فى المساجد الجامعة وإن كانت سائر المساجد لا تخلو منها.

المساجد من كتب ودراسات تتيح لمن يتردد على المسجد أن يطلع على ما يهمه فى دينه ودنياه ووطنه المحلى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى؟

وكم عدد الساعات التى تفتح فيها أبواب المساجد للمسلمين؟ ومن ذلك العدو اللدود للإسلام والمسلمين الذى جعل المساجد تفتح أبوابها للصلوات ثم تغلق بعدها؟

متى يقرأ الناس ومتى يتعبدون ومتى يتعلمون، ومتى يتحلقون لمجالس الذكر والمدارسة؟

أليس من وضعوا هذا النظام للمساجد فأغلقوها معظم الوقت أمام المسلمين من الظالمين الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه؟

● إن الأصل فى المسجد أن يجتذب المسلمين خمس مرات فى اليوم، ليتعبدوا ويتعلموا ويتثقفوا ويتزودوا بأخبار العالمين العربى والإسلامى، إن على وزارات الأوقاف أن تراجع نفسهاوأن تتقى الله فى المساجد ووظائفها،وأن تضع فى اعتبارها تلك المؤسسات التى أصبحت تزاحم المسجد وتجتذب الناس إليها.

● إن كثيرا من المشكلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بل والسياسية، بالإضافة إلى المشكلات الخلقية والسلوكية قد لا تجد لها حلا إلا عندما يعود الناس إلى المسجد المفتوح أمامهم طوال النهار، حيث تظلهم روحه وتجمعهم آدابه، ويوثق ما بينهم من أخوة فى الله ومحبة فيه.

وإن مكانا آخر لا يستطيع أن يحقق هذه الوظائف المنوطة بالمسجد.

٢- كيف يؤثر المسجد تأثيراً سياسيًا

الأثر السياسى للمسجد جزء من أثره التربوى، وجانب هام من جوانب شخصية المسلم التى يصقلها المسجد ويمدها بعناصر النماء، لا ينكر هذه الحقيقة إلا من كان غافلاً فقصر نظره عن إدراك وظيفة المسجد وأنواع الأنشطة التى تمارس فيه.

إن المتغيرات المستمرة فى حياة المسلمين بفعل الزمان والمكان وبتأثير الأصدقاء والأعداء، هذه المتغيرات توجب على المسلمين أن يكونوا أهلاً لقبول الصالح منها ورفض ما يتعارض مع ثوابت العقيدة والعبادة والخلق الإسلامى.

● إن أعداء المسلمين يدركون أثر المسجد وفاعليته فى حياة الناس بكل شعبها الدينية والاجتماعية والسياسية، ومن أجل هذا وجهوا للمسجد ضربات عاتية تصرفه عن أداء وظائفه وتصرف المسلمين عنه.

● وكان هؤلاء الأعداء - وبخاصة فى فترة ضعف المسلمين - هم المسيطرين على بلدان العالم الإسلامى بعد أن مزقوه سياسيًا وأفسدوه اجتماعيًا وشوهوه ثقافيًا بوصفهم الذين احتلوا أرضه وسيطروا على مرافقه ومؤسساته، وكان للمسجد من كيدهم وحربهم أوفى نصيب، مما نذكر بعضه فيما يلى:

- أهملوا عامدين - وكان بيدهم الأمر والمال - عمارة المساجد والإنفاق عليها وتجديد ما تقادم منها، ومدها بالمرافق التى كانت تمد بها مؤسسات كثيرة بعضها كان يعادى المسجد بإهماله لينفر الناس منه وأحيانًا تعطيله، وأحيانًا إغلاقه أمام المصلين.

- وأهملوا استحقاقات العاملين فى المساجد، بعد أن أساءوا اختيارهم، فكانوا من أفقر الناس وأقربهم إلى الجهل، فجعلوهم فى ذيل الموظفين والعاملين فى الدولة من حيث مكانتهم ورواتبهم ومخصصاتهم.

- وتعمدوا إهمال أئمة المساجد وخطبائها، فلم يفلت من بين براثنهم إلا جامعة الأزهر - التى حاربوها ما وسعهم وشوهوها ما استطاعوا - التى تداركت الأمر فأنشأت قسم الوعظ والإرشاد فى كلية أصول الدين، ثم كانت كليات الدعوة فى عدد غير قليل من بلدان العالم الإسلامى، وكان ذلك بفضل الله وتأثير الصحوة الإسلامية قبيل منتصف القرن العشرين الميلادى.

وامتد الإهمال المتعمد إلى أن يعتلى المنبر بعض الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا قليلاً، ثم جثمت الأنظمة العسكرية على كثير من بلدان العالم الإسلامى، فكان الخطباء موظفين لا يقولون إلا ما تأمرهم به الحكومة، وأصبحت المساجد لا تفتح إلا فى الصلوات وحوربت فيها الدروس وطورد المدرسون وأصبحت عيون الأمن ترصد المسجد بأكثر مما ترصد أوكار الفساد !!!

- وشن الأعداء حملات إعلامية فى مختلف أجهزة الإعلام، حملات تستهدف تشويه الدين والمتدينين وكان ذلك على أيدى المستعمرين أولاً وأذنابهم من الحكام ثانيًا،ثم جاء اليساريون بما فيهم من حقد على الدين والتدين فاشعلوها حربًا لا هوادة فيها،تشجع الإلحاد وتزرى بالدين، ولا تزال حملات الشيوعيين والاشتراكيين واليساريين على أعلى مستوى من الضراوة والشر حتى بعد انهيار الشيوعية والاشتراكية، لأنهم فى معظم بلدان العالم الإسلامى هم الممكنون من أجهزة الإعلام!!!

- ووضع أعداء الإسلام نصب أعينهم الاستيلاء على الأوقاف الخيرية التى أوقفها أصحابها على المساجد إخمالاً للمساجد، وافتياتا على نوايا الواقفين حتى من مات منهم، فصدر فى مصر قانون بإلغاء الأوقاف وتحويلها كلها إلى ميزانية الدولة وكان هذا الإلغاء فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر الذى يسجل له التاريخ أنه نكل بالمتدينين وحاربهم فى كل شىء حتى فى أرزاقهم وأعمالهم وحاضرهم ومستقبلهم، ولا يزال ذلك التنكيل ديدن كل حاكم مستبد فى العالم الإسلامى حتى اليوم وعلى من ابتدع هذا التنكيل وزره ووزر من عمل به إلى يوم الدين فكان هذا المنكل بالمتدينين أشد عداء للأديان والمتدينين من اليهود والشيوعيين والملحدين والمستعمرين وغيرهم!!!

- وشجع الازدراء بالدين والمتدينين والدعاة بعض المؤلفين المنافقين للحاكم المستبد الخائفين من معتقلاته ومحاكماته والسعداء بالتهجم على الدين، وهم مؤلفون أدعياء وكتاب صغار بما تضمره نفوسهم من شر للدين والديَّان، ولا تزال بعض أعمالهم معروضة حتى يومنا هذا!!!!

ومن عجيب الأمر أن أعمال المتهجمين على الإسلام من العلمانيين واليساريين تنتشر فى كثير من بلدان العالم الإسلامى،ويُشجع مؤلفوها ويُحابون ويمنحون المناصب فى الداخل والخارج،وأعجب العجب أن يسموا هذا الهراء فى التهجم على الدين إبداعًا ويعطوا لأصحابه الحرية فى السخرية من الدين ثم يمنحوهم الجوائز.

– وعندما يحدث من بعض الحكومات اعتناء بأحد المساجد بتجديده والعناية بأثاثه، فليس ذلك بسبب أنه مسجد له وظائف هامة فى حياة المسلمين، ولكن بسبب اعتباره مزارا سياحيًا، وهذا بسبب إرادة الله تعالى لا إرادة أعداء المساجد، والله تعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون!!!

● ومن المعروف أن ألد أعداء الإسلام والمسجد بعد اليهود، هم الشيوعيون الملحدون، الذين كانت حربهم للمساجد تعادل حربهم للإسلام نفسه، فكانت لهم فى المساجد أعمال هى جرائم إنسانية تتنكر لأبسط ما نادوا به من مبادئ خادعة.

– فقد حول الشيوعيون معظم المساجد فى البلاد التى استولوا عليها إلى مخازن للخمور – الفودكا – إمعانا فى الزراية بالإسلام ودور العبادة فيه، كما حولوا عدداً كبيراً منها إلى مخازن للبضائع(١)!!!

– وهدم الشيوعيون المساجد أو خربوها فى الجمهوريات المسلمة فى الاتحاد السوفيتى المنهار، «فقد بلغ عدد المساجد التى هدموها أو خربوها ستة وعشرين ألف مسجد فى الفترة الواقعة بين سنة ١٩١٧م بعد قيام ثورتهم المضللة وإلى سنة ١٩٤٥م، وتفصيل ذلك كما يلى:

أربعة عشر ألف مسجد فى آسيا الوسطى والتركستان.

وسبعة آلاف مسجد فى أورال جنوبى سيبيريا.

وأربعة آلاف مسجد فى أذربيجان،

وألف مسجد فى القرم(٢).

– كما قتلوا عدداً من علماء المسلمين تسربت إلينا أسماؤهم، ومنهم:

فيض الله خودزها من علماء تركستان.

وأتالييف من علماء تركستان أيضًا.

وبياتانوف من علماء أذربيجان.

وجلال كورمازوف، الذى قتلوه أبشع قتلة بعد تعذيب رهيب، وهو من القرم.

● وإذا كان عداء الشيوعيين للإسلام والمسجد – كما أوضحنا – فإن عداء الصليبيين

---

(١) وهكذا فعل طاغية تركيا مصطفى كمال بالمساجد تقربا إلى اليهود أجداده وإلى الملحدين جيرانه فى الاتحاد السوفيتى السابق.

(٢) محمد سامح عاشور: المسلمون تحت الحكم الشيوعى.

المحدثين ورثة المستعمرين لم يقل ضراوة وشرا عن عداء الشيوعيين الملحدين، وقد عبر عن هذا العداء للإسلام «الجنرال ألنبى» بعد أن استولت بريطانيا على بيت المقدس من الدولة العثمانية سنة ١٩١٧م حيث قال بكل حقد: «الآن انتهت الحروب الصليبية» إن بيت المقدس عندهم رمز للإسلام يجب الاستيلاء عليه.

ولو تركوا لاستولوا على البيت الحرام لأنهم يضمرون له حقداً لا يقل عن حقدهم على بيت المقدس، عبرعن ذلك كاتب فرنسى صليبى حاقد على الإسلام والمسلمين اسمه «هناتو»كان يعمل مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية حيث قال: «... وخلاصة القول: أن جميع المسلمين على سطح المعمورة تجمعهم رابطة واحدة بها يسيِّرون أعمالهم ويوجهون أفكارهم إلى الوجهة التى يبتغونها وهذه الرابطة تشبه السبب المتين الذى تتصل به أشياء تتحرك بحركته وتسكن بسكونه، ومتى اقتربوا من الكعبة، من البيت الحرام، من زمزم الذى ينبع منه الماء المقدس، من الحجر الأسود المحاط بإطار من فضة، من الركن الذى يقولون عنه إنه سُرَّة العالم، وحققوا بانفسهم أمنيتهم العزيزة التى استحثتهم على مبارحة بلادهم فى أقصى مدى من العالم للفوز بجوار الخالق فى بيته الحرام، اشتعلت جذوة الحمية الوثنية فى أفئدتهم فتهافتوا على الصلاة صفوفًا وتقدمهم الإمام مستفتحًا بقوله: «بسم الله» فيعم السكوت والسكون وينشران أجنحتهما على عشرات الألوف من المصلين فى تلك الصفوف يملأ الخشوع قلوبهم ثم يقولون بصوت واحد: «الله أكبر» ثم تعنو جباههم بعد ذلك قائلين: «الله أكبر» بصوت خاشع يمثل معنى العبادة»[١].

هذا الحقد على الإسلام ومحمد ﷺ ومكة والمسجد تناقلته أقلام أعداء الإسلام فى كثير من كتبهم ومجلاتهم، ومنهاقول أحد المبشرين: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعدها عنه إلا محمد وكتابه»[٢].

● ومن أجل أن يزيد أعداء الإسلام من إبعاد المسجد عن وظائفه التى أهمها تأثيره السياسى فى القضايا الحيوية فى العالم الإسلامى أدخلوا على المساجد أضرحة يقبرون فيها بعض الصالحين لكى تصبح هذه القبور مساجد وهو ما نهى عنه رسول الله ﷺ، فقد روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

---

(١) السيد محمد رشيد رضا: تاريخ الإمام محمد عبده: ٢/٤٠١-٤٠٦ باختصار.

(٢) ال: شاتليه: الغارة على العالم الإسلامى ترجمة محب الخطيب وآخر -- القاهرة ١٣٥٠ هـ.

فكم من مسجد فى العالم الإسلامى تُشَدّ إليه الرحال غير المساجد الثلاثة من أجل هذه الأضرحة.

- ثم سموا المساجد بأسماء الحكام والكبراء وبناة هذه المساجد مخالفين بذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

ولقد ترتب على نسبة بعض المساجد إلى بعض الناس خللان:

أحدهما: اعتقاد بعض جهلة المسلمين بنفع هؤلاء الذين نسبت إليهم المساجد أو ضررهم.

والآخر: أن بعض الناس أخذوا يتباهون فى بناء المساجد حتى تنسب إليهم تحف معمارية - كما يقولون.

فقد روى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشراط الساعة أن يتباهى الناس فى المساجد».

وبعد: فما هو الأثر السياسى للمسجد فى حياة المسلمين؟

الأثر السياسى هو: الأثر الذى يؤدى إلى أن يفكر الإنسان ويتدبر أموره، ويضع لنفسه سياسة يعيش عليها فى حياته، ويخضع لها سلوكه وأخلاقه وتعامله مع ربه ومع نفسه وأهله وذويه وإخوانه فى الدين بل مع سائر الناس.

- الأثر السياسى للمسجد يكون بأمور عديدة أهمها أمران:

الأول منهما:

أنه يعلم المسلم ويدربه على الالتزام باحترام المكان وهو بيت الله، واحترام الزمان وهو أداء الصلوات فى مواقيتها، والالتزام باحترام المكان والزمان هو لب السياسة وجوهرها لأن المسلم الذى يأخذ نفسه بذلك يسوسها نحو الحق والخير واحترام الحقوق وأداء الواجبات.

وباحترام المكان والزمان تحترم آداب المكان ووقائع الزمان لأن الله تعالى فضل بعض الأماكن على بعض ففضل المساجد على البيوت وفضل الثلاثة المساجد على غيرها من المساجد، وفضل مواطن الجهاد فى سبيل الله على غيرها من المواطن، كما فضل بعض الأزمنة على بعض ففضل ليلة القدر على غيرها من الليالى وفضل شهر رمضان على غيره من شهور السنة، وفضل الأشهر الحرم على غيرها.

وهذا التفضيل يلتزم به المسلم، وبه يضع لنفسه سلمًا لأولوياته فيكون ملتزمًا منظمًا وهذا لب السياسة وجوهرها،وإنما يتعلمه المسلم من المسجد.

والآخر منهما:

أن المسجد يعلم المسلم طيب القول وأحسن الكلام، ويدربه على أن ذكر الله هو خير الكلام، بل يعلمه خفض الصوت بالكلام والدقة فى اختياره، ومن كان كذلك فهوعلى درجة رفيعة من السياسة لأن حاجة الإنسان إلى حسن اختيار الكلام وخفض الصوت به حاجة مستمرة معه.

إن المسجد يعلم المسلم الحكمة والتعقل فى اختيار الكلام ويعلمه الرزانة والهدوء، وأن يقول خيراً أو يسكت، وأن يتجنب من الكلام ما يسىء به إلى نفسه أو غيره، فهل هناك سياسة يتعلمها الإنسان فى حياته أفضل من ذلك.

ومعنى ذلك أن للمسجد أثراً عميقًا فى حياة المسلم يتجاوز الأثر الشخصى فى العبادة من صلاة واعتكاف وتلاوة وذكر إلى ما هو أبعد وأعمق فى السلوك الاجتماعى للإنسان.

وعلى سبيل المثال:

فإن أداء ركعتى تحية المسجد عند دخوله توحى بأن هذا المسجد له من الإجلال والاحترام ما أوجب ذلك نحو صاحبه سبحانه وتعالى، وجميع مساجد الله فى الأرض تحيا بركعتين ما عدا البيت الحرام فإن تحيته الطواف حول الكعبة سبعة أشواط زيادة فى الاحترام والإجلال.

إن هذه التحية للمسجد تعين المسلم على رسم سياسة للتعامل بأدب واحترام مع كل من له حق التوقير والاحترام من والدين وأمير وقائد ومعلم وكبير فى السن أو فى المقام.

وهذه السياسة فى احترام من له حق الاحترام، ترسخ فى المجتمع قيما رفيعة، تؤدى إلى الاستقرار والحب والمودة بين الناس وتحاصر راذل الأخلاق وسفسافها.

ومثال آخر: هو الصلاة فى المسجد فى جماعة.

فإن صلاة الجماعة تطبع المسلم على الالتزام بموعد دقيق وتعلمه كيف يوقت كلماته وحركاته فى الصلاة، وكيف ينضبط فى الصف، ويكون تابعًا لإمامه.

وكذلك يعود المسلم على أن يضع لنفسه سياسة تقوم على حسن التوقيت وحسن الانضباط، والإقبال على العمل الجماعى، وتعلمه الطاعة والمتابعة فى الخير.

وتلك قمة السياسة بمعناها العام الذى لا يخرج عن التخطيط والتدبير وحسن الرعاية ودقة الأداء.

فإذا كانت الصلاة صلاة الجمعة فإن مع الصلاة خطبة هى بمثابة جزء من الصلاة فهى عبادة، ولها شروط وآداب وهى أنواع يجب أن يؤدى كل نوع منها وفق ما سن رسول الله ﷺ وفى المكان الذى يستحب أن تؤدى فيه.

– وللخطبة فى عمومها أثر سياسى جيد وفاعل إذ هى جزء وسبب فى تكوين الرأى العام الإسلامى وتنويره – كما سنوضح ذلك فى حديثنا عن الرأى العام الإسلامى وتكوينه بإذن الله تعالى فى الهدف الرابع والأخير من هذا الباب من الكتاب –.

● والخطيب فى المسجد لابد أن يكون مؤهلاً لذلك بكونه من العلماء بالإسلام، ومن المثقفين المتفتحين على استيعاب القضايا التى تتصل بالإسلام والمسلمين وعلى علم بالتيارات الموالية أو المعادية للإسلام والمسلمين، ومن أهل البيان والبلاغة والقدرة على الإقناع بما يقول وعلى جذب الناس إلى ما يدعو إليه.

● وليس من المبالغة فى شىء القول بأن خطبة المسجد هى أقوى وسائل المسجد فى التأثير السياسى على السامع.

ولعلنا بذلك قد أوضحنا ما قصدناه بقولنا: كيف يؤثر المسجد سياسيا؟ والله ولى كل توفيق.

لكن كيف توظف أنشطة المسجدسياسيا؟

ذلك ما سوف نوضحه فى الصفحات التالية والله المستعان.

٣- كيف تُوظَّف أنشطة المسجد سياسيا ؟

مجمل أنشطة المسجد - كما ذكرنا آنفا - هى :

- العبادة من خلال الصلاة والتلاوة والذكر .
- والتعليم والمدارسة والسؤال والإجابة .
- والمحاورات التى تستهدف إظهار الحق وإحقاقه .
- والتوجيه والنصيحة من خلال الخطب والدروس والمحاضرات والندوات .
- والاعتكاف أى التفرغ للعبادة فى المسجد والانقطاع لتلك العبادة حينا من الزمن، وأحب ما يكون الاعتكاف فى العشر الأواخر من شهر رمضان .

وكل نشاط من هذه الأنشطة يمكن أن يوظف سياسيًا لصالح المسلمين، وإن كان بعض المسلمين يغفلون عن توظيف هذه الأنشطة المسجدية المباركة .

ولتوضيح كيفية هذا التوظيف نقول والله المستعان :

أولاً : نشاط العبادة صلاة وتلاوة وذكراً :

- الصلاة كلها فرائضها ونوافلها وجماعتها والانفراد فيها تقوم على دعاء الله تعالى وتكبيره وتحميده وتسبيحه والتهليل له سبحانه وتعالى، وهى وقوف بين يدى الله تعالى يحلو لمن خشع قلبه وخاف ربه فامتثل أمره واجتنب نهيه، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال الله تعالى : ﴿ ... **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ...** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وحسبنا من وظيفة الصلاة أن تنهى المصلى عن الفحشاء والمنكر، فإن ذلك كبير وجليل الخطر فى سيرة الإنسان، والصلاة تتضمن صنوفًا من العبادة؛ التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والقراءة والوقوف والركوع والسجود والقعود والتشهد، وكل ذلك تعظيم لله تعالى،الصلاة بهذه المعانى يجب أن توظف لتقول للمصلى لا تفعل الفحشاء والمنكر لكيلا تعصى ربا هو أهل لما أتيت به من عبادات .

ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، فقد روى الطبرانى فى الكبير

بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً».

وعند توظيف الصلاة لتنهى عن الفحشاء والمنكر فهذه أحكم سياسة للمجتمع المسلم بل للمجتمع الإنسانى كله إذ ينتهى الناس فيه عن الفحشاء والمنكر بفضل الصلاة وحسن توظيفها.

وماذا يحتاج إليه المجتمع المسلم من سياسة أحكم أو أرشد من سياسة تعصم أفراده عن الوقوع فى الفحشاء والمنكر.

- والتلاوة:

تلاوة القرآن الكريم فى الصلاة جهراً أو سراً، وتلاوته فى المسجد والناس يسمعون أو تلاوة كل واحد بمفرده بحيث لا يشوش على غيره، كل أنواع التلاوة هذه عبادة لله تعالى أمر الله تعالى بها فى قوله تعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ...**﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وقوله جل شانه: ﴿**كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...**﴾ [الرعد: ٣٠].

والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهى وترغيب وترهيب أو ما يتوهم فيه ذلك وهو أخص من القراءة فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة.

والتلاوة فى المسجد - أو فى غيره - يجب أن توظف للأخذ بما جاء فيها من أمر بالاتباع ومن نهى بالاجتناب ومن ندب بالاستجابة وكل ذلك تطهير لأخلاق المسلم من شوائب المعصية، وإدخال له فى عز الطاعة لله تعالى.

- والذكر:

وكل ما يقال فى المسجد أثناء الصلاة ذكر لله تعالى، والذكر نوعان: ذكر بالقلب أى استحضار الذكر، وذكر باللسان أى نطق بالذكر، ومن الذكر بالقلب واللسان قوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾ [البقرة: ٢٠٠]. والمعنى أن أفضل حال العبد ذكره لرب العالمين أى اشتغاله بالأذكار الواردة عن النبى ﷺ، فلذلك ثواب عظيم عند الله تعالى، وشرط قبول الذكر والإثابة عليه: الإخلاص فيه والتوجه به إلى الله تعالى، لأن الأعمال بالنيات والإخلاص مخ العبادات كلها.

وفضيلة الذكر ليست منحصرة فى التهليل والتسبيح والتحميد والتكبير ونحوها، بل هى متسعة لأكثر من ذلك بكثير، كما قال سعيد بن جبير رحمه الله: «كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى» وكما قال عطاء رحمه الله: مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام، كيف تشترى وتبيع وتصلى وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه ذلك.

وأنواع الذكر كثيرة لا تكاد تحصى، وكل هذه الأنواع وردت عن رسول الله ﷺ .

والمسلم الذاكر لله تعالى بإخلاص، يذكره الله تعالى عنده فى الملأ الأعلى، ويوجب له الجنة، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ، فإذا كان الذكر فى جوف الليل أو فى دبر الصلوات وجاء بعد دعاء، فهو بإذن الله تعالى دعاء مستجاب كما أخبر بذلك الرسول ﷺ عندما سئل عن ذلك.

● وهذا الذكر يجب أن يوظف لصالح المسلمين، لأن الله تعالى يجيب دعوة الداعى إذا دعاه، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال جل شأنه ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...**﴾ [غافر: ٦٠].

فالواجب أن يوظف هذا الذكر وهذا الدعاء لصالح المسلمين جميعًا إذ هو أقرب إلى أن يجيبه الله تعالى كما وعد بذلك، فليكن الدعاء للمسلمين بالخير فى حاضرهم ومستقبلهم، وأن يدعو لهم بالنصر على أعدائهم، وبالتوفيق والفلاح فى سائر قضاياهم.

وهذا التوظيف للذكر والدعاء له أثر سياسى أكيد لا ينكره إلا من ران على قلوبهم الشك والارتياب.

ثانيًا: نشاط التعليم والمدارسة والسؤال والإجابة:

كان المسجد أول مدرسة يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم ودنياهم وكان معلم هذه المدرسة هو الرسول ﷺ، ثم توارث الصحابة رضى الله عنهم عن الرسول ﷺ التعليم.

وكان التعلم والتعليم من وظائف المسجد على عهد الرسول ﷺ، وما بعد عهده إلى يومنا هذا، فكان بديلاً عن المدرسة التقليدية وكان فيه غناء عنها لقلة عدد المسلمين آنذاك، فلما اتسعت بفضل الله رقعة العالم الإسلامى أنشئت المدارس والكتاتيب ودور الحكمة والعلم، وتعددت فى بدان العالم الإسلامى كله، وعلى الرغم من كثرة المدارس والكتاتيب وما إليها فقد ظل المسجد محتفظًا بوظيفته التعليمية لعلوم الدين وعلوم الدنيا على مر العصور، وبخاصة عندما يكون المسجد من المساجد الجامعة كما كان الشأن فى المساجد

المشهورة فى العالم الإسلامى كالجامع الأموى بدمشق وجامع الزيتونة بتونس والجامع الأزهر بالقاهرة وغيرها من المساجد الكبرى فى تاريخ الإسلام.

ولقد اشتهرت مصر من بين بلدان العالم الإسلامى بالجامع الأزهر وما يقوم به من تعليم العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية بوصفها لغة الإسلام ومفتاح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وعلوم أصول الدين، وكثير من العلوم الدنيوية، وقد ساندت الجامع الأزهر جوامع كثيرة قامت فيها حلقات التعلم والتعليم ولا يزال بعضها يؤدى هذه الوظيفة حتى يومنا هذا.

وكان تعليما تهيمن عليه روح المسجد وبركاته وآدابه، حيث كان لا يجلس فى حلقات العلم إلا من كان على وضوء.

ولقد انتقلت روح المسجد إلى كليات الأزهر بعد إنشائها فى الثلث الأول من هذا القرن العشرين الميلادى(1).

– وروح المسجد التى نتحدث عن سيطرتها على حلقات العلم إنما تعنى أن مجالس العلم هى مجالس الذكر التى تحفها الملائكة وتغشاها رحمة الله تعالى وتتنزل عليها السكينة، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده».

● وما دامت مجالس التعليم والتعلم فى المسجد بهذه المكانة، فإن توظيفها لصالح المسلمين عمل أساسى ضرورى.

فكيف يكون توظيف العلم والتعليم لصالح المسلمين؟

من المسلَّم به فى هذا المجال أمران:

الأول منهما:

أن علم الدين فرض كفاية يجب أن يتفرغ له من يستطيعون تبليغ دين الله إلى عباد الله، وفى فقه العلوم الدينية مرضاة لله تعالى، لأنه سبحانه قد أمر بذلك فى قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**...﴾ [التوبة: ١٢٢].

---

(١) لقد شهدت بنفسى وأنا أطلب العلم بكلية اللغة العربية بالقاهرة أن الشيخ الجليل محمود عنبر – رحمه الله – وكان يدرس لنا الحديث النبوى فكان يشترط على من يحضر محاضرة الحديث أن يكون على وضوء أو يغادر قاعة الدرس ليتوضأ.

والآخر منهما :

أن علوم الدنيا كلها ما دامت تجلب للمسلمين نفعًا أو تدفع عنهم ضرًا تعتبر من فروض الكفاية أيضًا،ويجب أن يوجه إليها المتعلمون والمعلمون ليجيدوا ويجددوا ويطوعوا هذه العلوم لتيسير الحياة وتطويرها وجلب المنافع لهم ودفع الأضرار عنهم .

● وفى هذين الأمرين توظيف للتعلم والعلم والتعليم، وكل علم يجب أن يوظف بجميع فروعه وتخصصاته .

والسياسة التى نتحدث عنها فى هذه التربية السياسية أصبحت علما قائمًا بذاته له موضوعه ومنهجه ومراجعه وأساتذته وبحوثه ودراساته وتقسيماته وأنواعه .

- وتوظيف مجالس العلم فى المسجد نحو علم السياسة لاحرج فيه ولا تثريب عليه أو على معلمه ومتعلمه،وذلك أن العالم الإسلامى - بما يحيط به من أعداء - يغلى فوق مرجل من الاعيب السياسة المعادية وحيلها .

وما أوجب أن يهتم المسلمون بعلوم السياسة وأن يدرسوا بتعمق ما يجنب المسلمين أحابيل السياسة المعادية، إن هذا الاهتمام وتلك الدراسة يمكنان المسلمين من رسم سياسة لأوطانهم المحلية وللوطن العربى والوطن الإسلامى، سياسة تجلب للمسلمين الخير والنفع عاجلاً أو آجلاً .

ومن المسلم به أنه لا يمكن وضع خطة اقتصادية مثلاً إلا بسياسة،ولا خطة للحرب أو السلام إلا بسياسة .

وعلم السياسة أصبح مدخلاً لجميع العلوم دون أدنى شك فى ذلك عند من يحسنون التأمل والتدبر .

فلابد إذن من توظيف مجالس العلم والتعليم فى المساجد لهذه السياسة .

ثالثًا : المحاورات التى تستهدف إظهار الحق وإحقاقه :

ما يمضى أسبوع - على بعض المساجد فى كثيرمن بلدان العالم الإسلامى - حتى تنعقد فيها محاضرات أو ندوات حول موضوعات هامة تدور حولها محاورات ومناظرات وتساؤلات بين المشاركين، وكثيراً ما يكون من المشاركين علماء بارزون أصحاب شهرة إلى جوارعلماء المساجد من أئمة وخطباء ومن جمهور المسجد .

– وفى هذه المحاضرات والندوات وما يعقبها من أسئلة ومحاورات وإجابات من العلماء والمتخصصين، لابد أن يكون الهدف من كل ذلك هو إظهار الحق وبيان أبعاده والتواصى به فى أى قضية تطرح للمناقشة والمحاورة.

وعلى سبيل المثال:

فإن قضايا بعينها كانت ولا تزال تثار فى المساجد – أيام كان المسجد يمكن أن تعقد فيه المحاضرات والندوات والمحاورات وقبل أن تستولى الحكومات على المساجد، وتحرِّم فتحها فى غير أوقات الصلاة المفروضة، وتحظر أى نشاط علمى أو ثقافى فيه – فى تلك الأيام التى كانت المساجد لله وللناس لا للحكومات شهدنا وتعلمنا وشاركنا وعلَّمنا فى تلك المحاضرات والندوات والمحاورات وأشهد أن هذا النشاط المسجدى كان ذا فوائد عديدة فى نشر الوعى السياسى والثقافى بقضايا الأمة المسلمة.

– وكانت القضايا التى تطرح فى المساجد آنئذ هى أبرز القضايا وأولاها بالمناظرة والمحاورة فى مجالات الاجتماع والثقافة والسياسة والاقتصاد، ومن أمثلة تلك القضايا:

قضية المرأة:

وهذه القضية أثارها الذين ذهبوا إلى أوربا أو جاءت إليهم أوربا فى بلادهم، فرأوا المرأة هناك عارية سافرة جريئة وقحة مخدوعة عن وظيفتها فى الحياة، فنادوا بسفور المرأة المسلمة وخلعها بعض ملابسها لإظهار شعرها ورقبتها وذراعيها وساقيها وجزءا من صدرها وآخر من ظهرها وتبرجها وتعطرها ووضعها الأصباغ على وجهها وأظافر يديها وقدميها واختلاطها بالرجال بل اختلائها ببعضهم.

وكان أول ما وفد إلينا هذا البلاء فى المرأة على يد من سافروا إلى الغرب للدراسة فى جامعاته[1] فعادوا ينادون بسفور المرأة المسلمة وتقليدها للمرأة الأوربية وأيدتهم فى ذلك الحكومة التابعة للمحتل المعادى وناصرتهم الصحف ووسائل الإعلام، لأن ولاء هؤلاء جميعاً لم يكن للإسلام وإنما كان لأعدائه أصحاب الحضارة الغربية الغالبة، حتى لقد نادى بعض الأدباء المشاهير بوجوب أن تأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها، حلوها ومرها. ولست

---

(١) كان منهم: منصور فهمى الذى سافر إلى باريس ١٩٠٨م وأعد رسالة للحصول على درجة الدكتوراة موضوعها: حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها» تهجم فيها على النبى ﷺ !! وقد رد على مفترياته: محمد لطفى جمعة فى صحيفة المؤيد الصادرة فى ٢٨ / ١ / ١٩١٤م وفند مزاعمه وأبطل مفترياته؛ مما جعل منصور فهمى يتراجع عن ضلاله وتهجمه ويعود إلى الحق ويدع الباطل.

أدرى كيف يكون كاتبًا أديبًا ذلك الذى يجلب لقومه الشر والمر؟ ولكن ذلك قد كان وتقوم شواهده فى كتب ذلك الكاتب حتى اليوم.

وقد نوقشت قضية المرأة فى عديد من المجلات والصحف ذات الانتماء الإسلامى والغيرة على المرأة المسلمة، وفى كثير من المحاضرات والندوات والمناظرات فى المساجد وفى الجمعيات الأدبية والسياسية،حتى وضحت بعد ذلك صعوبة أبعاد قضية المرأة فبطلت اتهامات الإسلام بأنه ظلم المرأة ومنعها من التعلم والعمل وقيد تصرفاتها ومنعها من حقوقها، كما كان يدعى الجهلاء بالإسلام أو الحاقدون عليه الذين يتابعون موجة الانحلال الأخلاقى التى كانت سائرة فى الغرب.

وقضية الدين والدولة:

وقد سُميت حينا الدين والسياسة،وخلاصتها فرية رددها أعداء الإسلام من المستشرقين والمستعمرين وأدعياء العلم بالإسلام يقولون فيها: إن الإسلام دين لا دولة وعبادة لا سياسة وأن النبى ﷺ رجل دعوة لا رجل دولة.

وقد ردد هذه الفرية رجل من علماء الأزهر ومن رجال القضاء الشرعى هو الشيخ على عبد الرازق، وألف فيها كتابا سماه: «الإسلام وأصول الحكم» روج فيه لمزاعم أعداء الإسلام.

وكانت هيئة كبار العلماء بالأزهر – بعد أن عجزت عن أن تحمل الحكومة على محاكمة على عبد الرازق لحماية المستعمرين له – عقدت اجتماعًا برياسة الشيخ محمد أبى الفضل الجيزاوى فى صباح الأربعاء ٢٢ من شهر المحرم سنة ١٣٤٤هـ (١٢–٨–١٩٢٥م) وكان عدد أعضاء الهيئة أربعة وعشرين عالمًا، واستدعت الشيخ على عبد الرازق، ووجهت إليه سبع تهم وناقشته فيما نسب إليه فلم يستطع جوابًا، فحكمت عليه بالإدانة وبمحو اسمه من سجل علماء الأزهر وطرده من وظيفته، وإقرار عدم أهليته للقيام بأى وظيفة عامة دينية أو غير دينية.

وقدكشفت صحيفة «ليفربول بوست» البريطانية عن أن انجلترا وراء تأليف الشيخ على عبد الرازق لكتابه الذى تهجم فيه على الإسلام وعلى النبى ﷺ، وعاونه على ذلك طغمة من حزب الأحرار الدستوريين فى مصر، وقد جاء فى مقال تلك الصحيفة الذى نشر فى ١٣/٨/١٩٢٥م أى بعد صدور الحكم ضده بيوم واحد قولها: «ولما عجز الأزهر عن حمل

الحكومة على محاكمة الشيخ على عبد الرازق أصدر قراراً بفصله من زمرة العلماء ».

وقضية التشكيك فى المصادر الإسلامية:

وهى قضية أثارها أعداء الإسلام من مستشرقين ومستعمرين وانجرَّ وراءهم فيها تلاميذهم من المسلمين يرددون باطلهم ويروجون مفترياتهم على الإسلام والقرآن والسنة.

وحمل عبء هذا الباطل الدكتور طه حسين فى كتابه: فى « الشعر الجاهلى » الذى شكك فيه فى مصادر هذا الشعر ووصف تلك المصادر بأنها منتحلة موضوعة شأنها شأن كل الروايات الشفهية التى لم توثق بالكتابة، وانطلق من ذلك إلى التشكيك فى وجود سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فقال: « إن هذه القصة أسطورة مختلقة لأغراض دينية وسياسية ».

وقد حوكم طه حسين على ما ردده من باطل، ولكن حاكمته النيابة العمومية، وليس الأزهر، لأن الأزهر كان قد طرده كذلك من زمرة علمائه وهو فى السنة النهائية من سنى دراسته فى الأزهر فتلقفه المستشرقون فى الجامعة الأهلية (جامعة القاهرة فيما بعد) ومنحوه درجة علمية هيأت له السفر إلى فرنسا والحصول على درجة الدكتوراه من هناك.

وصاحب هذه الفرية فى التشكيك فى المصادر الإسلامية هو « مارجليوث » المستشرق اليهودى الواسع التأليف والنشر لكتب العربية وهو أستاذ طه حسين وموجهه.

وقضية اليهود واستيلائهم على فلسطين:

فقد كان « بلفور » وزير خارجية بريطانيا قد وعد اليهود بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين التى كانت تحت سلطة الحكومة البريطانية، وكان وعده ذلك فى سنة ١٩١٧م.

وقد أثيرت هذه القضايا فى المساجد وتبودلت فيها الآراء وعقدت الندوات والمحاورات، وبخاصة قضية فلسطين ومؤامرات اليهود والإنجليز فى المساجد منذ عام ١٩٣٦م وعبأت المساجد الرأى العام ضد اليهود والإنجليز وجمعت التبرعات لمعاونة الفلسطينيين، ولما تآمر العالم الغربى والشرقى على إقامة دولة لليهود فى فلسطين عام ١٩٤٨ م وقامت الحرب بين العرب واليهود حشدت المساجد كل طاقاتها فى توضيح أبعاد هذه المؤامرة، وأبلت فى ذلك بلاء حسنا لم تستطعه الصحف والمجلات ووسائل الإعلام التى كانت تخضع للمستعمر سراً أو جهراً.

ولقد وظفت أنشطة المسجد آنذاك توظيفًا سياسيًا، لصالح القضايا الإسلامية، فأحدثت وعيًا سياسيًا ما كان لغير المساجد أن تقدر عليه(١).

رابعًا: التوجيه والنصح من خلال خطب المسجد ودروسه ومحاضراته:

هذا النشاط المسجدى الذى ركز على توجيه المسلمين نحو قضاياهم المحلية العربية والإسلامية بشرح أبعاد هذه القضايا وكشف الأصابع التى تحركها، سواء أكانت أصابع أعداء أو أصابع أولياء لهؤلاء الأعداء، ونصح المسلمين بما يجب عليهم من عمل للتعامل مع هذه القضايا، من خلال ما يلقى فى المسجد من خطب وما يعقد فيه من محاضرات وندوات ومناظرات ومحاورات.

– وقد كان المسجد بهذا العمل الوطنى العربى الإسلامى السياسى شوكة فى جنب القوى المعادية للإسلام والحكومات الخاضعة لهذه القوى المعادية، مما جعلهم يوجهون حربًا للمساجد تمثلت فى إهمالها وتقليص أثرها، ومنع عقد الاجتماعات فيها بعد قيام الانقلابات العسكرية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى!!!

– وقد أثيرت فى المساجد قضايا على جانب كبير من الأهمية الإسلامية مثل:

قضية الخلافة الإسلامية فى تركيا:

وهى فى تصورى أهم قضية إسلامية استنفرت العلماء فى المساجد.

وذلك أن دولة الخلافة الإسلامية فى تركيا – وإن لم تكن مكتملة الصفات الإسلامية للحكومة المسلمة – إلا أنها كانت رمزًا، وبخاصة بعد النجاح الذى حققته فى الانتصار على أعداء الإسلام والمسلمين فى أوربا فى كثير من بلدانها، حيث وصل نفوذها إلى جنوبى «فينا» ومشارف «لينينجراد وصربيا والجبل الأسود وكوسوفو والسنجق والبوسنة والهرسك» وقد امتد نفوذها السياسى إلى أوسع رقعة فى العالم الإسلامى وعالم الغرب نفسه، وكان فى نفوذها شبه جزيرة الأناضول وشبه جزيرة البلقان، والبحار الهامة الثلاثة: البحر الأبيض والبحر الأسود والبحر الأحمر.

– هذه الدولة تآمر عليها العالم الصليبى تؤيده الحركة اليهودية حتى أسقطوها، كما اعترفوا هم بذلك التآمر على الخلافة الإسلامية يقول أحد كتابهم: «ديجوفارا»: «إن الخطة للقضاء على الخلافة الإسلامية» قد بدأت عشية انتهاء الحروب الصليبية عام ١٢٩٨م

---

(١) انظر فى ذلك: مصطفى صادق الرافعى: مجموع مقالاته فى مجلة الرسالة التى جمعت فى كتاب: «وحى القلم» مقال: الأيدى المتوضئة.

واستمرت حتى حققت أهدافها عام ١٩١٨م، إن أصل العداوة المزمنة التى يشعر بها الأوربيون للأتراك راجعة إلى العداء الشديد الواقع بين النصرانية والإسلامية»[١].

– وفى عام ١٨٩٨م بعد أن عقد اليهود مؤتمرهم فى: «بال» بسويسرا بعام واحد، تمكن «هرتزل والحاخام اليهودى موشى ليف» من مقابلة السلطان عبد الحميد يستعطفه قائلاً له: «مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان، لقد وكَّلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء، عبيدكم المخلصون اليهود ويقبلون التراب الذى تدوسونه ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة، ولقاء أوامركم الجليلة العالية، نرجو أن تتفضلوا بقبول هديتهم – خمسة ملايين ليرة ذهبية».

وكان السلطان عبد الحميد قد أحيط علما بقرار المؤتمر العالمى للصهيونية فى سويسرا عام ١٨٩٧م، وعلى علم بوصول اليهود من روسيا، ولذا كان يعرف ما يقصده الوفد اليهودى من هديته، ولذلك وبعد أن استمع بكل هدوء إلى هذا العرض أمر مرافقه أن يطردهم من القصر، وأصدر على الفور أمرًا بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين»[٢].

وقد دفع السلطان عبد الحميد ثمن موقفه هذا باهظًا، إذ عملوا على إنشاء حركة مناهضة لدولة الخلافة بقيادة تركى يهودى هو مصطفى كمال الذى خلع الخليفة عبد الحميد بثورته، ثم أعلن إلغاء الخلافة الإسلامية بعد ذلك.

وكان أحد أعضاء الوفد الذى حمل إلى الخليفة نبأ خلعه هو: «إيمانويل قره صو» رئيس الجالية اليهودية فى ولاية سالونيك العثمانية».

● ولما أصدر مصطفى كمال اليهودى قرارًا بإلغاء الخلافة العثمانية كان القرار فى حقيقته إلغاء للمنهج الإسلامى فى الحياة فى تركيا كلها بدليل أنه تضمن ما يلى:

– تحويل تركيا إلى دولة علمانية لا دينية.

– وإلغاء اللغة العربية حتى فى الأذان وفى خطبة الجمعة.

– وإلغاء التشريعات الإسلامية كلها فى البلاد.

– وإلغاء المدارس الشرعية والمحاكم الشرعية.

– وإلغاء التقويم الهجرى.

– وإغلاق أكبرمسجدين فى استانبول – مسجد أيا صوفيا ومسجد محمد الفاتح.

---

(١) ل. شاتليه: الغارة على العالم الإسلامى – ترجمة الخطيب – والباقى.

(٢) هوجم السلطان عبد الحميد هجومًا حادًا من أصحاب الأقلام الجاهلة أو الحاقدة على الإسلام – مع أن موقفه من اليهود واضح – كما أوضحنا.

- وإعدام المئات من علماء المسلمين فى مدينة «منامن».

- واعتماد الزى الأوربى.

- ومنع حجاب المرأة المسلمة[1].

وبعد: فهذه قضية تعالت فيها أصوات الخطباء والمحاضرين والمناظرين والمحاورين فى المساجد التى كانت أجهزة إعلام إسلامية حينئذ فى حين كانت الصحف والمجلات وسائر وسائل الإعلام خاضعة للعدو الذى استولى على معظم بلدان الخلافة الإسلامية تحت حماية انجلترا وفرنسا وروسيا،ومن كان فى شك من ذلك فليقرأ اتفاقية: «سايكس بيكو» سايكس الإنجليزية وبيكو الفرنسى - التى وضعت لاجتياح العالم الإسلامى، وقد وقعت هذه الاتفاقية فى عام ١٩١٦م، وهى متممة للاتفاق الرئيسى الذى تم بين الدول الثلاث: انجلترا وفرنسا وروسيا.

وقد ظلت هذه الاتفاقية سرية لم يطلع عليها أحد من العرب أو المسلمين حتى نشرت بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم فى روسيا عام ١٩١٧م.

وقضية القوميات البديلة عن الانتماء للإسلام:

كل القوميات التى أريد منها أن تحل محل الإسلام هى صناعة أعداء الإسلام من اليهود والصليبيين والملحدين الشيوعيين والقوى المحتلة لبلدان العالم الإسلامى؛ فقد شجع هؤلاء الأعداء على إنشاء أحزاب سياسية على أساس قومى، سواء فى ذلك القومية الفينيقية فى سوريا والبابلية والآشورية فى العراق والفرعونية فى مصر، والعربية فى كثير من أقطار العالم العربى، ما دامت بديلاً عن القومية الإسلامية أو الانتماء الإسلامى.

● وفى مقدمة الدول المستعمرة للعالم الإسلامى التى شجعت على احياء هذه القوميات: فرنسا التى دعت إلى عقد المؤتمر العربى الأول سنة ١٩١٣م وفتحت له القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية فى باريس وكان مؤتمرا مناهضًا للإسلام إذ جاء على لسان رئيسه عبد الحميد الزهراوى السورى المولود فى١٨٥٥م والمتوفى فى ١٩١٦م: «إن الرابطة الدينية قد عجزت دائمًا عن إيجاد الوحدة السياسية»[2].

---

(١) كمال خوجه: أسرار الانقلاب- مترجم عن التركية.

(٢) ولقد كذب والله ورده ما يقوله أولياؤه أعداء الإسلام، فإن دولة الخلافة العثمانية نجحت فى ذلك، وكذلك نجح غيرها من الدول.

وأنا لا أرجع إلى التاريخ لأبرهن على هذا، بل حسبي ما لدينا من الشواهد الحاضرة- انظر الحكومتين العثمانية والفارسية كيف لم تقدر رابطتهما الدينية على إزالة اختلاف بسيط بينهما وهو الاختلاف المتعلق بالحدود»[1].

كما جاء على لسان: على ناصر الدين أحد دعاة القومية العربية قوله: «القومية بالنسبة لنا معشر القوميين العرب دين له جنته وناره ولكن في الدنيا».

وجاء على لسان عمر فاخوري قوله: «لا ينهض العرب حتى تصبح القومية العربية أو المبدأ العربي دينا يغارون عليه كما يغار المسلمون على القرآن الكريم والمسيحيون على الإنجيل الرحيم».

وهكذا انتشرت بتأثير أعداء الإسلام من اليهود والصليبيين والمستعمرين وغافلي المسلمين والعرب ظاهرة القومية لتكون بديلاً عن الانتماء إلى الإسلام.

وقد نوقشت هذه القضية في المساجد وتحدث فيها الخطباء والذين يلقون الدروس والمحاضرات والمناظرات وأوضحوا وجه الصواب فيها، ووجهوا الناس إلى الحق وطالبوهم باتباعه والتواصي به، وأوضحوا للناس أن الإسلام هو الأصل في الانتماء والولاء، وأنه لا يمنع بعد ذلك أن يكون هناك اهتمام بالقومية العربية على اعتبار أن العربية اللسان، وأن ذلك لا يجوز أن يكون على حساب الانتماء إلى الإسلام.

وقضية الحركات الهدامة والنظم المعادية للإسلام:

وأبرز هذه الحركات الهدامة وأخطرها على الإسلام والمسلمين:

- الإلحاد وإنكار الخالق سبحانه.
- والشيوعية والاشتراكية.
- والصهيونية واليهودية.
- والصليبية الحديثة.
- والتبشير أو التنصير.
- والاستشراق.

---

(١) من وراء هذا الفشل اليهود والمستعمرون ومستشاروهم غير المعلنين، ولا علاقة للرابطة الدينية بذلك.

– والوجودية.

– والفوضوية.

– والماسونية.

–وأندية الروتارى.

– ثم النظام العالمى الجديد.

– والعولمة.

– والدول المستعمرة صراحة أو ضمنا.

– والقواعد العسكرية الأمريكية وريثة الاستعمار الإنجليزى.

● ومن هذه الحركات حركات أخذت شكلاً إسلاميًا مغلوطًا لتضليل المسلمين عن حقيقتها وجوهرها، مثل:

– القاديانية.

– والبابية.

– والبهائية.

● هذه القضايا وأمثالها أثيرت فى المساجد وتحدث عنها خطباء المساجد والمحاضرون فيها، وكانت المساجد لهذه الحركات الهدامة بالمرصاد تكشف أهدافها وتفضح نواياها وتنبه المسلمين إلى خطرها وتحذرهم منها.

وهذا شأن المسجد دائمًا فى كل زمان ومكان، إلى أن استولت عليها أجهزة الحكومات المتحدية للإسلام والمسلمين، الموالية لأعداء الإسلام والمسلمين فى العالم ممن يسيطرون على القمح والزبد والسلاح.

● ومن أجل خطر وظيفة المسجد وأهمية المساجد فى حياة المسلمين وقدرته على خدمة قضايا الإسلام والمسلمين، من أجل ذلك حاربه أعداء الإسلام كما يحاربون الإسلام نفسه، ودبروا المكايد والمؤامرات،وصرح بذلك كثير منهم – كما أوضحنا أكثر من مرة بأن القضاء على المسجد قضاء على الإسلام وعلى سبيل المثال:

فقد عقد فى القاهرة مؤتمر للتبشير عام ١٩٠٦م.

وقد ناقش هذا المؤتمر عددًا من المسائل المتصلة بالإسلام وكيفية تبشير المسلمين بالنصرانية.

وقد جمعت موضوعات هذا المؤتمر فى كتاب اسمه: «التبشير بالنصرانية بين المسلمين، جمعه ونشره القسيس: «فليمنج» الأمريكى، وقد جاء فى الباب الرابع من هذا الكتاب على لسان أحد أعضاء المؤتمر فيما يخص الجامع الأزهر بوصفه مسجداً له نفوذ فى العالم الإسلامى ولديه قدرة على جذب الألوف من الناس من مختلف أقطار الأرض، وتساءل «فليمنج» عن سر نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة إلى الآن ، قائلاً: «إن السنيين من المسلمين رسخ فى أذهانهم أن تعليم العربية فى الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر منه فى غيره، والمتخرجون فى الأزهر معروفون بسعة الاطلاع على علوم الدين، وباب التعليم فى الأزهر مفتوح لكل مشايخ الدنيا، وخصوصًا أن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعلم فيه مجانًا،لأن فى استطاعته أن ينفق على مائتين وخمسين أستاذًا، ثم تساءل عما إذا كان الأزهر يتهدد كنيسة المسيح بالخطر، وعرض اقتراحًا يريد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها،وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية»(١).

هكذا ينظرون إلى الأزهر!!!

● وقد جاء فى تقرير جمعية التبشير الكنسية الإنجليزية – وهى أهم جمعية تبشيرية «بروتستانتية» يرأسها أسقف كانتربرى الإنجليزى، جاء فى تقريرها عن انتشار الإسلام فى إفريقية الشرقية الألمانية، ما ذكرته المبشرة: «فورسيت» قائلة: «إنها كانت تجد مساجد صغيرة حيثما مرت، وبعض الأحيان كانت ترى المساجد بشكل أكواخ صغيرة، إلا أن هذه الأكواخ بمثابة مراكز للتبشير الإسلامى...»

وأشار أحد المبشرين إلى المجهودات التى يبذلها المبشرون لأجل انتشار الإسلام.

وذكر مبشر آخر أن اثنين وثنيين متنصرين اعتنقا الإسلام»(٢).

● وفى كتاب للمبشر الخطير «صمويل زويمر» الذى كان يمارس التبشير فى البحرين، جاء فيما يتعلق بالغارات التبشيرية فى المستقبل... استعرض فى كتابه ذلك ظروف العالم الإسلامى والعالم العربى، وشرح كيف يتم التبشير بين المسلمين بالنصرانية.

● وفى كتاب آخر للمستر: «جردنر» الذى يقع فى أكثر من مائتى صفحة، زينه بصور

---

(١) ل شاتليه: الغارة على العالم الإسلامى – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد الباقى ص٥٧.
(٢) السابق: ٢١٥–٢١٦.

شمسية للمساجد والمعاهد الإسلامية المنتشرة فى جنوبى إفريقية ومدغشقر . . .

وهذا الكتاب أشبه باستصراخ وإعلان للحرب على الإسلام ويوضح كيف تدار هذه الحرب ضد الإسلام وضد أهم المؤسسات الإسلامية وهى : المساجد .

ويقول أحد المبشرين فى هذا الكتاب : إن من سداد الرأى منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فى جنوبى إفريقية اتباعًا لقرار مؤتمر التبشير العام، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل إفريقية(١) .

خامسًا : الاعتكاف فى المساجد :

الاعتكاف هو الإقامة فى المسجد والتفرغ للعبادة، سواء أكانت هذه الإقامة طويلة أم قصيرة، وأحب ما يكون الاعتكاف فى شهر رمضان وفى العشر الأواخر من أيامه بشكل خاص .

وكان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، وأحيانًا العشر الأواسط وأحيانًا العشر الأوائل منه، والمعتكف لا يخرج من المسجد، ويسن للمعتكف فى غير شهر رمضان أن يصوم يوم اعتكافه، لما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « لا اعتكاف إلا بصيام »، ولأن الله تعالى ذكر الاعتكاف مع الصيام فى قوله تعالى : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** ﴾ [البقرة : ١٨٧] . هكذا قال الإمام مالك رحمه الله .

والمعتكف لا يشهد الجنازة ولا يصلى عليها ولا يعود المريض .

● ويمكن توظيف الاعتكاف فى المسجد لصالح المسلمين بأمور منها :

– إحياء سنة الاعتكاف بين المسلمين ليكونوا بتلك العبادة أقرب إلى رضا الله تبارك وتعالى .

– وفى الاعتكاف تربية للإنسان على القدرة على التغلب على شهوات الجسد والنفس .

– وإذا كان المعتكف على هذا القدر من الإخلاص والتفرغ لعبادة الله تعالى، كان عليه حينئذ أن يدعو لنفسه وللمؤمنين وأن يضرع إلى الله طالبًا عونه، ونصرة المسلمين على أعدائهم، وما بالنا بالأثر الذى يتركه دعاء ألوف المسلمين فى مئات المساجد الجامعة طالبين من الله النصر والتأييد؟ ولأن الدعاء يستحب فى الأوقات المفضلة والأماكن المفضلة فقد جمع الدعاء فى الاعتكاف بين هاتين الفضيلتين .

---

(٢) السابق : ٢٥٣-٢٥٤ .

الهدف الرابع: تكوين الرأى العام الإسلامى السياسى

ما من شك فى أن التربية الإسلامية السياسية تستوجب تكوين رأى عام إسلامى سياسى يدعمها ويساعد على تحقيق أهداف الأمة الإسلامية التى يسعى إليها المصلحون والمجددون والعلماء والمفكرون من أبناء الأمة الإسلامية.

● وللأمة الإسلامية أهداف ثابتة مستمرة لا تتغير بتغير الزمان والمكان وهى فى إجمال: عبادة الله وحده لا شريك له ودعوة الناس إلى ذلك، والعمل الدائب على أن يسود شرع الله ومنهجه حياة الناس ونظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية...

غير أن للأمة الإسلامية إلى جانب ذلك أهدافًا متغيرة لا تتوقف الأمة الإسلامية عن العمل على تحقيقها.

● ويكاد يكون هدف الأمة الإسلامية اليوم - فى ظل التحدى الموجه إليها من أعدائها المعروفين تمامًا لها - فى عصر علو موجة الصهيونية والصليبية والإلحاد والعولمة، هو: الاتحاد بين دولها والوصول بهذا الاتحاد إلى الوحدة الإسلامية ويكاد يكون هدف الأمة الإسلامية منحصرًا فى ذلك اليوم.

- ولسنا ونحن نحاول بلوغ هذا الهدف نضمر عداءً بوحدتنا لأى قوم توحدوا قبلنا أو معنا؛ لأننا لا نقيم وحدتنا على حساب سوانا لأن ديننا دين حق وعدل وتسامح وقدرة على معايشة من سالمونا وحرب من حاربونا، ونقول لأعداء الأمس عندما نقدر عليهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء أسوة برسولنا ﷺ، وامتثالاً لقول الله تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

● إن الدين الإسلامى الخاتم يقوم على أسس راسخة ثابتة مستمرة جعلها الله تعالى أصلح لحياة الإنسان وأحفظ لكرامته وأمنه وإنسانيته، ويمكن أن نشير إلى بعض هذه الأسس فى النقاط التالية:

١- أن الإسلام نظام يقوم على منهج حضارى ربانى يتسع للعالم كله، ليحميه من الصراع والتمزق والحروب المحلية والعالمية، ويحل محل ذلك الصراع وئاما وسلامًا يحفظ

للضعيف حقوقه ويدعم القوى ما دام مع الحق فإن حاد أخذ الحق منه ورده إلى أصحابه.

٢- وأن مظلة الإسلام تتسع وتمتد ليفيء إليها أى إنسان مهما كان دينه أو لونه أو جنسه، لأنه يستطيع أن يتعايش مع المسلمين فى ظل مبادئ الإسلام الدائمة التى هى: الحق والعدل والرحمة والإحسان والمحافظة على كرامة الإنسان.

٣- وأن الفكر الإسلامى التى تقوم عليه حضارة الإسلام،يقدِّر الوحى الذى أنعم الله تعالى به على الإنسانية يوم أنزل عليها خاتم كتبه القرآن الكريم، وخاتم رسله محمد ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى.

وفى الوقت نفسه فإن الفكر الإسلامى يقدر العقل والعلم ويقيم أكبر الوزن للإرادة والحرية، ويدعو إلى العلم من أجل إعمار الأرض، وصيانة حقوق الإنسان.

٤- وأن الحضارة الإسلامية لا ترفض الحضارات الأخرى فضلاً عن أن تعاديها أو تدخل معها فى صراع، وإنما تعايشها ولا تأبى أن تأخذ منها ما لا يتعارض مع عقيدتها ومنهجها وثوابتها جميعًا، ولا يمنع أن يعطى لأى حضارة ما هى فى حاجة إليه من الحضارة الإسلامية بل يعتبر هذا الإعطاء من خطوات الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق.

ومن نافلة القول: التأكيد على أن الحضارة الإسلامية أخذت من الحضارات الأخرى وأعطتها على مر التاريخ دون حرج أوتحرج، وأن الحضارة الغربية على سبيل المثال أخذت من الحضارة الإسلامية ما مكنها من إقامة نهضتها الحديثة كلها،كما اعترف بذلك الكتاب الغربيون أنفسهم.

٥- وأن منهج الإسلام فى الحياة الدنيا لا يقبل فساد الحكام ولا إفساد المحكومين، كما لا يقبل الجمود ولا التحجر ولا الانعزال عن العالم،ولا تغيير الولاء للإسلام والانتماء إليه، ولا الذوبان فى حضارة أخرى مهما تكن، طالما هى تعارض ثوابت المنهج الإسلامى فى العقيدة والعبادة والقيم الخلقية.

٦- وأن وحدة المسلمين التى يسعون إليها إطار حضارى قيمى، وأنها تستهدف صالح الفرد والمجتمع والحاكم والمحكوم والأمة الإسلامية، ولا تستبعد العمل على صالح الناس جميعًا، إذ هم أهل لأن توجه إليهم دعوة الإسلام وأهل لأن يعيشوا فى ظل حضارته،

ويتعايشوا مع الأمة الإسلامية الموحدة، كما حدث ذلك مراراً فى التاريخ الإسلامى.

٧- وأن هذه الأسس لا تستطيع أن تبرز ولا أن تعبر عن نفسها وتستقر فى حياة الناس إلا أن يساندها رأى عام إسلامى مستنير، يعين - بعد عون الله تعالى - على ترسيخ هذه الأسس وعلى إلقاء الضوء على خطة العمل، وعلى تحديد أولويات هذا العمل.

وأولويات العمل من أجل وحدة المسلمين التى تجىء بعد اتحادهم فى مجالات عديدة فى الفكر والثقافة والاقتصاد والتجارة والزراعة والصناعة وبرامج التعليم ونحوها.

أولويات العمل من أجل هذه الوحدة - وقد أشرنا إلى ذلك فى أكثر من كتاب لنا - هى:

١- التمكُّن من استيعاب ما فى القرآن الكريم والسنة النبوية من هُدًى وتوجيه لإصلاح الدنيا بالعمل الصالح والأخوة فى الإسلام والتعاون على البر والتقوى، وإصلاح الآخرة بإخلاص العبادة لله وإخلاص العمل له وحب الناس وحب الخير لهم، وذلك حتى نتجنب الضلال والضياع وقهر الأعداء لنا واستضعافهم إيانا.

٢- والتمكن من الأخذ بناصية العلم والتقنية فى كل مجالات الحياة وشُعبها المتعددة، وفق خطة عمل مسبوقة بمعرفة أهم القضايا العلمية وأهم الاحتياجات الأولية والثانوية للقدرة على الإمساك بناصية العلوم والمكتشفات مع الضوابط الإسلامية للعلم ولأخلاق العلماء، وفقه الاستفادة من الآخر، دون الخروج عن الضوابط الإسلامية.

٣- وتحديد المشكلات التى تواجه العالم الإسلامى نوعها ووزنها، مع دراسة أسبابها وأبعادها، وتصور الحلول لها وكيفية التغلب عليها فى كل قطر من أقطار العالم الإسلامى - وأهل مكة أدرى بشعابها - ولكن لابد من التنسيق بين أبناء العالم الإسلامى فى كل أقطارهم.

٤- واتباع الأسلوب العلمى فى مواجهة هذه المشكلات، أى الالتزام بالموضوعية والحياد،والابتعاد دائما عن الانفعال وإصدار الأحكام الخرافية، أو الهروب من مواجهة المشكلة بصب اللعنات على من تسبب فيها، لأن ذلك كله خروج عن الأسلوب العلمى وعن المنهج الإسلامى الأخلاقى فى التعامل مع المشكلات، وترتيبها فى أولويات وإعطائها من الجهد والوقت والبحث ما يكفى للتغلب عليها.

وإن تصنيف كل قطر إسلامى لمشكلاته وتصوره للتغلب عليها يختصر الطريق ويوفر

الجهد ويثير الحماس ويدفع إلى الإخلاص.

٥- وإن تصور كل قطر لخطوات التقدم والإصلاح فيه والتجديد فى أمر دينه ودنياه لهو العمل العلمى الرشيد الذى يجب أن يكون البدء به، والتوفر عليه، غير أن ذلك لا يمنع من الشورى والاستشارة يتوجه بها هذا القطر لغيره من الأقطار الإسلامية، لأن المسلمين جميعًا أمة واحدة كما هو معروف، وكل مشكلة فى قطر إسلامى تتداعى لها سائر أقطار الأمة بالحمى والسهر، هكذا علمنا رسولنا الخاتم ﷺ.

٦- وإن تنسيقا بين العلماء والباحثين فى أقطار العالم الإسلامى يعتبر ضرورة ملحة من أجل أن يبنى العلماء المسلمون على ما وصل إليه إخوانهم، ولا يبدءون من جديد، حتى يتمكنوا من تحقيق التطور العلمى والإضافة العلمية، لأن تلك سنة العلم والعلماء وبخاصة إذا كانت تربط بينهم رابطة العقيدة الإسلامية والأخوة فى الدين ووحدة الهدف والمصير، ولقد كان لنا فى تاريخنا الإسلامى شواهد على هذا التنسيق بين أقطار الأمة الإسلامية فى مواجهة مشكلاتها، ومقاومة أعدائها الذين يتربصون بها.

٧- وعندما يتم ذلك سوف يحقق المسلمون وحدتهم السياسية المدعومة برأى عام إسلامى مستنير، وسوف يواجهون بهذه الوحدة كل أعدائهم وكل عقبة تقوم فى طريقهم بعون من الله وتوفيق.

لهذا ولغيره من الأسباب نجد أنفسنا معشر المسلمين بأمس الحاجة إلى تكوين رأى عام إسلامى يهون علينا متاعب العمل على تحقيق الوحدة الإسلامية بيننا.

فما مفهوم هذا الرأى العام الإسلامى السياسى؟

وما هى مكونات الرأى العام الإسلامى السياسى؟

وكيف يمكن توظيف الرأى العام الإسلامى السياسى؟

هذا ما نرجو أن نوضحه فى الصفحات التالية من الكتاب والله تعالى المعين والموفق.

١- مفهوم الرأى العام الإسلامى السياسى

الرأى العام الإسلامى السياسى - الذى يجب أن تحدثه التربية السياسية فى المسلمين - هو: الفكرة التى يجب أن تسود بين المسلمين من خلال وجهة نظر إسلامية تربط بين المسلمين، لما توجده بينهم من مصالح مشتركة وأفكار مشتركة إزاء موقف من المواقف أو قضية من القضايا فى داخل الوطن الإسلامى، بحيث تكون هذه القضية مما يثير اهتمام المسلمين أو يجلب لهم نفعًا أو يدفع عنهم ضررًا.

وهذا التعريف للرأى العام الإسلامى السياسى لا يختلف كثيرًا عن تعريف الرأى العام عمومًا، ولكن وصفه بأنه إسلامى هو جوهر الاختلاف.

● وحاجة المسلمين إلى رأى عام إسلامى سياسى كانت ولا تزال هى إحدى الحاجات الأساسية لأى عمل سياسى إسلامى.

- والعمل السياسى الإسلامى ضرورى فى كل عصور الإسلام، وليس خافيًا على أى مراقب للأحداث أن أعداء الإسلام فى كل عصر يحاولون ما وسعهم أن يضعوا أمام المسلمين من العقبات والعراقيل ما يحول بين المسلمين وبين أن يكوِّنوا رأيا عاما إسلاميا سياسيًا، لما فى ذلك من التقارب بين المسلمين وتعاظم قواهم وتأثيرهم فى الأحداث العالمية مما يغيظ الأعداء ويملأ صدورهم بالحقد على الإسلام والمسلمين.

● ولقد استبد أعداء الإسلام بالمسلمين على مدى ما يقرب من قرن من الزمان، فحالوا بينهم وبين أى تقدم إذ احتلوا أرضهم وديارهم وقضوا على الخلافة مظهر وحدتهم وأخضعوهم لسيطرة عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية واصطنعوا منهم ببغاوات تردد مقولاتهم وتدعو إلى علمانيتهم بفصل الدين عن الحياة وعزله عن الناس، ومكنوا لهذه الببغاوات من المشاركة فى السلطة أو سلموها لهم عند اطمئنانهم إليهم، لكن على الرغم من ذلك كله، لم تذل الأمة المسلمة وإنما قاومت عوامل فرقتها وإضاعتها.

● فمنذ ذلك الحين حدثت فى العالم الإسلامى صحوة إسلامية، تلك الصحوة التى ألقى بذورها فى التربة الصالحة المصلحون المجددون:

- جمال الدين الأفغانى المصلح الجَّوال.

- والإمام الشيخ محمد عبده المصرى.

- والشيخ عبد الرحمن الكواكبى السورى.

- والشيخ محمد رشيد رضا اللبنانى المصرى سكنا وإقامة.

- والإمام حسن البنا المصرى العالمى.

- والإمام أبو الأعلى المودودى الهندى الباكستانى.

- والشيخ أبو الحسن الحسنى الندوى الهندى.

- والشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى تركيا الذى تحدى الكماليين.

- والشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائرى.

- والشهيد سيد قطب وغيرهم.

● هذه الصحوة الإسلامية التى واجهت تحدى القوى المعادية للإسلام من استعمار وتبشير واستشراق وصهيونية وصليبية وعلمانية وعولمة، ومستغربين من المسلمين يريدون أن يأخذوا بالحضارة الغربية خيرها وشرها.

هذه الظروف جعلت المصلحين المجددين يشمرون عن سواعدهم ويدعون لصحوة إسلامية تواجه الاعداء، وجعلت سائر المسلمين أقرب إلى الاستجابة لهذه الصحوة ينضوون فيها تحت لواء الإسلام لمقاومة أعدائه، ويفقدون من أجلها الثقة فى كثير من الزعماء الذين يوالون أعداء المسلمين ويحاربون الإسلام ويضطهدون من تمسك به.

هذه الصحوة الإسلامية مازت الخبيث من الطيب ممن يحترفون الكتابة وينافقون الحكام طمعًا فى ثوابهم أو خوفًا من عقابهم، وجعلت أبناء الأمة الإسلامية فى سائر أقطارها يفكرون فى مقاومة المحتل الغاصب وأذنابه وأتباعه وسيطرته ونفوذه، واستطاع المسلمون فى عديد من أقطارهم أن يكوِّنوا بهذا الوعى وتلك الأفكار رأيا عاما، عبروا عنه حينا بالمظاهرات وحينا بالكتب والمقالات وحينا بالخطب والمحاضرات، وحينا بالالتفاف حول القيادات الإسلامية المخلصة، وحينا بالانضمام إلى الجماعات الإسلامية التى كان فى مقدمتها: «جماعة الإخوان المسلمين» منذ العقد الرابع من القرن العشرين، وتحت قيادة هذه الجماعة اشترك الشباب المسلم فى مقاومة اليهود عام ١٩٤٨، ومقاومة المحتلين الإنجليز فى مصر عام ١٩٥١، مما جعل أعداء الإسلام يخططون للقضاء على هذه الجماعة بإغراء الحكومات التابعة لهم بضرب هذه الجماعة والتضييق عليها وسجن أعضائها واعتقالهم

وتعذيبهم، ولم تكن هذه الصحوة ولا تلك الرغبة فى مقاومة المحتل الغاصب وقفًا على أبناء مصر، ولم يكن الاضطهاد والتعسف مع الإسلاميين وقفا على حكام مصر وحدهم، وإنما كان ذلك شأن كثير من أقطار العالم الإسلامى.

- ومن الإنصاف أن نقول: إن هذا القمع وذلك التحدى زاد المسلمين إصرارًا على الانتقام من العدو الغاصب المحتل، ولم تكن لديهم قدرة على مواجهة دولة بريطانيا العظمى فى مصر - مثلاً - ففكروا فى الإعداد والاستعداد سرًا - بعيداً عن أعين الحكومات التابعة للمحتل الغاصب، وأعدوا أنفسهم للقيام بأعمال فدائية ضد هذا العدو الغاصب، وقد ساعد على إذكاء روح الفدائية فى الشباب فى مصر ما تتميز به مصر من وعى سياسى ضد المحتل تمثل فى ثورة ١٩١٩م،وما نعمت به مصر من وجود الأزهر وعلمائه ودعاته، وما شكل فيها من جمعيات إسلامية كان من أبرزها: شباب محمد، والشبان المسلمون، والإخوان المسلمون،وغيرها من الجماعات التى أعلنت ولاءها للإسلام وعداءها لأعداء الإسلام.

- وما كان من الحكومات التابعة للمستعمر - التى كان أحيانا يفرضها على البلاد فرضا - إلا أن ناصبت هذه الجمعيات الإسلامية وأولئك الشباب الفدائيين، العداء وحاربتهم، وأطلقت عليهم أسماء الإرهابيين - ولقد كانوا يرهبون أعداء الإسلام من الإنجليز وأصابوهم بالقلق والاضطراب بأعمالهم الفدائية فى قناة السويس عام ١٩٥١م - فجرمت هذه الحكومات تلك الجماعات وحظرت اجتماعهم وحالت بينهم وبين المشاركة فى أى عمل سياسى!!!

● ومن هنا زادت الهوة اتساعًا وعمقًا بين أصحاب الرأى العام الإسلامى والحكومات التابعة للمحتل الغاصب، ومن عجب أن ما يجرى فى مصر من أحداث يعمم فى كثير من بلدان العالم الإسلامى لأن العدو الذى يوحى بقمع العمل الإسلامى واحد، والحكومات التابعة له فى كثير من بلدان العالم الإسلامى متشابهة.

● ومن أكبر العوامل التى أنضجت الرأى العام الإسلامى السياسى معرفة المسلمين بتآمر الغرب والشرق ضد دولة الخلافة العثمانية فى تركيا - وهى رمز عند المسلمين جميعًا - معرفة المسلمين ذلك مع يقينهم بأن اليهود والصليبيين والملحدين فى الاتحاد السوفيتى السابق عملوا بدأب وإصرار والتقاء مصالح على إسقاط دولة آل عثمان فى تركيا.

عرف المسلمون هذا وأيقنوا من ذلك فشعروا أن المستهدف هو حرب الإسلام نفسه وليس القضاء على دولة الخلافة فقط ولقد تأكد ذلك من أعمال مصطفى كمال - الذى

أسقط دولة الخلافة وتولى هو رئاسة البلاد، فقد كانت أعماله موجهة إلى حرب الإسلام نفسه على نحو ما ذكرنا آنفا، إذا ستاصل كل ما هو إسلامى وحول كثيراً من المساجد إلى «اصطبلات» للخيول ومخازن وغير ذلك، أعمال هذا اليهودى مصطفى كمال عززت لدى المسلمين معظمهم أن المستهدف ليس دولة الخلافة وإنماهو الإسلام نفسه.

● ولقد أدى ذلك إلى الإسراع بتكوين رأى عام إسلامى، عبر عن نفسه فى أشكال وأعمال عديدة نذكر منها:

- الدعوة إلى إنشاء رابطة أو جامعة تجمع بين المسلمين الذين مزقتهم الدول المعادية وتقاسمت بلادهم فيما بينها بعون من مصطفى كمال، ولقد شغلت فكرة الجامعة الإسلامية العلماء والأدباء والمفكرين، فدافعوا عنها بقوة وحرارة ضد أعداء الإسلام الصرحاء آنئذ - انجلترا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وألمانيا وأمريكا - أصحاب المصالح فى تمزيق العالم الإسلامى.

- والعمل على إنشاء الجمعيات الخيرية الإسلامية التى تعنى بالتعليم وتهتم بأنشطة أخرى عديدة كالطب والعلاج وتقديم العون والخدمات للمحتاجين من المسلمين، ومن أشهرها الجمعية الخيرية بالقاهرة، والإسكندرية، وفى خارج مصر أيضًا حيث اتخذت أسماء عديدة.

- وإنشاء الجماعات الدينية كشباب محمد، والشبان المسلمين، والإخوان المسلمين، وقد أنشئت جماعة الإخوان المسمين عام ١٩٢٨م أى بعد إسقاط دولة الخلافة بأربع سنوات فقط، وجاء فى قانونها الأساسى فى الفقرة« هـ» من المادة الثانية (تحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام الحنيف وما يتصل بهذه الأغراض) جاء فى تلك الفقرة ما يلى:

«تحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعًا والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى، ومساعدة الأقليات الإسلامية فى كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً، والسير إلى الجامعة الإسلامية».

- وتكونت جمعيات دينية كثيرة فى مصر وفى عديد من بلدان العالم الإسلامى، وكان من أهم أهدافها التصدى لمؤامرات أعداء الإسلام بما يتاح لها من جهد وفى حدود ما تسمح به الحكومات التى كانت أغلبها تابعة للمستعمرين والمحتلين.

- وتكونت الجمعيات الأدبية ومارست نشاطها فى كشف أعمال أعداء الإسلام،

وسجلت ذلك فى أجناس الأدب من شعر وقصة ومقالة...

- وتشكلت الأحزاب السياسية الوطنية لمقاومة المحتل الغاصب ومارست نشاطها فى حدود ما سمحت به الحكومات التابعة للمحتلين.

على أن بعض هذه الأحزاب السياسية كان يمالئ سياسة العدو والانبهار بحضارته الغربية!!!

● كل هذه الدعوات والأعمال كونت رأيًا عاما وطنيًا وإسلاميًا كان له وزنه السياسى، وتأثيره فى إذكاء الصحوة الإسلامية وتجديد اليقظة نحو قضايا العالم الإسلامى.

- على أن عاملاً ثابتًا راسخًا من عوامل تكوين الرأى العام الإسلامى هو الأزهر الشريف، والمساجد، وما تضطلع به هذه المؤسسات الدينية وعلماؤها من أعمال تنويرية تسهم فى إذكاء الرأى العام الإسلامى السياسى المعادى للقوى التى تناصب الإسلام العداء.

● ولابد هنا من تسجيل حقيقة دلت عليها الوقائع والمشاهدات وهى: أن الرأى العام الإسلامى بل الرأى العام عمومًا يتأثر بنوع الحكم السائد فى المجتمع على النحو التالى:

- عندما يكون نظام الحكم عادلاً يقوم على الشورى، فإن المواطن يملك حرية الفكر وحرية التعبير عما يفكر فيه.

وهذه الحرية تسهم فى تكوين الرأى العام بل تنضجه وتنميه بما تتيحه من فرص الحوار والمناقشة، وتقدير الرأى الآخر، والمرونة فى القبول أو الرفض للرأى المخالف.

أى أن الحكومة العادلة تهيئ رأيًا عامًا سياسيًا حرًا، ورأيا عامًا إسلاميًا سياسيًا ليس حوله قيود.

- وعندما يكون نظام الحكم مستبداً فإنه يحظر التفكير والتعبير ويتصور أن كل فكرة هى ضده وأن كل تعبير هو معول لهدمه ﴿**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ**﴾ [المنافقون: ٤].

هذا الحكم المستبد يفكر وحده ويفكر للمواطن ولا يسمح لأحد أن يشارك فى التفكير فضلاً عن التعبير.

وكل حكومة مستبدة تكمم الأفواه وتحجر على العقول - وإن كانت دائمًا تدعى عكس ذلك - وفى مصر على سبيل المثال:

انتشر فى عهد الاستبداد والتحكم والقهر - عهد عبد الناصر - شعار: «الحرية للشعب

ولا حرية لأعداء الشعب» ولم يكن للشعب أعداء من الشعب،بل العداء من الشعب للحكومة المستبدة التى استباحت الأموال والأعراض والحريات عمومًا، لكن لكونها حكومة استبداد حولت أعداءها وأعداء سياستها إلى أن تسميهم أعداء الشعب. هذه الحكومة المستبدة من شأنها أن تقضى على الرأى العام قضاء مبرمًا، لأنها تحول بين الناس وحرية الرأى وحرية التعبير.

وبعد: فهذه كلمات عن الرأى العام عمومًا، فماذا عسانا نقول عن الرأى العام فى الإسلام؟

ذلك ما نرجو أن نوضحه فى الصفحات التالية والله المستعان.

الرأى العام فى الإسلام

كانت بواكير الرأى العام فى الإسلام مع نزول آيات القرآن الكريم على النبى ﷺ، إذ كان الهدف من نزول هذه الآيات الكريمة تنوير الرأى العام وتوجيهه الوجهة الصحيحة التى ترسم للمجتمع أسلوبًا ممتازًا للتحلى بالفضائل وممارسة الخير وحبه، وأسلوبًا آخر للتخلص من الرذائل والدنايا والابتعاد عن الشرور، لكى تكون العلاقات بين الناس على المستوى اللائق لإنسانية الإنسان الذى كرمه ربه ورزقه من الطيبات وفضله على كثير من خلقه.

– وقد أحاطت آيات القرآن الكريم الرأى العام الإسلامى بكثير من الحوافظ التى تحول بينه وبين تصديق الأفاقين والكذابين ليظل رأيا عاما نقيا متثبتا من كل مقولة أو عمل، فنزل على المسلمين قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات: ٦].

– وحرصت آيات القرآن على أن يظل الرأى العام الإسلامى بعيداً عن الخوض فيما لا يعلم، وبعيداً عن قالات السوء، فجاء قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾ [النور: ١١، ١٢].

– وحرصت آيات القرآن الكريم على أن تعصم الرأى العام من التردِّى فى الرغبة فى إشاعة الفاحشة والشر فى الذين آمنوا، ومن لم يعصموا أنفسهم عن ذلك يستحقون عند الله عذابًا أليما دنيويًا وأخرويًا، فجاء قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور: ١٩].

● وكلمة «الرأى العام الإسلامى» وإن كانت من معطيات عصرنا هذا عصر تطوير الإعلام وأجهزته، وتقدير تأثيره فى الناس، دعما وتأييداً لفكرة أو عمل، أو رفضا وتشويها لفكرة أو عمل، إلا معناها وأهميتها وأثرها كان ملحوظًا فى الأحداث والمواقف وآراء الناس منذ خطت الدعوة الإسلامية خطواتها الأولى فى مكة المكرمة، فقد كانت آيات القرآن الكريم ومواقف النبى ﷺ تحدث رأيا عامًا بين المسلمين أولاً، وعند المشركين فى بعض الأحيان،

وعلى سبيل المثال:

- فإن صبر النبى ﷺ على أذى المشركين له ولأصحابه كون رأيًا عامًا بين المسلمين شجعهم على احتمال الأذى واحتساب الأجر عليه عند الله تعالى، بل شجع بعض المشركين أن يدخلوا فى الإسلام لما رأوا ما عليه المسلمون من الصبر والاحتساب.

- وإن صحيفة المقاطعة للمسلمين وحبسهم فى شعب بنى هاشم كونت لدى المسلمين رأيًا عاما جعلهم يتمسكون بدينهم ويحتملون من أجله نتائج هذه المقاطعة من جوع وعرى وتضييق عليهم فى الرزق وفى الحركة، بل فى الزواج وهو فطرة.

وكونت هذه الصحيفة رأيًا عاما لدى المشركين الذين هالهم ما انطوت عليه هذه الصحيفة من ظلم، فكان أن تداعى عدد من الرجال الذين كانوا على الشرك، وأيد بعضهم بعضًا وأعلنوا لقريش رفضهم لهذه الصحيفة وإصرارهم على نقضها، وقد حدث ذلك فعلاً.

- وإن هجرة المسلمين إلى الحبشة أكثر من مرة، وهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، ومفارقة المسلمين فى هذه الهجرات لديارهم وأموالهم وأهلهم أحيانًا؛ كونت لدى المسلمين رأيًا عامًا تمثل فى الاعتقاد بأن الدين أهم من الوطن والمال والولد وأن الفرار بالدين وترك كل المحاب من أجله هو الأصل فى الإيمان الصادق والتدين الصحيح.

- وإن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة إلى المدينة كونت رأيًا عامًا بعيد الغور فى نفوس المسلمين عرَّفهم إلى أى مدى تمتد هذه الأخوة فى الدين، وإلى أى عمق تصل واجبات الأخ نحو أخيه حتى لقد كانوا فى بداية أمر الأخوة يتوارثون كما يتوارث ذوو القربى إلى أن أُلغى هذا التوارث وبقيت الأخوة فى الدين على أوثق ما تكون.

- وهكذا مواقف السيرة النبوية وأحداثها وكلمات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ، كونت رأيًا عامًا للمسلمين نسميه «الرأى العام الإسلامى» ورأيا عاما عند غير المسلمين نسميه «الرأى العام».

وأذكر هنا بأحداث فى تاريخ الإسلام أسهمت بقوة فى تكوين «الرأى العام الإسلامى» إيجابًا أو سلبا، وقبولاً أو رفضا، ومن هذه الأحداث:

- بناء مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة.

- وظروف غزوة بدرالكبرى.

– وغزوة أحد .

– غزوة الأحزاب، أو الخندق .

– وإجلاء اليهود الذين خانوا وغدروا بالمسلمين على الرغم مما كان بينهم وبين النبى ﷺ من عهود ومواثيق .

– وصلح الحديبية .

– وفتح مكة .

– وغزوة تبوك .

– وبعث مؤتة .

– وكتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام .

– ووفود القبائل على رسول الله ﷺ وما كان يعاملهم به،وما يمنحهم، وما يوصيهم به .

كل هذه الأحداث كونت رأيًا عامًا إسلاميًا، لم يختلف فى أثره عما يحدث الرأى العام اليوم من أثر[1] .

(١) يؤكد الباحثون المعاصرون فى الإعلام وشئونه، أن كلمة الرأى العام بمفهومها المعاصر، إنما عرفت أثناء الثورة الفرنسية . وكلما نشبت حرب بين دولتين أو جماعتين كبيرتين أصبح الحصول على تأييد الرأى العام ضروريًا للطرفين المتحاربين. ومن أجل ذلك أخذ الرأى العام أهمية بالغة فى الحربين العالميتين (١٩١٤م إلى ١٩١٦م) و(١٩٣٩م إلى ١٩٤٥م) لكى تحظى الدول المتحاربة بتأييد الرأى العام لها فى خوض هذه الحرب .
فإذا أيد الرأى العام الحرب انعكس هذا التأييد على الدولة يمدها بالحماس والشجاعة والمال والرجال والتضحية، والعكس صحيح؛ حتى قيل: إن « ألمانيا » فى الحرب العالمية الثانية أنفقت الملايين من أجل أن تكسب تأييد الرأى العام لخوضها هذه الحرب .

٢- مكونات الرأى العام الإسلامى وأنواعه ومراحله

ليس الرأى العام الإسلامى من حيث مكوناته وأنواعه مختلفًا كثيرًا عن مكونات الرأى العام وأنواعه إلا عندما يتصل الأمر بالعقيدة الصحيحة فى الله تعالى وفى الكون والحياة والأحياء، وفيما يتصل بعبادة الله وحده لا شريك له، وفيما يتصل بالقيم الخلقية التى جاء بها خاتم الأديان؛ لأن هذه الأمور الثلاثة؛ العقيدة والعبادة والخلق ثوابت فى الإسلام جاءت على أتم ما يكون وأكمله، ثم تكفل الله تعالى بحفظها عن التحريف والتبديل - على حين جاءت فى الأديان الأخرى صحيحة ثم حرفها أصحاب النحل منهم وبدلها أصحاب الأهواء.

أما ما وراء هذه الثوابت فهو من المتغيرات التى قد يتشابه فيها الرأى العام الإسلامى مع الرأى العام عمومًا.

● وليست مكونات الرأى العام الإسلامى مختلفة عن مكونات الرأى العام عمومًا، ولا ظروف تكوينه مختلفة عن طبيعة تكوين الرأى العام، ولا طبيعة تكوين هذا مختلفة عن طبيعة تكوين ذاك.

وليس التدرج فى تكوين الرأى العام الإسلامى مغايرًا للتدرج فى تكوين الرأى العام ولا المراحل التى يمر بها فى تكوينه مختلفة عن مراحل تكوين الرأى العام عمومًا.

أما أنواع الرأى العام الإسلامى فإنها تتوحد وتتجمع لتكون نوعًا واحدًا كلما كان نظام الحكم السائد فى المجتمع متمسكًا بتطبيق الشريعة الإسلامية حيث يصبح رأيًا عامًا إسلاميًا ظاهرًا تعرفه لأول وهلة إذ يدل هو على نفسه دون خفاء أو نفاق لأن الحاكم عادل يطبق شرع الله ويحكم بمنهجه فى الناس، على حين ينوع الرأى العام عمومًا إلى أنواع بعضها ظاهر وبعضها كامن لا يجرؤ أحد على التعبير عنه خوف البطش والظلم.

بعد هذه المقدمة نتساءل ما هى مقومات الرأى العام الإسلامى وما هى أنواعه ومراحله؟

أ- مكونات الرأى العام الإسلامى:

عند التحليل لهذا الرأى العام الإسلامى نتأكد أنه لم يحدث فجأة ولم يحدث من فراغ، وإنما تدرج بتدرج نزول آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية ومواقف الرسول ﷺ فكلما نما الوحى بتتابع نزوله على الرسول ﷺ نما الرأى العام واتسع مداه فى الزمان والمكان

والمواقف والأحداث وظل الأمر فى نمو حتى اكتمل الوحى بنزول القرآن الكريم كله، وباستيفاء النبى ﷺ أجله وانتقاله إلى الدار الآخرة، فالرأى العام الإسلامى لم يحدث فجأة وإنما تدرجت فى تكوينه وتحالفت عوامل كثيرة على تكوينه فلم يتكون من فراغ وإنما كانت هذه العوامل خلفية لتكوينه، قوية كانت هذه العوامل أو ضعيفة، وقادرة على التأثير السريع أو التأثير البطىء.

● أما مكونات الرأى العام الإسلامى فهى:

أولاً: العقيدة الإسلامية وتنقية العقل من الشوائب:

والعقيدة فى كل دين تمثل رؤية خاصة للكون والحياة، وكل مشكلة من مشكلات الحياة، بل كل مسألة من مسائلها، وكل ما يخص تعامل الناس بعضهم مع بعض.

والعقيدة الإسلامية بوصفها عقيدة الدين الخاتم لابد أن تكون لها رؤية خاصة وتوجه خاص إزاء كل قضية من قضايا الحياة الإنسانية، لأن المصدر المعتمد لهذه العقيدة هو القرآن الكريم الذى جاءت السنة النبوية لتفسره وتفصل مجمله، هذا القرآن الكريم ينادى على البشرية كلها بقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٨]. وبقوله عز وجل: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف: ١١١].

فالقرآن مصدر هذه العقيدة جمع كل نظام فأوعاه ما دام لصالح هذه الإنسانية وما فرط فى شىء من أى نظام يؤمن للإنسان صالح دينه ودنياه، بل فصل كل شىء مما فيه الهدى والرحمة لعباد الله.

– هذه العقيدة الإسلامية هى المعيار الدقيق الذى يعرض عليه الرأى العام ليغربل وينقى من الشوائب، وتعرض عليه كل قضية من قضايا المجتمع، ليُعاير ذلك كله بمعيار الحق والصدق، وما يحقق تكريم الله تعالى للإنسان بتأمين مصالح معاشه ومعاده، ودفع كل أنواع الضرر التى قد تصيبه فى معاشه أو معاده كذلك.

فهذه العقيدة الخاتمة مكون من مكونات الرأى العام الإسلامى بل هى أهم هذه المكونات؛ لأن الرأى العام الإسلامى يصدر عنها ويتأثر بها أقوى تأثر، ثم يؤثر فيما حوله إحقاقًا للحق وإبطالاً للباطل.

ثانيًا: النظم التعبدية وقرب الإنسان من ربه:

عبادة الله وحده لا شريك له هي الهدف الذى خلق الله من أجله الإنسان، والعبادة لله تعالى وحده تعود بالنفع على المتعبد في دنياه وآخرته، تلك حقيقة مقررة في قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦].

● وقد جعل الله تعالى لعبادته نظامًا أو أنظمة لا يعبد إلا بها وليس لأحد أن يبتكر نظامًا يعبد الله وفقه، وهذه الأنظمة هي:

- نظام ينقى القلب من العوالق والأغيار وهو نظام الصلاة والذكر والدعاء والصيام والحج والجهاد في سبيل الله.

- ونظام يقوى البدن ويباعد بينه وبين أسباب الضعف وهو نظام الاعتدال في الطعام والشراب ومجانبة ما حرم من الشهوات واعتزال كل ما يغضب الله،وهو ما أحله الله تعالى وما حرمه ﴿ **أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ...** ﴾ [المائدة: ٤]، وما حرمه في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ [الأعراف: ٣٣].

- ونظام يجعل التعامل بين الناس محققا للعدل والإحسان، وهو سائر ما شرعه الله من معاملات وما حرمه منها، في إطار أمره العام بالعدل والإحسان، مثل قوله تعالى: ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ [الأنعام: ١٥١].

- ونظام في التعامل مع غير المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

فالعبادات كلها مكون من مكونات الرأى العام الإسلامي؛ لأن الإنسان العابد لله تعالى له رؤية للناس والأحداث والأشياء تتأثر بأنه عابد لله تعالى،فلابد أن يكون ذلك جزءًا من الرأى العام الإسلامي ومكونا رئيسًا من مكوناته.

والعابد لله وفق شرعه ونظامه يستطيع برأيه أن يؤيد الحق ويتواصى به وأن يحارب الباطل ويصبر على حربه.

ثالثًا : القيم الخلقية وتنقية المجتمع من الشرور :

تكاد تكون القيم الخلقية واحدة فى جميع الأديان لولا ما حرفه بعض المحرفين فى بعض الأديان .

والقيم الخلقية التى جاء بها الدين الخاتم هو الصورة الكاملة التى لا تقبل تعديلا مهما تطاول الزمان – ما عدا استثناءات الضرورات – .

● والقيم الخلقية الإسلامية ترسم للإنسان أنواع سلوكه فى تعامله مع ربه سبحانه وتعالى ومع نفسه ومع الناس بل مع الحيوانات والأشياء .

– ومصادر القيم الخلقية الإسلامية هى الكتاب والسنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ .

– وهذه القيم الخلقية تغذيها العبادات التى شرعها الله تعالى من صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وزكاة تطهر المال وتكفل للفقير والمسكين وسائر مستحقيها حياة إنسانية بعيدةعن الاحتياج، وصوم يدرب الإنسان على كبح شهوات نفسه وبدنه، وحج يدرب على الصبر واحتمال المشقات، والقدرة على التخلى عن بعض زينة الحياة الدنيا وبعض شهواتها، وجهاد يعلم التضحية بالمال والجهد والنفس .

● هذه القيم الخلقية المغذاة بالعبادات المدعومة بسائر أنواع العمل الصالح الذى يرضى الله تبارك وتعالى؛ عند الالتزام بها تسهم فى تكوين رأى عام إسلامى ينتشر فى المجتمع المسلم ويؤثر فى قضاياه، ويحث على تأييد الحق ومقاومة الباطل ما دام هناك التزام بهذه القيم .

رابعًا : الثقافة السائدة فى المجتمع :

ثقافة المجتمع عمومًا هى : منتجات الإنسان المادية وغير المادية التى تنتقل إليه فى الكثير الغالب من جيل إلى جيل،وكلما كانت عميقة متجذرة كانت أطول عمرًا وأقدر على الاستمرار .

● ولهذه الثقافة مكونات عديدة أهمها الثوابت من هذه المكونات وهى العقيدة والعبادة والأخلاق،وتشارك فيها المتغيرات من علوم وفنون وآداب وتاريخ وتراث وعادات ونحوها .

● والمجتمع المسلم تتكون الثقافة فيه من هذه المكونات ذاتها ولكنها جميعًا مصطبغة بصبغته التى صبغه بها رب العالمين ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٨]، أى هداية وصدق حجة وتجاوبًا مع العقل ومع ما يحقق صالح الإنسان .

– والثقافة الإسلامية باب واسع وميدان رحيب يضم فى جنباته كل ما يسود المجتمع المسلم من مفردات الثقافة العديدة التى يدخل فيها ما لا يتصوره الذين يكتبون عن الثقافة، حين تشتمل على الهم بالحسنة والهم بالسيئة، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، وعبوس وجهه عند لقائه، فضلاً عن الهوى المتبع والشح المطاع وإعجاب المرء بنفسه.

ويدخل فى الثقافة الإسلامية ستر المسلم على أخيه المسلم وعونه والسعى فى حاجته.

ويدخل فيها التحلى بكل فضيلة دعا الإسلام إلى التحلى بها.

ويدخل فيها الامتناع عن كل رذيلة نهى الإسلام عنها.

بل يدخل فى الثقافة الإسلامية كل ما ندب إليه الإسلام كالسواك والطيب وإكرام الشعر، وسائر سنن الفطرة.

● تلك الثقافة بمفرداتها العديدة عند ممارستها تكون لدى المتمسكين بها رأيًا عامًا إسلاميًا فاعلاً، وتؤثر تأثيرًا قويًا فى كل قضايا المجتمع المسلم بالقبول حينا وبالرفض حينا.

خامساً: المستوى الحضارى للمجتمع:

بين الثقافة والحضارة تشابك ووشائج كثيرة، ولكن بينهما عموم وخصوص من بعض الوجوه، فالثقافة أعم من الحضارة والحضارة أخص من الثقافة، وقد تكون الثقافة دون أن يتحضر أهلها.

– وكل حضارة إنما تقوم على ثقافة إنسانية من نوع ما.

– والحضارة والمدنية وجهان لعملة واحدة – كما يقال–

● والحضارة الإسلامية كغيرها من الحضارات تتأثر بالعوامل العامة التى تكونها – كمايرى ذلك علماء الاجتماع – ومن أهم هذه العوامل:

– الظروف الخاصة بطبيعة الأرض التى تنشأ فيها الحضارة وما تزخر به هذه الأرض من مذخورات نافعة للإنسان كالمياه والنفط وسائر المعادن.

– والظروف «الجغرافية» كالحرارة والبرودة والمطر والجفاف والجو المشمس أو الغائم، ومدى استقرار هذه العوامل أو اضطرابها.

– والظروف الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وما يتصل بتلك الظروف من تطور وتقدم فى تلك المجالات.

– والظروف الخاصة بما يتمتع به الشعب الذى يسكن هذا المكان، كالذكاء والقدرات العقلية والصفات الخلقية ونحوها.

– وما يسود المجتمع من قيم دينية وخلقية وعلمية ومعرفية وتربوية.

● غير أن الحضارة الإسلامية تعتمد اعتماداً كليًا على نظرة الإسلام للكون والحياة والإنسان، وكل قوى الخير أو الشر، وبخاصة فيما يتصل بالإنسان بوصفه أهم المخلوقات فى هذه الأرض وأجدرها بالتكريم ومن أجل الإنسان سخر الله له ما فى الأرض وما فى السماء.

● ومن خلال هذا التحضر الذى يقوم على احترام الإنسان وتقديره يتكون فى المجتمع رأى عام يتأثر بكل مظاهر الحضارة، وبمدى قدرتها على النهوض بالإنسان وبحياته، وتكاد تنفرد الحضارة الإسلامية عن سائر الحضارات بقدرتها على تكوين رأى عام إسلامى فاعل، نقى من الشوائب، يعرف الحق ويتمسك به ويدعو إليه ويتواصى به، ويحسن الصبر على المكاره والصبر عن الشهوات ويلتزم به ويدعو إليه ويتواصى به.

هذا الرأى العام الإسلامى هو المؤثر فى كل قضايا الأمة الإسلامية إيجابًا بقبول ما كان على الحق منها، وسلبًا برفض كل ما جانب الحق والقيم الإسلامية التى أهمها العدل والإحسان.

– وهذا الرأى العام الإسلامى من شأنه أن يكون على مستوى رفيع من النضج والوعى والحيادية والموضوعية، والبعد عن الهوى والتضليل، والمغالطات[1].

وبعد: فتلك مكونات الرأى العام الإسلامى الذى يساند الحق ويعاند الباطل ويحاربه، فما هى أنواع هذا الرأى العام الإسلامى؟

ب- أنواع الرأى العام الإسلامى ومراحله:

أولاً: أنواع الرأى العام الإسلامى

هذا التنوع فى الرأى العام الإسلامى ظاهرة ملازمة له، لأن هذا التنوع يخضع لتنوع

---

(١) من أجل سيطرة الحكومات الجائرة على الرأى العام ابتكر منصب وزير الإعلام وهو غير موجود فى الحكومات العادلة على مستوى العالم كله الذى يأخذ بالديموقراطية، وفى هذه الحكومات الجائرة تكون مهمة وزير الإعلام متمثلة فى أن يكون الرأى العام فى المجتمع تحت السيطرة الحكومية، يبرر ما تفعل ويعارض ما تعارض وإن سلخ جلده واستبدله بآخر فى كل دروة «برلمانية» المهم أن يكون من أذناب الحاكم وأتباعه، ولكل ثمن!!!

أنظمة الحكم التى يقهر بعضها الناس ويحول بينهم وبين حقوقهم وحرياتهم،أو أنظمة حكم تحترم الإنسان وتتيح له من حرية التفكير وحرية التعبير حقوقه الشرعية.

● وقد يتصور بعض حسنى النوايا من المسلمين أن الرأى العام ما دام إسلاميًا فقد تولد فى ظل حكومة مسلمة عادلة لأن الحكومة المسلمة لابد أن تكون عادلة!!!

وهذا تصور يدفع به حسن الظن من حافة الصواب إلى مهاوى الخطأ؛ فكم من حكومة مسلمة فى الماضى والحاضر لم تكن عادلة ولم تكن على مستوى أسماء الحكام المسلمين فيها ولا على مستوى الدستور الذى يحكمها وينص فيه على أن دينها الرسمى هو الإسلام وأن الشريعة الإسلامية هى المصدر لكل قوانينه وتشريعاته مع أنها حكومة جائرة ليس لها من قيم الإسلام نصيب، كما أن هناك حكومة مسلمة عادلة محسنة تحترم حقوق الإنسان وحرياته كما أمرها الإسلام.

– وبناء على ذلك فإن الرأى العام الإسلامى نوعان:

الأول منهما:

هو الرأى العام الذى يتكون فى ظل حكومة مسلمة عادلة تطبق شرع الله ومنهجه ونظامه، وتحترم الإنسان وتعترف بحقوقه وحرياته كلها.

وهو رأى عام واضح ظاهر، نستطيع أن نلمسه فى عصرنا هذا من خلال أجهزة الإعلام ووسائله العديدة، لأن تلك الأجهزة والوسائل خير ما يعبر عن الرأى العام فى المجتمع.

ويشارك أجهزة الإعلام ووسائله فى التعبير عن الرأى العام المنظمات السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية والفنية لأنها فى المجتمع المسلم العادل تعبر بدقة عن الرأى العام السائد فى المجتمع، بل تعد مقياسًا دقيقًا لنظام الحكم من جانب ولكل ما يدور فى أفكار الناس ويعبرون عنه من جانب آخر.

– وفى ظل هذه الحكومة العادلة يستطيع الناس التعبير عن آرائهم حتى السياسية منها بغير قيود تفرضها السلطة لأن السلطة عادلة تحترم الإنسان وتعترف بحقوقه وحرياته،وعندئذ تتفاعل أفكار الناس ويغذى بعضها بعضًا وتتقارب وجهات النظر بينهم أو تتباعد،ويحدث اختلاف بين جماعتين أو أكثر أو اتفاق، ويعبر الناس عن كل ذلك بحرية حتى وإن خالف رأى الحكومة.

– وعند تحليل هذه الظاهرة الصحية للرأى العام نجد الحكومة قد أحسنت صنعًا بفتح نوافذ التفكير والتعبير، ونجحت فى إحداث اتصال بينها وبين الناس، بل بين الناس بعضهم

مع بعض من خلال قنوات معروفة عند الحكومات العادلة التى لا تخاف الرأى العام وإنما تستفيد منه لصالحها وصالح الناس، وهذه القنوات هى :

– قناة اتصال منظم بين مسئولى الحكومة والجماعات والجمعيات بكل أنواعها فى المجتمع، فضلاً عن اتصالها بأعضاء المجالس النيابية، اتصالات تستهدف الوصول إلى وجه الحق فى أى قضية من القضايا الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية التى تهم المجتمع.

– وقناة اتصال الجمهور بالقيادة من خلال لقاءات تنظمها الحكومة العادلة، حيث يقدم الناس للحكومة آراءهم ورؤاهم فى أى قضية تهم المجتمع، من خلال حوار حر يستهدف الوصول إلى الحق، ويبعد عن المجازفات والأحكام المسبقة، لكى تصل الحكومة وجمهورها إلى رأى صحيح مدروس محسوبة أبعاده.

– وقناة اتصال الجماهير بعضهم ببعض، والسماح لهم بعقد الحلقات والندوات والمحاضرات حيث يشاءون، فى مقار الجماعات والجمعيات والأندية والأحزاب السياسية، بل قاعات الجامعات وفى المساجد وفى كل مكان يمكن عقد هذا الاجتماع فيه، لكى يدلى كل برأيه وينقد الرأي الآخر ويقترح له البديل.

● من خلال هذه القنوات يتكون الرأى العام الإسلامى الصحيح القادر على استيعاب قضايا المجتمع، وعلى اقتراح الحلول لكل مشكلة من مشكلات الناس.

والآخر منهما :

هو الرأى العام الذى يتكون فى ظل حكومة مستبدة لا تشعر أن للناس حقوقًا فى التفكير فى قضايا مجتمعهم، لأن استبداد الحكومة يعنى أنها وحدها هى التى تفكر يعاونها على ذلك جيش من المنافقين والمبررين لأعمال الحكومة، وذلك عندها بسبب مقولة مغلوطة ضالة مضللة خلاصتها أن الجمهور أقل من أن يستوعب هذه القضايا لجهله من جانب، ولمعارضته سياسة الحكومة من جانب آخر، وهذا تهميش للإنسان له ضرره البالغ على حاضر الأمة ومستقبلها.

– إنها الحكومة المستبدة التى تؤمن بمقولة فرعون الظالم الذى قال لقومه : ﴿ **مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ [غافر : ٢٩]، فلما سكت الناس وخضعوا وقبلوا الوصاية على تفكيرهم تجبر الظالم فقال لهم : ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي** ﴾ [القصص :٣٨].

– إنها الحكومة المستبدة التى تضع أمام الناس عوائق وكوابح تحول بينهم وبين التفكير والتعبير لأنها تفرض وصايتها على الناس وتحكمهم من خلال طواغيت صغيرة أو حزب واحد كله من المنافقين ويجب أن يحصل على الغالبية العظمى فى كل دورة نيابية!!!

ومن لم يعجبه فإن المعتقلات فاغرة أفواهها، وإن القضايا والمحاكم الاستثنائية قادرة على أن تزج بهم فى السجون سنوات عديدة.

– هذا النوع من الرأى العام المقهور ينذر دائمًا بردود فعل عنيفة تبلغ حد الضرر والإضرار عندما تزول الكوابح والعوائق التى يضعها المستبد أمام الرأى العام الكامن المقهور، وذلك دائمًا نصيب أى مجتمع يحكم بنظام حكم استبدادى.

– وكل نظام حكم استبدادى فإن القائمين عليه جهلة ومرضى وفقراء فى مجال العقل والحكمة وبعد النظر، بدليل أنهم يريدون أن يجعلوا الرأى العام يدور فى فلكهم، ويعظم الحاكم فى هذا النظام ابتداء من هتافات المنافقين ومغالطات المضللين، ومروراً بتعليق صور الزعماء فى الوزارات والمؤسسات والجامعات والمدارس والشوارع وبيوت المنافقين أو الخائفين، ثم ينتهى موكب هذا التعظيم للحاكم المستبد بأن يتحول الرأى العام إلى تبرير أعمال الحاكم وسياسته بل وأخطائه وانحرافاته.

– ومن جهل المستبد أنه يتغافل عن أن قهر الناس وحرمانهم من حقوقهم ومصادرة حرياتهم فى التفكير والتعبير لابد أن يولد بعد حين سخطا كامنا فى النفوس على هذا المستبد، سخطا هائلاً يظل حبيس القهر والظلم حتى تتاح له فرصة للتعبير من خلال «النكتة» وهى نقد لاذع للمستبد فى ظل الخوف منه ومن بطشه، أو من خلال كلمة تخرج من المقهور فى المجالات الخاصة والجلسات الضيقة مع تحسب شديد للخوف من أن تكون هذه الكلمة مراقبة من المستبد وأجهزته، الأمر الذى يجعل قائلها يهمس بها أو يورِّى عنها، ثم يقول: «الحيطان لها آذان»، والذى يخشى أشد الخشية هو أن يتحول هذا الإحساس بالقهر إلى عمل تخريبى أو ثورة لا يحسب المستبد لها حسابًا، وذلك دليل جهله وقصر نظره، فضلاً عما فى ذلك القهر للرأى من أضرار بالغة تحيق بالمجتمع نفسه، ومن هذه الأضرار قتل روح الإبداع فى الإنسان، وحرمانه من أسباب التفوق والتقدم فى مجالات العلم والاختراع، وفقده للإحساس بأنه شريك فى وطنه، يؤخذ رأيه فى قضاياه.

– وإن ما يردده المنافقون والمنتفعون والخائفون، لا يمكن أن يكون خارجًا من قلوبهم أو مما يؤمنون به أو يرونه حقًا وصحيحًا، وإن هذا العدد الكبير من المنافقين والمنتفعين والخائفين

سريعًا ما يتحولون إلى مستبد آخر بنفس المشاعر بل بنفس الكلمات الإطرائية دون خجل فضلاً عن حياء، إنهم على استعداد لأن ينقلبوا من النقيض إلى النقيض - كما يرى كل من ينظر إلى كثير مما يجرى فى دول القهر والاستبداد، وكثير منها فى العالم الثالث عالم الفقر أو عالم التخلف والعجز عن تأمين الطعام والملبس والمسكن!!!

إن الناس فى هذا العالم يخشون أن يكونوا أصحاب مبادئ أو أصحاب آراء، لأن معنى ذلك أن يصطلوا بنيران المستبد وما يرضى بذلك إلا القليل.

وهؤلاء المنافقون والمنتفعون والخائفون قد يبدو فى بعض الأحيان أن لهم رأيًا، وأنهم جزء من الرأى العام المغلوط الذى فرضه الحاكم المستبد!!! والحق أنه رأى صنع من قطع الجليد التى سريعًا ما تذوب عندما تطلع عليها الشمس، والشمس لابد طالعة، فهل يدرك ذلك المستبدون؟

- إن المستبد وأجهزته وأدوات طغيانه عندما يطرح قضية من قضايا الظلم والاعتساف ويريد أن يصطنع حولها رأيًا عامًا، فيسلط آلة الإرهاب الفكرى على الناس ويضغط عليهم ويفرض أسلوب عرض هذه القضية وأسلوب النقاش فيها فيوافق الناس مكرهين على الدعاية أو الدعوة لهذه القضية فيتوهم المغرور أن الرأى العام معه، والحق أن الناس ضده وضد طرحه لكل قضية كراهية له وحقدا عليه لظلمه واستبداده، والدليل القاطع على ذلك أن كثيرًا من الحكام المستبدين عندما يقوم ضدهم انقلاب عسكرى - مثلاً -(1) فيخلعهم مذمومين مدحورين، أو يعدمهم علنا أو يغتالهم فإن هذا الرأى العام الذى كانوا يتصورون أنه معهم سريعًا ما يتحول من النقيض إلى النقيض، فيطالب بمحاكمة المستبد فى قبره ويدينه بجرائمه.

- وتاريخ القرن العشرين - وخصوصا بعد قيام الانقلابات العسكرية والنظم الاشتراكية - ملىء بهذه الأحداث، ومفعم بمئات الأدلة على قمع العسكريين والاشتراكيين لحرية الفكر والرأى، وعلى قتل الناس وتعذيبهم وأخذهم بالظنة ومراقبة خطواتهم وأنفاسهم وتحويلهم

---

(1) الانقلابات العسكرية دائمًا من نصيب دول العالم الثالث الفقير وكل الانقلابات العسكرية قاهرة تحجب الحرية وتنتهك حقوق الناس فى التفكير والتعبير أولاً، ثم تمتد إلى مصادرة أموالهم والاستيلاء على ممتلكاتهم!!!
وكل انقلاب عسكرى يعتبر من قاموا به أبطالاً، فإذا فشلوا فهم مجرمون وإذا قام ضدهم انقلاب آخر فنجح فإن أصحابه هم الأبطال ومن كانوا أبطال الأمس فهم مجرمو ا اليوم!!! أليس ذلك يحتاج إلى التأمل وإعادة النظر عند من يرحبون بالانقلابات العسكرية؟

إلى حيوانات مذعورة تخاف من أهوال آلات التعذيب العسكرية والاشتراكية وكلابهما المفترسة وغياهب سجونهما الحربية وقضاتها العسكريين، وأبواق دعايتها وإعلامها، تلك الآلات التى تقلب كل الحقائق،ما يشك فى ذلك أحد حتى الاشتراكيون أنفسهم فقد اعترف اشتراكى ضخم كان الرجل الثانى بعد «لينين» فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وهو: «تروتسكى (١٨٧٩-١٩٤٠م) رجل الدولة السوفيتى اليهودى الأصل ووزير خارجية الاتحاد السوفيتى مسجلاً ذلك على نفسه عندما يقول: «إن البعض يتهمنا بخلق الرأى العام عند الجماهير، وهذا الاتهام غير صحيح، وكل ما هنالك أننا نحاول صياغته»!!!

وقد دفع تروتسكى ثمن مغالطاته هذه بأن اغتيل عام ١٩٤٠م فى المكسيك بيد عملاء «ستالين» خليفة لينين على عرش الاشتراكية اغتاله لخلاف دب بين الطاغيتين على التفرد بالسلطة القاهرة للشعوب بعد موت «لينين».

- وهكذا فعلت الحكومات الشيوعية والاشتراكية فى كل بلد نكب بهذا الأسلوب من الحكم القائم على الإرهاب والتعذيب والقتل وانتهاك الحقوق والحرمات لكل الناس بعد تسميتهم أعداء الشعب.

ومن تأمل فى مصير« شاوسيسكو » دكتاتور رومانيا، أو تدبر فيما فعله «هتلر» وأجهزته القمعية أو موسولينى وفاشيته أو اليهود وعشقهم للاغتيال والغدر والجبروت،يعلم كيف يخلق الرأى العام أو يصاغ فى غيبة الحريات!!!

ثانيًا: مراحل تكوين الرأى العام الإسلامى:

الرأى العام الإسلامى الذى تكون متأثراً بالعقيدة والنظم التعبدية، والقيم الخلقية، والثقافة السائدة فى المجتمع والمستوى الحضارى فيه.

هذا الرأى العام الإسلامى قد مر بمراحل عديدة ظلت تتنامى ويفضى بعضها إلى بعض حتى استقر وأصبح رأيًا عامًا إسلاميًا فاعلاً.

هذه المراحل لا تختلف فى تكوين الرأى العام الإسلامى عنها فى تكوين أى رأى عام، وهى:

المرحلة الأولى: مرحلة الوعى العام بالقضايا المحيطة بالإنسان

وتتأثر هذه المرحلة بالثقافة العامة للناس، وإحساسهم من خلالها بما يحيط بهم من قضايا اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو نحوها.

كما تتأثر هذه المرحلة بجملة الاتصالات التى يحدثها الفرد فى المحيط الذى يعيش فيه من نظراء وكبار ومشاهير وآباء ومعلمين وما يجرى فى هذه الاتصالات من مناقشات واستطلاع آراء، وحديث عن أبعاد هذه القضايا وأهميتها.

كما تتأثر هذه المرحلة بمدى ما لطرفى الاتصال أو أطرافه من ثقافة عامة أو خاصة ومدى ما لديهم من وعى وإحساس بهذه القضية أو القضايا المطروحة للتداول بين الناس.

ويعقب هذا الوعى إدراك لهذه القضايا وقدرة على تصنيفها وتحليل أسبابها وتصور الحلول المناسبة لها، تلك هى المرحلة الأولى من مراحل تكوين الرأى العام الإسلامى.

والمرحلة الثانية: مرحلة التحاور والاطلاع على الرأى الآخر

عندما تثار أى قضية نتيجة للوعى بها وإدراك أهميتها؛فإن من صالح هذه القضية وصالح الذين يثيرونها أن يتحاوروا فيها وأن يستمعوا إلى كل وجهات النظر التى تطرح من أجلها، لأن الاطلاع على الرأى الآخر ومناقشته من أحسن الوسائل لإنضاج الرأى، وهو بمعيار الإسلام نوع من الاستشارة ودعم لمبدأ الشورى، وإثراء للفكر الحر الطليق من القيود الظالمة.

وكلما تعددت وجهات النظر حول قضية من القضايا كان ذلك دليلا على قرب الوصول فيها إلى الصواب، بل كلما ازداد الاختلاف فى وجهات النظر حولها دل ذلك على اهتمام المحاورين والمناقشين وتفكيرهم الجدى فى الوصول إلى أسباب القضية وأبعادها وكيفية حل مشكلاتها.

– والإسلام يدعو إلى الشورى ويجعلها من صفات المؤمنين ويبرز أهميتها حين يضعها الله تعالى بين الصلاة والزكاة وهو يعدد سبحانه صفات المؤمنين وذلك فى قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** [الشورى:٣٨].

والحوار والمناقشة حول موضوع ما هو من صميم الشورى التى أوجبها الإسلام على النبى ﷺ فى قول الله تعالى: **﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾**

[آل عمران: ١٥٩].

وهكذا يكون الحوار والمناقشة والمشاورة والاستماع إلى الرأى الآخر مرحلة من مراحل تكوين الرأى العام.

والمرحلة الثالثة : مرحلة التفكير العميق فى إحدى القضايا

وهذا التفكير العميق نتيجة للحوار والمناقشة والشورى والاستماع الجيد إلى الرأى الآخر.

وهذا التفكير العميق يعنى : التركيز على أمور بعينها فى القضية مثل :

– أسباب القضية أو المشكلة والظروف التى أدت إليها، مع تصنيف هذه الأسباب من حيث قوتها وضعفها، وهل هى من داخل المجتمع أم وافدة عليه من خارجه، لأن ذلك مما يساعد على الوصول إلى حل.

– وأبعاد هذه القضية أو المشكلة، وإلى أى حد تبلغ فى إلحاق الضرر أو الخلل بالمجتمع، وهل هى متأصلة متجذرة فى المجتمع أم طارئة عارضة؟

– وأهداف هذه القضية أو المشكلة التى يسعى المحركون لها من الأعداء إلى الوصول إليها، وهل هى أهداف خاصة بطائفة من المجتمع أم بالمجتمع كله، أم بالعالم العربى أم بالعالم الإسلامى، وذلك أن التعرف على أهداف القضية أو المشكلة عمل أساسى فى التعرف على طرق حلها.

– وتصور الحلول لهذه القضية أو المشكلة سواء أكانت حلولاً عاجلة تنفذ موقفًا بعينه أم حلولاً دائمة، ومناقشة كل حل بحرية الفكر وحرية التعبير عن هذا الفكر، ولا ينبغى فى هذه المرحلة أن تستبعد فكرة لأن صاحبها أساء عرضها أو أنه غير متقبل من الآخرين، أو أنه قد جاء بفكرة تعد شاذة، وإنما الأصل هو الحوار والمناقشة، والتفكير العميق المتأنى الهادئ الهادف، إنها مرحلة مناقشة كل الآراء.

والمرحلة الرابعة : مرحلة تقارب وجهات النظر

وهذا التقارب فى وجهات النظر المتعددة حول قضية من القضايا، إنما جاء نتيجة للتفكير العميق فيها واحترام كل وجهة نظر طرحت ودراستها بحيدة وموضوعية.

وهذا التقارب فى وجهات النظر لا يأتى عفواً،ولا ينبغى أن يكون استجابة لرغبة كبير أو رئيس يخضع له من يحللون وجهات النظر المتعددة حرجا منه لميله لرأى بعينه أو خوفًا منه أو تزلفا إليه، لأن كل ذلك عند التحليل العلمى الدقيق إنما يمثل تعويقًا لحل القضية أو إعطائها مسكنا يخفى – مؤقتا – ما تجلبه على المجتمع من آلام.

والخوف أو النفاق أو المجاملة لكبير أو رئيس آفة من آفات المجتمع الذى يحكم حكمًا استبداديًا، وهى آفة تحول بين أصحاب الفكر وبين الوصول إلى حلول حقيقية.

– هذا التقارب بين وجهات النظر يقوم على إزالة أو إذابة أوجه الخلاف حينا وهذا هو الأصل وعلى تناسى أوجه هذا الخلاف وذلك علاج مؤقت، وكلاهما يؤدى للوصول إلى شبه اتفاق أو اتفاق ضمنى أو اتفاق مؤقت،وكل ذلك مقبول، ومعبر عن الجهد الذى بذل فى الوصول إليه، وعن التنازلات الكريمة التى حدثت من أصحاب الآراء المخالفة، وفى كل ذلك الخير كل الخير.

ويمكن أن نسمى هذه المرحلة مرحلة تغليب وجهة نظر لما لها من تقبل عند غالبية المتحاورين، على وجهات النظر المغايرة لها، وكل ذلك يسهم فى تكوين الرأى العام الإسلامى ما دمنا فى حوارنا واختلافنا واتفاقنا وتنازلاتنا نحكِّم قيم الإسلام ومبادئه وأسلوبه فى الحوار والشورى وأخذ الآراء.

والمرحلة الخامسة: مرحلة الاتفاق

وهى مرحلة مترتبة على مرحلة تقارب وجهات النظر ونتيجة طبيعية لها.

وفى هذه المرحلة من مراحل تكوين الرأى العام الإسلامى،يحدث اندماج بين الآراء بعد حدوث التوافق أو الاتفاق، وهذا الاندماج يتضمن اتفاقًا صريحًا أو ضمنيا على وجهة نظر معينة فى القضية المطروحة أمام المتحاورين.

ولهذا الاندماج أو الاتفاق له آداب إسلامية دل عليها الإسلام ودعا إليها وحبب فيها، ومن هذه الآداب:

– أن الذى اقتنع برأى بعينه يصبح متبنيا لهذا الرأى منتميًا إلى الفقه الذى أدى إليه، حتى ولو كان مخالفًا لرأيه الشخصى.

– وأن الذى انتمى إلى رأى معين حدث عليه الاتفاق، لابد أن يدعو إلى هذا الرأى ويوضح ما يميزه عن غيره، ويصبح عندئذ كأن الرأى رأيه شخصيًا.

– وأن هذا التبنى للرأى المتفق عليه أو الانتماء إليه وإلى مدرسته الفقهية لا ينبغى أن يصل به إلى حد التعصب أو ازدراء الآراء الأخرى، وإنما الموضوعية هى الأساس واحترام المخالف فى الرأى هو خلق الإسلام على الدوام.

– وأن الانتماء إلى رأى لا يعنى إغلاق العقل عن أى عيب يظهر فيه، وإنما يناقشه ويطيل التفكير فيه، فإن تأكد من أنه معيب أو غير صالح – بعد أن كان صالحًا فى وقت مضى – فعليه أن يرجع عنه، وأن يتحاور ويتشاور فى الأمر مع الآخرين حتى يصلوا إلى إصلاح

العيوب ومواكبة الرأى لظروف الزمان والمكان والناس.

والسنة النبوية فيها كثير من المراجعة والمحاورة التى ترتب عليها العدول عن رأى أو موقف بعد أن كان الاتفاق عليه بين المسلمين؛ وذلك فى المواقف التالية:

- موقف القتال فى غزوة بدرالكبرى.
- وموقف الخروج إلى أحد.
- وموقف صلح الحديبية.
- وموقف قتل بعض أهل مكة عند فتحها،

ولقد استمر هذا الأسلوب من المراجعة فى حياة الصحابة رضى الله عنهم مثل:

- موقف عمر بن الخطاب رضى الله عنه من جمع القرآن الكريم.
- والموقف فى قتال أهل الردة.
- والمواقف فى تسيير جيش أسامة رضى الله عنه.
- وموقف عمر رضى الله عنه فى عزله خالد بن الوليد رضى الله عنه.

وهذا وأمثاله يعلمنا أن لا نأخذ برأى فى أمر من أمور الدنيا ثم نتشبث به على الدوام، إذ لابد من مراجعته وتبين ملاءمته للمكان والزمان والناس على فترات.

ذلك أدب الإسلام وخلقه، وما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته رضى الله عنهم من صفات، وهو ما يجب أن يتصف المسلمون به إزاء كل قضية اجتهادية، المرونة وانفتاح العقل على المستجدات والمتغيرات للعدول عن رأى كان قد اتفق عليه إذا تبين بعد حين أن الصواب فى سواه.

بذلك يتكون الرأى العام الإسلامى ويجنى المسلمون الثمرة المرجوة منه.

والمرحلة السادسة: مرحلة وضوح الرأى العام واستقراره

وهذه المرحلة الأخيرة من مراحل تكوين الرأى العام الإسلامى هى ثمرة للمرحلة التى سبقتها وهى مرحلة الاتفاق على رأى بعينه بل هى - عند التحقيق - نتيجة لكل المراحل الخمس التى سبقتها.

- وفى هذه المرحلة؛ يصبح الرأى العام الإسلامى معبراً عن إرادة الجماعة أو المجتمع أو

الأمة، بعيداً عن أى ضغط أو إكراه أو مجاملة حاكم أو خوفه أو الطمع فيما لديه.

– وفى هذه المرحلة يعد الرأى العام الإسلامى الذى استقر عليه المسلمون معبراً عن برنامج المجتمع أو الأمة إزاء قضية بعينها ويصبح لهذا المجتمع أو تلك الأمة رأى عام فى قضية من القضايا.

– ثم يستقر الرأى العام على ما استقر عليه حتى تستجد متغيرات تحمل الناس على إعادة النظر والتفكير فيما كانوا قد استقروا عليه، لتغييره إن اقتضت الظروف من خلال القنوات الصحيحة للتغيير وهى كما أسلفنا:

- الوعى والإدراك.
- والحوار والنقاش والتشاور.
- والتفكير العميق.
- والتقارب بين وجهات النظر.
- والاتفاق على وجهة نظر بعينها.

وبعد: فلابد أن نوضح فى إيجاز أهمية الرأى العام وقيمته فى الحياة السياسية فى الأمة المسلمة، فنقول والله المستعان:

أولاً: الرأى العام الإسلامى مظهر من مظاهر وحدة الأمة، واتفاقها على ما يجب أن تتفق عليه فى أى أمر من أمور الدنيا، أما أمور الدين فالثابت منها قد فرغ منه ولا سبيل إلى تغيير شىء فيه، وغير الثابت من أمور الدين يخضع للاجتهاد ومحاولة الوصول إلى رأى عام فيه.

ثانياً: الرأى العام الإسلامى دليل على نضج الأمة وحسن تقديرها للعقل والعلم، وتقديسها للحريات والحقوق التى جعلها الله لعباده من خلال قنوات الاتصال الصحيحة الجيدة بين الحاكم والمحكوم وبين الجماعات والجمعيات والمؤسسات والأندية ونحوها، فى المجتمع المسلم، وهو ظاهرة صحية تطمئن على حاضر الأمة وعلى مستقبلها كذلك.

ثالثاً: الرأى العام الإسلامى يعد دليل عمل لأى حكومة عادلة تستهدف إقامة حكمها على العدل والشورى، فإن فقدته كانت كمن يضرب فى صحراء لا معالم لها وليس معه دليل يهديه ويرشده ويباعد بينه وبين أن يهلك فى مفاوزها، لذلك تحرص الحكومة العادلة على طرح قضاياها ومشكلاتها أمام الناس ليكونوا على وعى بها ويتداولوها بالحوار

والتفكير العميق ويحاولوا تقريب وجهات النظر حولها ثم يتفقوا عليها لتصبح رأيا عاما تستهدى به الحكومة فى اتخاذ قراراتها.

رابعًا : لا يضيق بالرأى العام الإسلامى إلا حكومة مستبدة تحرم الناس من حرياتهم وتنتهك حقوقهم،فلا يتاح لهم وعى ولا حوار ولا تتولد لديهم وجهات نظر ولا يتقاربون حول إحداها ولا يتفقون عليها، ولا يكون لهم رأى عام إسلامى، وعندئذ تنطلق الحكومة المستبدة فى غرورها واحتقارها لجمهور الناس واتخاذها قرارات غير مدروسة ولا ناجحة لأنها فقدت روح نجاحها وهو الرأى العام الإسلامى المستهدى بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومواقف الرسول ﷺ وصحابته رضى الله تعالى عنهم.

وبعد : فهذه أهمية الرأى العام وقيمته فى حياة أى أمة من الأمم، به ترشد وبدونه تستبد فتضيع، ألا قد بلغت، اللهم فاشهد.

٣- توظيف الرأى العام الإسلامى سياسيا

هذا التوظيف يعنى أن الرأى العام الإسلامى مطالب بأن يؤيد قضية محلية أو عربية أو إسلامية ما دامت تحقق مصلحة حالية أو مستقبلية، ويعارض كل قضية يترتب عليها إلحاق أى ضرر بالوطن المحلى أو العربى أو الإسلامى فى الحاضر أو فى المستقبل.

– وسواء أكانت القضية التى تجلب نفعًا لتؤيد، أو تدفع ضرراً لتعارض، اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية أم ثقافية فإن حشد الرأى العام الإسلامى لها ضرورى وحيوى.

● ولقد وظّف أعداؤنا الرأى العام لصالحهم ولصالح قضاياهم حتى لو كانت غير عادلة،ونجحوا فى ذلك ونحن ننظر إليهم ونسمع لمقولاتهم الضالة المضللة، ونعى ونحس بأبعاد هذه القضايا وما ينطوى عليه حشد الرأى العام لها من أضرار تحيق بحاضرنا ومستقبلنا، وتجبرنا الحكومات التابعة لأعدائنا على السكوت فإن تكلمنا فالسجون والمعتقلات والتعذيب وإلصاق أبشع التهم بالمعترضين على تلك السياسة!!!

– رأينا ذلك وعاينّاه وعانينا منه فترات غير قصيرة، على مدى يتسع ليشمل الدول المحتلة للأرض والحكومات التابعة لها، والحكومات التابعة للمعسكر الشيوعى أو الاشتراكى التى استطاعت أن تحل محل المغتصبين المحتلين، وهى حقبة تمتد إلى ما يزيد على نصف قرن أو يصل إلى ثلاثة أرباع القرن من سنة١٩٢٤م سنة تآمر اليهود والغرب على إسقاط نظام الخلافة فى تركيا، ولا يزال أثر هذا الحشد الإعلامى للرأى العام من أجل أن يروج للباطل المعادى للإسلام قائماً حتى اليوم ، وسوف يظل غداً وبعد غد، ومع ذلك لم يوظف الرأى العام الإسلامى لتأييد القضايا الإسلامية العادلة، ومحاربة كل قضية مجحفة بحق الوطن المحلى أو العربى أو الإسلامى.

● ودول العالم الثالث – ومنها كل دول العالم الإسلامى – فى الفترة التى سبقت انهيار الاتحاد السوفيتى وفشل التجربة الشيوعية الملحدة والاشتراكية المستبدة الظالمة، كانت معظمها تنتمى طوعًا أو كرها وطمعًا أو خوفًا للأنظمة الاشتراكية[١] متوهمة أنها

---

(١) الاشتراكية التى عانينا منها فى العالم الثالث كانت تقوم على الاستبداد بالحكم عن طريق حزب واحد، وتجعل الناس شركاء فى الفقر والخوف والرغبة فى الهروب من أوطانها اتقاء لسجون الاشتراكية ومعتقلاتها فى حين تغدق على الحكام ورجال الحزب الحاكم، لأن مقدرات البلاد فى أيديها تستولى على ما تشاء وتعطى من تشاء وتحرم من تشاء!!!

بالاشتراكية تتخلص من «الامبريالية»[1]، فكانت كمن يستجير من الرمضاء بالنار، ومن يستعدى على ظالم بمن هو أشد ظلماً منه.

– ورأينا بطش الاشتراكية وآلتها التعذيبية التى انتقلت من الأم الراعية لهذا البطش والإرهاب والتشريد والنفى والموت من التعذيب تحت التحقيق وأصبح فى كل وطن من أوطان العالم الثالث «بيريا» الروسى، وانتقلت وحشية التعذيب التى كانت فى سيبيريا إلى السجون الحربية والمعتقلات التى بنيت خصيصاً لتعذيب أعداء الاشتراكية، وبرز من زعماء الاشتراكية ودهاقينها رموز كانوا اشتراكيين أكثر من «لينين وستالين» وتتلألأت أسماء: جمال عبد الناصر وميشيل عفلق وصدام حسين وحافظ الأسد، وبرز من آلات التعذيب رموزها فاشتهرت أسماء: زكريا محيى الدين وصلاح نصر وشمس بدران وصلاح الدسوقى وحمزة البسيونى على مستوى السجن الحربى ومجلس قيادة الثورة وإدارة المخابرات ونحوها، وهذه نماذج قليلة من كم كبير من هؤلاء الطغاة.

وظهرت نجوم فى سماء فقد الأمن والأمان سمى بعضها: شعراوى جمعة وحسن أبو باشا وزكى بدر،وأذنابهم من: حسن طلعت وفؤاد علام وغيرهما من الجلادين، على مستوى وزارة الداخلية وزارة الأمن الداخلى لمصر، وهؤلاء قلة من كثرة معروفة لكل الناس.

ولم يكن نصيب كثير من بلدان العالمين العربى والإسلامى أقل من نصيب مصر من هذه الآلات البشرية المفترسة للحريات ولحقوق الإنسان.

وانطلقت فى ذلك الوقت – الحالك بسواد الظلم والبطش – شعارات مضللة تحاول تغطية الواقع المرير مثل:

– مكاسب الشعب: وما كسب من الشعب أحد شيئًا وإنما كان للحاكم وأذنابه وجلاديه ومنافقيه.

– والحرية للشعب :وما فقد الشعب حريته إلا فى ظل هذا النظام الذى كانت الزوجة فيه تشى بزوجها والرجل بشقيقه تقرباً إلى الطاغوت الأكبر، وهربا من أن يصنف غير متحمس للنظام الاشتراكى الرهيب.

---

(١) «الامبريالية»: تعنى سيطرة الدول الرأسمالية الصناعية على الشعوب التى هى أضعف منها لتستغلها وتنهب ثرواتها حتى لو ادى ذلك إلى احتلال أرضها وتشريد أهلها، وكثيراً ما تسبقها بعثات من المستشرقين والمبشرين والاقتصاديين اليهود والشركات الاحتكارية، وفرض الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية على الشعوب الفقيرة الضعيفة.

ولقد سجلت هذه المخازى بأقلام الاشتراكيين أنفسهم بعد أن سقط الصنم وهرب من كانوا يقدمون القرابين أمام قدميه أو وقعوا فى براثن الحاكم الذى خلف الطاغوت.

إن السجن الحربى فى مصر فاق فى وحشية ما كان يجرى بداخله سجن «الباستيل» بفرنسا الذى أسقطته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، ولكن السجن الحربى لا يزال يرهب الناس معناه حتى اليوم وإن كان مبناه قد أزيل، هذا السجن الحربى كان الناس يقولون عنه: إن داخله مفقود وإن الخارج منه مولود، حيث كانت تمارس أحط وأخس وأدنأ طرق التعذيب مع عصب عينى الضحية، ومن لم يمت فيه من التعذيب فقد عقله حينا وفقد إحساسه بالأمن على الدوام.

كل ذلك حدث باسم الاشتراكية التى كانت تنادى: «ارفع رأسك يا أخى فقد مضى زمن الاستعباد» وما استعبد الإنسان وسلبت حريته وحقوقه بأبشع مما كان فى زمن الطاغوت واشتراكيته وآلاته البشرية المعذبة المتوحشة التى تنتهك الحرمات والمحرمات وتهتك أعراض النساء أمام أزواجهم وآبائهم وأبنائهم، وتنادى بأنها ترعى حقوق المرأة!!!

● وأعجب العجب أن وجد الطغاة من بعض الكتاب والصحفيين من يبررون لهم هذه الجرائم، فألفوا فى تكريس الظلم والبطش الأغانى وكتبوا المسرحيات والأفلام السينمائية وجرائم الإعلاميين الذين لا يزال بعضهم فى مواقع إعلامية دون حياء!!!

● هذه الشيوعية أو الاشتراكية التى بليت بها دول كثيرة فى العالم الثالث لم تكن فى ظلمها وبطشها أقل قسوة من نظام «لينين وستالين وبيريا»، ولم تكن أقل وحشية من النظام النازى فى ألمانيا أيام «هتلر» ولم يكن إعلامها أقل ضراوة وسفالة من إعلام وزير دعاية هتلر وإعلامه «جوبلز»(١).

وكانت الدعاية عند «جوبلز» أو الإعلام يقوم على مبادئ نحب أن نذكر بعضها، حتى يقارن الناس بينها وبين ما فعلته وما لا تزال تفعله الاشتراكية فى البلدان التى ابتليت بها.

وجملة الدعاية والإعلام عند «جوبلز» فى كلمات هى:

«تبرير القوة والعنف،وتلقين الكذب بتنويع تكراره» وسوف نوضح بعض هذه القواعد التى تعد نماذج للشر والكذب والعنف والدموية، التى تحول الناس إلى درجة أقل من درجة

(١) هو: بول جوزيف جوبلز (١٨٩٧-١٩٤٥م) وقد ظل وزيراً للدعاية من عام ١٩٣٣ - إلى ١٩٤٥م حيث انتحر بعد هزيمة هتلر.

الحيوان إذ تحرمهم حرياتهم وتنتهك حقوقهم. هذه القواعد كتبها «جوبلز» بنفسه فى مذكرات عثر عليها بعد هزيمة ألمانيا واستسلامها.

وكانت هذه المذكرات تغطى الفترة من ٢١/١/١٩٤٢م إلى: ٥/٩/١٩٤٣م أى ما يقرب من عام ونصف العام.

ومن هذه القواعد والمبادئ:

١- على أجهزة المخابرات والتنظيمات السرية أن تضع معلوماتها تحت تصرف رجال الدعاية والإعلام، حتى يمكن إعداد الدعاية التى تلائم ما يجمع من معلومات عن طريق الجواسيس ومراقبة التليفونات ومراقبة الوسائل البريدية...»

● وذلك نفس ما كان يحدث فى الاتحاد السوفيتى السابق وفى الدول الاشتراكية والشيوعية وما لا يزال كثير منه يطبق فى بعض البلدان حتى اليوم وبخاصة البلدان الاشتراكية!!!

٢- وهيئة الدعاية تقوم بمهام ثلاث هى:

- إصدار التعليمات الخاصة بالحملات الدعائية.

- شرح التوجيهات للمسئولين عن التنفيذ لإثارة حميتهم.

- والإشراف على الوكالات الأخرى الدعائية ومعرفة نتائج أعمالها».

ومعنى ذلك سيطرة رجال الدعاية والإعلام المغالط على كل المسئولين فى الدولة وحجتهم التى تبرر هذا التسلط هى المحافظة على النظام!!!

٣- «كل الإجراءات العسكرية والسياسية التى تتخذها الدولة يجب أن تؤخذ نتائجها فى الاعتبار، لأن هذه الإجراءات لابد أن يكون لها هدف دعائى».

ولقد كان «جوبلز» مسئولاً عن المحاكمات التى جرت فى ألمانيا وليس وزير العدل كما هو معروف عند الناس جميعاً.

وهذا نفسه هو ما كان سائداً فى كثير من بلدان العالم الثالث، حيث كانت محاكم الثورة أو المحاكم العسكرية غير خاضعة لوزارة العدل قدر خضوعها لرجال المخابرات، وكان المحققون من رجال المخابرات - زراية منهم بالقانون وبالمحاكمين - يخبرون المعتقلين الذين يحقق معهم بالأحكام التى سوف تصدر ضدهم قبل المحاكمة،ثم تأتى المحاكمة الهزلية

فتصدر نفس الأحكام التى أخبر بها المحققون المعذِّبون!!!

٤- « أن تحقق الدعاية أهدافًا تؤثر على سياسةالعدو »- أى دول الغرب التى تحالف ضد ألمانيا- لكن هذا النظام مأخوذ به فى دول العالم الثالث باعتبار أن العدو هو المعارضة السياسية لسياسة الطاغوت، وهذه المعارضة من صميم الشعب الذى يتحكم فيه الطاغية بالاشتراكية ومبادئها.

● ويرى « جوبلز » أن ذلك يجب أن يتم عن واحد من الطرق الآتية:

- طريق الإخفاء الدعائى لبعض الأخبار، بهدف بلبلة الأفكار، ومنع الناس من الاستفادة من إعلان الخبر أو التعليق عليه أو تحليله.

- وتكرار المحتوى الدعائى بصورة تدفع الآخر - العدو - إلى الوصول إلى نتائج، يريد جهاز الدعاية تحقيقها.

- وإثارة - العدو - بصورة تدفعه لإعلان معلومات حيوية عنه، للاستفادة بهذه المعلومات ضد العدو.

- واستغلال الخلافات بين فئات العدو وطوائفه إلى أقصى حد ممكن للوصول إلى ضربه وهزيمته.

وهذا بعينه هو ما تفعله الصهيونية وأجهزة المخابرات على مستوى العالم بعد تطوير بعض الأجهزة لهذه الأعمال، وهذا بعينه ما لا يزال يحدث فى كثير من بلدان العالم الثالث حتى يومنا هذا فى نهاية القرن العشرين الميلادى!!!

٥- يجب أن تتجه وسائل الإعلام الجماهيرية إلى الاهتمام ببرامج التسلية والترويج ليزداد تعلق الناس بأجهزة الإعلام فإذا أريد توجيه الناس لرأى بعينه،استغلت أجهزة الإعلام لطرح هذا الرأى.

● وهذا بعينه ما حدث فى مصر على عهد طاغيتها جمال عبد الناصر حيث أنشأ محطة سماها محطة أم كلثوم لا تذيع إلا أغانيها ليسهل التعامل مع الناس من خلالها عند الطوارئ والانقلابات العسكرية المضادة أو الثورات الشعبية التى كان يتوقعها الطاغية دائماً!!!

٦- والاهتمام بتفنيد الإشاعات المضادة للنظام بكافة الطرق وعدم الاقتصار على تفنيدها من خلال أجهزة الإعلام وحدها أو البيانات الحكومية الرسمية.

● وفى بعض بلدان العالم الثالث لعب بعض الرسامين وفنانو « الكاريكاتور » دوراً بارزاً

فى تفنيد هذه الإشاعات المضادة واستعملوا سلاح «النكتة» المضادة للعديد من «النكت» التى كانت تملأ الشارع المصرى وتصور جبروت الطاغية وظلمه واستهانته بأقدار الناس والعمل على إذلال كل كبير وإهانته ولقد سمعنا من هذه «النكات» شيئًا كثيرًا نعف عن روايته فى كتاب عن التربية السياسية الإسلامية. وكلها تعبر بصدق وموضوعية وعفوية عن أعمال الطاغية وزبانيته(١).

٧- ويجب أن تكون الألفاظ والشعارات قادرة على إثارة الاستجابات المرغوبة والكافية لدى الجمهور،وأن تختار بعناية حتى يسهل حفظها وترديدها.

● وكان ذلك شأن العالم الثالث المحكوم بالنظم الاشتراكية أو بالنظم العسكرية، فقد أطلقت الشعارات وأسهمت الأغنيات وكلمات المنافقين لتحدث الاستثارة، وربما لتحدث الإرهاب فى القوى المعارضة عمومًا، ومن هذه الشعارات:

«الحرية للشعب ولا حرية لأعداء الشعب».

و«مجتمع الرفاهية والعدل».

و«مجتمع النصف فى المائة».

و«الاشتراكية والديمقراطية».

و«القضاء على الإقطاع».

و«والرأسمالية الوطنية».

و«الإصلاح الزراعى».

و«التأميم».

و«لاسيطرة لرأس المال على الحكومة».

و«لا سياسة فى الدين ولا تديين للسياسة».

---

(١) من ذلك واحدة أهون وأقل فى باب الإضحاك والسخرية من الحاكم المستبد،تقول: سرق مرة من الرئيس الطاغية قلمه فأبلغ رجال مخابراته فقبضوا على أكثر من مائتى لص وعذبوهم وأخذوا منهم الاعترافات بالتعذيب... فلما كان الغد استدعى الطاغية رئيس مخابراته أو ذهب إليه رئيس مخابراته، فقال له الرئيس: لقد وجدت القلم فى بدلتى الأخرى، فقال له رجل المخابرات: لقد قبضنا على مائتى لص وكلهم اعترف بأنه سرق القلم!!!

وكثيرمن الشعارات التى تمجد الزعيم الطاغية وتصفه بصفات بطولية مثل:

« الزعيم الخالد » .

و« الزعيم المنقذ » .

و« الزعيم الذى جاء على موعد مع القدر » .

و« مثال الوطنية » .

وغيرها من مئات الصفات المبالغ فيها والتى تعتبر من أسماء الأضداد – كما نقول فى اللغة العربية .

وجاءت الأغنيات لتدلى بدلوها فى موجة الأكاذيب والنفاق وردد هذه الأغانى كبار المغنين ولحنها كبار الملحنين، ومن أعجبها عندى قول أحد هؤلاء الممسوخين وهو يغنى مخاطبًا المواطن المطحون بالفقر والظلم والضياع: « يا عديم الاشتراكية، يا خاين المسئولية » .

وكان التأسى فى ذلك بمصطفى كمال طاغية تركيا ومُسْقط دولة الخلافة التى لا تزال صوره معلقة فى بعض الأماكن لتلقى الرعب فى قلوب المسلمين المتمسكين بدينهم وفى قلوب غير العلمانيين، ولقداستبد الغرور بطاغية تركيا فاطلق على نفسه « أتاتورك » أى أبو الأتراك، وأشهد لقد رأيت فى مساجد بعض قرى تركيا من الأتراك من يلعن مصطفى كمال على المسبحة فى ختام صلواتهم!!!

٨– ويجب أن تكون الجبهة الداخلية على قدر كبير من الحيرة والقلق بصورة مستمرة، إذ يجب أن تحجب عنها المعلومات المطمئنة، وأن تقدمها إليها الحكومة مغلوطة تخدم مصالحها لا مصالحه .

● وهذا ما كان معروفًا فى كثير من دول العالم الثالث فى ظل حكومات القهر والاستبداد والاشتراكية . . .

وليس حديث الغارات الجوية الوهمية على القاهرة عقب هزيمة ١٩٦٧م ببعيدة عن الأذهان – تلك الهزيمة التى شاركت فيها إسرائيل وأمريكا وكثير من دول الغرب والاتحاد السوفيتى السابق – على الرغم من تظاهره بغير ذلك، وكان الغرض من هذه الغارات إصابة الناس بالهلع والرعب كى لا يفكر بعضهم فى أسباب الهزيمة واحتلال أراضى أربع دول عربية فى ساعات قليلة، تلك الهزيمة النكراء التى سميت « نكسة »!!!

٩- ويجب أن تعمل الدعاية على تجاوز الفشل، وتصويره فى الأجهزة الإعلامية على أنه فشل مرحلى يؤدى إلى نجاح قادم بكل تأكيد، لكى تكون هناك ثقة فى النظام الحاكم مهما حدثت له من هزائم.

● وهذا هو نفس ما حدث عقب هزيمة ١٩٦٧م إذ سميت نكسة، حتى تساءل الناس قائلين: إذن ما هى الهزيمة؟

وأجاب منظرو الاشتراكية فى مصر قائلين: إن الهزيمة هى القضاء على النظام وزعيمه الخالد، وما دام النظام باقيا والزعيم محروسا فأين هى الهزيمة!!!

وعندما جرى بعض الدم فى وجه الزعيم فأحس بجرمه وجرم جهازه الحاكم أعلن – فى تمثيلية مكشوفة – أنه يتنحى عن الحكم، فقامت المظاهرات من فلول الاشتراكيين والمنتفعين تهتف فى الشوارع: «لا تتنحَّ، لا تتنحَّ... وهى مظاهرات مدفوعة الأجر مقدمًا لتطالب الرئيس بالبقاء فى الحكومة حتى يزيل آثار العدوان، ويحقق النصر!!! ولكن النصر كما نعرف لم يتحقق فى حياة الطاغية،حتى آثار العدوان لم تزل وهو حى!!!

١٠- ويجب أن تركز الدعاية – فى نظر «جوبلز» – على ملء المشاعر بالكراهية لليهود والبلاشفة وكل عدو يحارب ألمانيا.

● وفى دول العالم الثالث توجهت أنظمة الحكم لتملأ المشاعر بكراهية الدين واتهام المتدينين بالإرهاب والتعصب والرجعية والإيمان بالغيب وخلط الدين بالسياسة، حتى لقد أعلن الطاغية – وهو فى موسكو قبلة الاشتراكيين وكعبتهم – أنه اعتقل ثمانية عشر ألف إسلامى فى ليلة واحدة، وكان يرى فى ذلك فخرًا يفخر به عند أسياده أعداء الإسلام وأعداء كل دين لأنهم رأس الإلحاد وعموده وذروة سنامه!!!

وبعد: فإن كل ما وضعه «جوبلز» وزير دعاية الطاغية «هتلر» يمكن أن يسمى بالحرب النفسية التى ألف فيها «جوبلز» مصر صلاح نصر كتابًا يحمل هذا الاسم، لم يخرج عن شرح المبادئ التى نادى بها «جوبلز» من قبل.

وهكذا وظف «جوبلز» شرير ألمانيا الرأى العام بمبادئه تلك ليكون من خلف طاغية الحرب العالمية الثانية «هتلر»[١].

وبعد: فكيف يوظف الرأى العام الإسلامى سياسيًا؟

---

(١) انظر: وليام شيرز: تاريخ ألمانيا الهتلرية- ترجمة خيرى حماد. نشر دار الكتاب العربى ١٩٦٦م القاهرة.

إن الرأى العام الإسلامى يوظف لخدمة القضايا الإسلامية على مستوى الوطن المحلى، والوطن العربى والوطن الإسلامى، وعلى مستوى تناثر الأقليات الإسلامية فى العالم كله.

ونحاول هنا أن نذكر بأبرز القضايا الإسلامية فى مستوياتها المتعددة على نحو مجمل باستثناء بعض القضايا الملحة فسوف نوليها بعض التفصيل، والله المستعان.

أ- كيف يوظف الرأى العام الإسلامى سياسياً؟

أولاً:

على مستوى الوطن المحلى:

أبرز القضايا الإسلامية على مستوى الوطن المحلى فى تصورنا هى القضايا التالية:

١- قضية الوطنية وموقعها من الإسلام.

٢- وقضية الفقر والحاجة والعجز عن توفير الحد الأدنى من الاحتياجات الإنسانية.

٣- وقضية التعليم ونشره لإزالة أمية القراءة والكتابة تمهيداً لإزالة أمية الثقافة.

٤- وقضية مزاحمة لغتنا بلغات أخرى وإهمال لغتنا والاهتمام باللغات الأجنبية على حسابها.

٥- وقضية البطالة وفرص العمل.

٦- وقضية توفير أسباب الصحة ومقاومة أسباب المرض.

٧- وقضية الحريات وحقوق الإنسان، وغير ذلك من القضايا الساخنة التى يجب طرحها باستمرار للحوار والمناقشة لتصور الحلول الملائمة.

● وهذه القضايا الوطنية وما يشبهها هى قضايا إسلامية تقع فى الصميم من اهتمامات الإسلام.

– وتوظيف الرأى العام الإسلامى لها يعنى: تأييد وجهة النظر الإسلامية فيها بحشد الأدلة والبراهين، وتقديم العون والدعم الملائم لها، كما يعنى: تفنيد التهم والمفتريات التى تثار حولها، وكشف أصابع الأعداء فيها سواء أكانوا أعداء من داخل الوطن أو من خارجه، إن ذلك واجب الرأى العام الإسلامى على كل حال.

ثانيًا:

على مستوى الوطن العربى:

وهذا الوطن كان واحدًا مع تعدد الطوائف المكونة له، وطنًا واحدًا بغير حدود سياسية أو عوائق مما صنعها الأعداء يوم مزقوه وجعلوه أوطانا ودولاً وتأشيرات دخول وخروج.

ووحدة الوطن العربى ستظل هدف كل عربى مهما كلفته من مال وجهد ووقت ونفس، وما يصيب سياسة أعدائنا من اليهود ومن يساندونهم بالفشل إلا وحدة الوطن العربى، إذ هى أهم من الانتصار على العدو فى معركة بعينها.

وأبرز قضايا الوطن العربى هى:

١- قضية اتحاد هذا الوطن ووحدة دوله.

٢- وقضية اقتصاديات الوطن العربى وثقافته.

٣- وقضية اكتفائه الذاتى فى الطعام والملبس والمسكن والمرافق.

٤- وقضية حراسة لغته وسيادتها على أرضه والاعتزاز بها بوصفها مكونا أساسيًا من مكونات الأمة العربية.

٥- وقضية فلسطين واستيلاء اليهود عليها، وتلقيهم الدعم من الغرب والشرق وأمريكا بالذات.

٦- وقضية الصهيونية واليهودية والأساطير التى أقامت عليها دولتها بتأييد من العالم كله.

٧- وقضية تمزيق العالم العربى والحيلولة دون اتحاده أو وحدته.

هذه القضايا وغيرها يجب أن يوظف لها الرأى العام الإسلامى بكل ثقله وإمكاناته.

ثالثًا:

على مستوى الوطن الإسلامى:

الوطن الإسلامى يتكون من مجموع الأوطان التى تقيم فيه أغلبية سكانية تدين بالإسلام، أوتحكمه دولة مسلمة دينها الرسمى هو الإسلام.

وفى التاريخ الإسلامى امتد هذا الوطن من أقصى غربه فى الأندلس حتى أقصى شرقه فى الصين، ومن أقصى شماله فى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى إلى أقصى جنوبه فى أندونيسيا فى الشرق وتنزانيا فى إفريقيا على جزء من ساحل المحيط الهندى.

هذا الوطن المترامى الأطراف يدين بدين الإسلام فى معظم سكانه، وقد جاء عليه حين من الزمان كان أشبه ما يكون بوطن واحد، يحكمه منهج الله ونظامه لأن معظم أهله يدينون بالإسلام.

ثم جاء العدو ليمزق هذا الوطن الكبير – اليهود ودول الاستعمار التى هى امتداد للصليبيين القدامى، ثم ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وفى النهاية أمريكا – القوة الشيطانية المسيطرة على العالم – تحالف هؤلاء فمزقوا العالم الإسلامى دولاً أو دويلات حتى قارب عددها ستين دولة.

● ولهذا الوطن الإسلامى قضايا مشتركة لابد للرأى العام الإسلامى أن يقف وراءها يدعم الحق فيها ويدحض الباطل من حولها.

وأبرز هذه القضايا هى:

١– قضية تمزيق العالم الإسلامى وتجزيئه لصالح أعدائه.

٢– وقضية التبشير أو التنصير للمسلمين.

٣– وقضية تعويق أعمال الدعوة الإسلامية.

٤– وقضيةمحاربة الحركات الإسلامية فى كل قطر.

٥–وقضية اتهام الإسلام بتهم كاذبة كاتهامهم إياه بانه دين محلى قومى وأنه جاء لأبناء زمن بعينه.

٦– وقضية اتهام العاملين فى الحركات الإسلامية بالعنف والإرهاب والتعصب.

٧– وقضية حصار كثير من دول العالم الإسلامى إن لم تكن جميعها بحصار اقتصادى وآخر ثقافى وثالث سياسى ورابع عسكرى وغيره بإقامة القواعد العسكرية، وما لا حصر له من أنواع الحصار الاقتصادى.

٨– وقضية تحدى العالم الإسلامى وتصنيفه على الرغم منه عدواً تقليدياً للغرب وطموحاته غير المشروعة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وتصريح قادة الغرب بذلك فى المحافل الدولية.

٩– وقضية انحياز مجلس الأمن – التابع لهيئة الأمم المتحدة – ضد كل قضية إسلامية تطرح

عليه ومسارعة أمريكا أو انجلترا أو غيرهما فى استعمال حق النقض ضد أى قرار لصالح المسلمين[1].

١٠-وقضية موقف صندوق النقد الدولى والبنك الدولى من احتياجات بعض الدول الإسلامية!!!

رابعًا:

على مستوى الأقليات المسلمة:

الأقليات المسلمة تمثل عددًا من ملايين البشر ولكنها متناثرة ولا تصل نسبة عددها إلى عدد السكان إلى النصف بل تقل عن ذلك.

ولهذه الأقليات مشكلات وقضايا ما لم يدعمهم فيها إخوانهم فى الدين، كان ذلك تقصيرًا فى حق كل مسلم وكان تضييعا لهذه الأقليات:

١- ومن هذه الأقليات فى آسيا:

- ما يقرب من سبعة ملايين مسلم فى الفيلبين.
- وما يقرب من مائة مليون مسلم فى الصين.
- وما يقرب من ثمانية ملايين فى تايلاند.
- وما يقرب من أربعة ملايين فى بورما.
- وما يقرب من مائة وعشرين مليونا فى الهند.
- وما يقرب من مليونين فى سيريلانكا (سيلان).
- وما يقرب من مليون فى جورجيا.
- وما يقرب من نصف مليون فى أرمينية.
- وما يقرب من نصف مليون فى سنغافورة.
- وما يقرب من مليونين فى فيتنام.

---

(١) انظر على سبيل المثال كيف حلت مشكلة البوسنة والهرسك وكوسوفا على يد أمريكا لصالح أمريكا نفسها ولصالح غير المسلمين، وانظر ما يفعله الغرب واليهود فى جنوبى السودان وفى أندونيسيا وغيرهما وما يفعله الروس فى الشيشان، وما فعله فى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى!!!

– وما يزيد على نصف مليون فى نيبال.

– وما يقرب من مائة وثمانين ألفًا فى قبرص.

بمجموع يزيد على مائتى مليون مسلم متناثرين فى الدول الآسيوية وكل أقلية من هذه الأقليات تعانى من مشكلات أوطانها تستوجب على المسلمين دعمهم وعونهم وتأييدهم فيها.

٢– ومن هذه الأقليات فى إفريقية:

– ما يقرب من ستة ملايين فى أوغندا.

– وما يقرب من خمسة ملايين فى كينيا.

– وما يقرب من أربعة ملايين فى زائير (الكونغو).

– وما يقرب من ثلاثة ملايين فى موزنبيق.

– وما يقرب من ثلاثة ملايين فى مالاجاش.

–ووما يزيد على ثلاثة ملايين فى مالاوى.

–وما يزيد على أربعة ملايين فى غانا.

– وما يقرب من مليونين فى ليبيريا.

– وما يقرب من مليونين فى بروندى.

– وما يقرب من ثلاثة أرباع المليون فى الجابون.

–وما يزيد على نصف مليون فى اتحاد جنوبى إفريقية.

إلى جانب أقليات أخرى فى زامبيا وناميبيا وأنجولا وبتسوانا وجزر ريونيون،وغينيا الاستوائية، ورواندا وغيرها، فى مجموع يزيد على خمسة وثلاثين مليونا متناثرين فى أكثر من أربع وعشرين دولة.

٣– ومن هذه الأقليات فى روسيا الاتحادية:

– وما يقرب من ثلاثة عشر مليونا فى سيبيريا.

– وما يقرب من تسعة ملايين فى القرم.

- وما يقرب من ستة ملايين فى بشكيريا.
- وما يقرب من خمسة ملايين فى تتاريا.
- وما يقرب من ثلاثة ملايين فى داغستان.
- وما يقرب من ثلاثة ملايين فى أورنبرج.
- وما يقرب من مليونين ونصف المليون فى الشيشان وأنجوشا.
- وما يقرب من مليونين فى موردوف.
- وما يزيد على مليون ونصف المليون فى مارى.
- وما يزيد على مليون ونصف المليون فى أدمورت.
- وما يزيد على مليونين فى الجوفاش.
- وما يقرب من المليون فى كل من كبارديا بلكاريا، وأوستنيا،وقرتشاى،وبلاد الأديجا.

أى ما يزيد على خمسة وخمسين مليونا متناثرين فى روسيا الاتحادية، وهم يمثلون ما يقرب من ربع عدد السكان، لكن ليس لهم تأثير سياسى أو اجتماعى لأسباب معروفة، فهم محتاجون دائمًا إلى دعم إخوانهم فى الدين، ومحتاجون إلى توظيف الرأى العام الإسلامى ليكون إلى جانبهم يدافع عن قضاياهم.

وبعد: فإن من أبرز القضايا على مستوى الوطن الإسلامى فى تصورى قضيتين أرجو أن أتحدث عنهما بإيجاز فى ختام هذا الكتاب، تنبيها لغير المتنبهين إلى خطر هاتين القضيتين، وكشفا لأبعادهما وأهدافهما وبيانا لأصابع من يحركونهما بشكل مضاد للإسلام والمسلمين.

هاتان القضيتان هما:

- قضية الاستشراق والمستشرقين.
- وقضية التنصير أو ما يسمونه تجاوزاً التبشير.

والله هو الموفق والهادى.

ب- أهم القضايا التى يجب أن تطرح على الرأى العام الإسلامى

أولاً:

قضية الاستشراق والمستشرقين:

الاستشراق أستاذ التبشير وموجهه إلى ضرب الإسلام فى الصميم فى فكره وعقيدته وقرآنه وسنة نبيه ﷺ. الاستشراق والتبشير معًا أو كل منهما على حدة.

وإن هدف الاستشراق والمستشرقين فى كتاباتهم ومؤتمراتهم هو:

إضعاف القيم الإسلامية، وتفتيت الشعوب العربية وتوهين الشعوب الإسلامية.

وإذا كان التبشير قد أخذ مظاهر «العقلية العامة» فى عمله المعادى للإسلام، فإن الاستشراق قد أخذ «الطابع العلمى الأكاديمى» فى عمله المعادى للإسلام.

● ومن أسباب الاستشراق ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

- **السبب الدينى:**

وذلك مرتبط بما تركته الحروب الصليبية فى الأوربيين من رغبة فى التعرف الدقيق لهذا الدين الذى انتصر عليهم وأجلاهم عن بيت المقدس بعد أن استولوا عليه ما يقرب من تسعين عامًا، وبعد أن أقاموا ممالك فى الشام ظلت قرنين من الزمان ثم أزيلت.

- **والسبب الاستعمارى:**

فعن طريق الاستشراق استطاع المستعمرون أن يعرفوا من خلال كتابات المستشرقين نقاط الضعف فى المسلمين سياسيًا واقتصاديًا، فيسر لهم ذلك بسط نفوذهم على كثير من بلاد المسلمين، ثم سهل عليهم - أخيرًا - إسقاط دولة الخلافة فى تركيا لينفرط عقد الدولة الإسلامية الكبرى التى بسطت نفوذها على البلقان كله وعلى بعض دول أوربا.

- **والسبب الاقتصادى:**

فكان الاستشراق ودراساته وكتاباته تمهيداً لانتشار التجارة الغربية فى الشرق الإسلامى وبخاصة فى الهند، ثم اتسع نفوذهم التجارى ليشمل عديداً من البلدان الإسلامية، ثم كانت السيطرة الاقتصادية على كثير من دول العالم الإسلامى، ثم كان الاستعمار للأوطان الإسلامية.

- والسبب اليهودى الصهيونى :

فقد كان عدد كبير من المستشرقين من اليهود، حركهم إلى ذلك رغبتهم الملحة فى إضعاف الإسلام والمسلمين، لخدمة الصهيونية فكرة أولاً، ثم دولة بعد ذلك.

● وهدف الاستشراق والمستشرقين هو :

بث روح التخاذل والإحساس بالنقص فى نفوس المسلمين وتفريق كلمتهم وتمزيق صفهم بما دعوا إليه من دعوات هدامة تستهدف تشويه الإسلام، الكتاب والسنة وشخصية الرسول ﷺ، لضرب وحدة المسلمين القائمة على القرآن الكريم والسنة النبوية والاقتداء بالرسول ﷺ.

وضرب لغة القرآن لغة الإسلام بإحياء اللهجات العامية تمهيداً لضرب الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامى كله، ومزاحمة اللغة العربية بلغات غربية عديدة أنشئت لها مدارس ومعاهد وجامعات فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، وتيسير دراسة هذه اللغات المزاحمة للعربية بل المكافأة على دراستها وإتقانها.

● وقد نجح الاستشراق والمستشرقون فى تحقيق كثير من أهدافهم واستطاعوا أن يغلفوا بعض أعمالهم بالثناء أحيانًا على بعض الكتب الإسلامية ليجدوا قبولاً لدى قراء المسلمين ثم يتقبل منهم ما يقولون عن الإسلام من باطل بعد ذلك.

ولقد تحدث عن هذا عبد الوهاب عزام رحمه الله[1] حيث قال فى افتتان الشرقيين بمظاهر الحضارة الغربية : « . . . فاضل الشرقيون أنفسهم فإذا هم أجساد تنبض بقلوب الغرب وتفكر بعقوله، وإذا هم مستسلمون لكل ما تطلع به أوربا منقادون لكل ما تأمرهم به متهافتون على كل ما اتصل بها، ثم إذا هم أذلاء مقلدون يحقرون أنفسهم وآباءهم وميراث حضارتهم وتاريخهم، إلا أن تعظم أوربا أبًا من آبائهم أو تعجب بمأثرة من مآثرهم فيعتدوا بها . . . ».

● وباستعراض أسماء أشهر المستشرقين نجد كثيراً منهم من اليهود، ومعنى ذلك أن العداء مستحكم ضد الإسلام والمسلمين ومن هؤلاء المستشرقين مَنْ هو ذو خطر على الإسلام والمسلمين يجاهر بعدوانه ولا يبالى، ومنهم من يعتبر نفسه ذا حكمة وبعد نظر فيستر عداءه

---

(١) ملحق السياسة الأدبى عدد ١٤ جمادى الثانية ١٣٥١ هـ - ١٤/٣/١٩٣٢م وهو عدد خاص بمؤتمر الطلبة الشرقيين.

بالمغالطات حينا، وادعاء الحيادية المكذوبة حينا، وبالمجاملة والكلمات المعسولة حينا، ومنهم:

١ - د.س . مرجليوث

إنجليزى الأصل يهودى متعصب ضد الإسلام،تفيض مؤلفاته بالحقد على الإسلام. وكان عضوًا بمجمع اللغة العربية بمصر وبالمجمع العلمى فى دمشق، وهو أستاذ لكثير من العرب والمسلمين ومن محررى دائرة المعارف الإسلامية.

٢ - ر. أ. نيكولسون:

انجليزى متعصب ضد الإسلام فى كتبه عن التصوف والتاريخ الإسلاميين، وقد أنكر على الإسلام أنه دين روحى،إذ يزعم أنه دين مادى خال من السمو الإنسانى.

كان عضوًا بمجمع اللغة العربية بمصر،ومن محررى دائرة المعارف الإسلامية.

٣ - هـ.ا.ر. جب:

من أكبر المستشرقين البريطانيين، ومن أخطرهم على الإسلام، له مؤلفات عديدة هاجم فيها الإسلام بخبث ودهاء، ومن أخطر هذه المؤلفات: «الاتجاهات الحديثة فى الإسلام». وهو من أكبر محررى دائرة المعارف الإسلامية وناشريها.

٤ - أ. ج. أربرى:

بريطانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين، لا يدخر وسعًا فى اتهام الإسلام بكل باطل، ومن أخطر كتبه: «الإسلام اليوم». وهو من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» وأستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا فى «كمبردج» فى الدراسات الإسلامية واللغوية.

٥ - ج. فرونباوم:

يهودى من أصل ألمانى،واستقدم إلى أمريكا للتدريس فى جامعاتها. وهو من ألد أعداء الإسلام، وجميع كتبه تفيض بالكذب والاعتداء على الإسلام وقيمه وعلى المسلمين.

ومن أخطر كتبه: «إسلام العصور الوسطى» صدر عام ١٩٤٦م وكتابه: «محاولات فى شرح الإسلام المعاصر» صدر فى عام: ١٩٤٧م.

٦ - ا.ح. فينسينك:

من ألد أعداء الإسلام، وأعداء رسوله ﷺ وقد ادعى أن الرسول ﷺ هو مؤلف القرآن

ألفه من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التى سبقته. وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر، ثم أخرج منه بعد أن كشف حقده وتضليله الدكتور حسين الهوارى – وهو طبيب مصرى – فى كتابه – «المستشرقون والإسلام» الذى صدر فى سنة ١٩٣٦م.

٧- هنرى لامنس اليسوعى:

فرنسى شديد التعصب ضد الإسلام، عنيف الحقد عليه، مفرط فى عدائه وافتراءاته على الإسلام، حتى إن بعض زملائه من المستشرقين أقلقهم ما يكتبه عن الإسلام، وهو من محررى دائرة المعارف الإسلامية.

٨- يوسف شاخت:

ألمانى شديد الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين، له كتب كثيرة تفيض بالمغالطات والمفتريات عن الإسلام، ويختار أن يكتب عن الفقه الإسلامى وأصوله، ويخبط فى كتابته خبط عشواء وهو من محررى دائرة المعارف الإسلامية.

٩- د. بل:

بريطانى شديد الحقد على الإسلام كثير الخطأ والتجنى فى كل ما كتبه عن الإسلام والقرآن، وقد بث هذا الحقد الضال المضلل فى كتب ثلاثة له هى:

– أصول الإسلام فى بيئته المسيحية صدر عام ١٩٢٦م.

– والقرآن صدر فى عام ١٩٣٧م.

– ومقدمة القرآن صدر فى عام ١٩٥٤م.

١٠- أرنولد توينبى:

بريطانى، له أخطاء كثيرة عن الإسلام ومجازفات رديئة عن الرسول ﷺ، وقد سجل ذلك فى كتاب له نال شهرة عالمية هو: «دراسة فى التاريخ» ولهذا الكتاب مكانة فى نظر كثير من الناس وبخاصة المستشرقون – والعرب بشكل أخص.

● ولابد لى من أذكر بأن عدداً لا يستهان به من المستشرقين يهود ضموا إلى حقدهم الدينى على الإسلام حقدهم العلمى، ومن هؤلاء اليهود:

– إسرائيل ولفنسون.

– وليفى بريل.

– وجولد زيهر.

– وبرنارد لويس.

– ومكسيم رودندن.

– وماكس نورده.

وينضم إلى هؤلاء من مشاهير المفترين على الإسلام المتعصبين ضده حتى النخاع، العاملين من أجل الاستعمار والتبشير عدد كبير منهم:

– لويس ماسينون.

– وهاملتون جب.

– وكريستيان سنوك.

– وجوستاف فون جرونباوم.

– وتيودرى نولدكه.

– ول. جوثير.

– وهؤلاء وغيرهم تقطر كتاباتهم عن الإسلام ورسوله وتاريخه حقداً، وتمتلئ بكثير من الافتراءات والأباطيل التى لا تخفى على قارئ مسلم مثقف(١).

● ومن أخطر الموسوعات التى ألفوها وهى مليئة بالافتراء على الإسلام:

١– دائرة المعارف الإسلامية – وقد أصدروها بعدة لغات.

٢– دائرة معارف الدين والأخلاق.

٣– دائرة معارف العلوم الاجتماعية.

● ومن أخطر دورياتهم المعادية للإسلام:

١– مجلة العالم الإسلامى التى تصدر فى أمريكا بالإنجليزية.

---

(١) لم يمنع هذا الحقد على الإسلام والتعصب ضده بعض هؤلاء المستشرقين من أن يفهرسوا ثمانية من كتب السنة فيما يعرف «بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى»، ولم يمنع بعضهم من نشر كثير من كتب التراث الإسلامى والأدب العربى. لكن على المسلم الغيور على دينه أن يقرأ هذه الكتب على حذر، فهم يجيدون دس السم فى العسل وبخاصة كتب التراث والتاريخ والأدب.

٢- ومجلة العالم الإسلامى التى تصدر فى فرنسا بالفرنسية.

٣- ومجلة الدراسات الشرقية التى تصدر فى أمريكا.

٤- ومجلة الشرق الأوسط التى تصدر فى أمريكا، ويقوم عليها ويحررها كثيرمن المستشرقين المعادين للإسلام والعروبة.

ثانيًا:

قضية التبشير والمبشرين:

والتسمية الدقيقة للتبشير هى: التنصير، أى تحويل الناس وبخاصة المسلمون عن أديانهم إلى النصرانية.

والضميمة الرئيسة لهذه الكلمة هى: تعويق الدعوة إلى الإسلام على مستوى العالم.

وهذا العمل التنصيرى تقوم به الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانية فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى - وبخاصة فى إفريقية وآسيا -.

وقد مر هذا العمل بمراحل عديدة وتطور بتطور الأحداث التاريخية، وأنواع التقدم العلمى فى كل عصر متأثرا بعوامل هامة هى التى حركته، ومن هذه العوامل:

١- الحروب الصليبية التى قادتها الكنيسة وشاركت فيها معظم دول أوربا ضد مصر والشام مستهدفة بيت المقدس فى القرنين السادس والسابع الهجريين - الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين - وإن كانت تخفى مع الدوافع الدينية دوافع سياسية واقتصادية دون أدنى شك، لضرب الإسلام والمسلمين فى عقر دارهم.

٢- والحروب الصليبية الحديثة، أى الغزو الأوربى للعالم الإسلامى وبخاصة فى مصر والشام وسائر بلدان الشرق وجنوبى البحر المتوسط فى القرن التاسع عشر الميلادى، حيث شاركت فيه انجلترا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وهولندا وبلجيكا، وفرض السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية عليه، تحت أسماء: الوصاية والحماية والانتداب والمعاهدات الظالمة والاستعمار..

فى كل تلك الحملات أو الغزوات كان التبشير يعمل عمله فى كل بلد مسلم، كما سجلوا ذلك بأنفسهم فى كتاب: «الغارة على العالم الإسلامى». الذى ألفه: ل. شاتليه.

وقد كانت دول الاستعمار تُسيِّر مع جيوشها التى تريد أن تحرر العالم العربى من الحكم

العثماني – على حد قولها – عدداً كبيراً من القساوسة الذين يمارسون تنصير المسلمين مستغلين فقر بعض البلدان وجهل الناس فيها، وعجزهم عن تصنيع السلاح،حيث يقدمون المال والمأوى والأمن فى كنائسهم لكل من ترك دينه وتنصر.

٣– والإرساليات الأجنبية: أى البعثات التبشيرية والتعليمية التى انطلقت من أوربا وأمريكا إلى آسيا وإفريقية فى حماية الدول المستعمرة، وقد مهدت هذه الإرساليات مستهدية بدراسات المستشرقين الطريق إلى التوسع فى احتلال كثير من بلدان العالم الإسلامى.

ومن أبرز هذه الإرساليات:

● الإرساليات الكاثوليكية التى تسمى البعثات اليسوعية وتعتمد فى عملها على المدارس ومعاهد التعليم، فمنذ إنشاء مدرسة الموارنة فى روما سنة ١٥٨٥م عهد «البابا» بإدارتها إلى «الآباء» اليسوعيين واستمرت إدارتهم لها أكثر من قرنين من الزمان، وقد خرجت هذه المدارس عدداً كبيراً من المستشرقين وأساتذة اللغات الشرقية، وقد بذل هؤلاء وأولئك جهوداً كبيرة فى التبشير إذ كان ذلك هو هدفهم الأصلى، فأسسوا خمسة أديرة فى سوريا ولبنان، فى حلب سنة١٦٢٥م، وفى دمشق سنة١٦٤٣م وفى طرابلس سنة ١٦٤٤م وفى صيدا سنة ١٦٤٤م وفى عينطورة سنة ١٦٥٧م.

ونشروا المدارس الابتدائية حتى لم تبق بلدة صغيرة إلا وفيها مدرسة يديرها الآباء اليسوعيون، كما انشأوا المستشفيات والمستوصفات والجمعيات الدينية ونحوها، ومن خلال هذه المؤسسات انتشر التبشير فى سوريا ولبنان أولاً ثم انتقل إلى مصر وبلاد المغرب العربى، ثم تشاد وكثير من بلدان إفريقية بعد ذلك.

فقد أنشأ اليسوعيون كلية «العائلة المقدسة» فى مصر سنة ١٨٧٩م وأخرى فى الإسكندرية ثم فى المنيا بصعيد مصر سنة ١٨٧٧م، وتعددت المدارس والمعاهد والأديرة مثل: «الفرنسيسكان»، «وراهبات القديس يوسف»، و«راهبات الراعى الصالح» و«جمعية الأخوة المسيحية» وغيرها، بحيث أصبحت عشرات فى زمن قليل ثم مئات فى النصف الأول من القرن العشرين.

● والإرساليات البروتستانتية:

وهذه البعثات إلى الشرق وإلى العالم الإسلامى أثارت مخاوف الإرساليات الكاثوليكية، فحاربوهم – على الرغم من اتفاقهم معهم فى الهدف – وشن عليهم «الإكليروس المارونى

فى لبنان حربًا ضارية، ولكن البروتستانت وجدوا من الكنيسة الأرثوذكسية تعاونًا أوليا ثم نقم عليهم رجال الدين «الأرثوذكس» وبخاصة على الإرساليات الأمريكية والإنجليزية والألمانية.

غير أن الإرسالية الأمريكية استطاعت أن تبدأ نشاطها بإنشاء مدرستين فى بيروت وصيدا، ثم أنشأوا الكلية السورية الإنجيلية التى تحولت إلى أن تكون الجامعة الأمريكية.

ثم توسعت الإرساليات الأمريكية توسعًا ملحوظًا بتعدد مدارسها وجامعاتها فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، محافظة على خطتها التبشيرية متذرعة بنشر التعليم والثقافة والخدمة الاجتماعية، والتجسس لصالح الدول المعادية، حتى لقد اعترف بذلك أحد مؤسسى الجامعة الأمريكية فى بيروت: «هنرى جيب» حيث قال: كان المبشرون يتجسسون لدولهم سياسيًا وعسكريًا».

وقد كتب: «هولينج» و«شيرما» فى كتابهما: «إعادة النظر فى البعثات» قائلين: «وقد كانت الدول الأجنبية تبسط حمايتها على مبشريها فى بلاد الشرق الأوسط، لأنها تعدهم حملة لتجارتها وآرائها وثقافتها إلى تلك البلاد، بل كان ثمة ما هو أعظم من هذا عندها: لقد كان المبشرون يعملون بطرق مختلفة – كالتعليم مثلاً – على تهيئة شخصيات شرقية لا تقاوم السيطرة الأجنبية».

● وعلى وجه العموم ودون خوض فى التفاصيل، فإن المبشرين يعملون على قلع العقيدة الإسلامية وإحلال النصرانية محلها عن طريق الإغراء حينا والتخويف أحياناً، وبخاصة أن لهم نفوذاً فى البلاد نابعًا من نفوذ دولهم المتحكمة فى البلاد والعباد.

– وقد اتفق التبشير مع الاستعمار فى تثبيت سيادة الجنس الأبيض فى المستعمرات كلها فى آسيا وإفريقية مع التركيز على سلب الشعوب المستعمرة دينها وثقافتها ولغتها وشخصيتها، كما أحيوا فى هذه الشعوب النعرات الطائفية والعرقية بأسلوب لا يمت إلى الإنسانية فضلاً عن النصرانية بصلة.

ولقد سجل ذلك بقلمه: «جبران خليل جبران» (١٣٠٠-١٣٤٩ هـ / ١٨٨٣-١٩٣١م) الكاتب الأديب السورى واللبنانى الشهير المهاجر إلى أمريكا، حيث قال: «فى سوريا مثلا كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة، وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون، ولقد أَحْيَانَا ذلك الخبز، ولما أحيانا أماتنا؛ أحيانا لأنه أيقظ

بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلاً، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا، وقطع روابطنا، وأبعد ما بين طوائفنا، حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة، مختلفة الأذواق متضاربة المشارب، كل مستعمرة منها تشد فى حبل إحدى الأمم الغربية وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وأمجادها، فالشاب الذى تناول لقمة من العلم فى مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع إلى معتمد أمريكى، والشاب الذى تجرع رشفة من العلم فى مدرسة يسوعية أصبح سفيراً فرنسياً، والشاب الذى لبس قميصًا من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلاً لروسيا، إلى آخر ما هنالك من المدارس،وما تخرجه كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء...»(١).

● ولقد تأثر التبشير والمبشرون بالاستشراق والمستشرقين بل اتخذوا من دراسات المستشرقين الحاقدة على الإسلام مراجع معتمدة، تلتقى مع أهدافهم أيما التقاء.

وأهداف التبشير والمبشرين كثيرة منها:

١- تشويه الإسلام عقيدة وفكرًا وثقافة وتاريخًا وتراثًا ولغة وأدبا.

٢- وتشويه الإسلام عبادة ومعاملة ونظامًا ومنهجًا.

٣- وتشويه الرسول ﷺ فى شخصه وسيرته.

٤- وتشويه تاريخ الإسلام وحضارته.

٥- وتشويه شخصيات المصلحين المجددين من المسلمين فى كل عصر.

٦- وتقديم الخدمات المادية والمعنوية لكل من رغبوا فى أن ينخلع من إسلامه ليدخل فى نصرانيتهم.

٧- واتخاذ كافة الوسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير الأخلاقية للوصول إلى تلك الأهداف.

● ومن وسائل المبشرين لتحقيق أهدافهم:

- إنشاء المدارس والكليات والجامعات.

- وإنشاء دور النشر والطباعة.

---

(١) مجلة الهلال المصرية سنة ١٩٢٣م من مقال لجبران خليل جبران بعنوان: نهضة الشرق العربى وموقفه إزاء النهضة الغربية.

- وإنشاء الصحف والمجلات.

- وطباعة الكتب والنشرات.

- وعقد الندوات.

- وعقد المؤتمرات، وأشهرها مؤتمر بالقاهرة ١٩٠٦م وآخر فى بيروت ١٩١١م وثالث فى القدس ١٩٢٤، ورابع فى القدس أيضاً ١٩٣٥م.

- وإنشاء المستشفيات والمستوصفات والملاجئ.

● وكل المؤسسات التعليمية التى أنشأوها أوجبوا أن يكون الإنجيل من موادها - وصرحوا بذلك[١].

● وتوضيح أهداف التبشير وأعماله، والكشف عن مؤسساته المستمرة فى العمل اليوم وغداً وفى كل وطن إسلامى، ومعرفة أعوانه فى داخل الأوطان الإسلامية من الحكام والحكومات التى تعادى الإسلام وتنتهج غير منهجه،وتتخذ كل الوسائل لعزله عن حياة الناس، ومعرفة أعوانه من أصحاب المنافع الدنيوية وضعاف النفوس، ومن تعلموا على أيدى المستشرقين والمبشرين فوالوهم ضد دينهم، توضيح ذلك للمسلمين واجب إسلامى أصيل وكشف هذا كله وتعريته وفضح أعماله وأقواله هو واجب الإعلام الإسلامى، ومنطلق توظيف الرأى العام الإسلامى، سياسيًا وثقافيًا وحضاريًا.

وبهذا تزيد مقاومة المسلمين لأعدائهم بعد أن عرفوهم وفقهوا مخططاتهم وأساليب أعمالهم فى عدائهم لدين الله خاتم الأديان وأتمها وأكملها وأرضاها لله تعالى.

والفضل فى ذلك لله تعالى وللرأى العام الإسلامى الموظف لقضايا الأمة الإسلامية.

١- انظر: التبشير والاستعمار: فروخ والخالدى.

خاتمة

بفضل من الله وعون وإمداد أختتم هذه الحلقة الخامسة «التربية السياسية الإسلامية» من سلسلة مفردات التربية الإسلامية شاكراً الله تعالى على ما أنعم عليَّ به من حول وحيلة لأنجز هذا الكتاب، سائلاً الله تعالى أن يأجرني على هذا العمل، وأن ينفع به المسلمين، وأن يبصرهم بأوليائهم وأعدائهم، إنه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

على عبد الحليم محمود

القاهرة في: التاسع والعشرين من شعبان ١٤٢١ هـ

الموافق٢٥ / ١١ / ٢٠٠٠م

قائمة بأعمال المؤلف المنشورة

أولاً :

فى الفكر الإسلامى وقضاياه :

١- مع العقيدة والحركة والمنهج، نشر دار الوفاء بمصر.

٢- الغزوالصليبى والعالم الإسلامى، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣- المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى، نشر دار المنار بالقاهرة.

٤- الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى، نشر دار المنار بالقاهرة.

٥- التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطرق التغلب عليه، نشر دار الوفاء بمصر.

٦- التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٧- نحو منهج بحوث إسلامى، نشر دار الوفاء بمصر.

٨- السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد ا لوهاب،نشر دار عكاظ بالسعودية.

ثانيًا :

أ- فى التربية الإسلامية :

٩- تربية الناشىء المسلم، نشر دار الوفاء بمصر.

١٠- منهج التربية عند الإخوان المسلمين، نشر دار الوفاء بمصر.

١١- وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

ب- سلسلة التربية فى القرآن الكريم :

١٢- التربية الإسلامية فى سورة المائدة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٣- التربية الإسلامية فى سورة النور، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٤- التربية الإسلامية فى سورة آل عمران ، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٥- التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٦- التربية الإسلامية فى سورة الأنفال، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٧- التربية الإسلامية فى سورة النساء ، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٨- التربية الإسلامية فى سورة التوبة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

جـ- سلسلة مفردات التربية الإسلامية:

١٩- التربيةالروحية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٠- التربية الخلقية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢١- التربية العقلية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٢- التربية الدينية(الغائبة)، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٣- التربية السياسية الإسلامية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

ثالثًا:

فى فقه الدعوة الإسلامية:

٢٤- فقه الدعوة إلى الله، نشر دار الوفاء بمصر.

٢٥- فقه الدعوة الفردية، نشر دار الوفاء بمصر.

٢٦- المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، نشر دار الوفاء بمصر.

٢٧- عالمية الدعوة الإسلامية، نشر دار الوفاء بمصر.

٢٨- التوثيق والتضعيف عند المحدثين والدعاة، نشر دار الوفاء بمصر.

٢٩- فقه الأخوة فى الإسلام، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٠- فقه المسئولية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

رابعًا:

سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا

٣١- ركن الفهم - فهم أصول الإسلام، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٢- ركن الإخلاص، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٣- ركن العمل -أو منهج الإسلام الإصلاحى ، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٤- ركن الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٥- ركن التضحية- أو بذل النفس والمال وكل شىء فى سبيل الله، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٦- ركن الطاعة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٧- ركن الثبات، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٨- ركن التجرد، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٩- ركن الأخوة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٤٠-ركن الثقة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

خامسًا :

فى الأدب الإسلامى المعاصر :

٤١- مصطفى صادق الرافعى - والاتجاهات الإسلامية فى أدبه، نشر دار عكاظ بالسعودية .

٤٢- جمال الدين الأفغانى -والاتجاهات الإسلامية فى أدبه، نشر دار عكاظ بالسعودية .

سادسًا :

فى الدراسات الأدبية :

٤٣- القصة العربية فى العصر الجاهلى، نشر دار المعارف بمصر .

٤٤- النصوص الأدبية .. تحليلها ونقدها، نشر دارعكاظ بالسعودية .

سابعًا :

كتب معدة للنشر : .

١- التربية الإسلامية فى المدرسة .

٢- التربية الإسلامية فى المجتمع .

٣- باقى سلسلة : مفردات التربية الإسلامية « خمس حلقات » .

ثبت موضوعات الكتاب

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣